الألف كتاب
الثاني
١٣١

ألفريد . ج بتلر

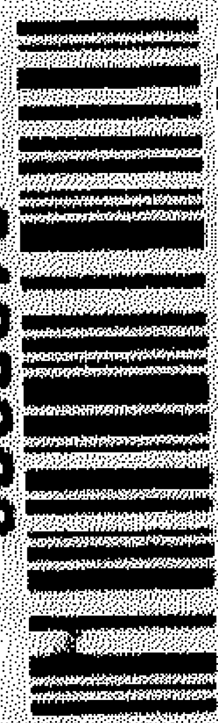
الكنائس القبطية القديمة في مصر

ترجمة
ابراهيم سلامة إبراهيم

مراجعة وتقديم:
نيافة الأنبا غريغوريوس







الكنائس القبطية القديمة
في مصر

الألف كتاب الثانى

الإشراف العام
د. سمير سرحان
رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير
لمعى المطيعى

مدير التحرير
أحمد صليحة

الإشراف الفنى
محمد قطب

الإخراج الفنى
محسنة عطية

اهداءات ١٩٩٩

مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع
القاهرة

الكنائس القبطية القديمة في مصر

تأليف

ألفريد . ج . بتلر

ترجمة

إبراهيم سلامة إبراهيم

مراجعة وتقديم

نيافة الأنبا غريغوريوس

الجزء الثاني



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٣









[illegible]

[illegible]

فهرس

عن المذبح القبطى

المذبح ـ المذبح المتنقل ـ مستلزمات المذبح ـ اغطية المذبح

يبدو أن اشتقاق اللفظ القبطى الدال على كلمة المذبح يرتبط ارتباطا وثيقا بكلمة (ما ان ارشو أو شى) القطبة المعتادة · وتعنى « مكان تقديم الذبيحة » وان كانت تخفف من معنى هذا الاشتقاق حقيقة أن الأصل البعيد الذى يعود الى اللغة المصرية القديمة والذى اشتقت منه كلمة (شو أو شى) يعنى تقريبا « وضع » أو « ترك » أكثر من أن يعنى « التضحية أو الذبيحة » · أما من حيث الاستخدام فان كلمة شو أو شى تحمل فكرة الذبيحة لدى الأقباط وليس الا · وعلى ذلك فاننا نجد أن الكلمة العربية المقابلة وهى « مذبح » قد اشتقت من الفعل « ذبح » وعلى ذلك فان الفكرة تدل بوضوح على أنه موضع الذبيحة مثلما تدل على ذلك كلمة (ثوسياستيريون) اليونانية وتعنى « مذبح » · أما كلمة مذبح فهى مســتخدمة الآن عند النساطرة (١) وغالبا ما يطلق اليونانيون على المذبح اسم : المائدة المقدسة Hagia Trapeza · أما فى اللاتينية فان الاسم Sancta mensa (المائدة المقدسة) هو الذى يطلق أحيانا على المذبح altare وقد وردت هكذا .. mensa efficitur . فى خطاب للبابا نيقولاوس الأول ويقول فورتوناتوس ان هذا الاسم يمثل مائدة السيدة المسيح التى استضاف بها تلاميذه » (٢) ·

ولكن يبدو أن الاقباط لا يهتمون بمثل هذه الرمزيات ، ولا يتحدثون أبدا عن المذبح بوصفه مائدة ، بالرغم من أنهم يدرجونه تحت اثنين آخرين من المعــانى الرمزية ، فهو عنــدهم يمثل قبر السيد المسيح ، والعرش

(١) G. P. Badger, The Nestorians & their Rituals, vol. i. p. 228, (London, 1852).

(٢) De Ecclesiae Officiis, tom, iii, p. 21.

الالهى • وسنبين فيما يلى الطريقة التى يعبر بها عن هذين الرمزين فى الطقس وزخارف المذبح •

ان كل مذبح فى الكنيسة القبطية له دائما كيانه المستقل ، ويقوم ظاهرا فى وسط المقصورة أو الهيكل • وبالرغم من أن الهيكل الرئيسى والهياكل الجانبية يرتفع كل منها فوق الخوروس بدرجة واحدة ، فان المذبح لا يرتفع فوق درجات أخرى ولكنه يقوم على مستوى سطح الأرض • ولكننا نجد الاستثناء لهذه القاعدة فى كنائس أديرة الصحراء حيث يرتفع المذبح فوق درجة أو مصطبة أعلى من أرضية الهيكل • أما عادة الصاق المذابح الصغرى بالحائط فى الكنائس الغربية فلا شك فى أنها عادة قديمة• ولكن المذبح العالى يظهر دائما واضحا وقائما حتى يمكن للكاهن والخادم أن يدور حوله • وهذا هو ما تؤكده كلمات الطقس التى تقول « ويدور بالمجمرة حول المذبح » • ومرة أخرى تقول : « ويرش حول المذبح الرئيسى فى شكل دائرى » • وكذلك نقرأ أيضا فى الترتيب الطقسى لصاحبه : اجبرت ، العبارة القائلة : « يدور بنفسه حول المذبح » • ونجد أن المذبح قد تحرك تدريجيا نحو الحائط الشرقى وأصبح مثبتا وملتصقا به • وكان ذلك هو الوضع المعتاد بالرغم من أنه كان ترتيبا ثابتا فى الكنائس الغربية حتى الى ما قبل حركة الاصلاح الدينى • وفى القرن السابع عشر وبعد تحطيم المذابح القديمة ، وضعت مائدة التناول مثبتة فى القسم الشرقى من الكنيسة تحيط بها المقاعد المواجهة للحائط • وكان هذا الترتيب خاضعا لتقاليد التطهريين (*) ولا يزال مرعيا فى كنيسة أو اثنتين مثل كنيسة ديرهيرست Deerhurst بالقرب من توكسبرى Teweksbury وهى كنيسة ساكسونية صغيرة ، وكاتدرائية لانجلى سالوب Langley salop ، ولم يهتم التطهريون بالعودة الى الممارسات الأولى • وبالطبع فقد ذهبوا بعيدا جدا فى رفض الممارسات والمواكب الاحتفالية والبخور •

والمذبح القبطى عبارة عن كتلة ذات اربعة أبعاد يبنى من القرميد أو الأحجار ، وهو مجوف أحيانا ، ومصمت أحيانا أخرى ، ومغطى بالجص • وهو يقترب من الشكل المكعب وهذا على غير مذابح الكنائس الغربية • وهو لا يبنى من الخشب (١) (على الرغم من أن المذبح العالى بكنيسة ابى

(★) التطهريون Puritans طائفة من طوائف البروتستانت دعت الى تبسيط الطقوس الدينية (المترجم) •

(١) سمعت رحالة يتحدث عن مذبح خشبى على شكل منضدة فى جرجا • وقد يحدث فى بعض الأماكن النائية الابتعاد عن العادات المرعية بسبب الكسل أو الجهل أو اللامبالاة ، ولكن هذه البنية ليست بذات أهمية • انظر :
Arch. Journ. vol. xxiv. p. 123 n.

سيفين مغلف بالخشب) وهو أيضا لا يرفع على أعمدة · وكقاعدة عامة فان مبنى قمة مذبح الهيكل الرئيسى لا يختلف عن مبنى الحوائط الجانبية ، ولكنه يحتوى على مستطيل له أربع زوايا قائمة ، ويغوص بعمق مقداره بوصة واحدة حيث يوضع لوح المذبح – وهو عبارة عن لوح بسيط من الخشب محفور عليه برسم صليب فى المركز الحروف الأربعة المقدسة التى تؤلف كلمة سانوتيوس أى (يسوع المسيح ابن الله) · وهذا الترتيب الذى ينتصب فيه الكأس والصينية على اللوح فوق قاعدة خشبية ، بينما أقيم المذبح نفسه من الحجر ، يكشف عن انعكاس الوضع تماما عن النموذج اللاتينى لأن التقاليد الرومانية تتطلب أنه حتى عندما يكون الخشب هو المادة التى يصنع منها المذبح ، فلابد من وضع لوح من الرخام أو الحجر لحمل العناصر المقدسة أثناء التقديس ·

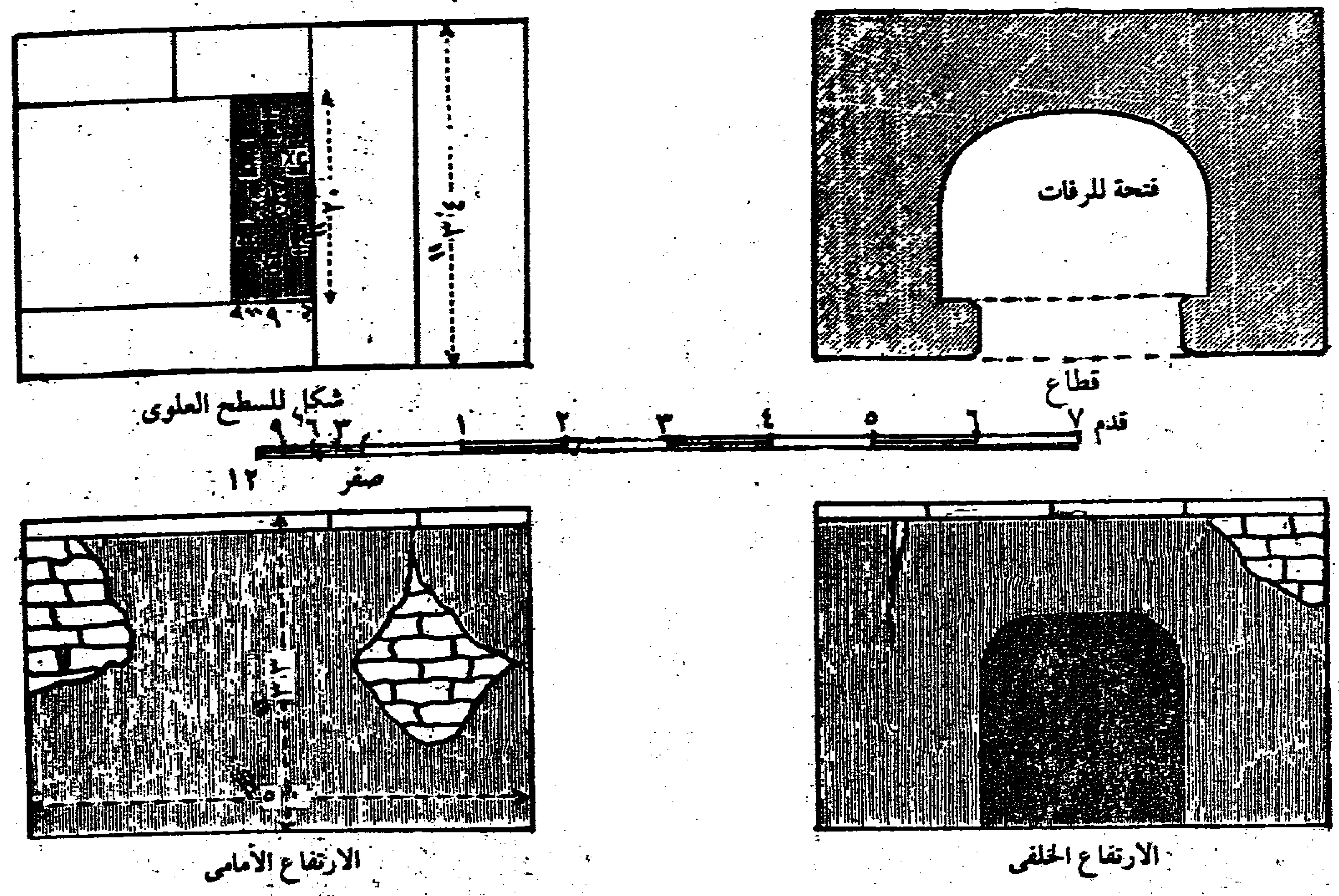
وهناك عند الجانب الشرقى فى كل مذبح وعلى مستوى سطح الأرض ، باب صغير مفتوح يكشف عن تجويف أو ثغرة داخلية وسواء كان هذا الباب فى الأصل مغلقا بحجر متحرك أو لوح من الخشب فان ذلك أمر غير مؤكد · على أنه ليس هناك ما يدل على أن هذه الفتحة قد سدت أو أغلقت بباب من الحجر أو ما اليه فى أى كنيسة فى الوقت الحاضر ·

أما التجويف فهو بأحجام مختلفة ، ولكنه فى الغالب بنفس أبعاد المذبح تقريبا ، ذلك الذى يتكون فى هذه الحالة من أربعة حوائط وقمة من الحجر · وحيث ان الحجر صلب فان التجويف كبير بما فيه الكفاية للاشارة الى أن استخدامه يختلف عن التجويف المماثل بالمذابح الغربية مثل المذبح الذى يرجع الى القرن السادس ، فى كنيسة انسيرون **Enserune** وكنيسة جونكيلز **Jonculs** فى هيرولت **Hérault** ، لأن مذبحى هاتين الكنيستين لكل منهما فتحة فى الخلف أو الجانب المواجه للشرق وهى مرتفعة وذات أبعاد صغيرة · أما أقرب شبيه معمارى للمذبح القبطى فهو موجود فى كنيسة بارينزو **Parenzo** بمذبح القديس يوفراسيوس **Euphrasius** الذى يعود الى القرن السادس (١) ·

أما فى الكنيسة اللاتينية فقد كان المذبح عامة عبارة عن بناء صلب ، وكانت القمة على الأقل فى العصور الأولى تقام وجوبيا من الحجر أو الرخام كشرط للتقديس · أما القمة فقد كانت أيضا كتلة مستقلة تبرز من جميع الجوانب على شكل رف · أما الكنيسة اليونانية فلا تزال حتى اليوم تتمسك بعادتها فى تحميل قمة المذبح على أربعة أعمدة، وهذه القمة مصنوعة من الحجر · ويذكر جور **Goar** أن المذبح الاغريقى كان دائما على شكل

---

(١) La messe, vol. i. pl. xxxvii and xxxiv.



شكل رقم ١ : المذبح القبطي

منضدة ، مفتوحا من أسفل ومرتكزا على أربعة أعمدة . ولكن يذكر نفس المؤلف (١) أن القاعدة الأرضية صلبة لأغراض التقديس ، ولذلك فهى تتكون اما من كتلة مستقلة من الحجر ، أو من حجارة صغيرة مبنية على شكل صفوف . ولكن يبدو أن الشكل الذى يشبه المنضدة لم يكن شائعا منذ العصور القديمة . ولذلك فان بولس السلنتيارى Paul the Silentiary يقول في وصفه لكنيسة القديسة صوفيا Sophia ان مذبح قسطنطين كان مصنوعا من الذهب والفضة والأخشاب الثمينة ، ومزينا باللآلىء والأحجار الكريمة . وكان مرفوعا على درجات ومقاما فوق أعمدة ذهبية ترتكز على قواعد من الذهب . ولم تكن الأخشاب الثمينة تستخدم كنوع من الزخرفة أو الزينة ، أو أنها تعنى ضمنا الموافقة على اقامة مذبح مصنوع بكامله من الخشب لأن ذلك لم يكن قانونيا فى أى ركن من أركان العالم المسيحى بعد القرن الرابع . وحتى ذلك التاريخ لا شك أن الخشب كان مادة شائعة فى افريقيا . . وعلى ذلك فقد ورد ذكر المنضدة الخشبية فى كتابات أثناسيوس وأوبتاتوس Optatus أسقف ميليفيس Milevis حوالى سنة ٣٧٠ للميلاد .

ويذكر أسيمان Asseman (٢) أن مذابح اليعاقبة والموارنة السريان فى الشرق ، كانت تقام من الخشب أحيانا ، ومن الحجر أحيانا أخرى . وكذلك كانت المذابح الأولى فى بلاد الغال Gaul (*) تقام من الخشب . ولكن المذابح الحجرية استخدمت منذ عصور قديمة ترجع الى القرن الرابع . وفيما يسبق تلك الفترة كان الحجر هو المادة الوحيدة المعروفة ، وعلى ذلك فان المذابح الخشبية ممنوعة أيضا لدى النساطرة بموجب القوانين التى تنسب الى يوحنا بطريركهم السابع والخمسين والذى عاش خلال القرن العاشر . فقد أمر أن المذابح لابد أن تقام وان تكون مصنوعة من الحجر فى المقار الثابتة وأوقات السلم (٣) كذلك فان أحد أحكام قوانين أبو عيسى يقرر أنه عندما يعيش الناس فى مدينة خالية من الاضطهاد والخطر فلا يجوز أن يصنع المذبح من الخشب . أما اذا كانوا فى مكان يستحيل فيه اقامة المذبح الحجرى ، فان الضرورة تقتضى عمل المذبح من الخشب ، ولكن يحق للأسقف دائما ازالة المذبح اذا استحسن ذلك (٤) .

---

(١) Euchol. p. 832.

(٢) Bibl. Orient. iii. p. 238.

(*) بلاد الغال هو الاسم الشائع خلال العصور الوسطى والمبكرة للبلاد الفرنسية — (المترجم) .

(٣) J.A. Asseman, De Catholicis Patriarchis Chaldaeorum et Nestorianorum commentarius, p. 112 Rome, 1775.

(٤) Ibid, p. 119, n. e

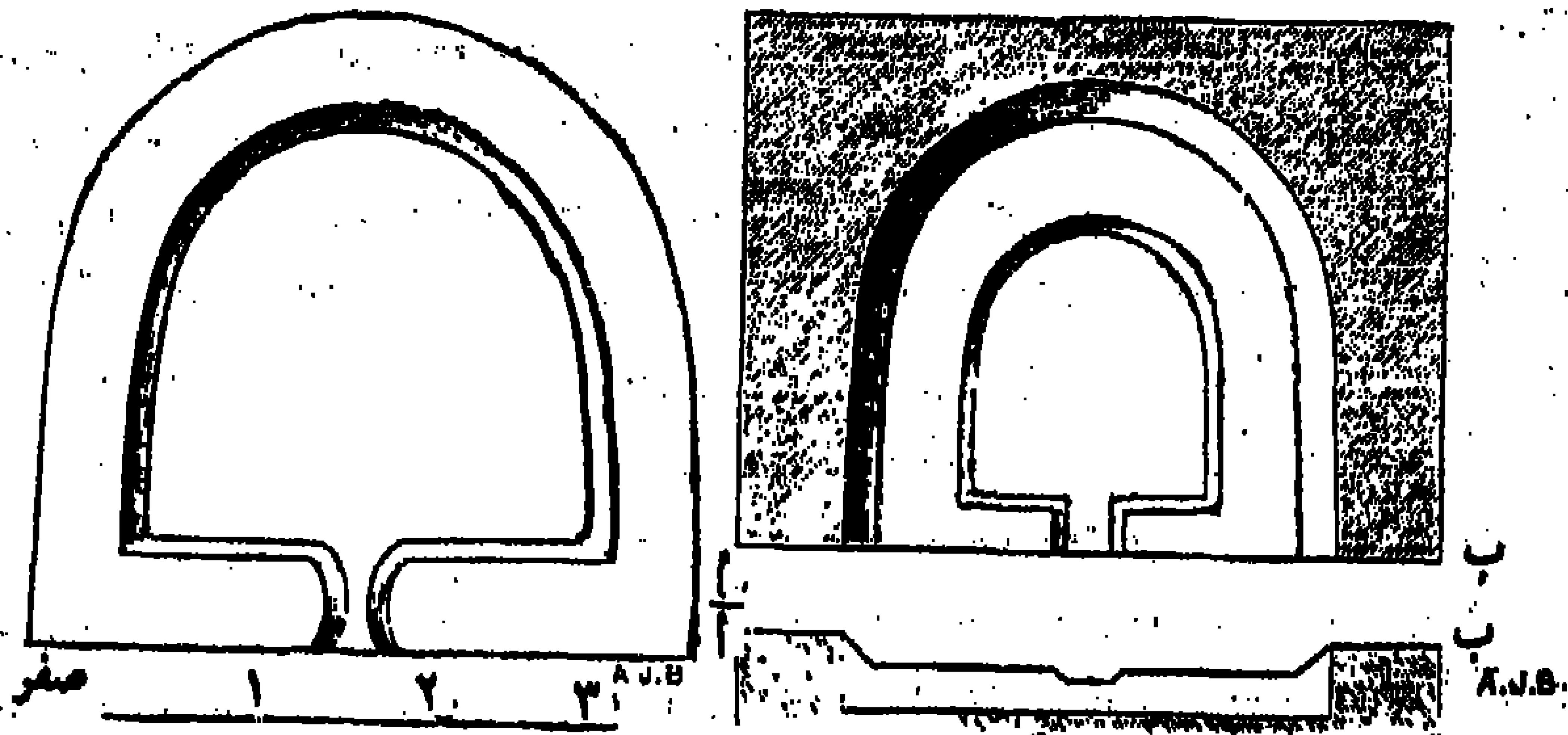
ولابد أن المذابح الخشبية التى ذكر معتتر وارين Warren ، (١) أنها كانت تستخدم فى الكنائس الايرلندية المبكرة مثل كنيسة سانت بريدجيت St Bridget وغيرها ـ كانت مجرد مضاذفات فى وقت كان فيه كل بناء الكنيسة يقام من الخشب . وفى التقليد الانجلو ساكسونى كان يمنع صراحة تدشين المذبح الخشبى . وقد ورد فى كل من التكريس اليونانى واللاتينى أن قمة المذبح يجب أن تبرز فوق جوانب أو أعمدة المذبح ، ولكن لا يوجد سوى مثال واحد فقط لهذا البروز فى مذابح الأقباط . وهنا أيضا نجد أن القمة نادرا ما تتكون من كتلة واحدة . والشائع أن سطح هذه المذابح مثل جوانبها مكون من سطح من الجبس مع لوح المذبح (٢) . وعند استخدام لوح المذبح فان المذبح يكون مجوفا الى عمق بوصتين تاركا حافة حوله من جميع الجوانب . مع مراعاة ذلك فى البناء الحجرى حتى تبرز الحافة عند قمة المذبح . وبالرغم من أن هذه الألواح شائعة فى أديرة الصحراء الا أنها نادرة فى القاهرة لدرجة أننى لم أشهد سوى أربعة فقط فى جميع كنائس القاهرة ، منها ثلاثة فى الكنيسة المعلقة والرابع بكنيسة ابى سيفين . ومن هذه الأربعة نجد اثنين على شكل حدوة الحصان وواحدا مستديرا ، والرابع مستطيلا وفى وسطه ثقب . ويحتل اللوح الجزء الأكبر من سطح قمة المذبح ولكن ليست كل القمة ، باستثناء اللوح المستطيل الشكل الذى رأيت أنه يتم انزاله بعد فك المذبح . ويوجد ثلاثة ألواح أخرى مستطيلة الشكل يمكن اضافتها الى العدد السابق ذكره وهى الألواح الموجودة على أرضية الحنيات فى مغارة كنيسة أبى سرجة . وبالنظر الى موضع اثنين من هذه الحنيات فى الحائطين الشمالى والجنوبى بدلا من الشرقى ، نشك فيما اذا كانت هذه الألواح قد صممت للمذابح أو لأغراض أخرى . ولكننى أظن أن مقارنتها مع الحنيات الرومانية ، ومقارنة هذه الأحجار بالأحجار الأخرى التى وصفناها فيما سبق ـ تؤيد الاعتقاد بأن كافة الألواح فى المغارة تشير الى مذابح . أما التصميم فهو يبدو لأول وهلة نادرا وملحوظا لدرجة أنه فى حالة وجوده يكون لمجرد التطابق . وفى هذه الحالة فان عدد ألواح المذبح الرخامية ذات الحواف البارزة والموجودة بالقاهرة ـ يرتفع الى سبعة ألواح ، وهى نسبة ضئيلة .

---

(١) Celtic Church, p. 91.

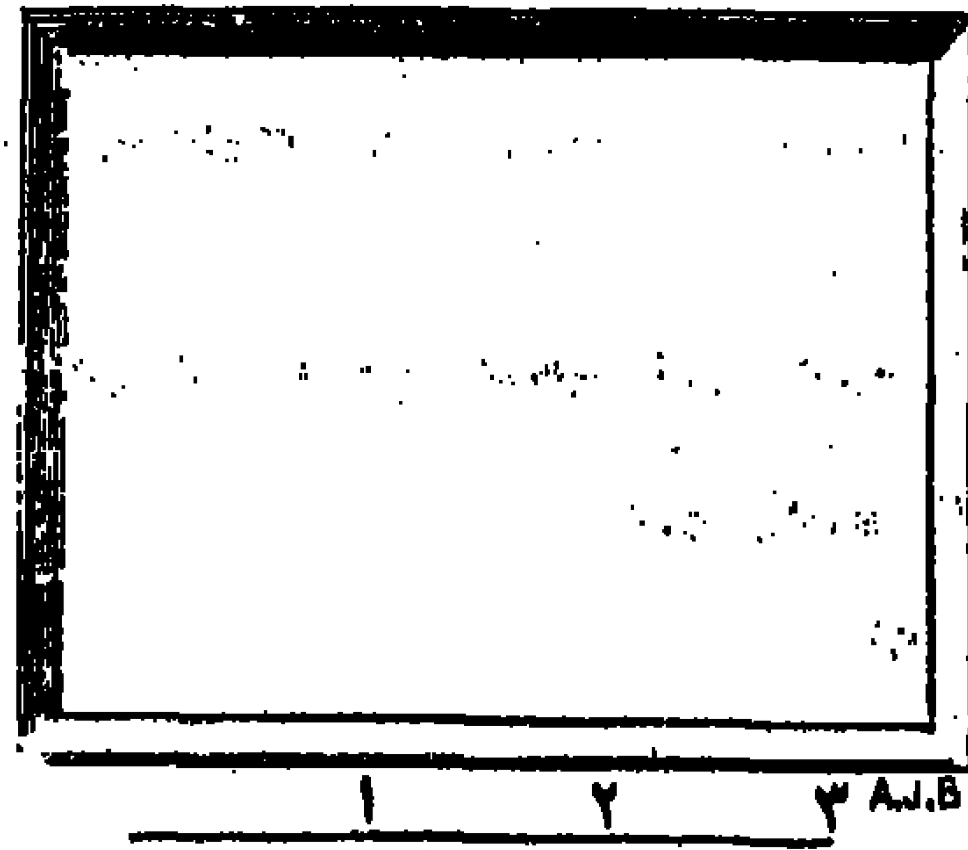
(٢) يطلق عليه بالعربية اسم اللوح ـ وهناك لوح مشابه نصت على ضرورته قوانين كنيسة انطاكية التى وضعها البطريرك كرياكوس ـ انظر : ـ

Renaudot, Lit. Or. tom. i. p. 165.



شكل رقم ٢ (ا) : لوح مذبح مصنوع من الرخام
شكل رقم ٢ (ب) قمة مذبح تبين موضع اللوح الرخامى

ومن جهة أخرى فان كنائس الأديرة فى الصحراء الغربية ، بها مذابح ذات ألواح تنتمى الى النوعية التى قدمناها ــ وهى فى الحقيقة شائعة هناك بقدر ندرتها في كنائس القاهرة ومصر القديمة • وليس من السهل علينا أن نفهم هذا الفارق الملحوظ بين مذابح الأديرة ومذابح العاصمة • كما أننا لا نستطيع أن نعرف السبب فى أن النماذج الموجودة بالقاهرة ممثلة فى المذابح الثلاثة التى بالكنيسة المغلقة ، ومذابح مغارة كنيسة أبى سرجة ومذبح وحيد بهيكل جانبى صغير بكنيسة أبى سيفين • وبالطبع فانه حيثما وجدنا قمة المذبح مكونة من لوح رخامي بهذه الطريقة، فانه يمتنع الاستخدام الشائع للوح المستطيل المصنوع من الخشب المحفور فوقه الرسم الذى يمثل الاسم ، الا وهو لوح المذبح كما سبق أن أسميناه ، أما أن يكون اللوح الرخامى قد صمم بالعودة الى الطقس القديم الخاص بغسيل المذبح ــ فهذا ليس محل شك ، لأنه يستدل عليه من وجود الحافة البارزة المرتفعة ، مع الفتحة الموجودة فى الجانب الغربى للوح والتى قصد بهـا



شكل رقم ٣ : لوح مذبح مصنوع من الرخام وفى وسطه ثقب لتصريف الماء

تسريب الماء • وفي نموذج آخر نجد المياه يتم تصريفها عن طريق قناة محفورة في وسط اللوح • وقد تأيدت هذه الحالة بالتشابه مع الاستخدام الغربى الذى لم ينوه عنه ولكنه واضح • ويوجد فى كنيسة سانتا بوديتيانا Sta Pudentiana فى روما ، لوح مستطيل يبلغ طوله ٤ أقدام و٦ بوصات ، وعرضه ٤ أقدام وبوصتين ، ويعود تاريخه الى القرن الرابع وهو محاط بافريز مرتفع ، ومحفور به قناتان احداهما فى الوسط (١) • والألواح غير المثقوبة والمحاطة بأفاريز متقطعة ، شائعة فى أوربا منذ العصور القديمة • ان مذبح كنيسة القديس فيكتور فى مارسيليا الذى يعود الى القرن الخامس ، ولوح مذبح أوريول Auriol الذى يعود الى القـرن السادس ، يمكن اعتبارهما ضمن النماذج المبكرة جدا (٢) • وتمتلك جمعية آثار غرب فرنسا لوحا مهما من هذا النوع وجدناه بكنيسة فونوى ســوبيار Vauneuib-sous-Biard (٣) ، ويعود الى القرن السادس ، وهناك نموذج يعود الى القرن السابع محفوظ بمتحف فالونى (٤) • أما مذبح كنيسة القديس أنجلو Angelo فى بيروسيا Perusia والذى بنى فى القرن العاشر ، ومذبح كنيســة فوكلوس Vaucluse الذى يعود الى القرن الحادى عشر ، ومذبح كنيسة تولوز Toulouse الذى يعود الى القرن الثانى عشر ، فانها جميعها تبين كيف كان تصمم الواح المذابح الذى يتضمن احاطتها بأفاريز ذات حواف بارزة — مستمرا فى الغرب •

والآن فاننا لا نجد نموذجا غربيا مشابها لألواح المذبح القبطى التى على شكل حدوة الحصان أو النصف دائرية • ويوجد فى متحف فيينا لوح رخامى يعود أصله الى الأسرة الأولى الفرنجية بفرنسا (*) ، أى القرن السادس أو السابع للميلاد • وشكله نصف دائرى وبه ثلاثة منحنيات.

---

(١) La Messe, Pl. xliv. On p. 112 M. de Fleury observes : "Les trous qu'on remarque sur la surface doivent provenir d'un autre usage qui n'a rien de commun avec son origine, ou servaient au Lavage de l'autel.'

الأقواس من عندى • وأظن أن النماذج القبطية تفى بالغرض •

(٢) La Messe, vol. i, Pl. xlvi, xlvii.

(٣) Id. lb. Pl. xliv. p. 147.

(٤) Id. lb. Pl. xlv.

(*) أسس Clovis هذه الأسرة واستمرت تحكم فرنسا من سنة ٤٨١ — ٧٥٢ للميلاد — (المترجم) •

ذات مستويات مختلفة . الذى يقع منها الى الخارج به ستة فصوص ، والاثنان الاخران نصف دائريين . ولكن الألواح الثلاثة بها خط متقطع يمر عبر وتر القوس على مثال النموذج القبطى (١) ونرى لوحا آخر نصف دائرى فى متحف كليرمونت Clermont . ولا أشك فى أن هذا الشكل الخاص يعود الى الرغبة فى تقليد مائدة العشاء الأخير التى تظهر فى الفن القبطى احيانا بنفس هذا الشكل . واذا نظرنا الى النقش الموجود بكنيسة أبى سرجة والذى يعود الى القرن الثامن (٢) وجدناه يؤيد هذا الرأى . وفيه نرى السيد المسيح جالسا مع تلاميذه على مائدة لها تقريبا نفس شكل لوح المذبح القبطى الذى يشبه حدوة الفرس . وللمائدة حواف بارزة حولها . وعلاوة على ذلك فان القصد لا يتضارب مع المظلة التى فوق المائدة وستائر المذبح التى تلتف حول الأعمدة . أما الفن الغربى فانه يقدم لنا النماذج المهجورة والتى تحمل نفس الفكرة . وعلى ذلك فان المائدة نصف الدائرية موجودة فى سراديب الدفن بكنيسة سانت كاليكستوس St. Calixtus ، ورســـوم الموزاييك بكنيســة سانت ابوليناريوس St. Ap ollinare فى رافنا Ravenna ، وعلى أعمدة المذبح بكنيسة القديس مرقس وفى الصورة المصغرة المرسومة على الرق فى كامبردج (٣) وفى الكنيسة القبطية كما هو فى الكنيسة الغربية ، لا توجد أبعاد محددة للمذبح . ان المذابح الانجليزية يتراوح طولها ما بين ٨ أقدام ، ١٤ قدما و ٦ بوصات ولكن ارتفاعها دائما ٣ أقدام و ٦ بوصات . أما المذبح القبطى فهو أصغر حجما . فعلى سبيل المثال نجد أن المذبح الموجود بهيكل القديس مرقس بالكنيسة المعلقة طوله ٣ أقدام و ١١ بوصة ، وعرضه ٣ أقدام و ٣ بوصات . أما فى كنيسة أبى سيفين فان المذبح الرئيسى طوله ٧ أقدام وبوصة واحدة وعرضه ٤ أقدام و ٣ بوصات . ويختلف الارتفاع كذلك . وعلى ذلك نجد أن المذبح الرئيسى فى كنيسة ابى سرجة ارتفاعه قدمان و ١٠¼ بوصة ، بينما يبلغ ارتفاع مذبح كنيسة ابى سيفين ٣ أقدام و ٤ بوصات .

أما الفجوة التى سبق ذكرها بوصفها مفتوحة فى الجانب الشرقى من المذبح فان لها جانبا رمزيا حيث انها تعود الى أرواح الشهداء التى شوهدت تحت المذبح فى سفر الرؤيا (٤) وفى العصور الأولى للكنيسة وتذكارا لهذه الرؤيا كان من المعتاد دفن أجساد القديسين أو الشهداء تحت

(١) La Messe, vol. i. Pl. lii.

(٢) La Mes e, Vol. ii. p. 164.

(٣) La Messe, vol. ii. p. 174.

(٤) سفر الرؤيا ـ الاصحاح ٦ آية رقم ٩ .

المذبح سواء في قبر أو مغارة تحت أرضية الهيكل أو غير ذلك داخل جسم المذبح • ويوجد مثال واضح لهذا التقليد في الكنيسة البطريركية القديمة بالاسكندرية ، حيث يرقد جسد القديس مرقس الرسول الانجيلي قبل سلب الكنيسة ونقل الجسد المقدس عبر البحر على يد البحارة التابعين للبندقية في أوائل العصور الوسطى • وحتى هذا اليوم فان المذبح العالي للقديس مرقس في البندقية يضم جسد القديس الانجيلي ، ويحمل النقش القائل « "Sepulcrum Marci" » (قبر مرقس) • وعندما كانت تقام كنيسة في الأوقات والأماكن الأكثر أمنا ، ولم يكن هناك جسد قديس مشهور معد لكي يحتل المذبح ، جرت العادة على وضع بعض من رفات أحد القديسين أو النساك • ولا يوجد دليل على أن هذه الفجوة في المذبح القبطي كانت تغلق طالما أن الرفات قد أودع فيها • وعلى العكس فانه من المحتمل أن تحفظ هذه الرفات في صندوق ثم توضع تحت المذبح ؛ حيث يسهل نقلها عند الحاجة لشفاء المرضى ، أو حملها أثناء الدورات الاحتفالية ، أو غير ذلك من الأغراض الطقسية ، وفي هذه الأيام نجد أن في كل كنيسة قبطية بعض الرفات المحفوظ في أنبوب ملفوف بالنسيج الحريري الموشى بالقصب والموضوع في خزانة تحت أيقونة القديس الشفيع • وعلينا أن نتذكر أنه يوجد بالكنيسة المعلقة صندوق خشبي لحفظ الرفات يتضمن أربعة من هذه الانابيب بالاضافة الى حاجز رخامي في هيكل الجناح الجنوبي • ويوجد في بعض كنائس الأديرة بعض من صناديق حفظ الرفات تتضمن أجسادا كاملة • ولكن هناك بعض الشك في أن تقليد حفظ الرفات في خزائن يعود الى العصور الوسطى ، وأن مكانها الصحيح هو القبو الموجود تحت المذبح • ويوجد نموذجان أو ثلاثة للمذابح القبطية المقامة تحت الأرض في الفصول السابقة بالجزء الأول من هذا الكتاب ، ولكن من المحتمل أن أوضح نموذج للمغارة يوجد بكنيسة ابي سرجه ، بالرغم من عدم وجود دليل مباشر يبين اعتباره قبرا لأي من الشهداء • ولا يزال هذا الهيكل السفلي حسب ما يذكر التقليد ، هو المكان الذي استراحت فيه العائلة المقدسة ولذلك فهو مكرس بطريقة خاصة بسبب حلول السيد المسيح فيه • أما مبنى المذبح الذي يعلوه بكنيسة ابي سرجه فانه يقدم تشابها كافيا مع التقليد الغربي • وعلاوة على ذلك فان الحنية الشرقية في المغارة تحمل شبها بالقبر الموجود فيه قبر القديس جوديوسوس في نابولي (١) والذي يعود الى حوالي سنة ٤٦٠ للميلاد • وبعض الحنيات الأخرى التي تعود الى القرنين الرابع والخامس في روما والتي لا شك أن بعضها كان يستخدم كمذابح • أما التجويفات الأخرى بالمغارة فهي غير مختلفة ،

---

(١) See : Le Messe, vol. i. pp. 106-7, and Pl. xxiv; also Roma Sotteranea, vol. iii. p. 44.

ولا شك أن التشكيل كله يشبه ذلك الموجود بمغارة القديس جرفيس فى روان (١) • وعلى قدر علمى أقول ان الاستخدام الأساسى ان لم يكن الوحيد لتجويف المذبح بين الأقباط يجرى يوم الجمعة العظيمة عندما تدفن أيقونة الصليب ومعها أغصان الورود ولا يرفع عنها الغطاء الا صباح يوم القيامة • أما فى الكنيسة اللاتينية فان استخدام الرفات لتكريس المذبح والاحتفالات ـ هذا الخلط ما بين الذبيحة والجنازة ـ انما يعود بنا الى أقدم الآثار ـ كما يقول جيروم :

« يقوم البابا الرومانى (الحبر الأعظم) بوضع رفات الشهيدين بطرس وبولس باحترام فى جبل أوسا على مثال ذبيحة المسيح التى دفنت فى القبر وهو ما يعبر عنه استخدام المذبح » (٢) •

وكان المكان الذى يوضع فيه الرفات يسمى Sepulcrum أى الضريح أو القبر • أما فى انجلترا فقد كان الضريح يقام أمام أو فى الجانب الغربى من المذبح • والمقصود بذلك تذكير جماعة المصلين الذين فى صحن الكنيسة وليس الكهنة الذين حول المحراب ، بالأرواح التى تحت المذبح • ونجد أن الضريح أو المزار المقام تحت المذبح فى الهيكل الجنوبى بكنيسة جرانتام آبى Grantham Abbey عبـــارة عن تجويف طوله ٣ أقدام وبوصتان ، وعرضه قدمان و ٤ بوصات • وكان التجويف مغلقا دائما بواسطة لوح مختوم محفور فوقه خمسة صلبان ، كما هو مشاهد الآن فى كاتدرائيتى نورويتش Norwich وسانت ديفيد St. David's وهناك تقليد قديم ربما يعود الى القرن الرابع متبع بكنيسة ســانت جياكومو ســـكوسا كافالو San Giacomo Scossacavalo فى روما (٣) حيث يوجد المزار فى وسط قمة المذبح • ويروى أن الضريح فى هيكل أورشليم كان يقع فوق المذبح المقام لذكرى تقديم المسيح ونفس هذا المذبح الذى بكنيسة جياكومو S. Giacomo له ضريح ثان يقع أسفله وبه مدخل مقوس فيما يشبه الترتيب القبطى ، وهناك نماذج أخرى يمثلها مذبح كنيسة اسكويلمز Esquelmes فى بلجيكا ، وكنيسة جميع القديسين فى راتيسبون Ratisbonne ، والمذبح الموجود بالجنــاح الشـــمالى بكنيســـة جيرفولكس آبى Jervaulx Abbey حيث تبــلغ أبعاد اللوح المختوم ٦½ بوصة عرضا و ٧½ بوصة طولا • وبالرغم من

(١) La Messe, vol. ii p. 118.

(٢) Tom ii adv. Vigilant. p. 153 quoted by Gibbon.

(٣) La Messe, vol. i. Pl. xxiv.

أن الضريح الذى تحت المذبح منفصل عن المدفن الا أنه كثيرا ما يستخدم الاسمان بالتبادل . وقد ورد فى كتاب Ecgbert Pontifical (١) أنه عند تكريس المذبح يطلب من الأسقف عمل صليب ويدهن بالميرون فى الوسط وفى الأركان الأربعة للضريح ، حيث ورد الحديث عن لوح الضريح صراحة . ونجد فى كتاب Ordo Romanus وصفا لنفس هذا الترتيب فى العبارة التالية :

«Ponat crisma in confessionem perangulos quattuor in crucem ... tunc ponat tabulam super reliquias"

ويبدو أن الضريح الحقيقى كان معروفا بانجلترا عن طريق الارساليات الرومانية ، وهو تقليد رومانى (٢) غير موجود فى الكنائس الساكسونية فيما عدا تلك التى بنيت متأثرة بالنماذج الايطالية ، بينما هو غير معروف فى ايرلندا . ويصفه ايدمر حوالى سنة ١٠٠٠ للميلاد قائلا انه قد أقيم بكاتدرائية كانتربرى لمجرد تقليد الضريح الموجود أسفل كنيسة القديس بطرس البازيليكية فى روما . وقد دفن بالمذبح العلوى جسد ولفريد أوف يورك ، كما دفن رأس القديس سويذين فى مذبح الرب يسوع ، بينما وضعت فى الضريح رأس القديس فورسيوس . ووضع أيضا قبر القديس دونستان ، وكان يوجد بكاتدرائية كانتربرى وغيرها مدرج سلم يصل ما بين الخوروس ومكان الكهنة فى الهيكل حيث ترتفع الأرضية الحجرية بمقدار أربعة أو خمسة أقدام فوق أرضية الخوروس . وكان يوجد أسفلها الهيكل المبنى تحت الأرض مستقلا بمذبحه وضريحه(٣) وقد ورد الحديث عنه فى الاحتفالات الأسقفية ceremoniale Episcoporum – كما يلى :

« وفى العادة تضع معظم الكنائس رفات القديسين فى أماكن تحت المذبح حتى تظل راقدة فى راحتها » (٤) ...

وكان الضريح نفسه يسمى أحيانا Confessorium . وقد ذكر دو كانج ما يلى :

« وجدت خمس عشرة كنيسة بها أضرحة كبيرة ذات سقوف مقوسة تحملها أعمدة رخامية تسمى Confessoria وترقد فيها أجساد القديسين داخل توابيت من الرخام » . ويقول ريتشارد أسقف هيكسهام

---

(١) p. 45.

(٢) Hist. Eng. Ch. Arch. p. 47, & c.

(٣) See Rock, Church of our fathers, vol. i, p. 210.

(٤) Lib. 1. c. 12.

عن كنيسة القديس ويلفريد هناك ، انه كان بها حوالى سنة ١١٨٠ للميلاد العديد من الهياكل التابعة ، تحت المذابح العديدة فى كل أنحاء المبنى ٠ ويقدم لنا مســـتر ســـكوت Scott نماذج للأضرحة الساكسونية فى بريكسورث ، وفى وينج ، وفى ربتون ٠ والأضرحة القديمة فى يورك ، وفى سانت بول ، وفى وينشستر ، وفى جلوسستر وغيرها ٠ وأضيف أن هناك نموذجا ممتازا لضريح بكنيسة القديس اكليمنص فى هاستنجز ٠
أما عن الرفات فقد كان له اعتبار خاص فى العصور الأولى للكنيسة وفى العصور التالية بالرغم من القوة المعجزية التى لعظام الشهداء ، يبدو أنه كان يوجد القليل من هذه البقايا ، مما استدعى تكريس المذبح بدونها ٠ وقد ورد فى مخطوط يعود تاريخه الى القرن الخامس عشر ومحفوظ حاليا بالمتحف البريطـــانى فصـــل يبين أن عادة وضع الرفات داخل المذبح كـــانت :

« منتشرة الى حد ما ٠٠٠ حيث وضع عدد قليل من الرفات » ٠

وهذا التكريس غير الملحوظ هنا دلنى عليه مستر ميدلتون Middleton

وفيما يشبه فجوة المذبح بالكنيسة القبطية والضريح اللاتينى ، يوجد دائما تحت المذبح اليـــونانى مكان محفور يسمى ثالاسا أو ثالاسيديون ومعناها : (البحر) ٠ وهنا كانت تقذف مياه غسيل أيدى الكهنة والمياه التى استخدمت فى غسيل الأوانى المقدسة ، كما كانت توضع هنا أيضا بقايا الأشياء المقدسة مثل الملابس والأغطية التى تحرق بسبب رثاثتها ٠ وتعطى تلك الاستخدامات لونا مميزا لاشتقاق الاصطلاح الذى عرضه ليجاريديوس الذى يقول ان الفكرة تأتى من خدمة البحر البهيجة كما هو واضح فى كلمايوربيديس ٠ ولا أشك فى أن هذا البحر كانت به قناة لنقل مياه الاغتسال ، وهو فى ذلك يشبه الحوض المعروف فى الغرب ٠ وبالاضافة الى ذلك فقد كان الحوض فى الكنائس الانجليزية عبارة عن قناة عند أسفل المذبح فى الجانب الغربى ٠ ويؤيد ذلك كلمات التفسير الطقسى لمؤلفه اجبرت ، التى يتم بناء عليها صب الماء المتبقى بعد رش الكنيسة أثنـــاء التكريس ــ عند قاعدة المذبح ٠ وهناك أيضا سبب رمزى واضح ، لأنه مادام المذبح يمثل العرش السمائى الذى ورد ذكره فى رؤيا يوحنـــا اللاهوتى ، فكذلك هذا البحر يمثل البحر الذى قدام العرش ٠ وعلاوة على الاستخدامات التى أوردناها آنفا ، فان البحر له غرض آخر حيث يستخدم وعاء للملابس التى تقدس بوضعها تحت المذبح عشية الأعياد ٠ وتوضع فى هذا البحر أيضا كما فى الضريح ، بعض الرفات ــ وان كان ذلك نادر

---

(١) "Raro fiat ... propter relliquiarum Paucitatem." (Lansdowne, 451, fol. 137 a.)

الحدوث ، فقد جرت العادة على حفظ الرفات فى صناديق أو أنابيب منفصلة ، وقد أصبح هذا التقليد هو المعمول به أخيرا فى الكنيستين اللاتينية والقبطية ·

ويتحدث أبجر Evagrius على سبيل المثال (١) عن « مزار فاخر الصنعة من الفضة » كان يستخدم لحفظ الرفات · أما جور Goar فانه بعد توكيده أن المذبح كان مجرد منضدة تقف فوق أربعة أعمدة ، يذكر أن الرفات الذى كان حسب القانون اليونانى ـ ضروريا لتكريس الكنيسة ـ كان يوضع اما فى داخل اللوح أو فى أى مكان بين الأعمدة · ولكننى بينت منذ قليل أن بعض هذا القول خاطىء ، كما أن الفصل الخاص بالتكريس يسمح ببناء المذبح كأحد المعالم المصمتة · وعندما نقرأ عن أن البحر هو الموضع الذى كانت توضع فيه الرفات أحيانا ، وان كان ذلك نادر الحدوث ، فلا شك أن النتيجة الصائبة هى أنه حيث يقام المذبح المصمت ، كان البحر يحيط به على مثال الفجوة القبطية بحيث يحقق للرفات الحماية والأمان اللذين لا يمكن تحقيقهما تحت المذبح المفتوح والذى يأخذ شكل المنضدة · وقد ورد الحديث عن الشكل المجوف للمذبح اليونانى فى العصور القديمة ، ولذلك كتب أردو Ardon رئيس دير أنيان الذى توفى سنة ٨٢١ للميلاد يقول :

وكان التناول يتم لكل فرد من المذبح المجوف الذى كانت توضع فى تجويفه صناديق مختلفة تضم رفات الآباء (٢) ·

وعى المساء كانت هناك عادة مقدسة تتلخص فى أن يدور الخادم حول المذبح المقدس الذى توضع فى تجويفه ملابس الخدمة التى يستردها الخادم مرة أخرى من فوق المائدة المقدسة أو بحر المائدة المقدسة (٣) ·

وعلى العكس من ذلك فان المذابح المحمولة فوق الأعمدة توجد أحيانا فى الكنائس اللاتينية · ونرى مذبحا على أربعة أعمدة فى رسوم الموزاييك بكنيسة القديس أبو لليناريوس فى كلاس بمدينة رافنا · ويشبه ذلك أيضا مذبح القديس روستيكوس فى مينرفا بمدينة هيرولت · ويعود تاريخه الى سنة ٤٥٧ للميلاد (٤) ·

أما اللوح المقدس الموجود بمتحف فيينا فهو يستند الى ثلاث دعائم

---

(١) Hi t. lib. ii c. 3.

(٢) Thiers, Les principaux autels des Eglises, p. 20. Paris, 1688.

(٣) Id. Ib. p. 33.

(٤) La Messe, vol. i. Pl. xliii.

بمثل اللوح الموجود بكنيستى القديسين فنسنت وأنا ستاسيوس فى روما • ونجد عمودا مركزيا واحـدا فى مدبح يعود الى القرن السـابع بمدينة كافايلون Cavaillon ويوجد مذبح آخر بكنيسة سيكس فور Six fours (١)•

ويبدو أنه لا يوجد فى العمارة اليونانية شىء يتصل بالضريح ، سواء فى وصف كنيسة القديسة صوفيا أو فى أى سجل آخر • وعلى قدر علمى فانه لم يرد ذكر لذلك • وهذه الحقيقة ، الى جانب أوجه الشبه العديدة الموجودة بين الاستخدامين اليونانى والقبطى ، تؤيد الى حد كبير فكرة أن ترتيب المغارة بكنيسة ابى سرجه ليس الا مصادفة وأنه لا يوجد ضريح لأحد الشهداء موضوعا تحت المذبح المرتفع • ولابد أن نتذكر أن النموذج الآخر الموجود فى كنائس القاهرة للهيكل الذى تحت الأرض وهو هيكل القديس برسوم العريان بكنيسة ابى سيفين ـ ليس فقط تحت المذبح المرتفع بل انه أيضـــا خارج الكنيسة الرئيسية • ونحن نفتقد المعلومات الخاصة بالنماذج الموجودة فى مصر العليا • أما كنيسة الأنبا بيشوى بوادى النطرون فان بها فجوة غريبة تكشف عن أسفل العرش البطريركى الموجود فى المصطبة التى ربما كانت مصممة لحفظ الرفات •

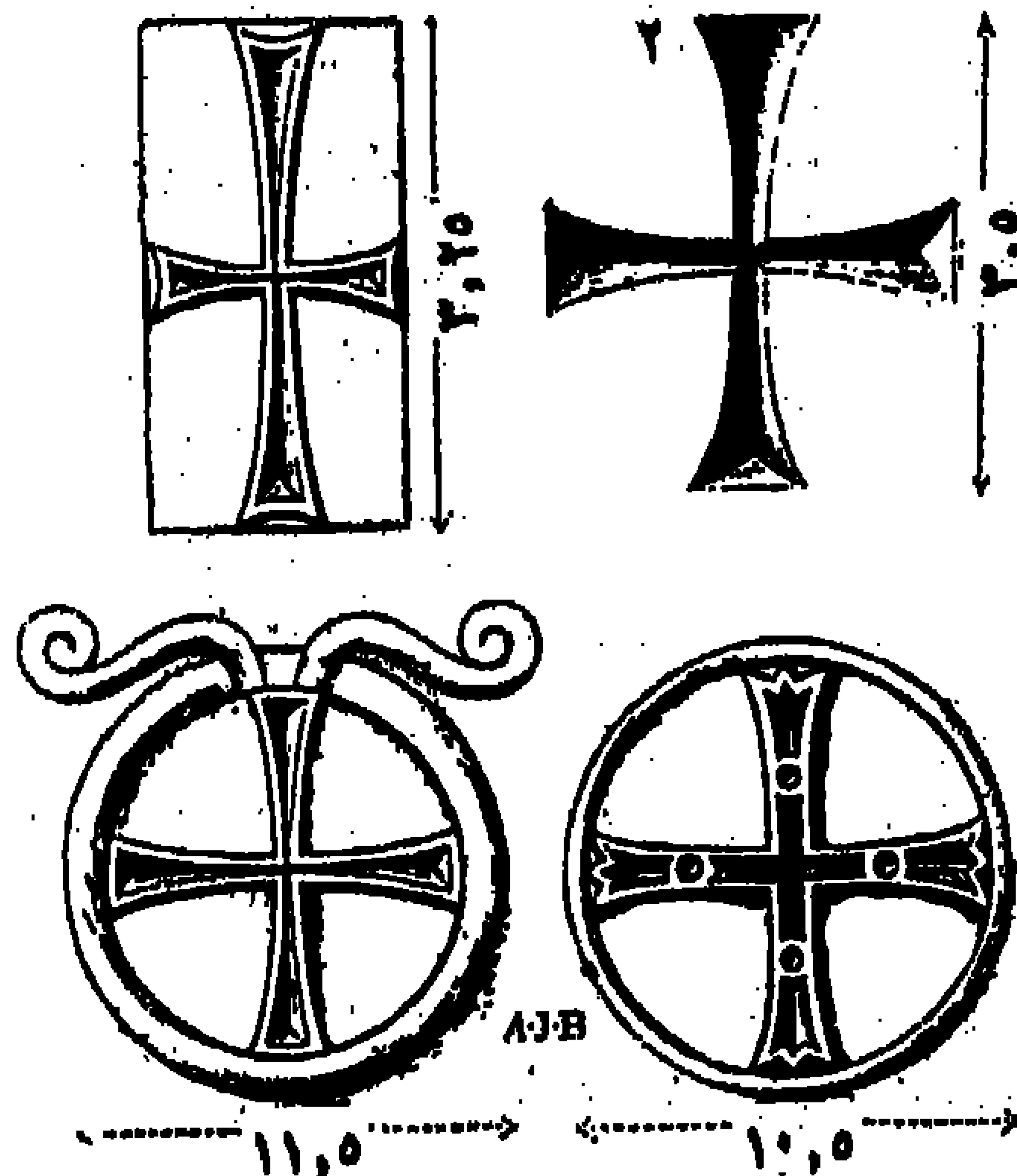
وتبقى نقطة أخرى هى أن المذبح فى المسيحية الغربية كان يتميز بخمسة صلبان محفورة على اللوح • أحدها فى الوسط بينما الأربعة الأخرى قد حفرت بشكل صليب فى كل من الأركان الأربعة • وهذه تسمى : صلبان التكريس لأنها محفورة فى المواضع التى وضع فيها الأسقف علامة الصليب بالميرون أثناء التكريس • وقد تم احراق كمية من البخور وشمعتين فوق كل منها • أما فى انجلترا فقد أزيلت معظم ألواح المذابح الأصلية أثناء ثورة الاصلاح الدينى أو عصر التطهير ، واستخدمت للتبليط أو شواهد للقبور ، بينما بقى القليل منها فى موضعه مثل اللوح الموجود فوق المذبح العالى بكنيسة القديس بطرس فى هيرفورد Hereford ، وفى الكنيسة الصغيرة فى فورثامبتون Forthampton وفى جلوسستر Gloucester والخورس الجامعى فى أروندل Arundel وكنيستى القديسة مريم المجدلية وميزون ديو Maison Dieu (بيت الله) فى ريبون Ripon • أما أعظم النماذج فيمثلها اللوح الفخم الموجود فوق المذبح المرتفع فى توكسبرى آبى Tewkesbury-Abbey (اكتشف وأعيد الى موضعه بمعرفة مستر ميدلتون) ولكن لسوء الحظ فان الصلبان قد طمست بسبب اعادة الطلاء • وهناك لوح مستخدم كشاهد قبر يمكن رؤيته فى الجناح الشمالى بكنيسة القديسة مريم فى وستهام • والأمثلة متعددة فى أماكن أخــرى •

---

(١) Id. lb. Pl. lvi and lxxv.

ولا يختلف الطقس اليونانى عن الانجليزى فيما يتعلق بالمواد المستخدمة فيما عدا أن الصليب محفور فوق اللوح فى ثلاثة مواضع بدلا من خمسة ، وأن أحد الصلبان الثلاثة محفور فى الوسط ، وأن الاثنين الآخرين قد حفر كل منهما على أحد جانبى الصليب الأوسط • وهذه الصلبان كبيرة الى حد ما لأن الميرون مصبوب علي شكل صليب كما هو الحال فى العماد وبالرغم من أن أركان اللوح غير مميزة الا أن كلا من الأعمدة التى تحمله قد ميزه الأسقف بثلاثة صلبان من الميرون ، ومن المحتمل بالنسبة لكل المواضع التى كرست بشكل صليب أن تكون قد حفرت فى الحجر فيما بعد ، ولذلك فاننا نرى فوق المذبح خمسة عشر صليبا مكرسا •

ولا يحمل المذبح القبطي صلبانا محفورة بخلاف تلك الصلبان المحفورة فوق اللوح الخشبى • وحيث لا يوجد هذا اللوح فان القمة الرخامية لا تبين علامة التكريس ، بالرغم من وجود صليب كبير محفور على اثنين من الألواح الثلاثة بالمغارة فى كنيسة أبى سرجة • ولكن يقال ان العادة المصرية تتطابق مع اليونانية وتتضمن تكريس ثلاثة صلبان من الميرون على المذبح باسم الأب والابن والروح القدس على التوالى • أما استخدام الميرون لتكريس المذبح فقد ورد ذكره عند رينودو Renaudot الذى يقول ضمن حديثه عن كنيسة القديس مقاريوس بوادى النطرون :



شكل رقم ٤ : صلبان التكريس

(١) على أعمدة كنيسة العذراء بحارة زويلة • (٢) على اعمدة كنيسة أبى سرجة •

« ويقوم الأسقف أو البطريرك شخصيا بوضع الميرون على المذبح فى شكل رسم أو علامة فوق حائط المذبح » (١) .

وكان ذلك فى عصر الأنبا بنيامين البطريرك الثامن والثلاثين أى حوالى سنة ٦٢٠ للميلاد . وحتى ذلك الحين نجد أن رينودو Renaudot كان مغرما بتقديم الطقس القبطى على مثال الطقس اللاتينى . وهناك أدلة كثيرة على صدق شهادته فى هذه الناحية . لأنه بصرف النظر عن أية أدلة فإن صلبان التكريس كانت توضع على الحوائط والأعمدة كما هو الحال بالنسبة للطقس اليونانى والغربى . ومن النادر أن يكون الميرون قد استخدم لتكريس جسم المبنى أو لتكريس أكثر أجزائه قداسة وهو المذبح . ويتحدث الفصل الخاص باعادة تكريس المذبح الذى انتهكت قداسته ــ فى كتاب : الترتيب الطقسى للبابا غبريال Gabriel's Pontifical ــ عن خمسة صلبان يظهر منها صليب فى القمة وصليب على كل من جانبيه ، ولكن المكان الذى وضعت به الصلبان غير مؤكد . ويوجد كما ذكرنا ــ صليب فى الوسط محفور على لوح المذبح ومركب فى تجويف مستطيل وذلك بالنسبة لكافة تلك المذابح التى ليست لها قمة رخامية . ومن المحتمل أن يكون الأسقف قد رسم هناك على الأقل صليبا واحدا من الميرون على اللوح الخشبى ، بالرغم من أن ذلك مخالف للترتيب الغربى الذى لا يسمح باستخدام الميرون على الخشب . أما الحقيقة المتعلقة بأن القبط لم يتورعوا عن استخدام الميرون على الأسطح الخشبية فانه يستدل عليها من فصل آخر فى كتاب : الترتيب الطقسى للبابا غبريال ، وضع له رينودو العنوان : « تكريس اللوح الخشبى الذى على المذبح » ويليه الكلمات الآتية :

« يكرس اللوح الخشبى كمائدة مقدسة أمام المذبح المقدس دون الحاجة الى المذبح المرتفع فوق بناء حجرى » .

التى يبدو أنها تشير الى المنضدة والمقصود بها المذبح المتنقل ، بالرغم من أنه من المحتمل أن تشير الكلمة الى اللوح الخشبى وهو الملحق بالمذبح الحجرى . وعلى أية حال فان الفصل يستمر قائلا :

« وفى ذلك الوقت يأخذ الميرون المقدس ويضع بنفسه علامة على اللوح الخشبى وعلى الأحجار فى أربعة مواضع » .

بالرغم من أنه هنا أيضا لم تحدد بوضوح المواضع التى تدشن بالزيت المقدس .

وعلى ذلك فانه حتى مع استعمال اللوح أحيانا كمذبح متنقل ، فان حقيقة أنه منفصل عن البناء الحجرى وسهل الانتقال ــ تجعل من غير

---

(١) See : Vansleb, Histoire de l'Eglise d'Alexandrie, p. 220. (Paris, 1677).

المحتمل أن تقتصر رموز التكريس على هذا الجزء•وعلينا أن نتخيل حينذاك أن الميرون قد صب على قمة أوحوائط المذبح نفسه فى مواضع لم يحفظ سجل منحوت يدل عليها •

لقد ذكرنا منذ قليل أن الكنيسة القبطية بها ثلاثة مذابح بصفة دائمة بالمقارنة مع المذبح الوحيد المعتمد فى الطقس اليونانى ، أما المذابح الجانبية فانها تستخدم فقط فى مناسبات الأعياد الكبرى خاصة عيدى القيامة والميلاد وأحد السعف وعيد تكريم الصليب (١) ففى تلك الأيام كان يقام أكثر من قداس واحد • ويتم التوصل الى النتيجة دون كسر القوانين القبطية التى تمنع اقامة قداس ثان على نفس المذبح فى اليوم الواحد • والمذبح مثل الشخص المتقدم للتناول ، يجب أن يكون صائما • وينطبق نفس الكلام على الملابس والأوانى المستخدمة فى خدمة القداس •

ولذلك يجب علينا أن نشير الى العديد من نقاط التشابه بين الطقس القبطى والأرمنى ولا نعجب حينما نجد أن الكنيسة الأرمنية تتبع نفس القانون ولذلك فهى تقيم عادة ثلاثة مذابح (٢) مع الاختلاف المتمثل فى أن المذابح الجانبية فى المبنى المقدس للكنيسة الأرمينية تقع أمام الهيكل أو فى مكان آخر ، وليس على خط واحد مع المذبح العالى وخلف حاجز واحد متصل ، كما هو الحال فى الترتيب القبطى • وقد جرى وصف الكنيسة الأرمنية فى مدينة أورفا بأن لها ثلاثة أقسام أى صحن الكنيسة وجناحان ومذبح عند نهاية كل جناح (٣) • ويقع عرش الأسقف فى الركن الشمالى الشرقى للخورس مواجها للشرق •

ويبدو أنه مسموح بتعدد المذابح فى طقس اليعاقبة السريان ، وفى طقس النساطرة ، وطقس الموارنة • وعلى ذلك فانه يوجد بمدينة أورفا كنيسة سريانية حديثة بها مصطبة طويلة فى الطرف الشرقى وبها مذابح عديدة أمام كل مذبح منها درجة لوقوف الكاهن • أما الكنيسة النسطورية فى كوشانس فان بها ثلاثة مناضد أو مذابح فى الصحن ، اثنان منها يطلق عليهما اسما : مذبح الصلوات ومذبح الانجيل على التوالى ، بالاضافة الى مذبح حجرى صغير فى الطرف الشرقى • وهنا يثور التساؤل حول ما اذا كان أى من هذين الاسمين فيما عدا الاسم الأخير يعتبر فى حقيقة الأمر مذبحا للتناول من عدمه • أما فى حلب فان الكنيسة المارونية توصف بأن

---

(١) يحذف المؤرخ أبو دقن ، عيد القيامة • ولكن يبدو ذلك خاطئا • انظر تاريخه الذى ترجمه الى الانجليزية السير E. Sadlier • ونشر فى لندن سنة ١٦٩٣ ، ص ١٣ •

(٢) - Fortescue's Armenian Church, p. 177.

(٣) Christians under the Cresent in Asia, by Rev. E.L. Cutts, London S.P.C.K. (n.d.) p. 83.

لها خمسة مذابح (١) وعرش في مقابل الحائط الشرقي وفى اتجاه الغرب حسب الترتيب الصحيح ·

لقد كتبنا هنا ما فيه الكفاية لبيان المغالطة في التعميم الذى أورده نيل عن أن « كل كنيسة فى الشرق تحتوى على مذبح واحد فقط (٢) · ويتخذ نيل موقفا ايجابيا من هذا الموضوع ويضيف « وليس هذا الأمر مختصا بكنيسة القسطنطينية ، لأن هذه القاعدة مطبقة أيضا فى اثيوبيا ومصر وسوريا ومالابار ، على يد النساطرة واليعاقبة ، وباختصار — فى كل بلاد الشرق » ؛ وعلى الرغم من ذلك فانه يناقض نفسه ويضيف فى الفقرة التالية لذلك الكلام أن نماذج الكنائس المتعددة المذابح موجودة منذ العصور القديمة · وعلى أية حال فان هذا التساؤل يمثل قاعدة مستقرة · ولذلك فانه من جهة هذه القاعدة نحتاج الى التنويه فقط بأن قانون المذابح الثلاثة ليس شائعا بمصر حاليا ، ولكن لا يوجد لدى الأقباط مبنى كنسى واحد مهما كان بناؤه قديما ، الا ويحمل فى بنائه المعالم التى تدل على أنه صمم حسب هذا الترتيب الطقسى · ورغم عدم وجود دليل بالنسبة لبلاد أثيوبيا ، الا أننا **نلاحظ اعتماد الكنيسة الأثيوبية التاريخى والطبيعى على كنيسة الاسكندرية** مما يجعل الانسان يتساءل عما اذا كانت نفس القاعدة مطبقة هناك من عدمه · أما الطقس الأرمنى فمن الواضح لنا اعتماده على نفس العادة ، وبالرغم من أنه لم يتضح لنا تماما التماثل بين الطقسين السريانى والنسطورى مع المصرى والأثيوبى والأرمنى ، الا أن الحقيقة تكمن فى التناقض الكامل مع القانون الذى تحدث عنه نيل · ولابد من توضيح هذه الحقيقة بالقول بأنه لا توجد كنيسة واحدة فى الشرق كله بها مذبح واحد باستثناء الكنائس التى تنتمى الى كنيسة القسطنطينية ، والكنيسة اليونانية فانها لا تعرف الا مذبحا واحدا ، أما بقية الكنائس فتعرف تعدد المذابح ·

المذابح المتنقلة (٣)

نادرا ما يستخدم الكهنة الأقباط المذابح المتنقلة ، ليس لوجود اعتراض قانونى عليها ، ولكن فقط لأن الضرورة لا تستدعى هذا الاستخدام ·

---

(١) والدليل الذى يقدمه المؤلف غير واضح تماما · Id. Ib. pp. 84, 217, 48.

(٢) History of the Holy Eastern Church, Gen. Introd. vol. i. p. 182.

(٣) يخطىء رينودو تماما من ملحوظته الخاصة بالمذبح القبطى فهو يقول فى كتابه (Lit. Or. tom. i. p. 164) ما يلى : —

« جرت العادة منذ اجيال عديدة على اعتبار الالواح مثل المائدة ويسمح بنشر لفافة (فوطة أو مفرش) فوقها بعد تكريسها بمعرفة الأسقف الذى يبارك المذبح شخصيا · وأخيرا فان المذبح يغطى بهذه اللفافة التى توضع فوق قمة المذبح وكانت تصنع من نسيج =

ففى العاصمة ومعظم المدن المصرية تنتشر الكنائس ، ويجد الأقباط دائما سبيلهم للتجمع حولها • وعلى ذلك فان سهولة الحضور الى الكنيسة يترتب عليها أن الذين يتمتعون بالصحة الكاملة يستطيعون حضور القداس ، بينما يستطيع المرضى أخذ سر القربان بمعرفة الكاهن الذى يحمله اليهم من الكنيسة • والقاعدة المطبقة اليوم تسمح بحفظ الذخيرة المقدسة داخل الكنيسة بالرغم من أن الكاهن يضطر الى اقامة القداس عندما تستدعى الضرورة فى الأماكن التى ليس بها كنائس • وقد وجدت عينة واحدة لمثل هذا المذبح فى التاريخ القبطى ، فعندما أرسل (زاخارياس) ملك النوبة حوالى سنة ٨٥٠ للميلاد ابنه ووريثه جورج الى مصر لاقرار موضوع الجزية ، قام الوفد الملكى بزيارة البطريرك يوساب فى مقر الكرازة المرقسية وكان يحمل اليه بعض الخطابات • ومن هناك مضى لمبايعة الخليفة فى بغداد • وعند عودته الى القاهرة نال هبة كبرى من البطريرك حيث أعطاه مذبحا متنقلا من الخشب ليحمله الى والده • ويقول التقليد ان مثل هذا المذبح لم يكن معروفا من قبل وان مثل هذا الترخيص حدث بسبب الظروف التى يعيش فيها النوبيون الذين كانوا عبارة عن قبائل بدوية متنقلة تعيش فى الخيام،وكانت حياتهم كلها قتالا وغزوات(١)• ومن المؤكد أن ذلك المذبح كان لوحا مأخوذا من احدى الكنائس•والحقيقة أن أقباط اليوم يزعمون أن المذبح المتنقل الذى يستخدم فى حالات الضرورة القصوى ليس الا اللوح الخشبى الذى يتحتم تكريسه بالميرون • وبالاضافة الى ذلك فان اختفاء لوح المذبح كلية من بعض الهياكل الصغيرة فى القاهرة قد يشير الى حقيقة أن اللوح قد حمل الى خارج الكنيسة واستخدم كمذبح•ومن الغريب أن نقول أنه بينما لاتقر القوانين النسطورية واستخدام المذابح المتنقلة صراحة،الا أنها تسمح بتقديس سر الافخارستيا

= موشى بالقصب وهذا الترتيب هو المستخدم فى أفريقيا ويعود اليه كذلك كل من الطقس اليونانى واللاتينى اللذين أخذا هذا الترتيب عن الطقس الشرقى •

وهذا الاصرار على توافق الطقوس الثلاثة هو الذى أفسد الكثير من معلومات رينودو • « كان طقس الكنيسة اليونانية مشابها للطقس الشرقى فى هذا الصدد » (ص ١٦٦) • وهذا هو أقصى ما وصل اليه فى جميع حالات الشك • ولذلك فهو يقول عن الجزء الأكبر انه ليس الا مذبحا واحدا فى كنيسة واحدة • وقد توصل الى هذه النتيجة كما يلى : —

ومن جهة أخرى فقد ظلت هذه العادة موجودة فى نفس الوقت فى مصر حيث نراها فى الكنائس القديمة ذات الطابع المميز ••• لقد كان المسيحيون القدماء يقيمون المذابح حسب الترتيب الموروث عن الكنيسة فظل المذبح لديهم حسب هذا الترتيب القديم وهو شكل يماثل الشكل اليونانى من حيث الخط المميز للمذبح وبذلك فالتماثل موجود بين الشكل المصرى واليونانى » •

وواضح لنا أخطار تلك الطريقة •

(١) Renaudot, Hist, Pat. Alex. p. 282.

فوق يدى الشماس مع الحصول على اذن مسبق من الأسقف وذلك في حالات الطوارىء (١) • ويستخدم السريان ألواحا مقدسة من الخشب مثل الأقباط • وحيث لا يوجد مذبح أو لوح مقدس فانهم يسمحون بتكريس الافخارستيا على صفحة من الانجيل (٢) •

أما بخصوص طقس الكنيسة اليونانية فلا يوجد مثل هذا الالتباس، فقد كان تكريس المذابح المتنقلة أو كما يطلقون عليها اسم antimensia — جزءا منتظما من التقليد الخاص بتكريس المذبح الجديد ، فكان اللوح يوضع على المذبح ، وبعد تدشينه يصب فوقه النبيذ • ويرسم فوقه ثلاثة صلبان بالميرون ، ثم يؤتى بالرفات المختلط بالحنوط للحيلولة دون فقدان أى من البقايا ، ويضمخ بالميرون ويحفظ فى كيس خلف كل قرص • ويتم استكمال تقديس هذا اللوح باقامة القداس وعمل سر الافخارستيا ، وبذلك يصبح اللوح جاهزا للاستخدام ، ويشيع استخدام هذه المذابح لدى اليونانيين بقدر ندرة استخدامها فى الكنيسة القبطية •

ويمكن حصر نماذج عديدة للبرهان على عادة استخدام المذابح المتنقلة فى المسيحية الغربية • ففى انجلترا امتدت هذه العادة من العصور الأولى فكان فى كل كنيسة كبيرة منضدة أو أكثر من الخشب أو المعدن بحيث يستطيع الكهنة حملها عندما يرغبون فى مناولة المرضى أو اقامة القداس فى الأماكن النائية حيث لا يوجد المبنى الكنسى • وربما كان أقدم نموذج لهذا النوع هو المذبح المتنقل الذى استخدمه القديس كوثبرت والمحفوظ حاليا — بصرف النظر عن حالته المشوهة — فى كاتدرائية دورهام Durham وهو عبارة عن منضدة خشبية صغيرة مغطاة بغلاف من الرصاص يبدو أنه يعود الى تاريخ أحدث ، ويحمل بعض الحروف اليونانية التى يصعب قراءتها •

ملحقات المذبح

توجد فوق كل مذبح مرتفع فى كنائس مصر وأحيانا فى المذابح الجانبية ، قبة عالية (*) أو مظلة ترتكز على أربعة أعمدة وهذه القبة التى تصنع دائما من الخشب وترتكز أحيانا على أعمدة حجرية ، مزخرفة بألوان زاهية فى الداخل والخارج ومزينة بصورة للسيد المسيح فى وسط القبة، وملائكة فى حالة طيران وأشكال رمزية • وقد أوردنا وصفا كاملا لمثل

(١) J. A. Asseman, De Cathol. seu Pat. Chold. et Nestor. com. p. 120.

(٢) Renaudot, Lit. Or. vol. ii. p. 46.

(★) يطلق على هذه القبة أو المظلة فى الطقس القبطى اسم : العرش — (المترجم) •

هذه القبة فى الفصل الخاص بكنيسة أبو سيفين ، ولا يوجد ما يستدعى تكراره هنا (١) ٠

ولكن يمكن اضافة أن هذا العرش الذى على شكل القبة يرمز الى سماء السموات حيث يجلس السيد المسيح فوق عرشه فى المجد محاطا بالملائكة ، وتشير الأعمدة الأربعة التى تحمله اما الى أربعة أركان المسكونة حسب قول جرمانوس Germanus ، أو تشير الى الانجيليين الأربعة الذين ترسم رموزهم أحيانا فوق القبة ٠ وتتخذ القبة القبطية شكل مظلة صغيرة بدون سقف مدبب وبدون واجهات مثل تلك الموجودة بكنيسة سانت أناستاسيوس فى روما وبدون سقف مسطح كما هو الحال فى نموذجين بكنيسة سانت مارك فى البندقية ، وبدون سقف هرمى كما هو الحال فى نموذج ثالث بكنيسة بوتنزيانا بالقرب من نارنى ، وذلك الموجود بكنيسة سبيريتو سانتو فى رافنا Ravenna (٢) ٠ ولكن من الغريب أنه فى جميع الحالات التى توجد فيها هذه القبة فان الأعمدة التى تحملها ، بها حروف عربية ٠ ويتضح لنا هذا فى كنيسة أبو سيفين التى بنيت فى العصر العربى ، ولكنه يثير الدهشة أكثر فى كنيسة أبو سرجة حيث أن أعمدة الصحن بتلك الكنيسة يونانية أو رومانية ٠ وتختفى الأعمدة نهائيا فى بعض الحالات ، وتستقر القبة على دعائم متقاطعة مثبتة فى الحوائط ٠ ولاشك أن التفسير الصحيح لذلك يتمثل فى أنه فى الكنائس القديمة كان المذبح والقبة الخاصة به ينالان الكثير من الزخرفة الفنية والفاخرة أكثر من أى قسم آخر من أقسام الكنيسة ٠ ويبدو أنه من المحتمل فى بعض الحالات عندما كانت تغطى المذبح قبة كاملة ، كانت تنتشر مظلة منفصلة قائمة على أعمدة فى العصور المتأخرة بعد التوقف عن استخدام الستائر ٠ ومن المؤكد أنه من الخطأ استنتاج أن قبة المذبح كانت بدعة دخلت الى الكنيسة القبطية فى العصور الوسطى ، لأنها تمثل تقليدا قديما فى تزيين الكنيسة ٠

وتمر أربعة قضبان رفيعة بين أعمدة القبة الأربعة ، وهى مزخرفة بنصوص قبطية كما هو ظاهر فى كنيسة أبو سرجة ٠ وكان المقصود بهذه القضبان فى الأصل ، أن تحمل ستائر المذبح ٠ ذلك أنه قد جرت العادة قديما على أن يحجب المذبح بالستائر ٠ وبالرغم من أنه لم تبق نماذج لمثل

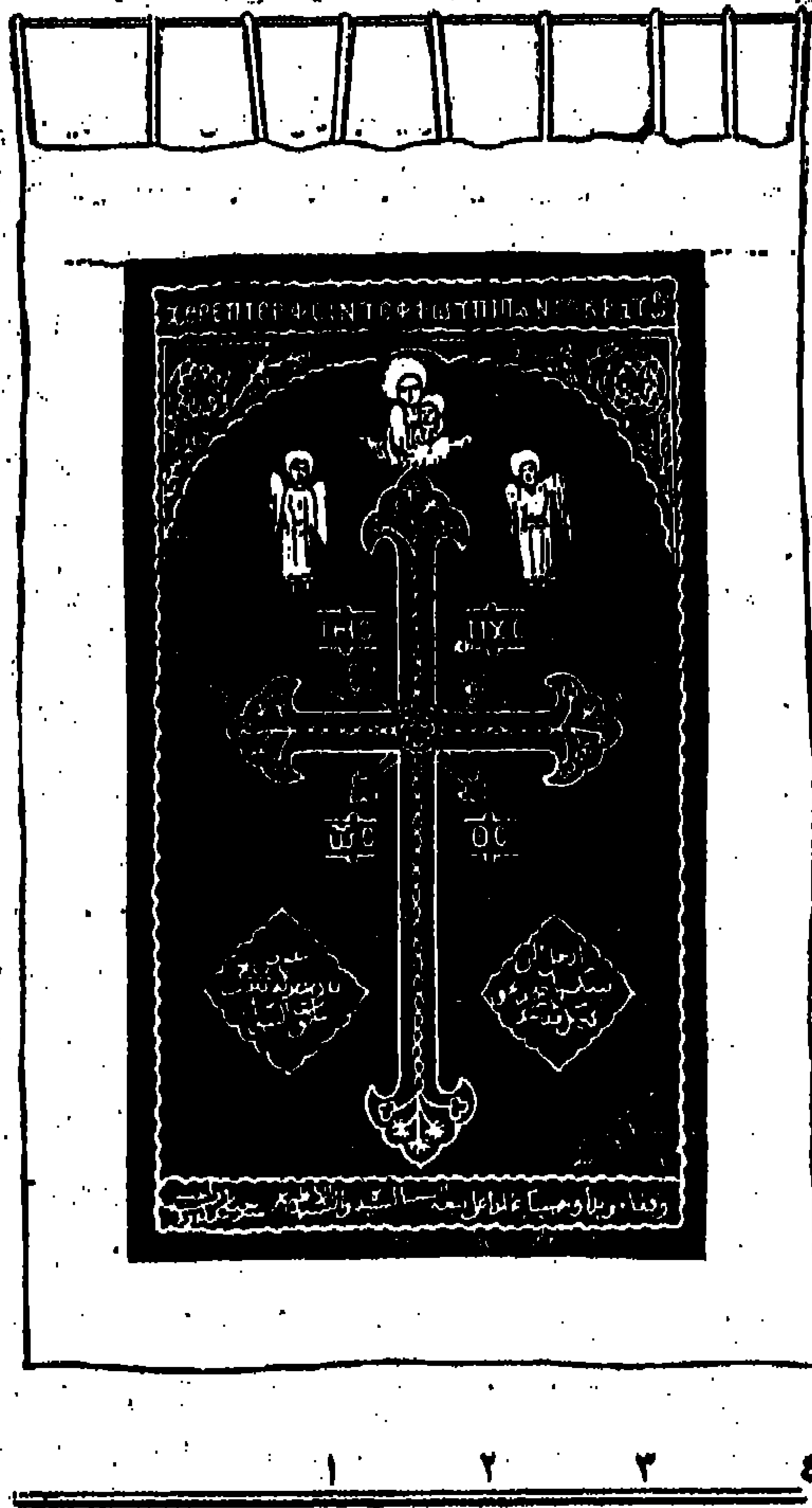
---

(١) يمكن مقارنة هذا الوصف الذى ورد فى ص ١١٤ من الأصل الانجليزى للجزء الأول ـ بوصف العرش الموجود فوق المذبح الخاص بالقديس غريغوريوس الذى بناه جيرهارد أسقف كونستانس ـ ويقدم م ، ٠ دى فلورى قطاعا لسقف هذه القبة بين صورة الانجيليين الأربعة مع رموزهم ٠ انظر : ـ

La Messe, vol. ii. p. 26.

(٢) La Messe, Vol. ii. Pl. ciii, civ, cix, xcviii.

هذه الستائر فى أى كنيسة قبطية الا أن القضبان نفسها والحلقات المركبة عليها (كما هو الحال بكنيسة أبو سيفين) والتى ماتزال موجودة ، تدل على أنه حتى فى العصور القديمة ، كانت عادة احاطة المذبح بالستائر مرعية • وتمثل العارضة التى تعود الى القرن السابع أو الثامن بكنيسة أبو سرجة والتى كانت الستائر مركبة عليها — نموذجا فريدا لهذا الاستخدام • ويقوم اثنان من هذه الأعمدة بكنيسة أبو سرجة على مسافة قدمين و٩ بوصات،ويقوم الاثنان الآخران على مسافة ٣أقدام و٣½ بوصة، وذلك بالنسبة لأقرب ركن من المذبح ، وبذلك يتبقى فراغ كاف يتحرك فيه الخدام حول المذبح وداخل الستائر •



شكل رقم ٥ : ستارة حريرية مطرزة بخيوط من الفضة مصنوعة باشغال الابرة ، امام باب الهيكل بالكنيسة المعلقة •

وأقصر مسافة بكنيسة أبو سيفين هي قدمان ، وهي لاتترك الا فراغا صغيرا جدا للحركة . ولا شك أن ستائر المذبح كانت مطرزة بخيوط وأشكال ثمينة مصنوعة بأشغال الابرة أو خيوط الذهب والفضة. وحتى اليوم مازالت هناك ستارة معلقة أمام باب الهيكل مطرز عليها اما صليب أحمر أو بعض الأشكال الأخرى .

ويقول بولس السلنتيارى فى وصفه لكنيسة القديسة صوفيا العظمى ان هناك برجا أو قبة فوق المذبح الرئيس ترتفع فوق أربعة أعمدة مطلية بالفضة يمتد بينها عقود . والجزء الأسفل من هذه القبة ثمانى الأضلاع بينما يبرز منه الجزء العلوى ليتجمع على شكل مخروط . وقد وضع فوق المخروط نجم ذهبى فوقه صليب من الذهب مرصع بالجواهر . وقد انتشرت بين الأعمدة الفضية ستائر غالية . أما الستارة التى أمام المذبح فقد رسم عليها منظر مطرز بخيوط الذهب للسيد المسيح فى المجد وهو يعطى البركة ويمسك بكتاب البشائر فى يده اليسرى . ويكفى هذا الوصف للبرهان على الطقس القديم للكنيسة اليونانية . ولكن يذكر جور Goar أيضا (١) أن قبة المذبح هى رمز للسماء ويتحدث فى نفس الموضع عن الستارة التى أمام المذبح المطرزة بمنظر للسيد المسيح . وقد وجدت هذه الستائر أيضا بين الآثار القديمة فى رسوم الفسيفساء العظيمة التى تزين قبة كنيسة سانت جورج فى سالونيكا (تحولت الآن الى مسجد) وهى تقدم مثلا عظيما لمذبح محاط بالستائر ومغطى بالقبة . ويعود هذا العمل الى حوالى سنة ٥٠٠ للميلاد . وهناك قبة فضية أخرى تعود الى أوائل القرن الخامس مقامة فوق المذبح فى كنيسة سانت ديمتريوس المجاورة وفى أيامنا هذه لم تعد تستخدم مثل هذه الستائر فى الكنيسة اليونانية كما هو الحال فى الطقس القبطى . أما الغرض الرئيسى منها فانه بالاضافة الى اضفاء القداسة على منطقة المذبح ، حجب الكاهن أثناء التقديس . وطبقا لذلك فقد كانت هذه الستائر تقفل أثناء تلاوة قانون الايمان ، أما التوقف عن استخدامها.فيعود الى حقيقة أن حامل الأيقونات يمثل حجابا فى حد ذاته . واذا لم يكن هناك دليل يؤيد العكس ، فانه من الطبيعى أن نستنتج أن حامل الأيقونات هو ترتيب يعود الى العصور الوسطى يتمشى استخدامه مع ضرورة وجود ستائر للمذبح . وعلى ذلك فان بولس السلنتيارى يذكر لنا عن كنيسة أجيا صوفيا أنه كان يوجد أمام المذبح حاجز ذو ثلاثة أبواب ، وقد حفر فوقه مناظر ملائكة وأنبياء ، بينما وضع فوق الباب الأوسط رمز جوستنيان Justinian وثيودورا. والحقيقة أنه حتى خلال هذا العصر القديم ، كان يجرى استخدام الستائر

---

(١) Euchologion, p. 15.

وحامل الأيقونات معا . ولا تستخدم الكنيسة الأرمينية أو النسطورية أية حواجز أمام المذبح العالى فيما عدا الستارة التى تسحب عبر الهيكل بكامله ويبدو أنهـا لا تستخدم كحاجز فقط ولكن كحجاب أثناء الصوم الكبير .

أما فى الكنيسة الغربية حيث ينتشر الطراز البازيليكى فان المذبح تغطيه مظلة على شكل قبـة ، وتحجبه الستائر كما هو الحال بكنيستى القديس بطرس البازيليكية والقـديس بولس غير المحاطة بالحوائط فى روما . لقد كانت بكنيسة القديس بطرس والمهداة من جريجورى الأكبر ، مصنوعة من الفضة ، وكذلك أيضا المظلة المهداة من هونوريوس الأول لكنيسة سانت بانكراتيوس . ويذكر روك Rock (١) الستائر المعلقة فى الجانبين الشمالى والجنوبى من المذبح لابعاد الهواء عن الشموع ولكن ذلك ليس الا بواقى الترتيب القديم الذى صمم أساسا لحجب الكاهن عند القيام بخدمة القداس . حقا ، ان الجزء الضرورى من المظلة يتمثل فى الستائر كما يدل على ذلك اسمها ، المشتق من كلمة Baldacco الايطالية التى تقابل كلمـة (بغـداد) العربيـة ، كما تقابل damask كلمة دمشق و fustian كلمة (الفسطاط) أى الاسم العربى لمصر القديمة ، وعلى ذلك فان كلمة مظلة Baldacchino تعنى النسيج الغالى المصنوع فى مصانع بغداد . وهذه الكلمة فى شكلها الانجليزى Baldakyn ليست شاذة فى السجلات القديمة لكنيستنا الانجليزية ولكن الاسم انتقل بسهولة من الستائر الى المظلة التى فوق المذبح . وقد كانت المظلة أحد المعالم المعروفة فى الكنيسة الأنجلو ساكسونية القديمة . ويمكن أن نشاهد نموذجا لستارة المذبح فى متحف ساوث كنسنجتون على قرص عاجى من الصناعة الأنجلوساكسونية . أما موضوعه فهو سجود المجوس ، حيث تتجمع الشخصيات تحت عقد رسم فوقه وعلى العارضتين الرأسيتين معالم هيكل أورشليم . ويحيط بهذا العقد قضيب معلق عليه ستائر مقوسـة ومسترخية فى شكل ثنيات . وهذا القرص يتشابه من بعض الأوجه مع الاطار المنقوش فى كنيسة أبو سرجة . وهناك ترتيب مشابه فى نقش مرسوم فى كتاب روك (٢) منقول عن مخطوط جودمان . وعلاوة على ذلك فان كتاب الترتيب الطقسى لمؤلفه اجبرت يأمر باسدال الستارة بين الكهنة والشعب عند تكريس المذبح (٣) . ولا ترفع الذبيحة أمام جمهور المصلين فى الطقس الساكسونى ، وهى حقيقة يربط مسترج . جيلبرت سكوت

(١) Church of our fathers, vol. 1. p. 230.

(٢) Vol. 1. p. 194.

(٣) Ibid. P. 45.

بينها وبين استخدام ستائر المذبح • ونستطيع أن ندفع بالحوار خطوة بافتراض أن عدم استخدام ستائر المذبح الشرقية وكذلك الغربية كان قرارا متعجلا مثلما شق تقليد رفع الذبيحة طريقه الى التطبيق • ولم يكن هذا التقليد معروفا في الغرب قبل نهاية القرن الحادى عشر ولم يطبق فى انجلترا قبل القرن الثالث عشر (١) رغم تطبيقه فى الشرق قبل ذلك ، الا أنه لم يتوقف استخدام المظلة فى هذا البلد حتى نهاية القرن الحادى عشر وبالضبط فى عصر القديس أو سموند الذى كان أسقفا لمدينة ساروم وقاضى قضاة انجلترا سنة ١٠٧٨ للميلاد • وعلى أية حال فاننا نجد فى حالات عديدة أن العمودين اللذين فى اتجاه الشرق والقضيب الواصل بينهما ، قد تركت فى مكانها • وأقيم فوق هذا القضيب صليب للصلبوت مع وعاء للماء المقدس وصندوق للقربان والخمر وما شابه ذلك • أما الستائر التى كانت معلقة شمال ووسط المذابح التى تنتمى الى العصور الوسطى التى ذكرناها سابقا ، فقد كانت معلقة على قضبان تنفذ فى الحائط وأطلق عليها اسم المنخل Riddle وهناك اثر آخر لهذا الاستخدام القديم محفوظ فى شكل حجاب الصوم الكبير الذى كان يلف به المذبح منذ عشية الأحد الأول للصوم الكبير حتى يوم خميس العهد أثناء القداس • ولم يكن يستبعد الا أثناء قراءة الانجيل • وفى بعض الكنائس حيث كان قوس القسم الشرقى الخاص بالكهنة ضيقا ، كان حجاب الصوم الكبير يعلق بعرض الكنيسة • أما فى الكاتدرائيات فقد كان يعلق بين الخوروس وموضع الكهنة • وكان يصنع من الكتان الأبيض وأحيانا من الحرير ويرسم عليه صليب أحمر •

اغطيــة المــذبح

ان الغطاء العادى للمذبح القبطى وهو الستر يتكون من غلاف مشدود من الحرير أو القطن الغامق اللون أو المطرز بنماذج من الزهور المنفذة بأشغال الابرة أو الفضة • وهو يصل حتى الأرض ، بحيث يغطى جسم المذبح تماما • وكانت تستخدم أغطية أخرى ثمينة للأعياد الكبرى • وحتى فى الاستخدام العادى كان يوضع أحيانا غطاء خارجى فوق الغطاء الأول • أما الشكل الأخر الوحيد الذى شاهدته لأغطية المذبح فهو نوع من الستائر الأمامية تبلغ مساحته حوالى ١٨ بوصة مربعة على الجانب الغربى ، وهو مصنوع من مادة غالية الثمن ومطرز بصليب فى الوسط

---

(١) Rock, vol. iv p. 155.

وبين الزخارف فى الأركان • ولكن أكثر الأقباط ذكاء ليست لديه أية معلومات بخصوص استخدام هذا الغطاء (*) •

وكان يوجد بكنائسنا الانجليزية القديمة أغطية رئيسية الأول يسمى Cerecloth وهو القماش المشمع الذى يلف به الموتى وهو مشدود تماما مثل غطاء المذبح القبطى ولم يكن يرفع سوى مرة واحدة فى السنة يوم خميس العهد لغسيل المذبح • ثم غطاء آخر من الكتان الأبيض بحجم اللوح المقدس ولا يتدلى من الجوانب ولكن به اضافة أمامية • أما الغطاء الثالث فهو مصنوع من الكتان النقى ويغطى أعلى المذبح على الجانبين الشمالى والجنوبى وقد طرزت عليه خمسة صلبان •

وكذلك نجد ثلاثة أغطية للمذبح اليونانى يسمى الأول منها بروسساركا Prossarka والثانى ابنديتس Ependytes والثالث ايليتون Eileton وكان يعلق تحت هذه الأغطية الثلاثة عند كل ركن من أركان المذبح شريط ضيق من القماش مرسوم به صورة لأحد الانجيليين الأربعة بأشغال الابرة ، ولذلك أطلق عليه اسم ايفانجلستيريون Evangeleisterion (١) وكثيرا ما يطلق اصطلاح حامل الانجيل بطريقة خاطئة على الكتاب الذى يتضمن البشائر •

(*) يغطى المذبح القبطى بثلاثة أغطية • الاول يصل الى الأرض من كل الجوانب • والثانى يتدلى حوالى ١٥سم من كل جانب ، أما الثالث فهو الابروسفارين ويمثل الحجر الذى دحرجه الملاك عن باب قبر السيد المسيح ولذلك فهو عبارة عن لفافة صغيرة المساحة (حوالى ١٨ بوصة مربعة) توضع فوق الغطاءين الآخرين ـ (المترجم) •

(١) Thiers, Les Principaux Autels de Eglises, ch. xxi. p. 154.

أواني التناول وأثاث المذبح

كاس العشـاء الرباني ـ الصينية ـ القبة ـ الملعقة ـ القوس ـ الستائر ـ المروحة ـ الابريق والحوض ـ حق الذخيرة ـ حامل القوارير ـ وعاء الميرون ـ المذبح ـ الشمعدانات ـ علب حفظ الكتاب المقـدس ـ حامل الانجيل ـ المجمرة ـ اكليل عقد القران ٠

يستخدم الأقبـاط فى تكريس الافخـارستيا خمسـة أوان هى : الكأس ، والصينية ، والقبة ، والملعقة ، والقوس ٠ ولم أجد بين الكئوس الموجودة حاليـا كأسا قديمة أو مثيرا للانتباه ، وجميعهـا مصنوعة من الفضة ، الا أن كنيسة الأمير تادرس بها كأس محفوظ فى غلاف من الزجاج البندقى غير المزخرف ٠ وكقاعدة عامة نجد أن الجسم المقعر للكأس صغير ومستقيم الجوانب تقريبـا ، أما الساق فهو طويـل وينتهى فى أسفله بمقبض مسـتدير ٠ وتنحـدر القاعـدة أسفله انحـدارا شديدا ، ولكن القاعدة ذات افريز غير مزخـرف وهى مستديرة دائما ٠ وعلى ذلك فان شكل الكأس القبطى يختلف عن الكأس الانجليزى فى نقطتين : الأولى أن الجسم المقعر أكثر قربا من المخروط وأقل قربا من نصف الكرة ، ويشبه تقريبا كأس العشاء الربانى الذى يعود الى عصر الملكة اليزابيث الأولى ٠ أما المقبض فهـو أسفل السـاق مباشرة بدلا من أن يقسمه من المنتصف ، وهو أقل بروزا ٠ وعلاوة على ذلك فان قاعدة الكأس فى انجلترا قد تغيرت من الشـكل الدائرى الى الشكل السداسى بعد القرن الرابـع عشر ، طبقا للتعليمات التى نصت على أن يوضع الكأس على جانبه عند غسيله بعد انتهـاء القداس ، لأن القـاعدة السداسية تحول دون خطر الدحرجة ٠ ولم تجد فى كنائس مصر كأسا له قاعدة ذات أركان بارزة ٠ ويستخدم النساطرة أحيانا كأسا مقعرا من الفضة ٠

وقد استخدمت الكئوس الزجاجية بعدما نهبت أو دمرت الأوانى

الثمينة . وعلى ذلك فقد سجلت أحداث سنة ٧٠٠ للميلاد حدوث نهب عظيم للكنائس بحيث استدعى الأمر استخدام الكئوس الزجاجية والصوانى الخشبية بدلا من الأوانى الفضية والذهبية الضائعة (١) . أما بخصوص الترتيب الغربى فيقول ديورانديوس ان زفرينوس قد تمتع فى أوائل القرن الثالث باستخدام الكئوس الزجاجية ، ولكن البابا أوربان أوصى باستخدام الكئوس المعدنية ، وحوالى نفس الفترة أى سنة ٢٢٦ للميلاد ، منع مجمع ريمس استخدام الكئوس الزجاجية . وفى انجلترا منع استخدام الكئوس المصنوعة من القرون أو الخشب لأنهما مادتان لهما خاصية الامتصاص . وتسمح قوانين ايلفريك باستخدام الكئوس المصنوعة من الذهب والفضة والزجاج والقصدير . وقد استخدمت الكئوس الزجاجية فى الكنيسة الأيرلندية المبكرة وان كان قد منع استخدامها فيما بعد (٢) . وقد منع استخدام القصدير فى القرن الثالث عشر حسب قوانين رئيس الأساقفة ويزرشيد (٣) . ولكن يبدو أن الذهب والفضة كانا يمثلان المعدنين الشائعين لصنع الكأس فى الطقسين الشرقى والغربى كليهما . ويذكر رينودو أنه فى حوالى عام ١٢١٠ للميلاد ، سمع الخليفة الملك العادل عن وجود كنوز عظيمة مدفونة فى بئر بدير القديس مقاريوس فى وادى النطرون ، فأرسل الى هناك من اكتشف وجود كأس وصينية من الفضة حملهما مع أشياء أخرى ، من بينها ستارة حريرية مطرزة كانت على بأب الهيكل قدر ثمنها حينذاك بثلاثة آلاف قطعة من الذهب . وتضيف القصة أنه عندما أثبت القبط بالوثائق وسجل التبرعات أن الأوانى والستارة كانت عبارة عن هبات مقدمة للكنيسة — تكرم الخليفة باعادة هذه الأشياء الى الكنيسة وحملت فى صناديق على ظهور الجمال الى مصر القديمة محاطة بمواكب من الرجال الذين كانوا يرنمون ويحملون الشموع المضيئة . وبعد ذلك بأربعين عاما ، عندما خربت الكنيسة المعلقة ، وجد كأس قبطى ، كما كان معتادا بالنسبة لكئوس العصور الوسطى فى الغرب، فى الضريح . ولم أشاهد أى صليب أو رسما للمصلوب على قاعدة أى كأس قبطى ، كما كان معتادا بالنسبة لكئوس العصور الوسطى فى الغرب ، رغم أن الكئوس الغربية القديمة لا تحمل شيئا من ذلك . أما النقش الدال على الهبة فهو يحيط بالقاعدة كتقليد عام .

أما الصوانى فهى على وجه العموم عبارة عن أطباق مستديرة مسطحة بحافة مرتفعة دائرية وليس بها أى تجويف فى الوسط ولا صور محفورة

---

(١) Renaudot, Hist. Pat. Alex. p. 193.

(٢) Warren's Lit. & Rit of the Celtic Church. p. 143.

(٣) Archaeological Journal, vol. iii. p. 133.

لأى نوع من أزهار الفيرونيكا مثل الصوانى الغربية التى تعود الى القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وليس لها سيقان أو قواعد مثل تلك التى تنتمى الى عصر الملكة اليزابيث الأولى وما يليه · والحقيقة أن الكأس والصينية يتشابهان من حيث بساطة التصميم · أما فى الشكل فهما أقرب الى العينات القديمة للأوانى المشابهة فى المسيحية الغربية ·

أما القبة فانها تتكون من قوسين من الفضة متعامدين على شكل صليب ويربطهما مسمار برشام · وأثناء الاحتفال بالتناول ، تثبت القبة فوق القربان المقدس فى وسط الصينية · أما اللفافة التى تغطى القبة فانها تثبت على سطحها الخارجى المقبب · وتستخدم الكنيسة اليونانية أداة مشابهة تسمى النجم أو قيل انها تشبه النجم · ولكنهما عندما توضع فوق القربانة ، يقول الكاهن هذه العبارة :

« فجاء النجم ووقف فوق حيث كان الصبى » (١) ·

أما الملعقة (المستير) فهى تستخدم للتناول ، فقد جرت العادة على وضع قلب القربانة فى الخمر ، ثم يقلب الاثنان معا · أما تجويف الملعقة فهو نصف دائرى ، بينما تتكون اليد من شريط معدنى مستقيم من المعدن عليه نقش محفور·ونادرا ما تستخدم الملعقة أيضا فى الطقس الأرمنى(٢) · وتتشابه العادة اليونانية مع القبطية فى ممارسة هذا الترتيب ، حيث تستخدم الملعقة لاخراج القربان أو الجواهر كما يطلق عليها من الخمر وتقديمها الى الشعب المشترك فى التناول · أما رجال الاكليروس والملك عند تتويجه فانهم يتناولون كلا من الجسد والدم منفصلين (*) · ويشيع فى انجلترا ذكر الملاعق المقدسة ضمن محتويات الكنائس ، وعلى ذلك فقد ذكر ضمن هدايا كنيسة ريتشارد الثانى فى وندسور سنة١٣٨٤،

---

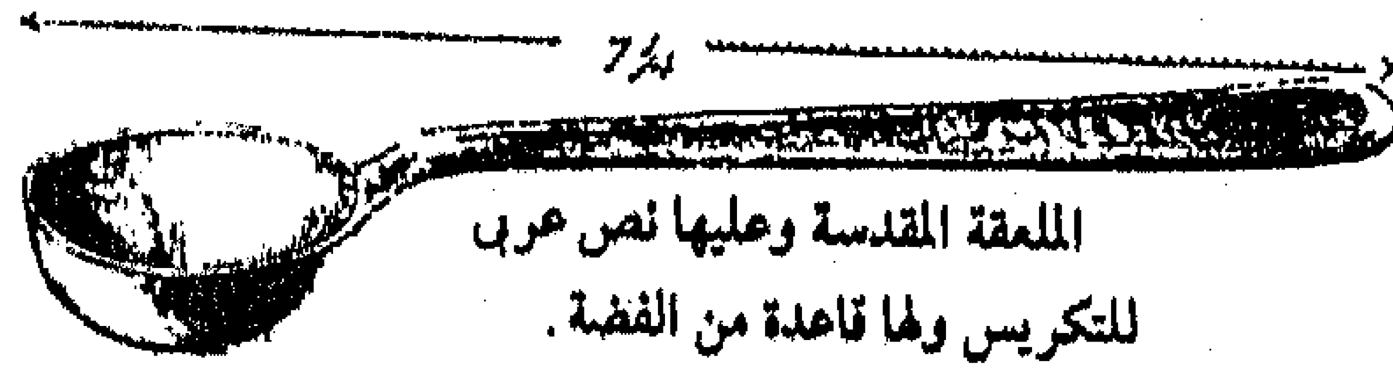
(١) يقول رينودو فى كتابه :ـ

Liturgiarum Orientalium Collectio (Vol. ii. p. 60. 2nd ed. Frankfort, 1847).

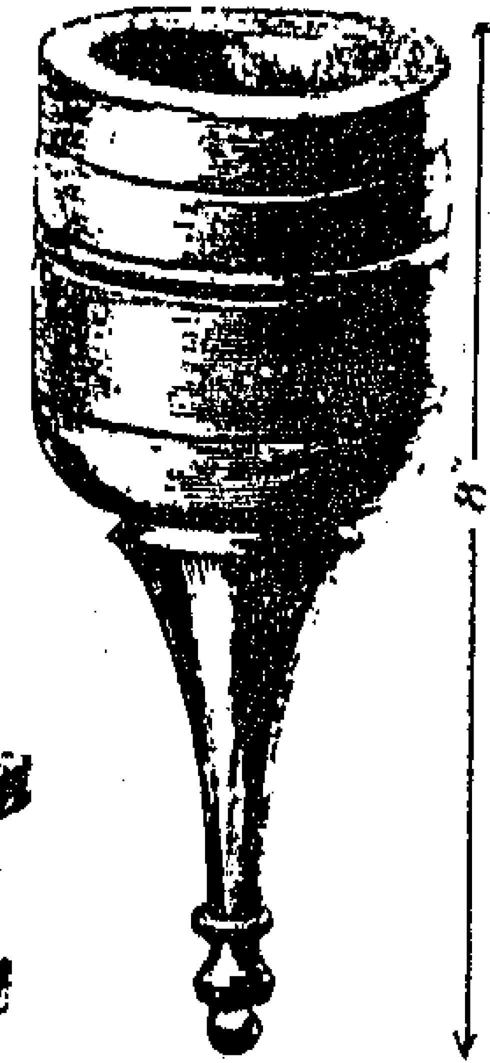
ان المسيحيين الشرقيين بما فيهم السريان والمصريين لا يستخدمون النجم ، ولا شك أنه مخطىء فيما يتعلق بالمصريين ·

(٢) Fortescue's Armenian Church, pp. 177, 18.

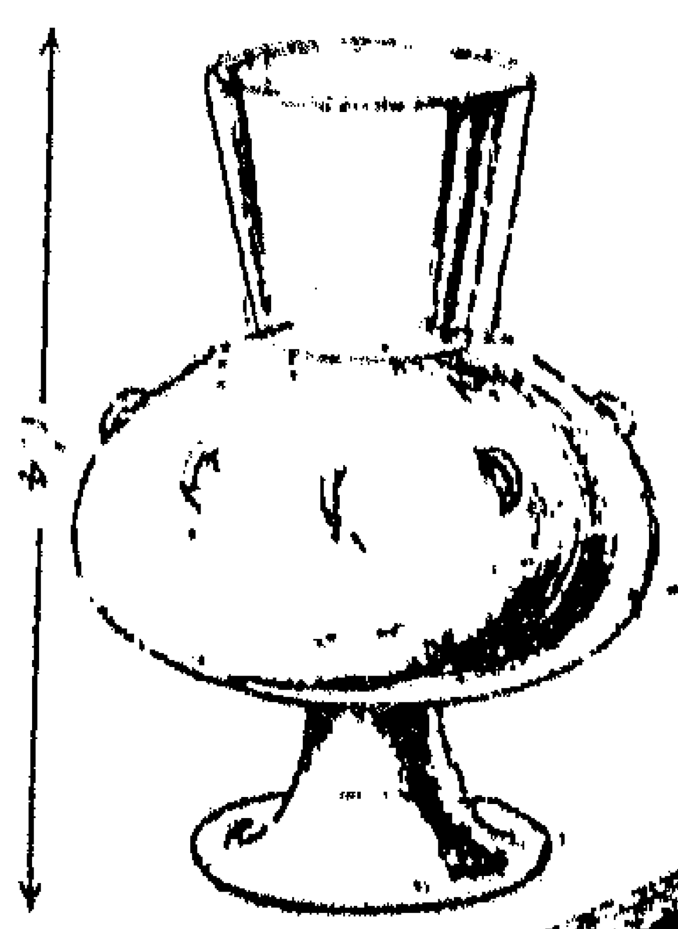
(*) فى الطقس القبطى ، يأخذ جميع المتقدمين للتناول سواء كانوا من الاكليروس أو الشعب ـ الجسد والدم منفصلين وذلك حسب الترتيب الذى وضعه السيد المسيح لنفسه عند تأسيس السر اذ أخذ الخبز وكسر وأعطى للتلاميذ ، ثم أخذ الكأس وناول منه للتلاميذ ـ (المترجم) ·



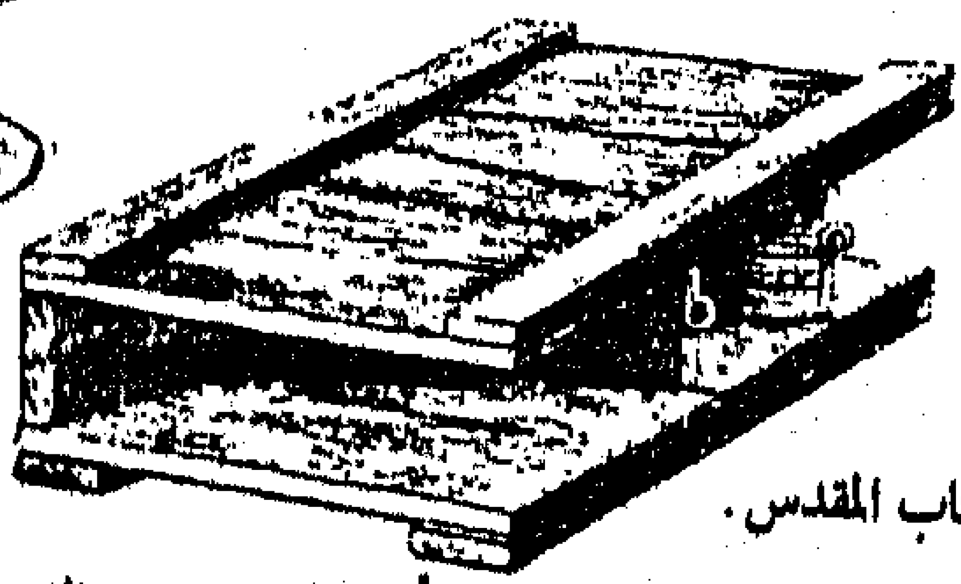
الملعقة المقدسة وعليها نص عربي
للتكريس ولها قاعدة من الفضة .



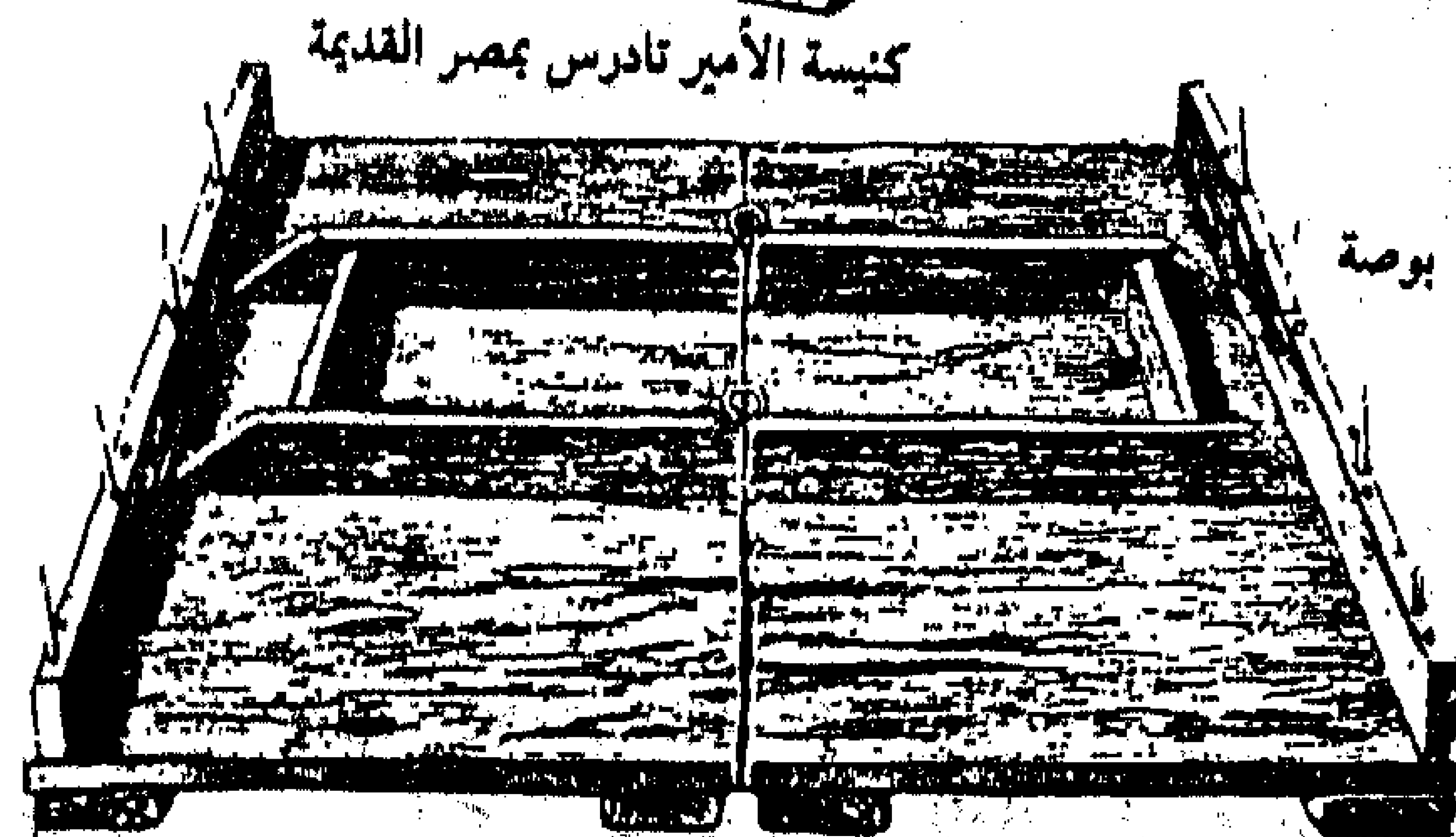
كأس خشبي
لحفظ النبيذ .



مصباح زجاجي من
الطراز العربي بكنيسة أبي سرجة

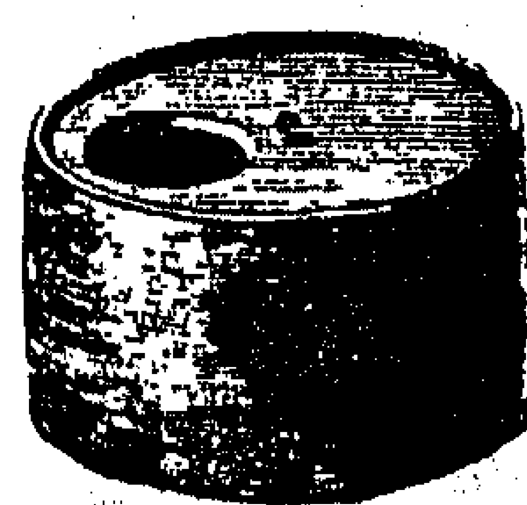


حامل مغلق للكتاب المقدس.
كنيسة الأمير تادرس بمصر القديمة

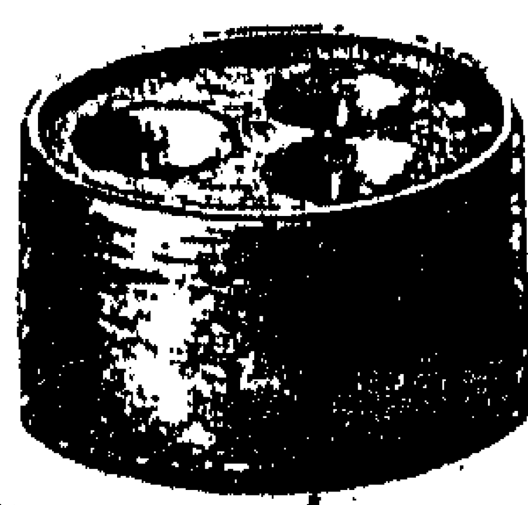


الحجم حوالي ٢٩×٢٢ بوصة

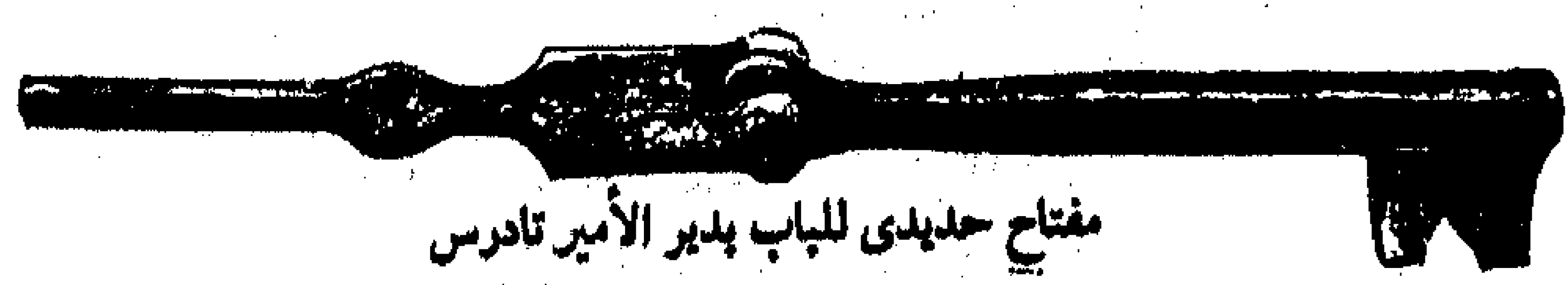
حامل خشبي للكتاب المقدس وبه فتحات للشموع







وعاء من الخشب لحفظ الميرون له غطاء دوار بكنيسة الأنبا شنودة بمصر القديمة



مفتاح حديدي للباب بدير الأمير تادرس

شكل رقم ٦ – قطع مختلفة من الأثاث الكنسي

كأس ذهبية وصينية وملعقة · ولكن تلك الملاعق كانت تستخدم لمزج الخمر بالماء . أو كمصفاة لابعاد الذباب وما شابه ذلك عن الكأس · وقد ورد ضمن الأوانى المقدسة الى كنيسة اكسيتير حوالى سنة ١٠٤٦ للميلاد ما يفيد بأن الكنيسة اللاتينية استخدمت أنبوبة للقيام بدور الملعقة المستخدمة فى الكنائس الشرقية · أما استخدام الأنبوبة التى بقيت فى كنيسة سانت دنيس فى دير كلونى وغيره من الأديرة فهى موجودة حاليا لدى بابا روما (١) ·

وبالاضافة الى الأوانى السابقة فان كل مذبح قبطى مجهز بصندوق خشبى يسمى بالعربية : الكرسى — وهو يختلف عن ذلك المستخدم فى الكنائس اللاتينية من حيث الشكل والغرض · أما عندنا فقد كان الكرسى يستخدم للمحافظة على القبة التى كانت تحتوى على حق القربان المقدس ، وكان يصنع فى الغالب على شكل برج مصنوع من المعادن الثمينة ومزين بالجواهر · أما فى مصر فقد توقفت عادة المحافظة على القبة التى كانت موجودة يوما ما ، ولكنها لم تستمر نظرا للتجمعات القبطية التى تجعل من السهل حضور كاهن لمناولة المريض · وهناك قصة غريبة تقول ان سبب توقف هذه العادة يعود الى أن القبة وجدت فى احدى الليالى وقد شغلتها احدى الحيات · والكرسى القبطى عبارة عن أداة تستخدم دائما فى خدمة القداس · وعند عدم الاستخدام فانه يترك على المذبح · وهو يتكون من صندوق مكعب الشكل يبلغ ارتفاعه حوالى ثمانى أو تسع بوصات · والجانب العلوى منه ، به فتحة دائرية كبيرة بما يسمح بوضع الكأس · وعند التقديس يوضع الكأس داخل الكرسى ، ويظهر أعلاه عند مستوى السطح العلوى عند اغلاق الصندوق ، وبذلك تستقر الملعقة فوق سطح الصندوق وحافة الكأس معا · أما الجوانب الأربعة للكرسى فهى مغطاة بصور مقدسة — للسيد المسيح والقديس يوحنا وهما أكثر الصور شيوعا · والآن فان معظم الكراسى المستخدمة حاليا حديثة وليست لها قيمة فنية ، ولكننى اكتشفت كرسيا أثريا جميلا فى كنيسة أبى سيفين · وقد أوردنا وصفا شاملا له فى مكان آخر (٢) ·

وليس هناك شك فى أن صندوق المذبح القبطى هذا ، هو « المنطقة السرية » التى حيرت كتبة اللاهوت من رينودو الى شيسام (٣) · ويدون لنا رينودو صلاة تسبق القانون الأثيوبى عنوانها : صلاة السر الأعظم

---

(١) Vide Journa of Archeology, vol. iii. p. 132.

(٢) الجزء الأول من هذا الكتاب — ص ص ١٠٩ — ١١٠ ·

(٣) Dici. Christ. Ant. s.v.

«Super arcam sive discum majorem» وهـو يظن أن الصـــندوق نوع من التحف القديمة antimensium . ولكننا سرعـان ما نعـرف معنى هذا العنوان اذا ما تذكرنا العادة القبطية الخاصة بوضـع الكأس والصينية فى الصندوق وهو تقليد لا نشك فى أن الأحباش قد نقلوه ٠ أما كلمـات الصلاة التى تتمشى مع العادة القبطيـة فانها تعطى الجواب للسؤال الحائر ٠ انهم يدشنون الكأس والصينية والملعقة ، كما يقول نيل (١) فكلمات الصلاة هى كما يلى :

« أيها الرب إلهنا الذى أمرت موسى خادمك ونبيك قائلا : اصنع لى أوانى ثمينة وضعها فى الخيمة ـ على جبل سيناء ، الآن يا الله ضابط الكل مد يدك على هذا الصندوق واملأه بالفضيلة والقوة ونعمـة روحك القدوس الذى به يتقدس جسد ودم ابنك الوحيد ربنا » ٠ ويصل نيل نفسه الى استنتاج أن هذا الصندوق يستخدم ببساطة لحفظ السر المقدس٠ ولكن كلمات الصـلاة التى أوردتها ـ لا تترك شـكا فى أن الصنـدوق لايستخدم لحفظ الذبيحة بل لتقديسها ، وحتى اذا كان هذا الاستنتاج مشكوكا فيه فانه يتأيد بالقياس الى الاستخدام القبطى الذى يجهله رينودو ونيل كلاهما ٠ وربما يصدق ما يدعيه نيل من أن الذبيحة فى الكنيسة الأثيوبية تحفظ لفترة ما فى الصندوق ، ولكن ذلك يقع مصادفة ويمسخ القصد الأصلى ٠

ولايستخدم الأقباط لتقسيم القربانة أداة مثل الرمح المقـدس فى الطقس اليونانى ٠

وهناك قانون خاص فى العبادة القبطية وأعنى بـه الطبق الصغير أو الحصيرة كما يطلقون عليه ، والذى يستخدم عدد منه فى تناول القربان٠ وهذا الطبق مستدير الشكل ويبلغ قطره خمس أو ست بوصات ومصنوع من الحرير ومقوى من الجهة الأخرى بمادة سميكة ٠ وقد رسم أو نسج صليب فوق كل طبق ، وأحيانا ترسم صلبان صغيرة بين فروع الصليب الكبير ٠ والطبق الذى نقدم صورتـه هنـا (شكل رقم ٧) مصنوع من القماش الذهبى اللون وبه تصميمات مطرزة بخيوط الفضة ـ وهو نموذج قديم من كنيسة القديسين أباكير ويوحنا بمصر القديمة (*) ٠ أما الألوان

(١) Eastern Church, Gen. Introd. vol. i. p. 186.

(*) هذا الطبق او الحصيرة كما وصفه بتلر ربما كان مستخدما فى أيامه اما اليوم فتستخدم فوطة صغيرة الحجم من القماش الثمين (قطيفة او حرير) تسمى (لفافة) ويستخدمها المتقدم الى التناول لكى تحول دون أن يسقط على الأرض أى فتات من القربان المقدس الذى يناوله الكاهن الى فم المتقدم مباشرة لأن هذا القربان قد تحول الى جسد المسيح بطريقة سرية أو غير منظورة أثناء صلوات القداس ولذلك يجب الحرص على الا يسقط منه أى فتات حتى لا يدوسه الناس ـ (المترجم) ٠



شكل رقم ٧ : الخصيرة أو طبق الافخارستيا

المعتادة لهذا القماش فهى الأحمر والبنى والأخضر وان كانت لا توجد قاعدة محددة تحكم اختيار هذه الألوان ٠

أما الطريقة التى يستخدم بها المتقدمون للتناول هذه الأطباق فاننا سنشرحها فى فصل آخر ٠

وقبل بدء القداس تغطى العناصر المقدسة بواسطة (ستر) يسمى فى اللغة العربية (لفافة) وبالقبطية أبروسفارين ٠

وهـذه اللفافة مصـنوعة من الحرير الأبيض أو الملون ٠ وتبـلغ مساحتها حوالى ١٨ بوصة مربعـة وقد طرز فى وسطها صليب وأحيانا توضع أجراس صغيرة فى الوسـط وفى الأركان ، ويبـدو أن هـذه اللفافة تشبه ما يطلق عليه فى الطقس اليونانى اسم : Diskokalymma (ديسكو كاليما) ، بينما يشبه الطبق أو الحصيرة ستر الكأس لدى اليونانيين ٠ ولكن الأقباط يستخدمون فقط هذين السترين وليس لديهم شىء يشبه آير أو تيفيليه اليونانى ٠

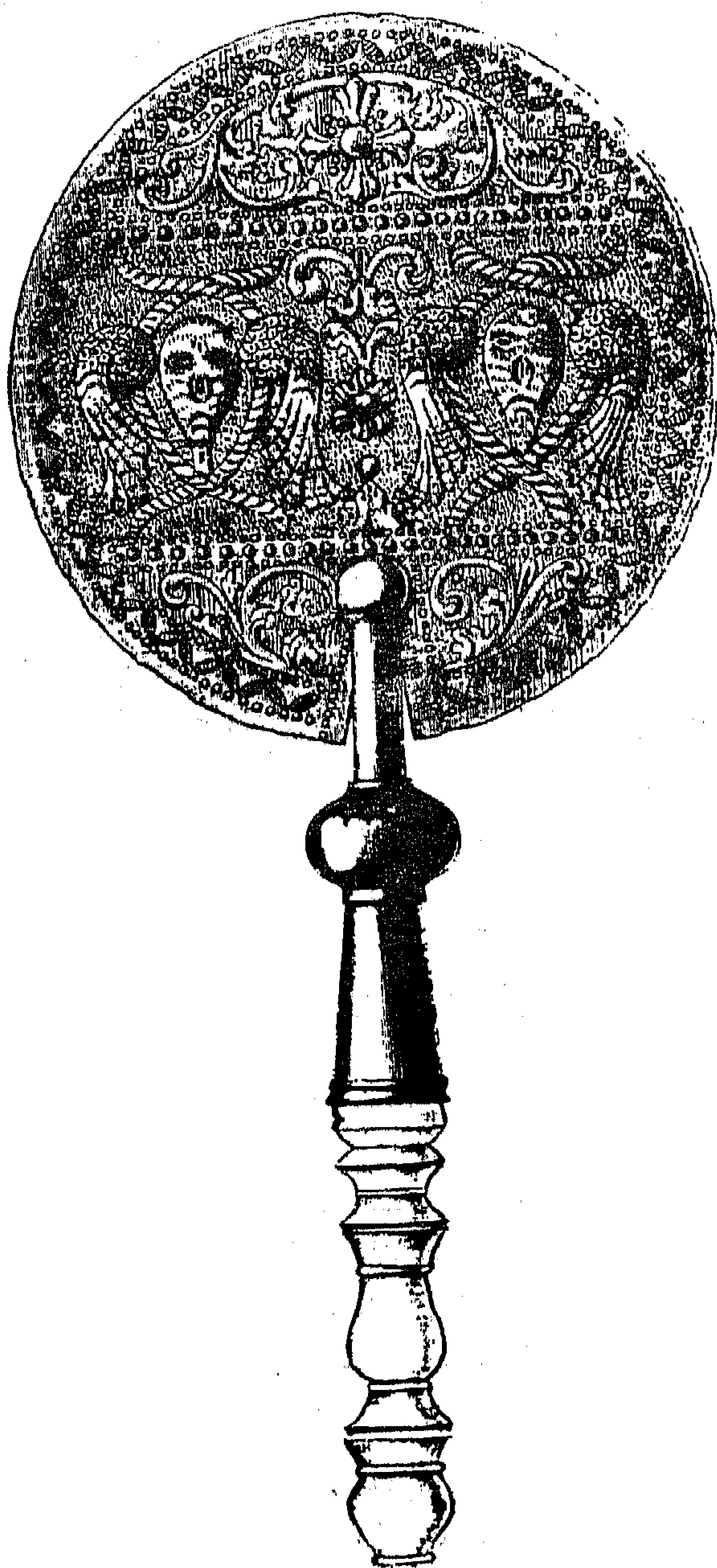
أما استخدام المروحة فلا شك أنه يرتبط بحرارة الطقس فى الشرق، حيث تصبح ضرورية للحياة اليومية ، ولذلك فقد أدخلت فى خدمة الكنيسة منذ زمن بعيد • ويعود استخدامها لدى الأقباط الى زمن بعيد جدا • وهناك عبارة فى قداس القديس اكليمنض clement – مترجمة من قوانين الرسل – تقول : « يقف اثنان من الشمامسة على كل من جانبى المذبح ، ويمسك كل منهما بمروحة من الكتان الفاخر أو ريش الطاووس ، لطرد الذباب أو الحشرات الطائرة حتى لا تسقط فى الكأس • وقد ورد ذكر المراوح الثمينة التى كانت تستخدم خلال عام ٦٢٤ للميلاد (١) • وتلك المراوح – كما جرت العادة فيما بعد – كانت مصنوعة من المعدن سواء كان ذهبا أم فضة • والطراز المعتاد منها هو الذى أوردناه فى الرسم (شكل رقم ٨) وهو عبارة عن صفيحة مثبتة داخل اطار من الفضة مركب فيه مقبض خشبى صغير • وهذه الصفيحة محاطة ومقسمة بواسطة خطوط متقطعة وقد رسم فوقها بالحفر البارز وجهان لملائكة السيرافيم • والتصميم كله من الحفر البارز • ويوجد بكنيسة الأمير تادرس أربعة من هذه المراوح ولكن لا أحد يتذكر الغرض منها ، ولذلك فهى تستخدم لتزيين الصندوق الفضى الذى يوضع فوقه الكتاب المقدس فى الخورس • وعلى ذلك فان هذا الصندوق موضوع رأسيا فوق حامل على كل ركن من أركانه ثقب لادخال مقبض المروحة •

وتوضع شمعة مضاءة فوق الجزء العلوى وبذلك تبدو المروحة وكأنها تؤدى وظيفة الشمعدان • وربما تكشف هذه الوظيفة عن ادراك الرمزية السرية التى ترتبط بالمروحة فى الطقس اليونانى • أما فى كنيسة أبو سرجة حيث عانى الطقس أو على الأقل العبادة من بعض الانهيار بالقياس الى دير الأمير تادرس المهجور ، مازالت توجد مراوح مشابهة من الفضة • وهى كما أعتقد ، تستخدم فى الأعياد الكبرى اذا لم يكن فى الاحتفالات العادية باقامة القداس ، وقد وجدت على المذبح بكنيسة الأنبا شنودة مروحة على شكل الفأس مصنوعة من الخوص المجدول مثل تلك التى يستخدمها العرب لترطيب وجوههم • أما حقيقة أن تلك المروحة مازالت تستخدم بانتظام أو أثناء فصل القيظ لخدمة المذبح ، فانها تبرهن على أن الاستخدام الصحيح للمروحة لم يذهب طى النسيان تماما •

---

(١) Gregory the Great's Liber Sacramentarum, ed. H. Menardus, Paris, 1642, p. 319.

حيث وردت العديد من الصلاحيات •



شكل رقم ٨ : المروحة والرسوم التى نفذت عليها بالحفر البارز

وفى طقس تنصيب بطريرك الاسكندرية ، يتحدث الفصل الخاص بهذا الموضوع عن مرور موكب احتفالى خلال الكنيسة تتقدمه الصلبان والأناجيل والشموع والمراوح أو أشكال الشاروبيم • ويستخدم الشمامسة المراوح عند السريان اليعاقبة ، وربما أيضا فى الطقس القبطى وذلك لتكريس الكاهن عند وضع اليد عليه • ويستخدم الملكانيون المصريون فى هذه الأيام مروحة معدنية ولذلك فاننا نجد فى كنيسة سانت جورج (مارجرجس) المقامة فوق البرج بمصر القديمة ـ مروحتين قائمتين على المذبح ، وبالاضافة الى ذلك فانهم يستخدمون سترا من الكتان مثل ذلك المستخدم لنفس الغرض لخدمة المذبح بالأديرة القبطية فى الصحراء ويسمى اللفافة • ولكنه حتى مع استخدام الحجاب أو الستر للترويح على العناصر المقدسة ، فانه مازالت المروحة المعدنية الأصلية تستخدم للمواكب الاحتفالية عند الملكانيين كما هو واضح فى الرسم •

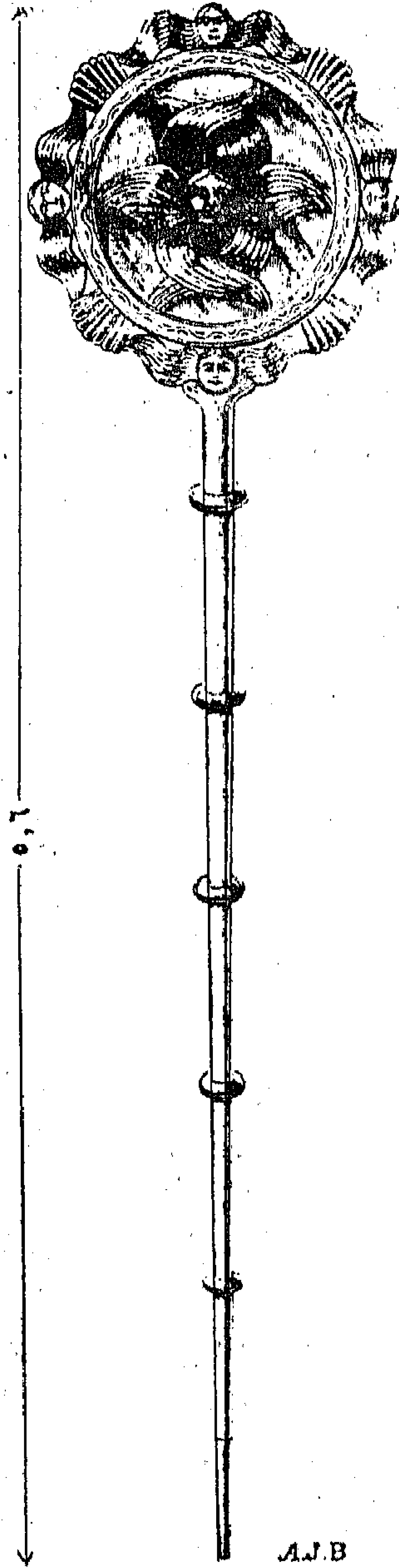
ونقرأ باستمرار عن المراوح التى تحمل فى المواكب الاحتفالية حسب الطقس القبطى وأيضا الطقس الأرمنى • وفى كلتا الحالتين لابد أنه كان يوجد نوع خاص من المراوح المخصصة للمواكب الاحتفالية يشبه المروحة الملكانية ، ولكن هذا النوع اختفى عند الأقباط منذ زمن بعيد •

وتبدو المروحة فى الكنيسة اليونانية وقد ابتعدت كثيرا عن الغرض الأصلى وأصبحت لها قيمة احتفالية أكثر من قيمتها العملية • والمروحة المبينة فى الرسم الذى قدمه جور Goar ـ مصنوعة من الخشب ومكونة من صورة صغيرة محفورة للسيرافيم ، مركبة على مقبض قصير • وهى أداة يبدو أنها قليلة الاستخدام لمجرد ابعاد الذباب وسائر الحشرات • أما فى الطقس اليونانى فان المروحة تستخدم بعد السلام ولحن الانتصار ، ومرة أخرى قبل الأواشى • وفى كلتا الحالتين يروح الشماس فوق العناصر المقدسة بما يعنى نفحة التأثير المقدس لهذه العناصر • وعلاوة على ذلك فانه فى يوم الجمعة العظيمة وأثناء تقديس الميرون عند حمل صندوق الزيت المقدس فى الموكب الاحتفالى فان هناك سبعة شمامسة يتحركون حوله من كل جانب من جانبيه ويحمل كل منهم مروحة • وعند غياب المراوح الصحيحة فان الطقس اليونانى يسمح باستخدام فوطة أو لفافة للترويح على الصندوق •

ويتضح لنا استمرار نفس هذا الاستخدام بين الأقباط ـ من مخطوط محفوظ بالفاتيكان (١) يصف موكب تكريس الميرون ، بأنه

---

(١) Ordo Consecrationis Chrismatis et olei Catechumenorum, ex cod. Vat. 44, ed. Tukio, quoted by : Denzinger, Ritus Orientalium, tom. 1. p. 251.



شكل رقم ٩ : مروحة مكفتة بالفضة تستخدم فى المواكب الاحتفالية لدى كنيسة الاسكندرية الملكانية

يتكون من اثنى عشر شماسا حاملين المصابيح واثنى عشر شماسا حاملين المراوح واثنى عشر كاهنا حاملين المجامر ، والأسقف حاملا وعاء الزيت المغطى ببساط الرحمة الأبيض الذى يحمله الشمامسة ، ويحيط بالأسقف حشد من رجال الاكليروس يحملون بأيديهم المراوح والصلبان • ويبدو أن الكلمة المستخدمة فى هذا النص القبطى وهى المستير ليست الا ترجمة لكلمة مازالت موجودة باللغة اليونانية •

أما الكنيستان المارونية والأرمينية فانهما تستخدمان كلاهما مروحة معدنية مصنوعة من الفضة أو النحاس ـ لها جسم دائرى محاط بعدد من الأجراس الصغيرة • ولا شك أن هذه الأجراس تعنى اثارة الانتباه الى الجزء الخاص من الخدمة والذى يتطلب هذا الاستخدام • وأكرر أن هذه الأجراس تعلق أحيانا بغطاء المذبح القبطى أو البطرشيل أو التونية • وقد أورد مالان فى مقدمته للترجمة التى قام بها لقداس القديس غريغوريوس الناطق بالالهيات ، وصفا مسهبا لكيفية استخدام الأرمن للمروحة ـ نقرأ فيه أن الأسقف يقوم قبل بدء الاحتفال بالدوران حول الكنيسة يتقدمه رجال الاكليروس الذين يحملون المراوح والرايات ، بينما يحمل هو فى يده الصليب الذى يبارك به عند نهاية كل صلاة تتلى بصوت مرتفع حتى الوصول الى تسبحة الشاروبيم • وتتحدث قطعة أخرى عن الترويح بالمراوح على مثال أجنحة ملائكة السيرافيم • ويذكر شاهد عيان روسى رأى هذا الاحتفال أن ضجة أصوات المراوح الفضية كانت بالنسبة له غريبة ولكنها مقبولة • ولاشك أن هذه الضجة كانت تنبعث من الأجراس لأن المروحة التى بدون الأجراس كانت شائعة الاستخدام فى العبادة اليونانية •

أما فى جورجيا فقد استخدمت المروحة منذ العصور القديمة ، ويبرهن على ذلك رسم قديم بالفريسكو موجود فى نكريزى يظهر فيه ملاكان بجوار المذبح وقد أمسك كل منهما بمروحة ذات مقبض طويل ، وقد زين القرص بصورة لملاك السيرافيم ولكن بدون أجراس • وقد وجدت المروحة طريقها الى الكنائس الغربية منذ العصور الأولى (١) ويقدم الكاردينال بونا وصفا لاستخدامها فى القرن السادس • وقد وجد رسمان يبدو أنهما لمروحتين وذلك على مذبح يعود الى القرن الثامن موجود بكنيسة القديس بطرس فى فرينتللو (٢) • وقد ورد فى قائمة محتويات كنيسة سانت ركوير بالقرب من أبيفيل فى سنة ٨٣١ للميلاد ذكر « مروحة

---

(١) See Paper in Archaeological Journal by the late Albert Way. Vol. v.

(٢) La Messe, vol. i, Pl lviii, and p. 171.

فضية لابعاد الذباب عن الذبيحة • وقد ورد فى أمينز سنة ١٢٥٠ للميلاد ذكر « مروحة مصنوعة من الحرير والذهب » • وفى سنة ١٢٥٣ للميلاد كانت كنيسة شابيلا فى باريس تحوز « مروحتين من الحرير الذى يسمى فى هذه الأيام بالموسلين » •

وقد ورد ذكر كلمة ايسموشوار esmuchoires فى قائمة محتويات عن سنة ١٣٧٦ للميلاد • ويوجد فى مكتبة روان كتاب خولاجى يعود الى القرن الثالث عشر به صورتان لأحد الشمامسة وهو يروح بمروحة بجوار المذبح ، أما فى هذا القرن الحالى فان قائمة محتويات كنيسة سالزبورى عن سنة ١٢١٤ للميلاد تذكر مروحتين من الرق ، ومادة أخرى، ربما كانت الحرير • وفى سنة ١٢٩٨ للميلاد كان بهيكل القديس فيث فى سرداب كنيسة سانت بول مرحة لطرد الذباب مصنوعة من ريش الطاووس • وحوالى سنة ١٤٠٠ للميلاد أهدى شخص يدعى جون نيوتون مقبض مروحة مصنوعا من الفضة الى كاهن كنيسة يورك • وحتى فى الايبارشيات البعيدة ، كان استخدام ريش الطاووس شائعا وعلى ذلك فقد ورد فى حكايات وكلاء الكنائس فى والكرويك وفى سافولك ، ذكر مراوح من ريش الطاووس •

ونظرا للارتباط بين الكنيسة الأيرلندية والشرق ، فاننا لا نستغرب أن نجد دليلا على استخدام المروحة منذ وقت مبكر يعود الى القرن السادس فى هذه الجزيرة • ويحتوى كتاب كيل على صورة تبين ملائكة تمسك بالمراوح ، وهى تشبه تقريبا المراوح المارونية • ونرى فى نسخة الأناجيل التى تنسب الى تريف (١) • أن الشكل الغريب للرموز الانجيلية المرفقة بها يمسك بمروحة فى احدى اليدين وسكين لتقطيع قربانة العشاء الربانى باليد الأخرى • وينتمى هذا الشكل الى القرن الثامن • وفى مخطوط ايرلندى يعود الى القرن الثامن ترى القديس متى مرسوما وفى يده مروحة (٢) •

وحسب ما أورده روك(٣) نجد أن المروحة كانت تستخدم فى الكنيسة الغربية بعد التقديس وقبل أوشية السلام • أما استيعاب قيمتها الرمزية فقد كان نادرا ولم يحدث الا متأخرا • وتختلف فكرتها هنا عن الفكرة اليونانية المتعلقة بنشر أريج التأثير المقدس ـ لأنها تعنى نشر النور وشحذ

---

(١) westWood, Miniatures and Ornaments of Anglo Saxon and Irish Mss., pl. xx.

(٢) Warren's Lit. & Rit. of the Celtic Church, p. 144.

(٣) Vol. iii. 8. p. 194.

الخيال . ويبدو أن استعمال المروحة قد زال كلية مع حلول القرن السادس عشر ، لأنه لم يرد لهـا ذكر فى كتاب « الصلوات الأسقفية (ميسى ابيسكوبال) "Missae Episcopales" الذى وضع لارشاد العامة حسب أمر مجمع ترنت ، وطبع فى البندقية سنة ١٥٦٧ . واليوم فان التذكار الوحيد للمروحة المستخدمة فى القداس يتمثل فى ريش الطاووس الذى يحمل أمام بابا روما فى الدورات الاحتفالية (١)·ولكن المروحة فى الكنيسة اليونانية ما زالت تحمل بواسطة الشماس عند التكريس رمزا لدوره الطقسى .

أما الابريق والحوض المستخدمان لغسيل الأيدى قبل القداس فهما جزء من أدوات المذبح القبطى ، ولاشك أنهما كانا يصنعان قديما من المعادن الثمينة . أما اليوم فان الابريق المصنوع من الفخار والصينية التى من القصدير ، يؤديان الغرض فى معظم الأحوال . ويوجد بكنيسة أبى سيفين حوض من البرونز المشغول حسب الصناعة العربية . وبه بعض النتوءات المطلية بالميناء . أما الابريق الذى من نفس الصنعة فيبدو أنه اختفى خلال السنوات الخمس أو الست الأخيرة . ويرتكز الحوض عامة فوق حامل خشبى منخفض فى الجانب الشمالى للمذبح . أما فى الكاتدرائية الموجودة بالقاهرة فقد رأيت ابريقا من الفضة يستخدم بطريقة غريبة . ذلك أنه بعد انتهاء القداس يقوم الشماس بصب الماء من الابريق على يدى الكاهن الذى يرش الهيكل أولا ، ثم بقية الكهنة الموجودين ، ثم يصعد فوق دكة فى الخارج وينثر قطرات من الماء على المصلين الذين يتزاحمون وعيونهم تنظر فى شوق لتلقى قطرات الماء . ويماثل ذلك استخدام الماء المقدس . أما فى الكنيسة اللاتينية فقد كان الحوض يسمى اكوامانيل aquamanile وكان يسلم الى الشماس أثناء التقديس كشعار للخدمة مثلما كان يسلم الابريق أو الجرة (أورسيلوس) urceolus الى الشماس . وعلى ذلك فاننا نجد فى كتاب القديس أوسموند (٢) أنه كان يطلب الى الشماس بعد دخول الشعب أن يحضر الحوض "Pevles cum manutergio" (بيفليس كوم مانيوترجيو) ويقول روك ان الشماس يتسلم ابريقا وحوضا ومنشفة عند التقديس (٣) مع ملاحظة أن الابريق والحوض كانا مصنوعين من المعادن الثمينة.وكان من الممكن أن تشبع أوانى حفظ الذخيرة المقدسة بالكنيسة القبطية لو كان مبدأ الحفظ موجودا بالكنيسة القبطية ولكن نظرا لأن كافة القوانين الكنيسة تستهجن مبدأ الحفظ ، لذلك كان من

(١) Dict. Christ. Antiq. s. v Flabellum.

(٢) C. 93.

(٣) Vol. ii. Pt. 2. p 34 n.

الطبيعى ندرة الأدلة الدالة على استخدام هذه الأوعية (*) وعندما أورد رينودو قصة قديمة عن القديس فيلوثاؤس بطريرك الاسكندرية الثالث والستين بدون قصد العبارة التالية :

(اركوس سيو سيبوريوم كود التارى ايمينيبات)
« arcus seu ciborium quod altari imminebat"

(اركوس سيو سيبرريوم كود التارى ايمينيبات)

وعلى كل حال فان نفس الكاتب يزعم أنه بالرغم من أن الحفظ مباح فى حالات الضرورة القصوى الا أن الذخيرة المقدسة كانت تبقى على المذبح مع وجود الشموع التى تضىء حولها ووقوف أحد الكهنة أمام المذبح لحراستها (١) • وبالرغم من وجود هذا الترتيب الا أنه لم يستدع أبدا استخدام اناء مستقل للحفظ • وفيما بعد وحوالى سنة ١٠٠٠ للميلاد قدمت شكوى ضد بعض الكهنة مؤداها أنهم كانوا يكسرون القانون بحفظ الذخيرة المقدسة لمدة أسبوع كامل ، حتى يوفروا على أنفسهم اقامة القداسات اليومية المرهقة • والآن فان الذخيرة المقدسة لا تحفظ ، ولا أظن أنه توجد كنيسة قبطية واحدة بها أى نوع من أنواع الأوانى المخصصة لحفظ الذخيرة المقدسة الا اذا كان صندوق المذبح الذى سبق أن تحدثت عنه قد استخدم فى العصور القديمة لحفظ الذخيرة المقدسة مثلماهو شائع لدى الأثيوبيين • وعلى كل حال ففى كنيسة أبو سرجة يوجد رسم مثير للاهتمام يمثل القديس اسطفانوس وهو يمسك فوق لفافة بيده اليسرى – آنية مطعمة بالجواهر على شكل صندوق مستدير يشبه التاج ويعلوه صليب • وربما كان هذا الصندوق آنية لحفظ الذخيرة المقدسة وان كان الاحتمال الأكبر أنه علبة للبخور • وهذه الصورة حديثة جدا ، ولم أر شبيها لها بالرغم من احتمال أن تكون نسخة من تصميم تقليدى ، ولم يكن من المعتاد ابقاء الذخيرة المقدسة فوق المذبح فى أى وقت الا اذا نظرنا الى ملحوظة رينودو على أنها تعنى هذه العادة ضمنيا • كذلك لانجد عند الأقباط شيئا يشبه حمامة الافخارستيا التى تعلق فوق مذابح الغرب المسيحى •

ولابد أنه كانت توجد بين أثاثات المذبح قديما حوامل للقوارير مصنوعة من الذهب أو الفضة ، أما الآن فلا يوجد سوى الآنية الزجاجية

(*) ينطلق هذا المبدأ من حقيقة الايمان بان الذخيرة المقدسة التى تحولت اثناء القداس الى جسد ودم حقيقيين للسيد المسيح ، لا يجوز ابقاؤها الى الليل وانما يجب تناولها قبل الغروب لان السيد المسيح قد اسلم الروح على الصليب قبل غروب الشمس وأنزل جسده عن الصليب قبل الغروب اشارة الى اتمام الخلاص • (المترجم) •

(١) Lit. or. vol. i, p. 116.

المعتادة • ولكن مازال هناك استخدام وحيد لدى القبط قد لاحظته مؤخرا فى العديد من الكنائس ــ ومن بينها كنيسة مارمينا على سبيل المثال ــ وان كان غير شائع ، وهو عبارة عن قارورة من الزجاج مملوءة بالخمر الذى لم يتقدس بعد ، وقد وضعت فى حامل قوارير خشبى يشبه الدولاب ، وقد سمر بالمسامير فوق حاجــز الهيكل من الجهــة الخارجية فى اتجــاه الشمال •ولا يوجد مثل هذا الترتيب فى الكاتدرائية بالقاهرة • كما أن موضع الحامل لا يرتبط بأى طقس معتاد حاليا • ولانستطيع التخمين بأنه ليس الا بقايا بعض الممارسات الطقسية المنسية •

ويوجد فوق حجاب الهيكل بكنيسة ست مريم فى دير أبى سيفين اثنان من هذه الحوامل •

أما استخدام هذه الحوامل فى الغرب والتى يطلق عليها أسماء مثل أميه ــ اميوليه ــ أمبولا (= قارورة) amae-amulae-ampulla فانه يعود الى زمن قديم جدا • ويوجد حاملان من الفضة يبلغ ارتفاع كل منهما ٧ بوصات ، يعود تاريخهما الى القرن الخامس أو السادس ، محفوظين بمتحف Museo Cristiano (= المتحــف المسيحى) بالفــاتيكان • ويقال ان البابا جون الثالث قد أمر حوالى سنة ٥٦٠ للميــلاد باستخدام هذا الحوامل ضمن بقية أوانى مزارات الشهداء فى روما • وقد ورد ذكرها فى أوردو رومانوس (الطقس الرومانى) Ordo Romanus • ويتحدث غريغوريوس الكبير عن حوامل مصنوعة من حجر الجزع (العقيق اليمانى) أو ربما من الزجاج الذى يشبه حجر الجزع •

وقد استخدمت كلمة امبولا (= قارورة) ampulla أيضا للدلالة على الاناء الذى استخدمه اللاتين لحفظ الميرون المقدس • ولا يوجــد لدى الأقباط اليوم مثل هذا الاناء ، فهم رغم أنهم يستخدمون الميرون الا أنهم نسوا قدسيته السابقة وتميزه عن بقية الزيوت المقدسة ، الا أن الميرون مازال مستخدما هنا وهناك محفوظا فى آنية زجاجية مسدودة بقطعة من القماش ومتروكة فى ركن مغطى بالتراب • وعلاوة على ذلك فان كنيسة الأنبا شنودة بها وعــاء قديم لحفظ الميرون عبارة عن صنــدوق خشبى مستدير به غطاء مستدير • والصندوق صلب ولكن به ثلاثة ثقوب بارزة الى الخارج يوضع فى كل منها زجاجة للزيت • ولكننى لاحظت أنه حتى الكاهن نفسه لايعرف أن الغرض الأصلى من الصندوق هو أن يحمل ثلاثة أنواع الزيت المقدس المستخدم فى عبادات الكنيسة (١) •

---

(١) انظر الرسم الموجود على ص ٤١ من هذا الجزء من الكتاب (شكل رقم ٦) •

ـــ أما بخصوص انارة المذبح فيبدو أن أقدم العادات جرت على وضع شمعتين قريبتين من المذبح وليس فوقه • ولا يزال الدليل على ذلك موجودا بكنائس أديرة الصحراء حيث نجد زوجا من الشمعدانات الحجرية التى تحمل الشموع ، قائمين ملامسين للمذبح فى الجانبين الشمالى والجنوبى ، ولكن العادة التى يطبقها الأقباط حاليا تماثل تلك التى تطبقها الكنائس الغربية ، حيث يسمح بوضع شمعتين فقط على المذبح ، بصرف النظر عن تعدد المصابيح والشموع التى تضاء حوله من الخارج • وغالبا ما تصنع الشمعدانات ـ خاصة تلك الموجودة بالهياكل الجانبية ـ من الخشب وبها مزالج من الحديد لتركيب الشموع مثل تلك الشمعدانات القديمة الموجودة بقاعة سانت كروس بالقرب من ونشستر ، وبها تصميمات مختلفة من البرونز • وقد كانت الفضة يوما هى المعدن المعتاد استخدامه فى صناعة الشمعدانات • وحتى الآن فمازالت الشمعدانات الفضية مستخدمة فى الكاتدرائية ، ومن الغرابة أن نذكر أنه بينما توجد شمعتان فقط فوق المذبح فان الشمامسة يتحركون حوله أثناء القداس وفى أيديهم الشموع ، بل انهم أيضـا يسندون الشموع على المذبح فى بعض الأحيـان • وهناك ما يشـــبه تلك العادة فى الكنائس اللاتينية حسب ما كتبه ايذيدور السفيلى (١) فى القرن السابع الميلادى • وسنقدم فى موضع آخر قصة المصابيح المختلفة التى وجدت بالكنائس المصرية •

أما صليب الصلبوت فهو غير معروف فى مذابح أو كنائس القبط ، وان كان يوضع صليب لليد صغير الحجم على جانبه (وليس مرفوعا) للاستخدام أثناء الصلاة • وكان هذا الصليب يصنع قديما من معدن ثمين ويرصع بالجواهر ، الا أنه يصنع اليوم من قاعدة فضية • أما تصميم هذا الصليب الغريب فنذكره فيما بعد • أما الاستثناء الوحيد لهذا الصليب المستخدم للمذبح فنجده فى الهيكل الجانبى بكنيسة الأنبا شنودة حيث يوجد بها صليب صغير من الخشب مطعم بحشوات من عرق اللؤلؤ •

ـــ ومن بين أدوات المذبح فى الكنائس القبطية كتاب البشارة الذى يوضع فوق المذبح دائما فى كل الأوقات ، فيما عدا وقت الانجيل • وهذا الكتاب يتكون من مخطوط موضوع فى علبة من الخشب ومغطى من جميع الجهات بغلاف معدنى مغلق تماما ، وبذلك فان الكتابة الموجودة بداخله مختومة دون أن ينفتح عنها هذا الغلاف • أما هذا الغلاف الخارجى فهو مصنوع من الفضة ، وأحيانا من النحاس ومزين بحروف قبطية بارزة ورسوم للملائكة الشاروبيم وأزهار وصلبان ، وبعضها فائـق الجمال ،

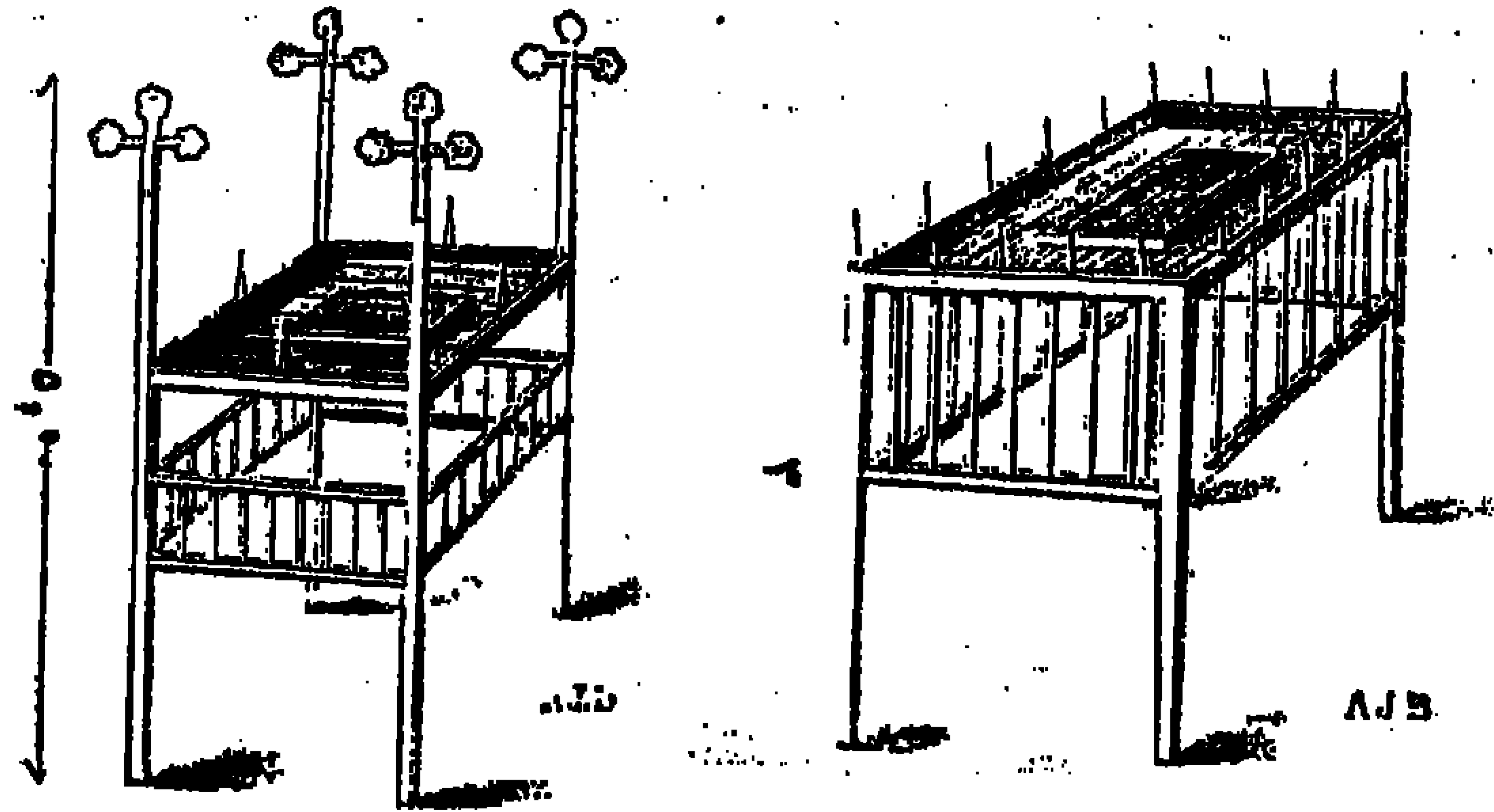
---

(١) Etym. vii. xii. 29.

مثل تلك البشارة الكبيرة الحجم الموجودة بكنيسة القديسين أباكير ويوحنا وهى التى ترى صورتها فى شكل رقم ١٠ • ولكن الحجم العادى أصغر من ذلك بكثير حيث تبلغ مساحتها فى العادة ٧ × ٤ بوصات • والمقصود بالغلاف المعدنى هو حفظ النص المقدس فى وقت كانت فيه نسخ الأناجيل نادرة وحتى لا ينفتح هذا الغلاف ، وحيث ان النسخ القديمة تستخدم مع النسخ الجديدة فان النسخ الأكثر قدما والأرفع قيمة ، هى تلك الموضوعة داخل الغلاف المختوم والمحفوظة كمخلفات مقدسة • ولكن نظرا لأن العلب الموجودة لا تعود الى ما قبل القرن الخامس عشر ، فاننا نشك فيما اذا كانت مازالت تحوى مخطوطات قديمة أو ذات قيمة •



شكل رقم ١٠ : علبة حفظ البشارة



شكل رقم ١١ : اثنان من حوامل الانجيل بهما ثقوب اسطوانية لتركيب الشموع

وقد فتحت علبة أو اثنتان فلم تكشفا الا عن ورقة أو رقتين من الانجيل ، وبعض قطع من نسيج الحرير • ولا يفوتنا المعنى المقصود من حفظ الانجيل داخل الغلاف المختوم ، لأنه حتى اليوم وقبل قراءة الانجيل أثناء خدمة القداس يأتى الشماس بالبشارة الفضية من فوق المذبح ويسلمها الى الشماس الذى سيقرأ الانجيل لكى يضعها أمامه فوق المنجلية وبعد الانتهاء من قراءة الانجيل تعود البشارة الفضية الى مكانها فوق المذبح • ونفس هذا الاستخدام الرمزى للبشارة المختومة يتم فى المعمودية، وغير ذلك من الاحتفالات التى يستخدم فيها حامل الانجيل • أما الحامل نفسه فهو مجرد لوح مربع أو ثمانى الشكل ، وهو فى بعض الأحيان عبارة عن منضدة لها أربع أرجل ولكن يثبت به فى جميع الأحوال مجرى يسمح بوضع البشارة الفضية التى تقف على طرفها السفلى فى وسط اللوح • وقد ركبت مزالج حديدية حول حامل الانجيل بها شموع مضيئة • وفى بعض الأحيان توضع فى أركان الحامل صلبان معدنية وأحيانا مراوح فضية كما هو الحال بكنيسة الأمير تادرس • وكثيرا ما تستخدم علبة البشارة الفضية من أجل قبلة السلام كما هو الحال فى السلام اللاتينى • وهى أيضا تحمل فى الدورات الاحتفالية مع المجامر والشموع والصلبان — وهى عادة تم التنويه عنها فى عصر افرايم حوالى سنة ٩٨٠ للميلاد ، وأيضا فى نظام القديس مقاريوس حوالى سنة ١١٠٠ للميلاد •

أما التقليد الأرمنى فى هذا الخصوص فربما كان من الضرورى ذكره بوصفه أحد أوجه الشبه بين الممارسات الأرمنية والقبطية • ففى الكنائس الأرمنية يحفظ الانجيل داخل حاجز من الفضة مزين بالجواهر أحيانا •

كما يحفظ أحيانا أخرى داخل علبة من الفضـة ويوضع على المذبـح • ويستخدم النساطرة أيضا غلافا للانجيل ، وان كنت غير متأكد من مادة هذا الغلاف•وان كان يبدو أقرب الى العلبة التى يستخدمها الايرلنديون وتسمى cumhdach ، أكثر منه الى العلبة المختومـة التى يستخدمها الأقباط • ويوجد تنويه عنها فى صلاة رسامة الأسقف ، حيث يقوم رئيس الشمامسة بفتح غلاف الانجيل فوق ظهر ورأس الأسقف ثم يضع الانجيل فوق الغلاف بطريقة تجعل الانجيل فى مواجهة من سيقوم بالقراءة (١) •

اما أن علبة البشارة القبطية المختومة لاتوجد بين الملكانيين المصريين، فذلك يبرهن على أنهـــا تقليـد تختص به كنيســة الاســكندرية القبطية الأرثوذكسية • وعلى سبيل المثال فاننا لا نجد بين نفائس كنيسة القديس نيقولاوس Nicholas بالقاهرة أى أثر يتعلق بغلاف البشارة القبطى ، بالرغم من أننا نجد فى هذه الكنيسة أغلفة فاخرة عديدة للكتب والأناجيل والأبصلموديات والخولاجى ، وهى من الذهب والفضة ومرصعة بالأحجار الكريمة ، ومغلقة بمقابض مرصعة بالجواهر •

وبالرغم من أن البشارة فى كنائسنا الغربية ليست محكمة الغلق ، الا أننا نقرأ عن نسخة منهـا « محفوظة بين لوحين سميكين من الذهب الصلب ومرصعة بالجواهر » (٢) • وهناك نسخة أخرى ذكرها اديوس Eddius فى كتابه عن : حياة القديس ويلفريد St. Wilfred ، كانت محفوظة فى لوحـين من الذهب المنقوش ومزينة بالجواهـر • وكان فى كاتدرائية سالزبورى سنة ١٢٢٢ علبة لحفظ الكتاب المقدس مصنوعة من الذهب ومزينة باثنتين وستين قطعة من الأحجار الكريمة ، بينما امتلكت كاتدرائية كانتربرى فى سنة ١٣١٥ ما لا يقل عن سبعة كتب فى علب ذهبية والعديد من الكتب فى علب فضية • وكان هناك العديد من هذه العلب فى كنائس القديس بولس والقـديس بطرس فى يورك York وفى لنكولن Lincoln وغيرهما من الأماكن (٣) ، ولكن التشابه الشديد بين العلب القبطية والأيرلندية القديمة يبدو أقرب وأكثر غرابة ، فقد تعود الأيرلنديون منذ أوائل القرن السادس على استخدام « علب معدنية من البرونز المنقـوش أو الفضـــة لحفظ نسـخ الانجيل أو غـيره من المخطوطات » (٤) • ومن أفضـل هذه النماذج كتاب أرماج Book of

(١) Denzinger, Ritus Orientalium, tom ii. p. 271.

(٢) Rock, vol. i. p. 272.

(٣) Id. Ib. p. 297.

(٤) Warren's Lit. & Rit. of the Celtic Church, p. 21.

Armagh وسفر المزامير الخاص بالقديس كولومبا St. Columba الذى مازال محفوظا فى الأكاديمية الأيرلندية الملكية وكتاب ديماماك ناثى Dimma Mac Nathi وكتاب Miosach ميوساخ الموجودان حاليا بكنيسة القديس كولومبا فى راثفارنهام Rathfarnham (١) ٠
أما كتاب Stowe Missal (ترتيب القداس) فانه محفوظ فى علبة معدنية مصنوعة فى القرن الحادى عشر لكى يستمر استخدامه لعدة قرون٠ وتعتبر هذه نقطة أخرى للتشابه بين الكنيسة الأيرلندية وكنائس الشرق ، بالاضافة الى النقاط الأخرى التى ذكرها مستر وارين ٠

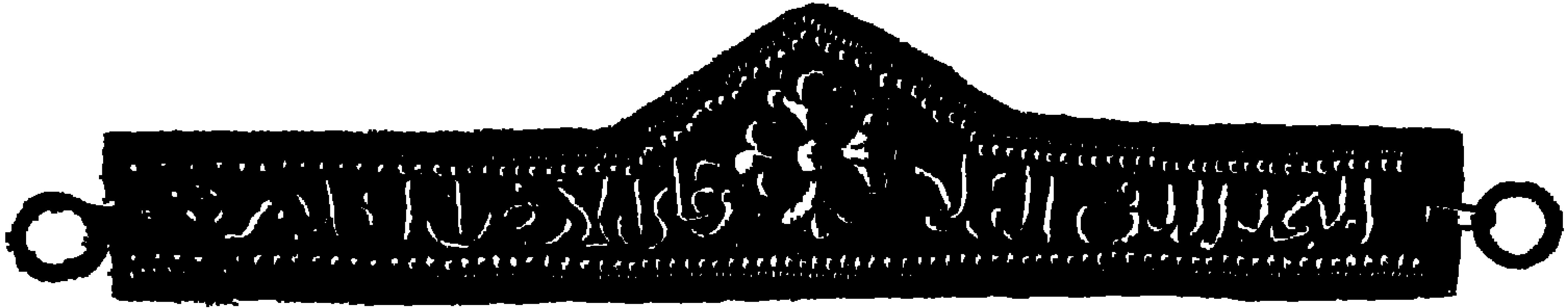
ومن الأشياء الخاصة بالمذبح علبة البخور الفضية بالرغم من أن الباقى من هذه العلب ليست له قيمة فنية ٠ ويوجد بكنيسة القديسة بربارة صندوق بخور صغير مصنوع من الخشب به نقوش بارزة جديرة بالاهتمام ٠ وتوجد بجميع الكنائس ، المجامر المصنوعة من البرونز أو الفضة ٠ علما بأن الفضة تمثل أكثر المعادن شيوعا ، وأن بعض المجامر الفضية مصنوعة بطريقة جميلة مثل تلك التى كانت مستخدمة بكنائس الغرب فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر ٠ والحقيقة أن بعضها مصنوع من البرونز بقاعدة بارزة ونقوش حول الحافة ، الا أن الذهب كان هو المادة الكثيرة الاستخدام فى العصور القديمة ٠ واليوم نجد المجامر التى فى معظم الكنائس ، مصنوعة من الفضة ومزخرفة بنقوش بارزة ، ومركبة بها سلاسل مربوط فيها أجراس صغيرة أحيانا ٠ ويمكن أن نرى نموذجا لها فى صورة القديس اسطفانوس التى سنوردها فى فصل قادم ٠

وأخيرا نذكر من بين توابع المذبح الاكليل المستخدم فى عقد القران ٠ وهو تاج من الفضة أو الذهب منقوش عليه نصوص أو صلبان أو غير ذلك من أشكال الزينة المناسبة ٠ وهو يوضع فوق جبهة كل من العريس والعروس أثناء الاحتفال بالزواج فى الكنيسة ٠ والنموذج المرسوم هنا مصنوع من الفضة وعليه عبارة بارزة فى وسطها صليب ، والعبارة مكتوبة باللغة العربية ونصها : المجد لله فى العلا وعلى الأرض السلام ٠ وهى مكتوبة بين صفين من النقط البارزة ٠ أما الأرضية فهى مغطاة بزخارف دقيقة وقد نقش عليها نصان خاصان بالتكريس ومكتوبان بخط صغير عند الطرفين اللذين ربطت فى كل منهما حلقة ٠

أما هذا الاكليل الذى كان يعتبر عند بداية استخدامه ــ تقليدا وثنيا ، فان استخدامه يعود الى زمن بعيد جدا ، ويقال ان الكنيسة كانت تستخدمه فى القرن الرابع ٠ وحسب الطقس اليونانى والقبطى فانه يتحتم

---

(١) Westwood's, Miniatures, & c., pp. 80, 82, 83, 84.



شكل رقم ١٢ : اكليل عقد القران

تتويج العريس والعروس كليهما . ويتبع نفس هذه العادة ، الأرمن الذين يستخدمون اكليلا من الزهور بدلا من الاكليل المعدنى . أما عندنا فى انجلترا فلا يوجد دليل كاف على وجود الاكليل ضمن أثاث المذبح . ويتحدث روك Rock عن اكليل من الجواهر يسمى Paste كانت تلبسه العروس أمام المذبح . وينقل عن بعض نظار الكنائس حكايات تختص بهذا الاكليل عند زواج العذارى فى سنة ١٥٤٠ . وقد أمر أحد قوانين مجمع اكستير Exeter الذى عقد سنة ١٢٨٧ بأن يكون لدى كل كنيسة حجاب للزواج (١) . وقد حفظت بعض أكاليل الزواج الدنماركية فى متحف ساوث كنسنجتون South Kensington .

(١) Church of our fathers, vol. iii. Pt. 2. p. 174.

أثاثات وزخارف مبنى الكنيسة

المنابر ـ المنجليات ـ صناديق حفظ الرفات ـ المصابيح والأنوار ـ الأكاليل بيض النعام ـ الأجراس ـ الآلات الموسيقية ـ الرسوم الجدارية ـ الصور

ان المنابر المتعددة الأضلاع التى تشبه مثيلاتها فى الغرب ، ليست حديثة الاستخدام فى الكنائس القبطية ، وليست نادرة ، ولكن لها مميزاتها الخاصة بها • انها تختلف عن النموذج الغربى من حيث استقامة جوانب شرفاتها التى تتناسب مع المكان الدائرى المقامة عليه • ان الشرفة تمتد دائما من الشرق الى الغرب • ونجد أن الشرفة والمنبر كليهما مصنوعان من الرخام الأبيض ، ومزخرفتان بالزهور ، أو مطعمتان بالعاج أو الصدف الفاخر أو الموزاييك الملون • وفى بعض الأحيـان نجد درجا من السلالم يصعد الى المنبر ، بينما نجد فى أغلب الحالات أن السـلم المتحـرك هو الوسيلة الوحيدة للصعود اليه • وأشك فيما اذا كان أى من المنـابر الموجودة حاليا يعود الى أبعد من القرن العاشر الميلادى بالرغم من أنه من المحتمل أن يكون المنبران اللذان بكنيستى المعلقة وابى سيفين واللذان نقدم صورتيهما هنا ـ يعودان الى فترة أبعد من ذلك • ولابد أن نتذكر دائما أن العرب فى مصر قد استعاروا معظم فنونهـم من الأقباط ، وأن الفنون التى طورت مرة ، لها مقاومة آلية لقبول التطوير مما يجعل أى حجة متعلقة بتشابه النماذج ، لا تتخذ دليلا على الانتماء الى نفس الحقبة التاريخية ، ولذلك لا يستطيع الانسان أن يقرر تاريخ الانجازات الفنية القبطية بمقارنتها مع مثيلتها العربية التى لا نستطيع التأكد من تاريخها • ولكن يوجد فى احدى كنائس وادى النطرون منبر خشبى ثمانى الأضلاع، وأظن أن تاريخه يعود الى القرن الثامن •

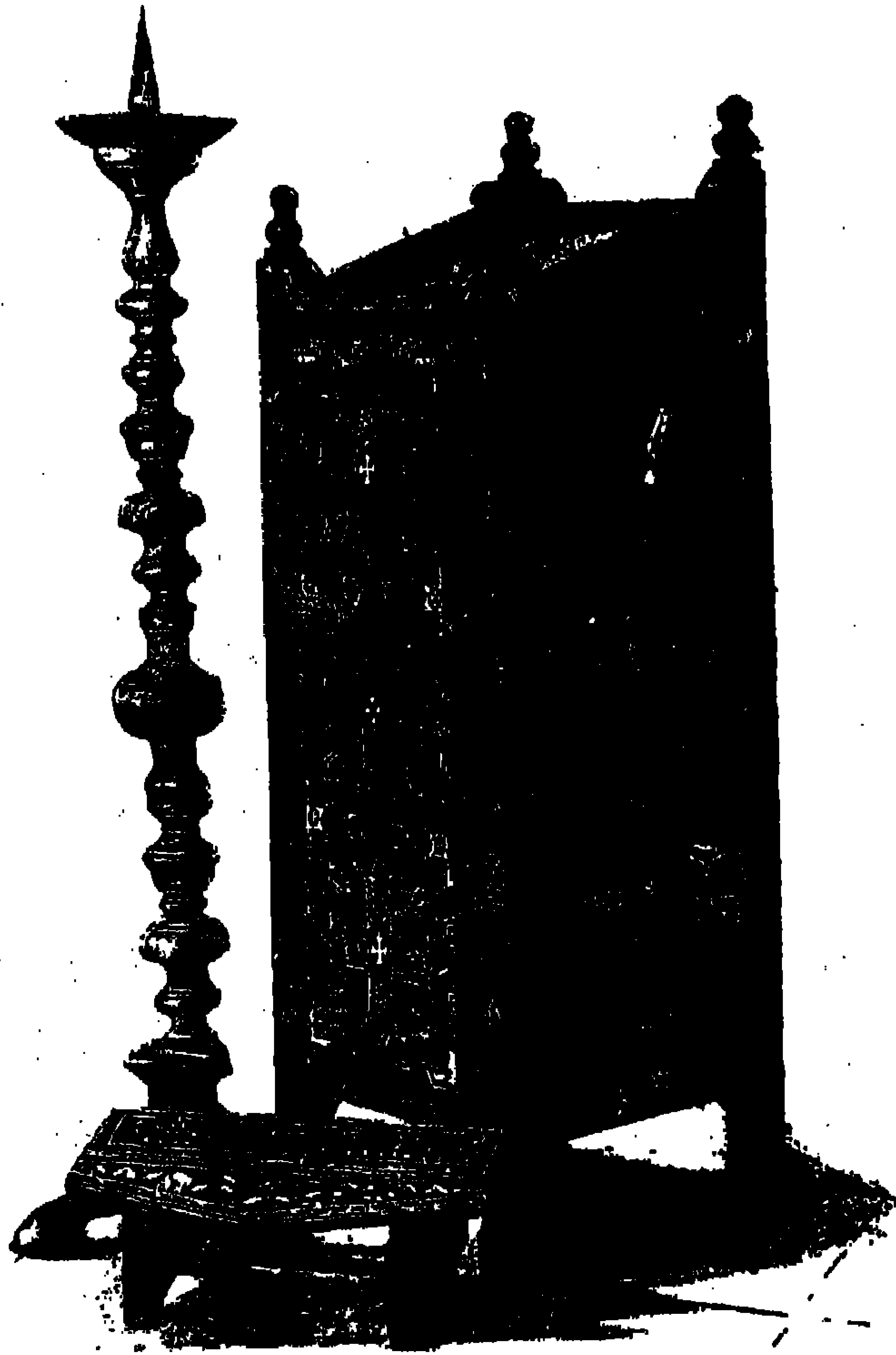
أما فى انجلترا فان المنابر لم تستعمل قبل القرن الثالث عشر ، وكانت العظة قبل ذلك تلقى أمام صليب الصلبوت ولكن يبدو أن المنبر

لم يكن معروفا تماما فى كنائسنا أو الكنائس القبطية بالشكل الذى كان مألوفا فى الكنائس اليونانية القديمة أو فى الكنائس البازيليكية اللاتينية القديمة ـ مثل ذلك الذى كان موجودا بكنيسة القديسة صوفيا Sophia بالقسطنطينية ، أو الذى ما زال موجودا بكنيسة سانت أبو لليناز St. Apollinare Nuovo فى رافنا Ravenna أو بكنيسة القديس اكليمنض S. Clemente فى روما ، أو بكنيسة تورشيللو Torcello بالقرب من البندقية Venice ـ تلك المنابر التى تتميز بمدرجين منخفضين من السلالم مع مدخل مزدوج وشرفتين قصيرتين بدون المنطقة الدائرية . وذلك هو الشكل المعتاد فى رسوم المنابر الموجودة بالمناظر الايطالية الصغيرة على العاج أو الرق والتى تنتمى الى القرنين العاشر والحادى عشر أما المنبر اللاتينى فانه بوجه عام يقوم فى وسط الصحن . أما المنبر القبطى فهو مثله مثل المنابر الموجودة بالكنائس الانجليزية ، يقام فى الجانب الشمالى من الصحن بالقرب من الخوروس .

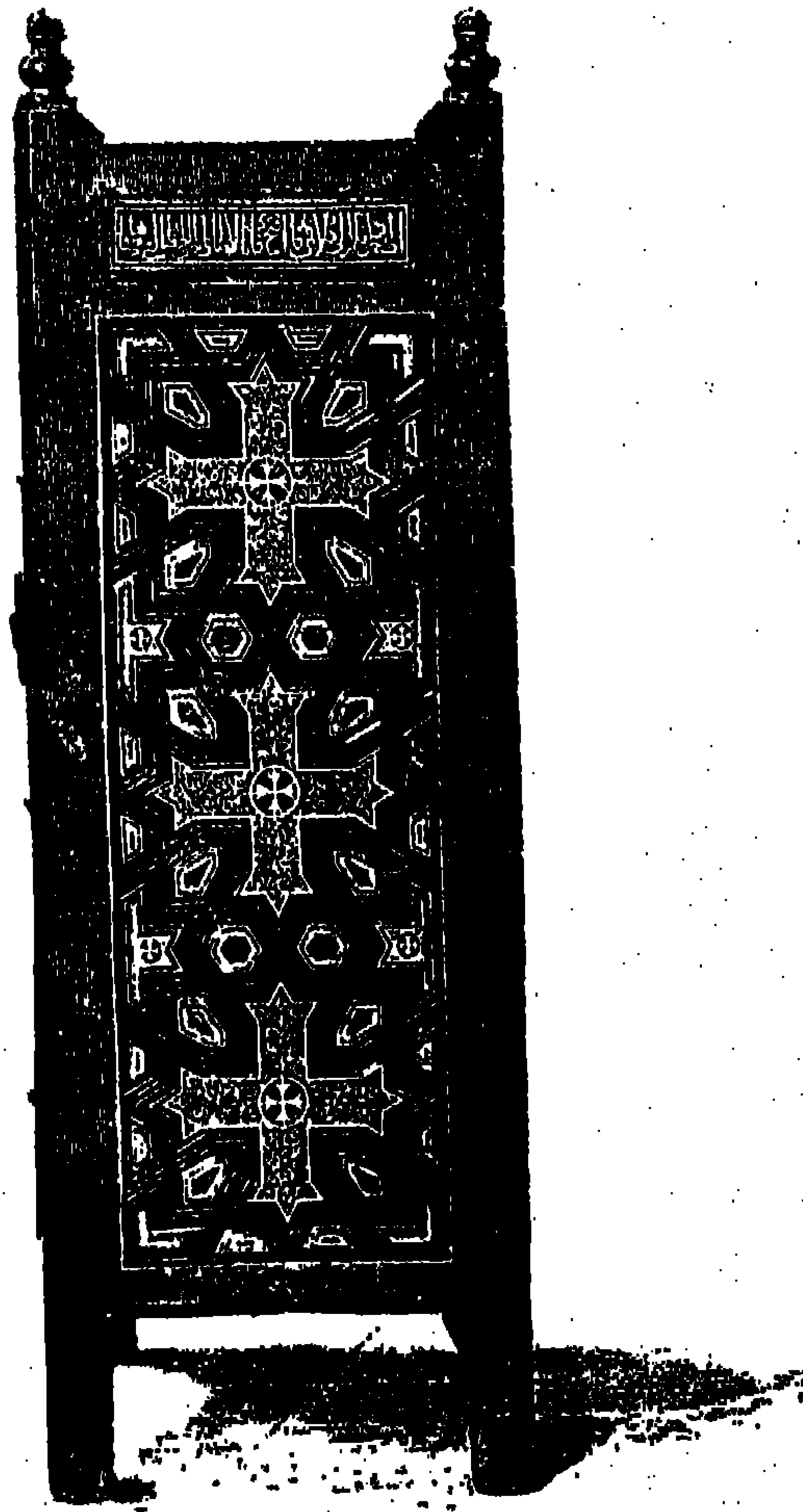
أما المنجلية المستخدمة عند الأقباط فهى عبارة عن تختة خشبية تبلغ مساحتها حوالى ١٥ بوصة مربعة ، وارتفاعها حوالى ٤ أقدام ومجهزة بحامل منحدر لوضع الكتاب . ويتخذ الجزء السفلى من هذه التختة شكل دولاب لحفظ كتب الخدمة . أما النصف العلوى فهو مفتوح فى بعض الأحيان بحيث يكشف عن الأعمدة القائمة فى الأركان . وتزخرف المنجلية بتصميمات هندسية ، كما تطعم أحيانا بحشوات من العاج بطريقة تدل على مهارة الصنعة . وأفضل النماذج لهذه المنجلية تتمثل فى تلك الموجودة حاليا فى الكاتدرائية (المرقسية) بالقاهرة ، ولما كانت هذه المنجلية فى يوم ما خاصة بالكنيسة المعلقة فربما كان تاريخها يعود الى القرن العاشر أو الحادى عشر ، وهى عمل فنى رائع . أما الاضافات التى من العاج فهى تتميز بالتشطيب الرفيع الانجاز . أما الصلبان والمربعات المحفورة مع النقوش العربية فهى عبارة عن كتل صلبة من العاج مصممة بطريقة بارزة . أما الرسمان اللذان قدمناهما فهما مأخوذان عن صورتين فوتوغرافيتين . وتوضع المنجلية دائما فى الخوروس أمام باب الهيكل . وهذا هو الموضع الذى يحتله المنبر فى كنيسة القديسة صوفيا . وفى العادة توضع منجليتان ، ولكن فى هذه الحالة فان المنجلية التى توضع على اليمين تخص الهيكل الجانبى . ويقف القارىء فى مواجهة الشرق ، بينما يتجه بظهره نحو جمهور المصلين .

وأحيانا تستخدم لتغطية المنجلية أغطية من الحرير أو غيره من الأقمشة الغالية ، ومن أمثلة هذه الأغطية الموجودة بكنيسة الأنبا شنودة والذى يغطى الحامل المنحدر ويصل الى منتصف مقدمة الجانب الأمامى أى

الغربى والجانب الأمامى منه مطرز عليه صليب . ويترك على المنجلية دائما كتاب مضاء ، به المزامير المعدة للتلاوة ، وتوضع أطباق العطاء المصنوعة من الخوص أو المعدن ، والآلات الموسيقية المستخدمة فى الخدمة مثل الصنوج والمثلثات والأجراس الصغيرة التى تطرق بقضيب معدنى على الرف المفتوح تحت الحامل المنحدر أو فى الدولاب . ويقف بجوار المنجلية شمعدان متشعب طويل من البرونز المزخرف ، يذكرنا بالعمود الرشيق الذى يقف بجوار المنبر فى الكنائس اليونانية واللاتينية ويستخدم كشمعدان لوضع شمعة الفصح أو الحمل . أما المجمرة المستخدمة فى الخدمة فانها تعلق بوجه عام فى الصفيحة المستديرة تحت وضع الشمعة التى فى الشمعدان الخاص بالمنجلية .



شكل رقم ١٣ : المنظر الأمامى للمنجلية المطعمة بالعاج الموجودة بالكاتدرائية بالقاهرة



شكل رقم ١٤ المنظر الخلفى للمنجلية المطعمة بالعاج

وبالرغم من أن تعظيم الرفات ممنوع لدى الكنيسة القبطية (١) ، الا أن الأقباط يعتقدون فى فضائلها وسلطانها العظيم ، ولذلك نجد أن بكل كنيسة الرفات الخاص بها وهو يخص القديس شفيع هذه الكنيسة . ولكنها بدلا من تعريضها للأنظار فانها محجوبة تماما فى صناديق على شكل أنابيب مغطاة بالحرير أو ما يشبه ذلك من الأقمشة الغالية الثمن والمطرزة بخيوط الذهب . ولا يعرف أحد ماهية الرفات المحفوظ داخلها ، وهل هو

(١) ليس هذا صحيحا — (المترجم) .

بعض الأسنان أو العظام أو الشعر أو قصاصات من الثياب • وتحفظ هذه الأنابيب داخل دواليب أو خزائن سفلية أمام أيقونة القديس أو الشهيد الذى تخصه ، ونادرا ما توضع داخل صناديق نقالى كما هو الحال بالكنيسة المعلقة • وفى كنيستى حارة الروم يمكن رؤية السيدات جالسات على الأرض وهن يحتضن أنبوب الرفات الذى يتبادلنه فيما بينهن بينما هن يثرثرن فى الأمور الدنيوية بدون اهتمام ، لأنهن يلتمسن قوة الشفاء التى تتمتع بها الرفات بصرف النظر عن مدى خطورة الأمراض التى يعانين منها • وبنفس الطريقة رأيت أحد الكهنة وهو يضع يديه على رأس ولد كان يعانى من الصداع • أما أنابيب الرفات المصنوعة من المعدن أو غيره من الوسائط الثمينة والأضرحة المطلية بالميناء الفاخر والمرصعة بالجواهر التى تنتمى الى فنون العصور الوسطى ، فاننى أظن أنها لو كانت موجودة بالكنائس القبطية فلابد وأن تكون قد زالت منذ أمد طويل ومعها ذكرياتها • واذا كان الأقباط يتمسكون بالاعتقاد القديم فى قدرة الرفات على صنع المعجزات الا أنهم لا يعطونهـــا نفس التعظيم التعبدى الوثنى الذى تقدمه كنيســة روما ، ولذلك فاننى أشك فى أنهم أسرفوا فى تبديد قدراتهم الفنية وثروتهم لعمل المزارات التى تحوى الرفات •

أما القناديل والأضواء الخاصة بالكنائس القبطية فهى متعددة وجميلة بحيث تتطلب عرضا مسهبا • وفى البداية ــ أذكر وأنا فى شديد الأسف والحسرة ــ القنــاديل القديمة المصنــوعة من الزجاج المطلى بالتصميمات الرائعة من الميناء ومجموعات الكتابة العربية المنقوشة بأجمل الألوان ، وأيضا تلك التى تنتمى الى أعمال فنانى القرن الثالث عشر والتى كانت معلقة يوما ما أمام الهيكل فى العديد من الكنائس القبطية ولكنها اختفت الآن كليــة ولم يتبق منها الا عينــة واحــدة أو اثنتان يمكن مشاهدتهما فى المتحف البريطـــانى ومتحف ســاوث كنسنجتون Kensington ولكل قنديل ثلاثة مقابض لكى يعلق بها وهى تشكل اطارا يدخل فيه وعاء الزيت • أما تأثير النور الذى يشع فيه فقد كان ينتشر ناثرا كافة ألوان الميناء فى بهاء عظيم • وما زال شكل نفس هذا القنديل المصنوع من الزجاج غير المزخرف ، موجودا فى كنيســة أو كنيستين كما هو الحال بكنيسة أبى سرجة حيث يخفونه ولا يستخدمونه سوى مرة واحدة فى السنة فى يوم الجمعة العظيمة (١) • كما يوجد قنديل آخر بكنيسة ست مريم فى دير أبى سيفين • وقد زينت كنائس أديرة الصحراء والعديد من المساجد القديمة فى القاهرة ، بهذه القناديل الفخمة ، ولكن قبل الحرب

---

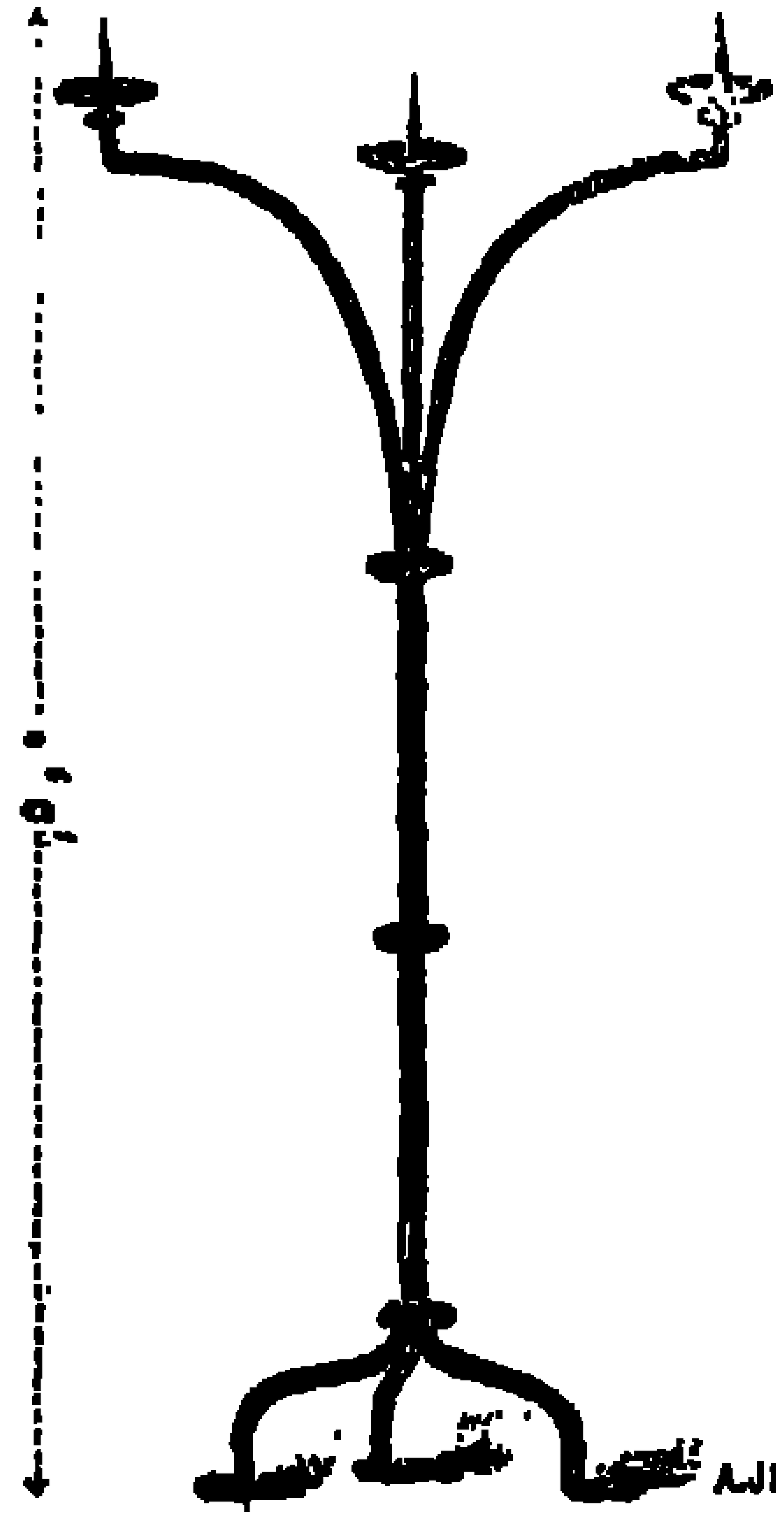
(١) انظر الرسم الموجود فى شكل رقم ٦ من هذا الجزء من الكتاب •

بقليل (*) رفعت كافة هذه القناديل حسب أوامر رياض باشا رئيس الوزراء حينذاك ، وتم تخزينها فى صناديق وضعت بالمكتبة العامة • وقد خفف من أسفنا ما سمعناه عن أنها مصنفة الآن تحت رقم (٨٠) فى متحف الفن الاسلامى بمسجد الحاكم ، ومن هناك استعار متحف ساوث كنسنجتون Kensington أربعة منها • وهذه الأربعة الأخيرة يعود تاريخها الى القرن الرابع عشر وهى رائعة الجمال • وللعلم فان ثلاثة منها تخص مسجد السلطان حسن وقد صنفت تحت عنوان : ممتلكات هـذا السلطان الذى حكم حوالى سنة ١٣٥٠ للميلاد • أما القنديل الرابع فهو يحمل اسم الملك الظاهر برقوق ، ويعود تاريخه الى حوالى سنة ١٣٩٠ للميلاد ، وهو أول سلاطين المماليك الجراكسة وقد نقش حول القناديل الثلاثة الأولى آيات قرآنيـة باستدارة عنق القنديل ونصهـا كما يلى : « الله نور السموات والأرض • مثل نوره كمشكاة فيها مصباح • المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى » • أما ألوان الطلاء السائدة فهى الأزرق والأحمر الغامق ، كما استخدم اللونان الأبيض والأخضر الزيتونى مع بعض اللمسات الخفيفة •

وليس هناك محل للتساؤل حول أن أغلبية العينات الباقية من هذه القناديل المطلية بالميناء ، انما هى عربية الصنع ، وأنه كانت هناك أثناء العصور الوسطى مصانع كبيرة للزجاج فى دمشق أو بالقرب منها ، وربما فى القاهرة أيضا • ولكن سواء كانت هذه القناديل تعود الى أصل عربى أو بندقى ، وسواء كان فن الطلاء بالميناء على الزجاج قد انتقل من البندقية الى القاهرة ودمشق أو أنه ظهر أولا فى الشرق ، فتلك قضية موضع أخذ ورد ولن أحاول اقرارها بمعرفتى • وعلى كل حال فانه توجد بعض الأدلة الشاردة التى يبدو أنها تبين أن تدفق التيار كان فى اتجاه الشرق وليس الغرب • وهناك شكل آخر للقناديل الزجاجية ذات الجسم الكروى والعنق القصير والفوهة الواسعة والساق المكونة من حلقات تتجه الى أسفل حيث تنتهى بسقوط يشبه آلة الفلوت الموسيقية ، ويبدو لى أنها تعود الى أصل بندقى • وجسم الواحد من هذه القناديل به دوائر فى داخل كل منها رأس أسد بارزة ــ وهـذا النوع من زخرفة الزجاج يعود الى الأصـل البندقى • ولم أجد فى جميع الكنائس القبطية الا اثنين فقط من هذه القناديل ، أحدهما وهو المبين فى الرسم موجود بالخزنة التى فى كنيسة ست مريم بدير أبى سيفين • والآخر معلق أمام حجاب المذبح بكنيسة

(*) يقصد الحرب التى شنها الانجليز ضد عرابى والجيش المصرى والتى استطاع بها الانجليز احتلال مصر مستخدمين عنصر الخيانة ــ (المترجم)

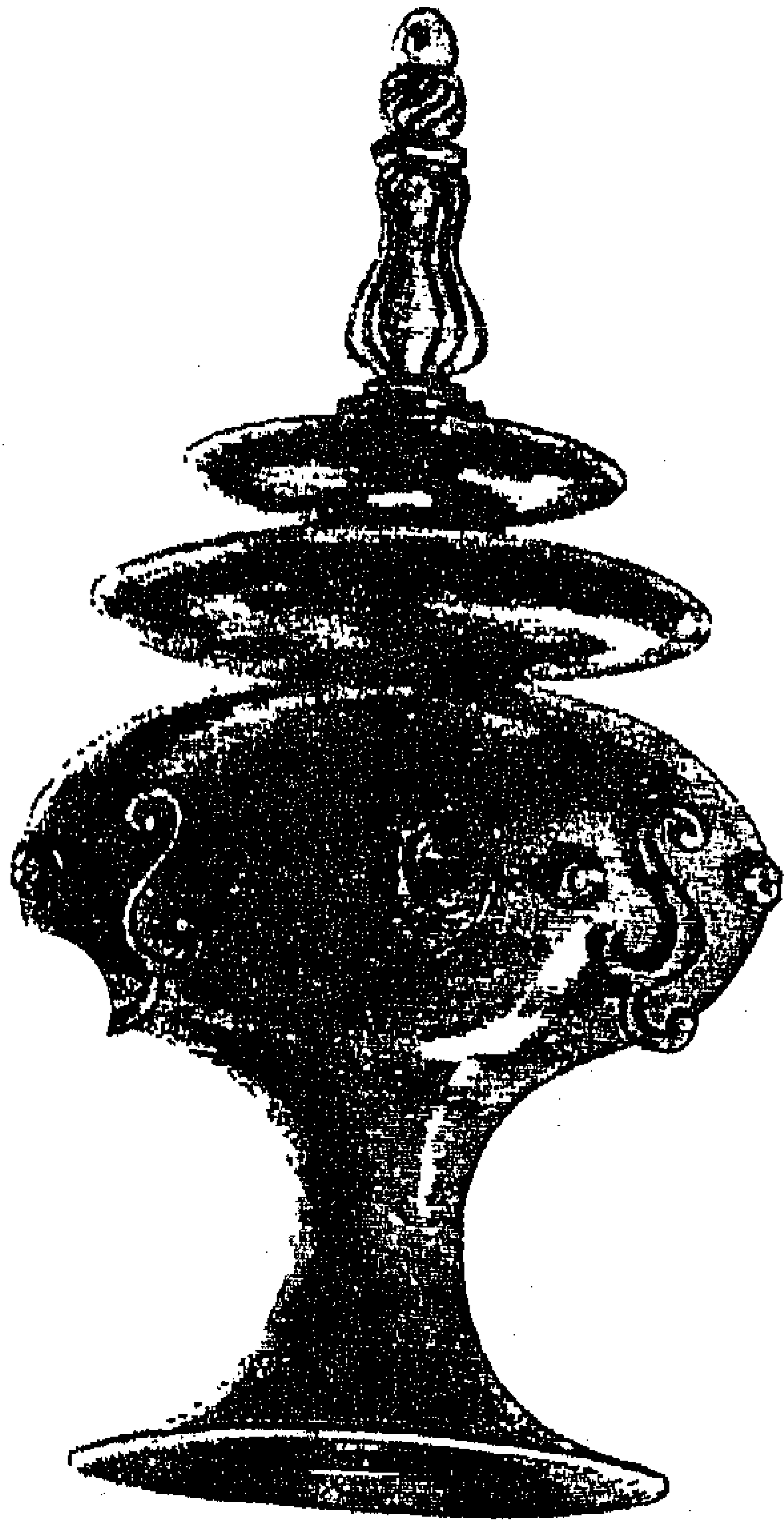
العذراء بقصر الشمع · وهما يشبهان بعض القناديل التى تستخدم فى كنائس الغرب ويطلق عليها اسم Gabathae (قنديل) · وهما يتشابهان من حيث الشكل والطراز البندقى مع تلك القناديل التى من الفضة ، والتى نرى نماذجها بكنيستى حارة الروم وكنائس أخرى عديدة ، علما بأن دير الأمير تادرس به الكثير من هذه القناديل · ويتدرج ارتفاعها ما بين ٤ بوصات الى ٨ بوصات · وينطلق جمال شكلها من التصميمات البارزة التى تعطيها جو الاشراق والفخامة · والعديد من نماذج هـذه القناديل حديث ومصنع فوق قواعد من الفضة وان كان فن أشغال الزجاج قد ضاع ، فان أشغال المعادن ما زالت مزدهرة فى القاهرة · وبقيت هذه النماذج الزجاجية المركبة على قواعد معدنية حتى أيامنا هذه ·



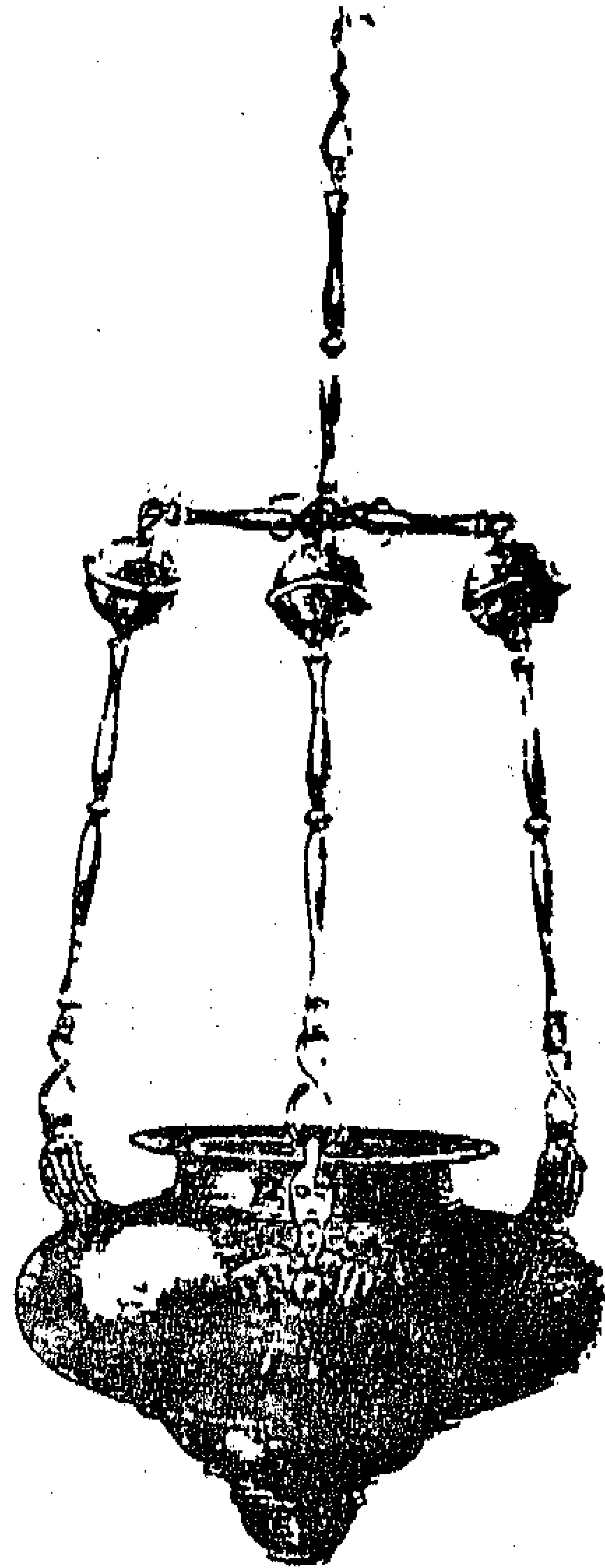
شكل رقم ١٥ : شمعدان متشعب من الحديد بكنيسة ابى سيفين

ويوجد نوع آخر من القناديل المعدنية المعلقة ، وهى تختلف عن النوع السابق من حيث ان لها حافة وجسما بيضاويا وليس لها ساق فى أسفلها · وعلاوة على ذلك فانها بدلا من أن تعلق بواسطة سلاسل فانها تعلق بثلاثة قضبان معدنية قصيرة متصلة بثلاثة مقابض فى جسم القنديل وبقطعة علوية على شكل صليب · وهى مزينة بنتوءات كروية الشكل · والقناديل التى بهذه الصفات نادرة جدا ولكننى رأيت منها اثنين أو ثلاثة بدير الأمير تادرس ·

أما القناديل الزجاجية التى على شـكل الفنجان والسلطانيـة ذات الحافة والتى تعلق بواسطة السلاسل ، فانها شائعة فى الكنائس القبطية وهى تعلق أمام الصور وحاجز المذبح أو فى الشرقية ·



شكل رقم ١٦ : القنديل الزجاجى بكنيسة الست مريم



ى رقم ١٧ قنديل من البرونز بدير الأمير تادرس

وجرى فى العصور الوسطى استخدام نوع جميل من القناديل لم أر له مثيلا ، وهو ينتمى الى فترة ما بعد الطراز المعتاد من القناديل القديمة المصنوعة من الخزف ، ولكنه يختلف عنها من حيث ان له جسما شبه كروى تبرز منه مدخنة متسعة الفتحة ومتصلة بالجسم عن طريق مقبض . أما الفتحة الأمامية فهى مستطيلة وضيقة . وعلى الرغم من أنه مصنوع من الخزف الا أنه كان مطليا بطبقة زجاجية أو على الأرجح طبقة من الميناء ، بلون التركواز الأزرق الرائع ، وبالرغم من زرقته التى تشبه حجر السفير الا أنه كان به العديد من الظلال الخضراء الجميلة . ونجد فى تلال النفايات بمصر القديمة العديد من الشظايا المكسورة لهذه المصابيح الجميلة . وقد اكتشفت عينة منها فى بناء ملحق بدير البنات بجوار دير أبى سيفين . ولكنها كانت مشوهة على الرغم من أنها حديثة الصنع .

ولقد شاهدت القليل من نماذج الأبراج المضيئة Pharos (فاروس = منارة) . ومنها على سبيل المثال برج مصنوع من الخشب ترتفع المشاعل المركبة فيه الى أعلى فى أربعة مدرجات مضلعة وهو بكنيسة أبى سيفين ملقى فى التراب خلف الصور المعلقة على الحائط فى الجانب الجنوبى من صحن الكنيسة . وقد كان البرج المضىء شائعا فى الغرب ، وورد ذكره كثيرا فى كتاب انستاسيوس Anastasius وعنوانه : Liber Pontificalis ، ضمن الهدايا المقدمة للكنائس . وينتمى الى نفس هذه النوعية البرج المضىء الفضى الذى وصفه بولس السلنتيارى Paul the Silentiary ضمن مقتنيات كنيسة القديسة صوفيا Sophia . وكان هناك برج ذهبى بكاتدرائية ايكس لاشابل Aix-la-Chapelle . وكان لدى البابا سيلفستر Sylvester برج آخر مصنوع من الذهب الخالص (١) ، كما كان لدى البابا أدريان Adrian برج آخر على شكل صليب يحمل ١٣٧٠ شمعة .

ويبين رسم يعود الى القرن العاشر برجين على الطراز البيزنطى يخصان كاتدرائية كانتربرى . كما كانت هناك نماذج فاخرة لهذه النوعية من الأبراج فى كلونى Cluny وسان ريمى St. Remy . ولا شك أن الاصطلاح Pharos مشتق من اسم منارة الاسكندرية العظيمة (*) ، وما زال هذا الاشتقاق مستخدما فى اللغة العربية الحديثة فى كلمة (فانوس) . وكانت الشمعدانات التى تشبه التاج Coronae

---

(١) Lenoir's Architecture Monastique, ii. 137, quoted by : Texier and Pullan.

(*) كانت هذه المنارة مقامة فى جزيرة فاروس مقابل شاطىء قرية راكودة أو راكوتيس ـ وقد ضم الاسكندر الأكبر القرية الى الجزيرة حيث ردم المسافة بينهما وانشأ فى تلك البقعة مدينة الإسكندرية . (المترجم) .

شائعة الاستخدام بكنائس القاهرة قديما ، ولا شك أنها كانت مصنوعة من المعادن الثمينة • أما العينات القليلة الباقية من هذا النوع فانها مصنوعة من البرونز المثقوب أو النحاس وقد أبطل استعمالها والقيت في الأركان المظلمة ، ومنها اثنان بدير مارمينا ، وواحد بدير أبي سيفين وواحد بدير الأمير تادرس • أما بخصوص استخدام الانجليز لهذا النوع من الشمعدانات فانني لا أجد أفضل من اقتباس كلمات روك Rock (١) الذي بعد أن تحدث عن حق القربان المقدس المعلق تحت قبة المذبح على شكل حمامة أو كأس مغطى ـ يضيف قائلا : ـ « ويحيط بها في أغاب الكنائس ـ ان لم يكن في جميعها ـ حلقة من الأنوار الدائمة الاشتعال مربوطة فوق طوق من الفضة أو المعدن اللامع ومعلقة بسلسلة تتدلى من السقف الداخلي للقبة » • ويتحدث بيد Bede عن طوق من البرونز مرصع بالمصابيح التي تحيط بصليب فضي • أما في ايرلندا خلال القرن الثامن فقد كانت الأطواق المصنوعة من الذهب والفضة معلقة فوق مزار القديسة بريجيت St Bridget في كنيستها في كيلدار Kildare ولكنني أظن أن هذا الطوق بكنائس الأقباط لم يتدل مطلقا من قبة المذبح وانما كان موضعه دائما اما أمام حجاب الهيكل أو داخل الهيكل في الاتجاه الشرقي للمذبح •

لقد قدمنا في مواضع أخرى من هذا الكتاب أوصاف القنديل الحديدي ذي العيون السبع الموجود بدير أبي سيفين ، وحجر الأساس Cresset stone بكنيسة الأنبا شنودة والشمعدانات النموذجية وحوامل الانجيل في الكنائس المختلفة وشمعدانات المذبح المختلفة والشمعدان الذي على شكل التنين الموجود بدير مارمينا • وأضيف اليها شبيها للشمعدان الأخير مأخوذ عن الطقس الأنجلوساكسوني (٢) •

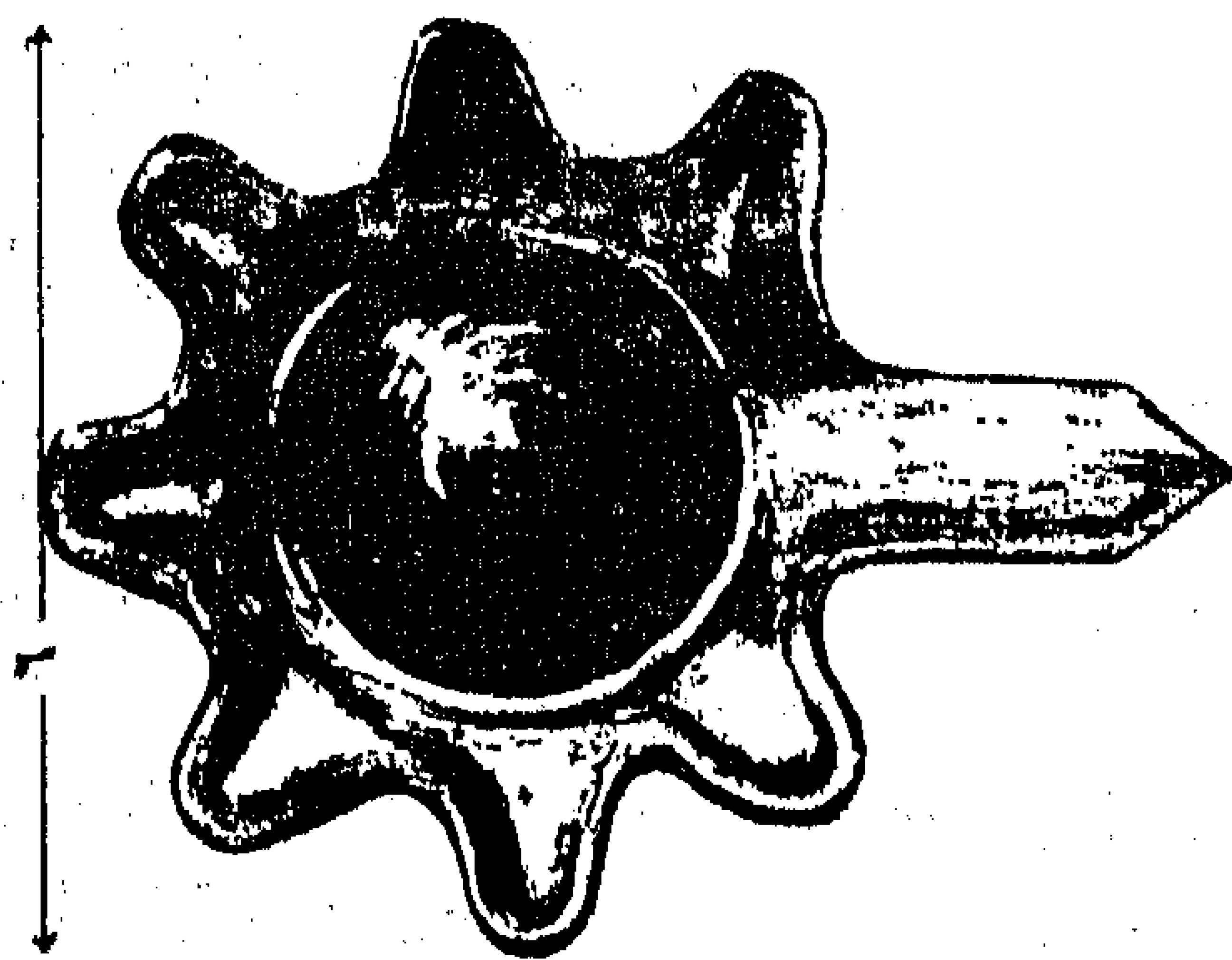
أما النار التي كانت تشتعل امام باب الكنيسة خلال الأيام الثلاثة الأخيرة من أسبوع الآلام فقد كانت تخرج من شمعة مركبة على شمعدان بشكل التنين ، ومنها كانت توقد بقية الشموع • وكان هذا الشمعدان مجرد حية متسلقة فوق عصا ويمثل فمها الثقب الوحيد لتركيب الشمعة ، وهو مختلف عن بقية الشمعدانات التي على شكل التنين الموجودة بكنيسة مارمينا من حيث انه نقالي وليس ثابتا ، ولكن الرمز واحد في كلتا الحالتين • ويقدم روك Rock (٣) رسما مطبوعا من حفر على الخشب لشمعدان مركب على رأس تنين من كنيسة سالزبوري Salisbury سنة ١٥٢٨ للميلاد •

---

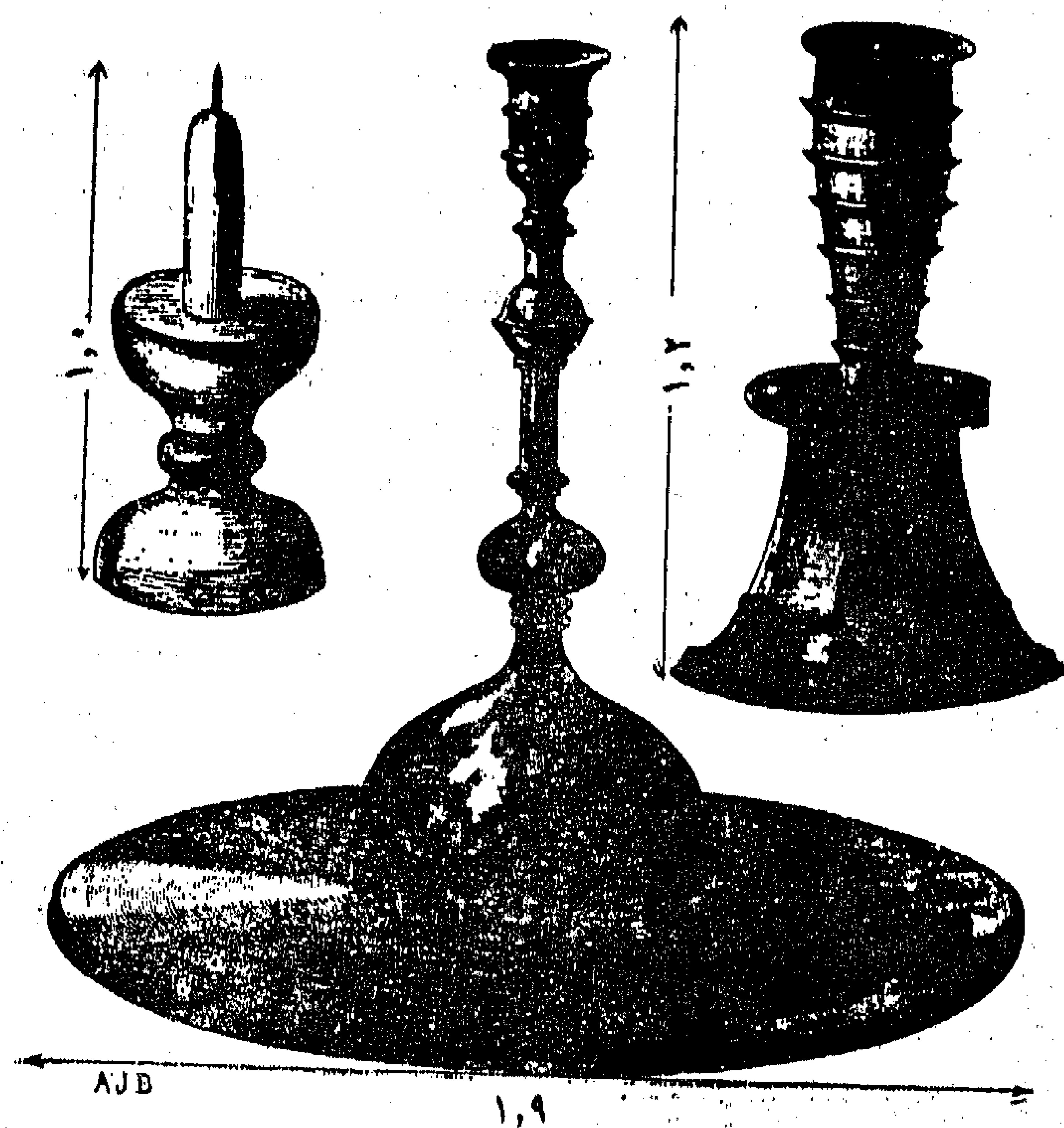
(١) Vol, i. p. 200.

(٢) See : Warren's Lit and Rit. of the Celtic Church, p. 53.

(٣) Vol. iii. Pt. 2. P. 244.



شكل رقم ١٨ : قنديل حديدى ذو سبع عيون يستخدم فى سر مسحة المرضى



شكل رقم ١٩ : نماذج من شمعدانات المذبح

أما بيضـــة النعامة فهي واحـــدة من الأشياء التي تستخدم للزينة بالكنائس القبطية واليونانية وكذلك المساجد الاسلامية · ويمكن مشاهدتها في الكنيسة القديمة بالدير اليوناني الموجود في قصر الشمع وفي معظم مساجد القاهرة ، وهي مركبة في اطار معدني ومعلقة بسلك مفرد يتدلى من السقف · أما في الكنائس القبطية فانهـا تعلق أمام حجاب الهيكل (حامل الايقونات) · ولكننا نجد في كنيسة أبي سيفين بيضة نعامة معلقة أيضا من نقطة التقاء عقود القبة · ونجدها هنا وهناك فوق قنديل بواسطة حبل مدلى ، كما هو الحال في كنيسة المهد في بيت لحم · وفي بعض الأحيان تعلق بذراع خشبي مربوط بأعمدة صحن الكنيسة كما هو الحال بكنيسة (الطاهرة) النسطورية في الموصل (١) وأحيانا يستخدم بدلا من البيضة الحقيقية ، بيض صناعي من البورسلين الخزفي الملون بتصميمات زرقاء أو قرمزية · وقد اختفى هذا النوع حاليا في كنائس القاهرة ومصر القديمة ولم تبق منه ولا حتى بيضة واحدة ·

ولكن لا يزال القليل موجودا في كنائس مصر العليا وفي (المساجد) · ان ضريح قايتباي الذي يقع خارج أسوار القاهرة يحتوي على بعض العينات الثمينة لهذا البيض الصناعي · وهذا البيض الصناعي أصغر حجما من بيض النعام الطبيعي ولكنه أكبر من بيض الدجاج · ويوجد بالمتحف البريطاني بيضة من البورسلين واردة من الحبشة وقد رسم عليها ملاك الكاروبيم · ولابد أنها كانت موجودة في احدى الكنائس المسيحية يوما ما ·

لقد كانت بيضة العنقاء Griffin Egg تمثل الزينة الشائعة في كنائس أوربا في العصور الوسطى · وقد ورد في قائمة محتويات مؤرخة خلال سنة ١٣٨٣ للميلاد ذكر ما لا يقل عن تسع بيضات من هذا النوع بكاتدائية دورهام Durham (٢) ·

ويتحدث بنانت Pennan عن اثنتين موجودتين سنة ١٧٨٠ (٣) للميلاد · وبيضات العنقاء هذه كانت تعلق مع أشياء غريبة أخرى مثل « قرن الحصان » (*) أمام المذبح أو حول مزار القديس كوثبرت Cuthbert

---

(١) انظر الرسم الموجود في كتاب : ـ

Dr. Badger, "The Nestorians and their Rituals" (London, 1852), vol. ii., Facing p. 20.

(٢) Raine's Tomb of St. Cuthbert, pp. 123-127.

(٣) Tour in Wales, vol. ii. p. 228.

(*) هو حيوان خرافي على شكل حصان له قرن وحيد بارز في جبهته ، وقد ورد ذكره في الأساطير القديمة (المترجم) ·

وكانت شديدة الندرة لأن الجنود أو الحجاج كانوا يجلبونها معهم من البلدان الأجنبية • وكانت تقدم كعطايا للكهنة ، حيث تحفظ فى القسم الشرقى من الكنيسة المخصص للقسوس والمرتلين داخل خزائن خاصة ذات شبكة معدنية مغلقة • وكانت العديد من الكنائس الغنية تحتفظ بمجموعات كبيرة من هذه الأشياء الغريبة كما لو كانت متحفا فنيا • أما فى انجلترا فلم يكن لبيض النعام أية معان رمزية ولم يعتبر ضمن التحف الكنسية • أما بخصوص اكتشاف بعض البيضات الرخامية فى مقابر بعض الشهداء الأوائل فى روما ، وأن البيض فى البلاد المسيحية يرتبط بمناسبة عيد القيامة ، فان البعض يظن أن البيضة رمز للقيامة (*) • وهناك تفسير آخر لهذا الرمز مختلف تماما عن هذا التفسير ، وهو منتشر بين الأقباط أنفسهم وقد ذكره لى كاهن كنيسة أبو سيفين فقال انه على عكس الاعتقاد الشائع ـ فان النعامة مشهورة بأنها تعتنى بحراسة بيضها طول الوقت ، وهناك أسطورة لدى الأقباط تقول بأنه اذا ما حولت النعامة عينيها عن البيض لحظة واحدة فان البيض يفسد حالا ، ولذلك أصبحت يقظة النعامة مثلا ساريا وأصبحت البيضة نموذجا يذكر المؤمن بأن يركز أفكاره دائما فى الأمور الروحية • ويبدو لى هذا التفسير منطقيا لأن تكريس النعامة لاحتضان صغارها يتمشى كما أعتقد مع حقائق التاريخ الطبيعى ، كما أن استخدام البيضة قد ظهر فى افريقيا حيث يعرف الناس عادات الطيور جيدا • وعلى أية حال فان هذا هو أفضل الحلول للرد على السؤال المحير •

أما الأجراس بالرغم من هجرها فترة طويلة ، الا أنها كانت شائعة الاستعمال فى الكنائس القبطية • وكان أبو لليناريوس **Apollinarius** مبعوث جوستنيان **Justinian** « يدق الأجراس » فى اليوم الأول من الأسبوع بالاسكندرية لدعوة الناس الى سماع خطاب الملك (١) ، وقد ذكر لى البطريرك الحالى أنه عند تدمير كنائس الاسكندرية أنقذت العديد من الأجراس وحملت الى أديرة وادى النطرون وهى موجودة هناك حتى الآن • ووصف لى واحدا منها بالذات لأنه يتميز بصور الانجيليين الأربعة محفورة عليه مع وجود نقش حول الحافة • وهناك جرس معلق داخل تجويف بالحائط الغربى ما زال مستخدما فى دير رئيس الملائكة ميخائيل.

(*) ليس هنا مجال للظن ولكنها الحقيقة التى فسرتها القديسة مريم المجدلية حيث استخدمت رمز خروج الكتكوت من البيضة لبيان كيفية خروج السيد المسيح من القبر بعد القيامة واثبات أن الملاك قد رفع الحجر عن القبر الفارغ لكى تشاهده مريم المجدلية وتتاكد من حقيقة قيامة السيد المسيح وخروجه من القبر المغلق رغم ضخامة الحجر الذى كان يسد باب القبر ـ (المترجم) •

(١) Al Makrizi, Malan's trans p. 75.

بنواحي (طرة) ، وهذا الدير يقع في الخلاء فلا يثير اعتراض أي مسلم . ونفس هذه الملحوظة تنطبق على الجرس في دير مارمينا ، ولكن لا تستخدم أجراس الكنائس الآن بالقاهرة أو مصر القديمة . وقد مر ما يزيد على الألف عام منذ صدور أوامر الفاتحين بعدم استخدامها . واليوم فان صوت هذه الأجراس لا يسمع الا في براري الصحراء .

وبعد منع استخدام الأجراس بشكل رسمي سنة ٨٥٠ للميلاد ، أصبح يؤدي مهمتها لوح يطرق بمطرقة خشبية ، وهو أداة ما زالت مستخدمة حتى اليوم بالرغم من أنها قد منعت أيضا منذ عام ١٣٥٢ للميلاد (*) .

وحتى اليوم فان الرهبان الذين يقيمون على قمة جبل تشاد امبا Tchad-Amba في الحبشة ما زالوا يستخدمون بدلا من الأجراس ثلاثة أقراص يطلق عليها اسم الجونج gong ، وهذه الأقراص تحفظ تقليد استخدام اللوح . وهي عبارة عن أحجار مسطحة معلقة بواسطة سيور طويلة الى أغصان احدى الأشجار ، ولكنها تعطي صوتا رنانا جميل الوقع عند طرقها بأحجار أصغر حجما (١) .

ولم تعرف الكنيسة اليونانية استخدام الأجراس قبل سنة ٩٠٠ للميلاد . وقيل انها نقلت عن البنادقة (٢) وعلى كل حال فان اللوح والمطرقة لهما رسوم كثيرة في جبل أثوس Athos . أما الموارنة فانهم يستخدمون لوحين على شكل لسان جرس كبير ، وفي بعض الأحيان كانت تستخدم بدلا من الخشب صفيحة من الحديد أو النحاس معلقة بالسلاسل ، كانت تسمى Sementron أو semantron (٣) . وهذه النوعية من أدوات التنبيه نراها مرسومة في كتاب كيرزون Curzon . عن الأديرة (٤) . وقد ذكر هذه الأدوات أيضا ليو ألاتيوس Leo Allatius .

(*) بخصوص ما أورده بتلر هنا أقول ان العديد من الكنائس القبطية بها أجراس وهي تستخدم في أيامنا هذه بمطلق الحرية ، وقد شاهدت أثناء زيارتي لدير سانت كاترين خلال شهر يونيو سنة ١٩٨٦ اللوح الذي يطرق بالمطرقة الخشبية وكان يحمله أحد الرهبان ويسير به في مقدمة جنازة أحد رهبان هذا الدير للاعلان عن نياحته — (المترجم) .

(١) The wild Tribes of the Soudan, by F. L. James, London, 1883, p. 236.

(٢) Goaur's Euchol. p. 560.

(٣) Lenoir, I. p. 155.

(٤) نرى على صفحة الغلاف للكتاب المذكور صورة راهب يدق على هذه الصفيحة وهي مصنوعة من الخشب ، وأيضا صورة الجونج gong المصنوع من الخشب ، كما نرى على صفحة ٣٠٠ من نفس الكتاب صورة الصفيحة المصنوعة من الحديد .

الذى ذكر العديد من الأدوات البيزنطية القديمة واستخداماتها · وكانت هذه الصفيحة تعلق فى الصحن أو البهو · أما أبراج الأجراس فلم تكن معروفة فى الشرق قبل العصور الوسطى · وحتى الكنائس القبطية لم يكن بها أكثر من زوج من الأجراس يبلغ قطر كل منها حوالى ثمانى أو عشر بوصات · أما استخدام الأجراس بالكنائس الانجليزية فانه ليس أقدم من مبانى الكنائس التى ينطلق منها رنين هذه الأجراس ، ولا تنقل الى الآذان أى صدى واضح يدل على استخدامها منـذ العصور المسيحية المبكرة ·

ولكنـه حتى فى انجلترا ، نرى أن الجونج gong الخشبى قد استخدم بدلا من الأجراس (١) · وكان استخدامه قاصرا على الأيام الثلاثة الأخيرة من أسبوع الآلام ·

وما زال دق الأجراس اليدوية مستخدما بوصفه أحد أنواع الموسيقى المصـاحبة للألحان أثنـاء خـدمة القداس القبطى · ويذكر رينـودو Renaudot (٢) أن الأساقفة الذين صاحبوا الأمير جورج George ابن ملك النوبة ، فى بعثته الى مصر ، اعتادوا دق الأجراس عند رفع قربانة الجسد المقدس « الحمل » وأضاف أن هذا الترتيب يتطابق مع الاستخدامات المبكرة للكنيسة · وكان ذلك حوالى سنة ٨٥٠ للميلاد · ولكن حتى لو أن هذه العادة كانت شائعة بالفعل بين الأقباط ، فلابد وأنها قد تلاشت الآن كلية لأنه لا توجد حاليا أجراس يدوية للمذبح ·

وقد ورد ذكر الأجراس اليدوية فى سجلات الكنائس الانجليزية والايرلندية القديمة منذ وقت مبكر يعود الى القرن السادس · ويبدو أن هناك سببا للرأى القائل باستخدام أجراس أكبر حجما للكنائس بايرلندا فى نفس الفترة ، وأن الأبراج المستديرة قد استخدمت أحيانا كأبراج للأجراس · وكانت الأجراس الصغيرة جزءا من رموز السلطة التى تسلم للأسقف عند تنصيبه · وقد حفظ جرس من هذا النوع فى مدينة دبلن Dublin وهو ينسب الى القديس باتريك Patrick وللاطلاع على المزيد من تفاصيل هذا الموضوع نحيل القارىء الى كتاب مستر وارين Warren : Celtic Ritual (٣) ، ويبدو أن هذه الأجراس لم تكن

(١) Cf. Udalric, hb. i. Consuet. clun. c. 12, quoted by Ducange, and Amalarius de Eccl. off. lib. iv. c. 22, quoted by Rock.

(٢) Hist. Pat. Alex. p. 282.

(٣) Ibid. pp. 92-94.

تستخدم عند رفع الحمل ، كما أنه لا يوجد دليل يبين أن تقليد رفع الحمل كان معروفا بكنائس الغرب قبل القرن الحادى عشر ، بالرغم من أنه كان موجودا فى الشرق قبل ذلك بقرون عديدة . أما فى السجلات الانجليزية فان ذكر الأجراس اليدوية ورد متأخرا ، وقليلا . وقد ورد فى قوانين أيجيديوس دى بريدبورت Aegidius de Bridport أسقف ساروم Sarum (١) سنة ١٢٦٥ - الأمر بحملها عند زيارة المرضى ، كما جرى نفس الاستخدام فى الاحتفال بالجنازات . ان استخدام الجرس اليدوى أو جرس التقديس كما أطلق عليه - فى أثناء القداس ، يعود بلا شك الى القرن الثالث عشر ، عندما بدأ تطبيق عادة رفع الحمل فى انجلترا لأول مرة ، أما الجرس القبطى فهو دائما بدون الساق ويدق باستخدام قضيب قصير من الحديد .

وأظن أن دق الصنوج بالطريقة البدائية والذى يصاحب الألحان فى كافة الكنائس القديمة فى مصر ، لا يمثل الا واحدا من الآثار الوثنية وليس تقليدا يهوديا . ويبدو أن نفس هذا الصوت يعبر فوق خليج الأجيال ليعود بالخيال الى أيام رقصات الاله (باخوس) Bacchus وطقوس الالهة سيبيل Cybele الطائشة ، ويبدو كذلك أن أصوات أجراس الكنائس فى انجلترا تعود بالانسان الى الممارسات التى كانت سائدة بانجلترا منذ خمسة قرون ، ولكن يبدو أن الصنوج لا يعود تاريخها الى أقدم من هذه الفترة ، ونظرا لأصولها الشرقية وارتباطها بالممارسات الماجنة لدى الاغريق والرومان ، يبدو أنها لم تستخدم على نطاق واسع كأداة للعبادة فى الغرب . ولكن يرد ذكر الصنوج حاليا حيث تستخدم فى الكنائس اللاتينية . وقد أورد دوكانج Du Cange (٢) ذكر هدية من الصنوج الى احدى الكنائس . وقد ورد التنويه عن الصنوج مرات عديدة فى Ordo Romanus . ولا شك أن استخدامها كان يرتبط باستخدام الأجراس من حيث انها تدعو الناس للعبادة أو لحضور الجنازات . ولكن يبدو أن هناك دليلا واضحا على استخدامها فى خدمة ترديد الألحان بالكنيسة (٣) .

ومن المحتمل رؤية العكاكيز التى على شكل حرف فى كثير من الكنائس القديمة حيث لا توجد مقاعد يستريح عليها المسنون أو السقماء من بين جمهور المصلين أثناء خدمة القداسات التى تستغرق طويلا . وقد

---

(١) Rock, ii. 462, n. 31.

(٢) From the Acta Episc. Cenoman. p. 303.

(٣) Beletus de Div. off. C. 86.

سمح باستخدام هذه العكاكيز حسب ما أورده روك Rock (١) - فى العصور الأولى للكنيسة الغربية بالنسبة لبعض رجال الاكليروس ، ولكن كان من المعتاد وضعها على الأرض أثناء قراءة الانجيل · وقد استمر هذا الاستخدام حتى أواسط القرن الثانى عشر ·

الرسوم الجدارية

لقد تبرهن على أن كنائس مصر كانت غنية بالرسوم الحائطية يوما ما - ليس فقط بسبب البقايا الرائعة التى ما زالت موجودة ، بل أيضا بشهادة التاريخ · وحسب ما أورده المقريزى (٢) كان البطريرك كيرلس (حوالى سنة ٤٢٠ للميلاد) هو أول من أباح الرسوم (الصور وليست التماثيل والمنحوتات كما يسميها مستر مالان Mr Malan) فى كنائس الاسكندرية وفى الأراضى المصرية ·

ولا يوجد أى دليل على أن الأقباط قد أباحوا استخدام التماثيل أو المنحوتات لتزيين كنائسهم ، وانما يوجد الدليل على عكس ذلك · وبعد ذلك بثلاثة قرون نقرأ (٣) على أن أسـامة بن زيد قد هدم الكنائس (كسر الصلبان ، ونهب الصور وحطم كافة المنحوتات) ولكن الواضح هو أن الصور هنا تعنى الرسوم الحائطية ولذلك فاننى أعتقد أن الكاتب كان يقصد بالمنحوتات - ما نسميه نحن : الايقونات ، لأن اللغة العربية تمتلىء بالمترادفات فى مثل هذه الحالات · وينطبق نفس الاصطلاح على كل من التماثيل والصور ·

ومرة أخرى فان ثيوفيلوس Theophilus قد أمر حوالى سنة ٨٦٠ للميلاد بازالة جميع الصور من الكنائس ولذلك لم تبق ولا صورة واحدة فى أى كنيسة (٤) - وهى فكرة يبدو أنها تنقل للمرة الثانية فكرة الرسوم الحائطية · ولم يندثر هذا الفن تماما حتى القرن السابع ، لأن رينودو Renaudot يذكر أنه كانت هنـاك فى ساحة الأحباش (٥) بالقرب

---

(١) Vol. ii, p. 134, n. 22.
ويجدر التنويه هنا بان كافة النصوص التي اقتبست تعود الى أصل فرنسى ·

(٢) Malan's trans. p. 56.

(٣) Al Makrizi, p. 77.

(٤) Id. p. 84.

(٥) لقد اندثر هذا الاسم تماما وفشلت كافة جهود القبط التى بذلت على أيامنا هذه فى كشف أى شىء عنه ماخلا الاعتراف بعدم وجود معلومات ·

من مصر القديمة في أيام أبو صلح الأرمني (١) كنيسة مكرسة على اسم القديس مار بقطر كان بها نقش قبطي يذكر أن الرسوم الحائطية قد تمت في سنة ٧٥٩ للشهداء أي سنة ١٠٤٣ للميلاد • ولم يبق منها اليوم أي حجر أو أثر أو اشاعة • وعلينا أن نقارن الرسوم الحائطية التي تعود الى القرن الحادي عشر والتي تمثل آخر الجهود التي بذلت للحفاظ على هذا الفن قبل انقراضه النهائي في مصر — بالأعمال المبكرة التي ما زالت تزين العديد من الكنائس • ومع أن الرسوم العديدة التي ما زالت موجودة يستدل على تاريخها من وجود نقش أو غير ذلك من الدلائل ، الا أن العديد منها لا يمكن أن يتجاوز تاريخه القرن الثامن • وان كانت بعض رسوم (الفريسكو) Frescoes يعود تاريخها الى أيام قسطنطين • وقد نفذت كافة هذه الرسوم على المصيص الجاف أو الرخام ، كما خلطت الألوان بمادة صمغية : انها في حقيقة الأمر رسوم بالطلاء الجيري • ولا يصح أن يطلق عليها اسم رسوم الفريسكو ، ولكنني استخدمت اصطلاح فريسكو لمجرد الملاءمة لأنه شائع الاستخدام بين عامة الناس •

وأكثر أجزاء الكنائس انشغالا بهذه الرسوم هي أعمدة صحن الكنيسة والحائط المقوس واستدارة المحراب • ولا شك أنه حيث نجد الآن حائط المحراب مغطى بالرخام ومجهزا برسوم الموزاييك ، فان نفس هذه المساحة كانت تحتلها من قبل رسوم الفريسكو ، التي حلت محلها الطريقة الجديدة بعد انحلالها • وعلى ذلك فان المحراب الرئيسي بكنيسة أبي سرجة مغطى بهذا الرخام ، بينما الهيكل الجانبي الغربي غير المستخدم مازال يحتفظ في محرابه ببعض الرسوم الأصلية التي تعود الى القرن الثامن • وعلاوة على ذلك فاننا نجد أن الألوان وتحديدات الأشكال التي كانت مرسومة يوما ما فوق الأحد عشر عمودا القائمة بصحن الكنيسة دون تغيير — ما زالت واضحة • وكافة الأشكال الموجودة بهذه الكنيسة مرسومة على ارتفاع خمس أو ست أقدام • ولها أهمية خاصة من حيث انها تكشف عن تشـابه رسوم الحوائـط القبطية المبكرة مع تلك الموجودة بكنائس الغرب • أما من حيث الطراز فهناك اختلاف بسيط يمكن ملاحظته بين العينات العديدة التي ما زالت موجودة • وهي كلها تنتمي الى الشكل البيزنطي الذي يتميز بالوجـوه الطبيعية والملابس التقليدية والخطوط البـارزة • ولكننا نجد هناك علامات على الحيوية الدافقة والتحرر في النماذج النادرة لمجموعات الأشخاص الباقية بالكنيسة التابعة لكنيسـة المعلقة ، وفي الدهليز العلوي بكنيسة القديسة بربارة • أما في كنيسة المعلقة نفسها فلم يبق سوى شكل واحد غير كامل فوق أحد الأعمدة •

(١) ورد اسم أبو صلح في المخطوط رقم ٣٠٧ بالمكتبة القومية في باريس •

وكذلك فى كنيسة الأنباشنودة شكل واحد فوق أحد الأعمدة مع بعض رسوم الفريسكو غير الملونة بالهيكل الجانبى المكرس على اسم مارجرجس فوق هذه الكنيسة . ويمكن مشاهدة آثار رسم لعماد السيد المسيح بلون واحد على الحائط الشرقى للكنيسة الصغرى المكرسة على اسم ست مريم فوق المندرة بكنيسة أبى سيفين . وبالاضافة الى الأمثلة السابقة فان غالبية حوائط الشرقية فى الهياكل الرئيسية والجانبية الأخرى تتضمن رسما بالفريسكو للسيد المسيح فى المجد ، وقد رفع يده اليمنى لمنح البركة . وهـذا المنظر الموجـود بمقابر أرجب Urgub فى كبادوكيـة Cappadocia ، والشائع فى كافة أنحاء الشرق ، يمكن مشـاهدته كذلك فى بعض الكنائس الرومانية واللومباردية دون غيرها من البلدان الغربية (١) .

أما الكنائس اللاتينية فانها تفضل رسم السيد المسيح مصلوبا . ويبدو أن تزيين حوائط الكنيسة بصور القديسين الملائكة منتشر فى كافة أنحاء مصر وأن آثار رسوم الفريسـكو القديمة ما زالت موجـودة على الحوائـط ، ليس فقط فى الكنائس المتناثرة على ضفتى النيل ، حتى الحدود الجنوبية لمصر ، بل أيضا فى كافة الأماكن الصحراوية البعيدة التى تسلل اليها الرهبان ، حيث حملوا معهم فن الرسوم الجدارية . أما فى الصحراء الغربية فان أديرة وادى النطرون ما زالت تحتفظ بالعديد من هذه النماذج ومنها على سبيل المثال المطعمة بدير السريان وصحن الكنيسة المكرسة على اسم القديس الأنبابيشوى ، بينما نجد أن الكنيسة القديمة المكرسة على اسم القديس الأنبا أنطونيوس بالصحراء الشرقية عند البحر الأحمر ، قد غطيت جميع حوائطها تقريبا برسوم الفريسكو الغامقة والتى تستوجب الاحترام .

الصـــور

لقد أوردنا الوصف التفصيلى للرسوم العادية الموجودة فوق العوارض العلوية أو اللوحات المصنوعة من القماش فى مكان آخر حتى انه يكفينا أن نورد هنا بعض الملاحظات العامة : ان الرسوم الموجودة فوق العوارض العلوية أقدم وأكثر أهمية بالنسبة لتلك المتضمنة فى اللوحات المصنوعة من القماش — ولم يستخدم القماش كوسط للرسوم الا خلال القرنين الأخيرين فقط . ونلاحظ أن الرسامين الذين استخدموا القماش كانوا غير

---

(١) Texier and Pullan, p. 42.

أكفاء لأن تصميماتهم وألوانهم كانت بدائية الى الدرجة التى تجعلنا نستبعدها؛ لأنها غير ذات قيمة ٠ أما الرسوم التى فوق العوارض العلوية فمن الصعب تصنيفها سواء من حيث التاريخ أو الطراز نظرا لشيوع الأساليب والتقاليد البيزنطية فيها ٠ ولكن يوجد عدد قليل من الصور قد وضع فوقها تاريخ رسمها بوضوح ، وهى تعتبر علامات نستطيع أن نتعرف فيها على نظام التطور وربما التخلف ٠

واعتقد انه لم تبق صور تعود الى تاريخ أقدم من القرن الثالث عشر ـ وانما بقيت صورة واحدة تعود بلا منازع الى تاريخ أقدم من هذا التاريخ، وأعنى بها تلك المرسومة على صندوق المذبح أو الكرسى بكنيسة أبى سيفين ٠ انها تشكل فى حد ذاتها نوعية متفردة لأنها تتميز بالنعومة البراقة من حيث استخدام الأضواء والظلال وعمق التعبير المثالى ، بطريقة تثير العجب ، خاصة مع استخدامها فى صورة شرقية ٠ وقد دون التاريخ ١٢٨٠ للميلاد بخط قبطى واضح ٠ ولقد ذكرنا الكثير حول هذه الصورة ولكننى أضيف فقط أن هذا العمل الفنى المتفرد يكفى فى حد ذاته (اذا لم تكن هناك صورة أخرى تعود الى نفس الحقبة التاريخية) للدلالة على قيام مدرسة مصرية للمصورين الذين تفوقوا على الفنانين المعاصرين فى ايطاليا ٠ وربما كانت الصورة الضخمة لحياة السيد المسيح بنفس الكنيسة ، تلك التى تنتمى الى نفس الفترة ، أو بعدها بقليل ، تقل عنها قليلا من حيث جودة التنفيذ ٠ وكلتا الصورتين فى الحقيقة كافة الصور القديمة بالكنائس القبطية مرسومة على لوحات تم اعدادها بطريقة غريبة ، فقد غطى الخشب بالقماش لمنع تشققه وبعد ذلك نثرت فوق القماش بطانة رقيقة من الجص ، ثم غطى الجص بالذهب ٠ وهكذا فان الأرضية الذهبية التى شاعت فى هذه الصور القديمة لم توضع منفصلة ، ولكنها تمثل الجزء من السطح المجهز للرسم ، والذى لم تستخدم الألوان لتغطيته ٠ وهناك العديد من الأمثلة التى تبرهن على هذه النقطة ـ ومنها صورتان كان يحتفظ بهما مؤلف هذا الكتاب ـ وقد تساقطت عنهما قشور من الالوان كاشفة عن سطح من الذهب تحتها ٠ ويبدو الذهب مصقولا الى أعلى درجة من اللمعان كما لو كان معدنا خالصا ، مثل أفضل مخطوطاتنا الموشاة ٠ وفى بعض الحالات نجد أن الخطوط الأساسية للتصميم قد نحتت على الذهب بمسمار من الصلب ، ولا شك فى أن هذا الأسلوب مستعار من الرسم التخطيطى (الكروكى) على الورق ، وفى بعض الأحيان تحفر فى الجص أنواع من زخرفة لفائف المخطوطات أو الزخرفة باستخدام النقط ـ خاصة فوق هالات القديسين ٠ والصورة التى فى صدر الكتاب بمواجهة العنوان الداخلى مأخوذة عن صورة تحمل توقيع «المقدس نصيف» بالعربية ، ويعود تاريخها الى القرن الخامس عشر أو السادس عشر وهى

تتميز بالتأثير العميق الذى يشع على غلاف الانجيل فوق ثوب القديس مرقوريوس St. Mercurius ، وفى أماكن أخرى — مضفيا بهاء بلون الياقوت الأحمر الشفاف • وهذا التأثير ناتج عن وضع صبغة لامعة فوق أرضية من الذهب المصقول : أما استخدام القماش كعنصر خام توضع فوقه الألوان — الأمر الذى لم يكن معروفا قبل القرن الثامن عشر ، فانه علامة على آخر مراحل اضمحلال فن الرسم القبطى • ولذلك فاننا لا نجد صورة واحدة ذات قيمة ضمن مخلفات القرن الماضى أو الحالى فيما عدا الصور التى حفظت فى نوع من الأغلفة التى تشبه المومياوات التى بقيت ضمن تقاليد الماضى •

وهناك ما يدعو الى الاعتقاد بان فن الرسم على اللوحات فى مصر يعود الى زمن مبكر • واذا تذكرنا كيف أن الأقباط وكنائسهم قد تعرضوا للحريق والسيف وكيف أن بعض الذين اضطهدوهم من المسلمين لم يكونوا يكرهون ديانة المسيح فحسب بل وأيضا كافة الصور التى تمثل الشخصيات المقدسة ، فاننا لا نعجب كثيرا لضياع الصور الأثرية ، وأن أية رسوم تعود الى أبعد من القرن الثالث عشر قد بقيت على الرغم من الدمار الذى تعرضت له على مدى ستة قرون (*) ومن المؤكد تماما أن الأعمال الفنية التى من نوعية صندوق المذبح بكنيسة أبى سيفين لم تصل الى مرتبة الكمال فجأة أو بالصدفة ، وأن القوة التى تنم عنها لم تتطور فى حدود حقبة زمنية واحدة وانما نتجت عن مقدمات طويلة من المهارة المدربة والخيال المتمرس ولا نعرف متى بدأ فن رسم اللوحات ولكن القصة التى أوردها فانسليب Vansleb تدل على أن الأقباط يحق لهم الادعاء بأنهم مارسوا هذا الفن منذ عصر الرسل • فهو يقول (١) انه كانت توجد بكنيسة القديس مرقس بالاسكندرية منذ قرنين من الزمان صورة لرئيس الملائكة ميخائيل ، قيل انها قد رسمت بيد القديس لوقا الانجيلى • وتقول القصة ان البنادقة قد استولوا عليها وحملوها معهم فى البحر بهدف ابعادها عن مصر ، ولكن العواصف أعادتهم الى الميناء خمس مرات حتى أعادوا الصورة مرة أخرى • ولما سمع بعض البدو عن هذه القصة اندفعوا الى الكنيسة بهدف سرقة هذه الأيقونة وبيعها للبنادقة • ولكنهم بمجرد دخولهم الى الكنيسة تسمرت أقدامهم بفعل قوة معجزية عندما حاولوا الخروج مع غنيمتهم : وهكذا

(*) هذه الكلام مبالغ فيه لأننا نجد بكنائس مصر القديمة العديد من الصور التى تعود الى أبعد من هذا التاريخ بقرون عديدة — وقد حفظت داخل الاطارات الثمينة وفى المقصورات الفخمة دون أن تمسها أى آثار للتخريب اللهم الا بعض علامات البلى أو الانحلال أو ضياع الألوان بفعل عنصر الزمن وزيارة كنيسة العذراء الدمشيرية تثبت ذلك — (المترجم) •

(١) Voyage fait en Egypte, p. 183.

فشلوا هم أيضا في مغامرتهم الدنيئة . ومهما كانت أهمية هذه القصة فان بقايا الرسوم الجدارية تبرهن على أن الفنانين الاقباط في القرن الرابع على الأقل ـ تميزوا بمثل هذه المهارة في التصميم والتلوين مما يدل على أن عملية التطور الطبيعي قد حققت نتائج عظيمة لو لم تتعرض للاختبار والتعطيل . ولا شك أن الفن القبطي بوجه عام قد تعرض لتأثير العناصر البيزنطية وأن الفن البيزنطي في أوربا قد حفظ الرسوخ الواضح من حيث الأسلوب والجدارة لقرون عديدة ، الا أن الرسوم القبطية الباقية ، بدلا من أن تدل على أسلوب متفرد راسخ ، فانها تبين نظاما متصلا وثابتا للتغيير . وبالرغم من أن هذا التغيير عبارة عن تغيير نحو التفكك والانحلال، الا أنه يبرهن على أن هذا الفن قد تضمن حيوية عضوية وقوة . ولذلك فلابد أن نعود الى الوراء ، ومن خلال الفخامة التى نشهدها تتناقص ببطء على مدى ستة قرون ، نستطيع أن نستنتج أن البداية خارج نطاق معرفتنا، وأن نلاحظ سطوعها وهو ينمو على مراحل هي على الأقل تتشابه في البطء مع تلك التي رصدناها خلال الانحلال .

ومن الصور ذات التواريخ الثابتة توجد مجموعتان تنتميان الى القرن الخامس عشر وكلاهما بكنيسة ست مريم في دير أبو سيفين . أما احداهما التى على الحائط الجنوبي للخوروس فانها تتضمن ثلاث صور تمثل عماد السيد المسيح وأبو نفر والأنبا شنودة . ويعود تاريخ هذه الصور الثلاث الى سنة ١١٧٩ للشهداء التى توافق سنة ١٤٦٢ للميلاد . ويوجد بجوار هذه الصور على حجاب هيكل الجناح الجنوبي مجموعة رائعة مكونة من خمس صور يعود تاريخها الى سنة ١٤٧٧ للميلاد . وبالمقارنة مع فن القرن الثالث عشر ، نجد أن الوجوه المرسومة في هذه الصور قد فقدت تعبيرها الحيوى ، فالملامح أصبحت أكثر تحديدا ، أما طيات القماش فقد أصبحت أكثر تقليدية ، ورغم أنه لا توجد نفس النعومة المعهودة في الخطوط الخارجية ، مع نفس التدرج الرقيق في الأضواء والظلال ، الا أن التحكم الفنى في الألوان مازال مثيرا للاعجاب ، ولكن يبدو كما لو أن الخصائص الروحية قد ضاعت من الرسم الى حد كبير .

ان أعمال القرنين السادس عشر والسابع عشر شائعة ، الا أن هناك فخامة ملحوظة في القرن السابع الذى تظهر فيه حدة الانحلال أقل وضوحا . ونرى الأمثلة على ذلك بكنائس أبو سرجة والمعلقة والأمير تادرس وغيرها من الكنائس . وابتداء من القرن السادس عشر يبدو الاضمحلال في القوة والأصالة مقبولا الى حد كبير حتى نصل الى المرحلة الأخيرة بعد أن نتجاوز طبقات الطلاء الخامدة التى تعود الى القرن الأخير ، وبذلك ندخل في الانقطاع النهائي لفن الرسم الذى نشهده في وقتنا الحالى .

ونوجز القول بأنه يبدو أن الفن القبطي لم يرتبط بقوانين التقليد الصعبة ، بنفس الطريقة التي ارتبط بها الفن في الكنيسة اليونانية . ولا يوجد في القاهرة تماثل مع تجربة ديدرون Didron الذي شاهد رهبان جبل أثوس Athos منذ خمسين عاما وهم ينتجون التصميمات والألوان التي تنتمي الى القرن الرابع أو الخامس حسب الروتين القائم على التجربة العملية ، وهم الذين أسسوا مدرسة للرسامين تعتمد على مبدأ « الرسم حسب الغريزة » مثلما يبني السنونو عشه أو النحلة قرص العسل . ولا يوجد في مصر اليوم كما هو الحال في روسيا ـ الفنانون الذين مازالوا يرسمون لوحاتهم باستخدام أسلوب القرن الثالث عشر . وبالاضافة الى ذلك فان الفنانين الأقباط لم يعبروا عن استقلاليتهم وتفردهم في الأسلوب فقط . ان مجموعة الموضوعات المختلفة لا تقل روعة عن مجموعة الأساليب التي استخدمت لتنفيذ كل موضوع ، فنجد أن رئيس الملائكة جبرائيل يرسم أحيانا وفي يده سيف ، وأحيانا صليب ، وأحيانا أخرى بوق . كما يرسم أحيانا مرتديا ثوبا واحدا فضفاضا ، وأحيانا أخرى مرتديا الملابس الكهنوتية الكاملة . أما صورة البشارة وصورة ميلاد السيد المسيح فنادرا ما كرر الفنان القبطي رسم أي منهما بنفس التفاصيل التي أوردها في رسم سابق . وبينما نحن نتحدث عن أن الموضوعات تتشابه في التعدد والتنوع مع الرسوم المسيحية المبكرة في الغرب ، الا أنه توجد بعض الاستثناءات والاختلافات العجيبة ، فعلى سبيل المثال نجد أنه بينما يشيع في سراديب روما موضوع واحد هو السيد المسيح بوصفه الراعي الصالح (١) فانني لا أتذكر نموذجا واحدا لهذا الموضوع مرسوما على أي حائط قبطي ، أو لوحة قبطية . كما نلاحظ غياب العديد من الرموز الشائعة في المسيحية الغربية ، فقد نرى الطيور التي تأكل العنب والظبي المتشعب القرون في حفر خشبي أو اثنين ، كما نجد رسما واحدا للدرفيل محفورا على الرخام . أما رسم السفينة والأسماك فلا يوجد سواء في الحفر أو الرسم بالرغم من أن القديس اكليمنص الاسكندري هو أول من شهد باستخدام السمكة كرمز مسيحي . ومن ناحية أخرى فان الكنائس قد زخرت بالمناظر وصور الأشخاص خاصة صور الشهداء الاقباط مثل الشهداء الخمسة وأمهم ، والقديسين مثل مارمينا ، والبطاركة مثل الأنبا شنودة ، والنساك أو السواح مثل القديس أنطونيوس والقديس أبانوفر أو القديس برسوم العريان . فقد ترك بعضهم وأقول بعضهم سيرة طيبة ، تجاوزت حدود مصر ولكنهم جميعا نالوا التكريم داخل القطر المصري حيث

---

(١) Roma Sotteranea, transl. by Northcote and Brownlow, Lond. 1879, Vol. II. p. 45.

يجد أن قصص أعمالهم البطولية وآلامهم ، مازالت تروى ، وأن صورهم مازالت ترسم فوق الألواح التى تغطى حوائط الهيكل .

وهناك أيضا اختلاف آخر ما بين فن الرسم اليونانى والقبطى ، وهذه نقطة يجب الا نتجاوزها فى صمت ، لأنها تميز الفن القبطى ليس فقط عن الفن اليونانى ، بل انها تميزه عن سائر فنون المسيحية الغربية ، وهى أن الأقباط هم المسيحيون الوحيدون الذين لا يبتهجون لرسم تعذيب القديسين على الأرض ، أو الخطاة فى جهنم . أما كنائسنا الانجليزية فقد اشتهرت برسوم الفريسكو التى تتضمن الجماجم والعظام والشياطين البشعة الشكل . ومن المعتاد أن تجد صورة الدينونة الأخيرة مرسومة فى الكنائس الانجليزية فوق عقد القسم الشرقى الخاص بالقسوس والمرتلين ، ولا تجد أى خروج على التقليد الخاص برسم هذا المنظر . ونجد على سبيل المثال أن كنيسة لوترويث Lutterworth مازالت تحتفظ بهذا الرسم فى حالة جيدة . كما نشاهد على السطوح الباهتة للحوائط حول هيكل العذراء بكاتدرائية ونشستر Winchester ، آثار صور جنيات خبيثة تقوم بتمثيل أدوار التعذيب ، كما نشاهد فوق الباب الغربى لكاتدرائية اميانز Amiens صورتى قيامة السيد المسيح وصورة الدينونة محفورة على الحجر ، وتعرض نفس الأهوال التى وردت فى كتاب مزامير أوترشت Utrecht Psalter ، ولوحات الفريسكو التى رسمها أندريا أوركاجنا Andrea Orcagna فى كنيسة كامبو سانتو Campo Santo بمدينة بيزا Pisa ، ولوحات الموزاييك بكنيسة دومو Duomo فى تورشيللو Torcello . وكذلك نجد أن كل كنيسة فى جبل أثوس Athos بها صورة الدينونة الأخيرة مرسومة فى المدخل المسقوف للكنيسة وبها تفاصيل الأهوال التى وصفها كيرزون Curzon بسعادة بالغة (١) . ويذكر نفس المؤلف فى موضع آخر أن « هؤلاء الرهبان اليونانيون يتملكهم حب عجيب للشيطان ولكل شيء مفزع وبشع الشكل ، ولم أر طوال حياتى صورة واحدة لقديس يونانى حسن الطلعة ، مرسوما فى أى كنيسة » (٢) . أما فى الكنيسة القبطية فلا توجد مثل هذه الصور المرعبة . ولا توجد هذه الصور فى أي جزء من العالم الذى يزخر بآثار العصور الأولى للكنيسة، ولكنها نتاج الذوق المريض الذى ساد فى العصور الوسطى .

ويظن مستر راسكين Ruskin أن رسوم الموزاييك فى تورشيللو Torello قد يعود تاريخها الى القرن السابع (١) ولكن لو صح ذلك

---

(١) Monasteries of the Levant, pp. 301-302.

(٢) Id. p. 258.

(٣) Stones of Venice, of Venice, Vol. ii. App.

فستكون هناك هوة زمنية بينها وبين الصور المشابهة فى الأماكن الأخرى ٠ أما رسوم الفريسكو فى جبل آثوس Athos فهى أكثر حداثة فى بعض الحالات ٠ أما الموضوع ان لم يكن العمل الفنى ذاته ، فانه يعود الى عدة قرون سابقة ويسجل تكساير Texier وبولان Pullan (١) نماذج أخرى من النوع الأخير ولكن ليس بينها ما هو موغل فى القدم ٠ وكما كان احساس الكنيسة المبكرة وهى سعيدة بتصوير السيد المسيح فى المجد وقد أحاط به القديسون المنتصرون ـ شديد الرفعة والرقة ـ فانها تركت هلاك الأشرار ليغوص فى صمت الخيال ٠ وهذا الاستبقاء الحكيم ورفض تصوير عذابات الجحيم باستخدام الألوان ، أو نشر عقيدة الفزع ، كان ومازال هو الطابع الدائم للفن القبطى بالرغم من تعارضه مع فنون سائر المسيحيين واذا صح تفكير تكساير Texier وبولان Pullan بأن صور الهول هذه بيزنطية فى الطابع ، وفى اشتقاق أصولها من عملية وزن الروح وغير ذلك من أساطير قدماء المصريين ، فانها على الأقل شديدة الغرابة الى درجة أنه خلال القرون الستة الأولى للمسيحية ـ والتى كانت عبادة ايزيس وأوزوريس مازالت منتشرة خلالها ـ لا نجد أى أثر أو ذكر لمثل هذه الرسوم ٠ ولابد أن مصر كانت هى القطر الوحيد الذى تميز عن غيره من الأقطار بغياب هذه النوعية من الرسوم فى كافة فترات التاريخ المسيحى ، وأهم من ذلك أن الزمان والمكان القريبين من هذا الارتباط المفترض ، هما نفس الزمان والمكان اللذين أغفلا أى اشارة اليه ٠ وهنا نجد أن الادراك والمنطق يستدعيان تفسيرا آخر ٠ ومن المؤكد أن يكون هذا التفسير معقولا بحيث يغطى على التشابه الغريب الموجود بين رسوم العصور الوسطى الخاصة بجهنم والمنتشرة فى كل أوربا ، وموضع العذابات الذى يظهر فى الرسوم البوذية بالهند (٢) ٠ وأن يبرز هذا التشابه فكرة ارتباط الفن البيزنطى بالفن البوذى ٠ وأظن أن الأمر لا يحتاج لأى بحث عويص لاكتشاف أن نفس مراحل الاعتقاد والتعبير الفنى ذات أصول وتطورات مستقلة ٠ وعلى الانسان أن يتذكر فقط كيف أن مرور الزمن قد أدى بالفكرة الأصلية للحياة المسيحية والفكر المسيحى الى التصلب بحيث أصبح التعصب المذهبى أحد المبادىء اللاهوتية ، بينما ضعفت الأمور الروحية الى درجة الرغبة المتعسفة فى استخدام الواقعية فى الفن ٠ وبذلك يصبح من السهل أن نفهم ـ بالاستعانة بالمادة الضئيلة التى يقدمها الكتاب المقدس ـ كيف أن هذا الذوق الفاسد والخيال المريض ـ اللذين انتشرا فى عصر الخرافات ـ قد رحبا باختراع وتصوير الأهوال بالألوان ، فى أسلوب أكثر انحطاطا من أساليب التتار الوثنيين ٠

---

(١) Byzantine Architecvture, p. 41.

(٢) See : Lord Lindsav's Eketches of the History of Christian Art, vol. i. p. xxxiii.

. وإذا تجاوزنا الموضوع الى الشكل نقول ان الأقباط لم يشاطروا البيزنطيين أو اليونانيين عادة وضع صور اللوحات داخل صفائح من الفضة، أو وضعها داخل براويز معدنية • ويمكن أن نشاهد أو نخمن وضع مثل هذه الصور فى معظم الكنائس اليونانية اليوم ، ذلك لأن اللوحة كلها مغطاة بالفضة فيما عدا وجوه الأشخاص التى تبرز من فتحات فى الفضة ، بينما نحتت الملابس وبقية التفاصيل فى شكل بارز فوق سطح الصفحة الفضية •

ولا نعرف متى بدأت هذه العادة ولكن يبدو أنها قديمة الى حد ما • ويذكر كيرزون Curzon بين العديد من الصور التى نفذت بهذا الأسلوب ، صورتين للامبراطورة ثيودورا ، ورسمين آخرين جلبا من القسطنطينية فى أواسط القرن الخامس عشر • وكلها موجودة بدير فاتوبيد Vatopede بجبل أثوس Athos (١) • وبالطبع فان الصفحة الفضية مقصود بها حماية الصورة من الضرر الذى قد ينتج عن عادة تقبيل الصور • ويبدو أنه من وقت لآخر نشبت موجات من العنف ضد القيم السائدة بخصوص تقديس الأيقونات فى مصر • وعلى ذلك فانه فى سنة ١٨٥١ قام البطريرك الأنبا كيرلس الذى بنى الكاتدرائية الحالية بالقاهرة دون مراعاة لمقاييس الجمال ـ بالاعتراض على المبالغة فى احترام الصور ، ومن باب التصميم على تحطيم الخرافات ، أصدر الأمر بازالة الصور من كافة الأنحاء وقضى عليها فى حريق هائل • ولا شك أن العديد من أقدم وأجمل الأيقونات قد هلك بالرغم من أن هذا الأمر لم يعتد به فى حالات أخرى كثيرة •

ويمتلك الأقباط عددا لا بأس به من الصور الدينية فى منازلهم ، ومعظمها قليل الجودة • وهم يصلون أمامها ، كما يشعلون أمامها الشموع وفاء للنذور • وبالرغم من أن الكنيسة تحرم الصلاة للقديسين ، فان هذه العادة كانت شائعة بين السيدات اللائى هن أشد جهلا من الرجال • أما أكثر القديسين احتراما فى هذا الخصوص فهم رئيس الملائكة الجليل ميخائيل والعذراء مريم ومار جرجس والقديس مرقوريوس أبو سيفين •

---

(٢) Monasteries of the Levant, p. 327.

الفصــــل الرابــــع

ملابس رجال الاكليروس الأقباط

المصادر السابقة ـ التونية ـ الشملة ـ المنطقة ـ البطرشيل ـ الصـــدرة ـ الكمـــان

ان الكتاب العديدين الذين غامروا بالتعرض لموضوع الملابس الكهنوتية ـ واجهوا صعوبة فى التوصل الى نتيجة سريعة واضحة ونهائية ، وضربوا الأمثـال وركزوا سواء عمدا أو عن غير عمد ـ على الغموض الذى أحـاط بالموضوع • أما الأسلوب الذى سأتبعه الآن فانه يتلخص فى مراجعة ومقارنة جميع الأدلة المكتوبة حول الموضوع • واذا كان ممكنا فاننى سأقرر على ضوء معلوماتى ـ حقيقة الملابس الكهنوتية ، ثم أصفها وأقارنها واحدة فواحدة ، بالملابس المماثلة فى الكنائس الأخرى الشرقية والغربية ، وأخيرا فاننى سأذكر شكلا أو شكلين من أشكال الملابس التى لم يدونها الكتاب السابقون وهى أشكال نرى أن الدليل عليها مصور أكثر منه مكتوب • ان القائمة التى سنوردها هنا مقتبسة عن المؤرخ العربى أبو دقن (١) كما أوردها السير أ • سادلير E. Sadleir سنة ١٦٩٣ • واشك بشدة فى أن تكون هذه الترجمة الانجليزية عملا قديما قد نقل مباشرة عن النسخة اللاتينية لنفس المؤلف ، تلك التى نشرت فى أكسفورد سنة ١٦٧٥ • ولا يدهشنا ظهور الأخطاء فى مثل هذه الترجمة الانجليزية التى أخذت عن الترجمة اللاتينية • وحتى اذا كانت اصطلاحات العبادة فى المصدر الأصلى صحيحة فنيا وتم عرضها بوضوح فهى نادرة مهما كانت الأحوال • وهناك مصدر آخر للخطأ ، يتردد كثيرا بصورة مزعجة الا وهو جهل المصنفين الذين يبدو أنهم لم يفهموا لغة العبادة (٢) ولكن ما يساعدنا على

(١) History of the Jacobites, tr. by Sir E. Sadleir, London, 1693.

(٢) مما يؤسف له انه حتى الفضل وأحدث المعاجم العربية مثل معجم لين Lane والدكتور بادجر Badger شديدة النقص فى هذا الصدد •

الاستمرار هو أن أبو دقن يقدم لنا القائمة التالية على أنها تتضمن الملابس الكهنـوتية :

١ ـ افود ephod من الصوف حول الرأس ، ومن الواضح أن هذه هى الشملة رغم أن أبو دقن يذكر أنه ليس الكهنـة فقط هم الـذين يرتدونها بل أيضا كل من يدخل الكنيسة ـ وهى ملحوظة صعبة الفهم اذا لم يكن المقصود بها العمامة ، ولكننا سرعان ما نورد تفسيرا آخـــر ٠

٢ ـ التونية Dalmatic ثوب طويل من الكتان يصل الى القدمين ومزين بالجواهر على شكل صليب على الظهر والصدر والحواف وأطراف الأكمام ٠ أما اذا كانت الكنيسة فقيرة ، فانه يطرز بالحرير بدلا من الجواهر ٠ وهذه التونية واحدة من الأدلة العديدة على عظمة الطقس القبطى القـديم ٠

٣ ـ المنطقـــة Girdle ٠

٤ ـ المنديل أو اللفافة Maniple يحمل الكاهن فقط فى يده اليسرى ولا يسمح للشمامسة أو الرتب الأدنى بحمله ، وأشك بشدة فى صحة هذه العبـارة ٠

٥ ـ الغفارة Cope ـ الاسم اللاتينى لها هو Pallium cum cucullo ويقال انها تستخدم فى أثناء القداس بواسطة الكاهن أو الشماس أو الرتب الأدنى عندما لا يكون الأسقف مشاركا فى الصلاة ، وتطلق كلمة قلنسوة hood على الشملة Amice ٠ أما الغفارة فهى الجبة أو العباءة التى يرتديها الكهنة الأقباط وقد أصبنا بذكرها هنا ٠

٦ ـ البطرشيل Stole ٠ يقول النص اللاتينى عن هذه القطعة من الملابس الكهنـوتية :

"Nulli ferunt nisi pontifices".

وهذه العبارة أصبحت فى النص الانجليزى كما يلى : « لا يرتدى البطرشيل الا الأساقفة » وهى استحالة لا تحتاج الى تفنيد ٠

دعنا الآن نعد الى القائمة التى أوردها فانسليب Vansleb (١) الذى عاش بالقاهرة فيما بين عامى ١٦٧٢ ـ ١٦٧٣ وكان فى الغالب دارسا مدققا ـ ويقدم لنا سبع قطع للملابس الكهنوتية كما يلى :

(١) Histoire de l'Eglise d'Alexandrie, p. 60.

١ ـ القميص Alb ويسمى فى العربية : التونية ٠

٢ ـ الشملة Amice شريط طويل من الكتان الأبيض يرتديه الكهنة والشمامسة ملتفا حول الرأس ويسمى بالعربية (الطيلسان) وبالقبطية (بى لوجيون) ٠

٣ ـ المنطقة وهى مصنوعة من الحرير ٠

٤ ، ٥ ـ الكمان ٠

٦ ـ البطرشيل ٠

٧ ـ الغفارة : ويجب أن تصحبها القلنسوة بالنسبة للأساقفة وليس الكهنة ٠ ويبدو أن هذه القطعة مميزة بالقلنسوة كما ذكر أبو دقن ٠ ولكن كلا المصدرين يختلفان فيما يتعلق بالاستخدام ، لأنه بينما يخصص أبو دقن الغفارة ذات القلنسوة للكهنة والشمامسة ويستثنى الأساقفة ، فان فانسليب Vansleb يخصص الغفارة ذات القلنسوة للكهنة دون الأساقفة ويقدم الكلمة المساوية لها فى العربية وهى البرنس ، أما رينودو Renaudot (١) فى كتابه العظيم عن القداسات الشرقية فيخصص مصدرين للملابس القبطية هما الأنبا غبريال وأبو صبا (٢) ٠ والأنبا غبريال هو البطريرك الثامن والثمانون من بطاركة الاسكندرية ٠ ويذكر فى كتابه عن الطقوس الذى نشر سنة ١٤١١ للميلاد الملابس الكهنوتية كما يلى :

١ ـ التونية المصنوعة من الحرير ٠

٢ ـ الشملة على مثال افود هارون ٠

٣ ـ البطرشيل ٠

٤ ـ المنطقة ٠

٥ ، ٦ ـ الكمان ٠

٧ ـ بدلة القداس أو البرنس من الحرير الأبيض ٠

وكذلك فان أبو صبا يذكر سبعة أيضا كما يلى :

---

(١) Liturgiarum Orientalium Collectio, Second edition, Frankfurt, 1847, 4 to vol. 1, pp. 161-163.

(٢) اطلق رينودو وغيره اسم : أبوسيبا على هذا الكاتب ، ولكن الهجاء الصحيح له كما ورد فى مخطوط عربى هو : أبوصبا ٠

١ ـ التونيــة ٠

٢ ـ الشــملة ٠

٣ ـ المنطقــة ٠

٤ ، ٥ ـ الكمــان ٠

٦ ـ البطرشيل الذى يعلقه الكاهن فى عنقه (ايبتراخيليون) ٠

٧ ـ بدلة القداس ٠ وما تخص منها الأساقفة ، لها ياقة من الذهب أو مطرزة بالخيوط الثمينة حول العنق وهى ليست كذلك بالنسبة للكهنة ٠ واذا قارنا هذه العبارة بتلك التى أوردها فانسليب يبدو لنا أنه من الممكن أن يكون هذا الرداء أقرب الى الجبة وليس بدلة للقداس ، وأن القلنسوة التى اختفت هنا ورد أنها مطرزة ، بالقياس الدقيق الى النوعيات المعتادة فى الغرب ٠

وبعد أن ينوه رينودو عن صعوبة تقديم عرض واضح لهذه الملابس المختلفة انطلاقا من حقيقة صعوبة تأويل الاصطلاحات حتى باســتخدام المعاجم ـ يمضى فى مناقشتها بالترتيب ـ وهى عملية من المناسب لنا متابعتها بتقديم ترجمة تحضيرية لها كما يلى :

١ ـ (التونية : ثوب طويل يصل الى الكعبين ، يسميها أبو صبا : الجبة ـ بينما يسميها البطريرك غبريال : التونية ، وهى نفس الكلمة اليونانية (ستيخاريون أو خيتونين) وترتديها كافة الرتب الكنسية حتى من هم دون رتبة الشماس ـ وهى متناسبة المقاييس وذات لون أبيض) ٠

ولا شك فى أن رواية رينودو صحيحة تماما ، وهذه القطعــة من الملابس هى ما تسميها التونية ٠

٢ ـ (الشملة : تسمى فى العربية طيلسان ويقابلها فى القبطية كلمة (ايبوميس أو أبوميس أو بيلوجيون) كما وردت فى بعض المعاجم ٠ وهى عبارة عن قطعة من الملابس توضع على الكتفين ، ويبدو أنه يمكن تفســيرها من حيث انهــا تمــاثل بدلة القداس Chasuble عند اللاتين ويسمونها فينوليون ٠

وهذه الملحوظة الأخيرة من رينودو بالرغم من اتفاقها مع ما أورده دوكانج الا أنها غير موفقة ٠ وقد نقل نيل هذا الخطأ عن رينودو بدون تحقيق ، وجعله ضمن مصادره ٠ وهو يذكر باسهاب أن كلمة chasuble يسميها القبط : طيلسان (١) ٠ أما أبو دقن وفانسليب فانهما واضحان

(١) Eastern Church, Gen. Introd. vol. i, p. 309.

جدا فى بيان أن الشملة هى رداء قبطى ، ويعرف (فانسليب) الكلمة محل المناقشة باستخدام اللفظين العربى والقبطى وهما طيلسان وبى لوجيون ولذلك لا يوجد سبب للخلط بين الطيلسان وبدلة القداس ، أو الشك فى معنى طيلسان • وهو ليس محل تساؤل بالنسبة لمصادر رينودو كما هو الحال أيضا بالنسبة لمصادرى الخاصة • أما النقطة التى تحتاج الى بعض الاهتمام فهى الخلط بين الشملة والافود rational ، وهى نقطة مر عليها رينودو بدون تفسير • والحقيقة هى أنه كان هناك منذ أقدم العصور ارتباط وثيق بين الافود والصدرة breastplate ، أو الطيلسان والافود • وعلى ذلك نجد أن القديس جيروم Jerome يذكر ضمن رسالته عن ملابس الخدمة (١) : أن الافود يعادل الصدرة لأنه غير مفتوح ومستقل، ولكن يمكن ربط الاثنين ليصبحا شيئا واحدا • ومرة أخرى (٢) يصف الصدرة بأنها منسوجة من الذهب وبألوان زاهية مثل الافود • وفى موضع آخر (٣) يذكر القديس جيروم أن اللفظ المقابل فى الترجمة السبعينية للكتاب المقدس هو (ايبومين) ويوجد الآن دليل على أن الصدرة قد استخدمت كرداء تقليدى فى الشرق • ويورد ماريوت Marriott رسما لصدرة جلدية وجدت فى تابوت بكنيسة الآلام فى موسكو (٤) ، ويذكر أنها لا يمكن أن يكون تاريخها أقدم من القرن العاشر وهى طراز استثنائى قصد به تقليد الصدرة اليهودية • وقد نقل أيضا عن كتاب كنج (٥) قوله ان المطران الروسى يرتدى فوق صدره قطعتين من الملابس المزينة بالجواهر ، ويظن أنهما مأخوذتان عن الأوريم والترافيم اللذين كانا على صدرة هارون الكاهن • ولكن الدليل القاطع نجده لدى كنيسة شرقية أخرى هى الكنيسة الأرمينية ، حيث ان الشملة والصدرة يوجدان مرتبطتين معا ، حسب الوصف الذى أورده القديس جيروم للافود والصدرة • أما الشملة ذات الياقة Varkass فهى شملة صغيرة ذات ياقة صلبة ترتبط بها أحيانا صدرة من الفضة أو الذهب (٦) ، ولذلك يبدو من المحتمل أنه كان هناك ارتباط بين الشملة والصدرة خلال حقبة مبكرة من تاريخ الكنيسة القبطية • واذا كان ذلك الأمر واردا فانهما كانتا مرتبطتين معا • كما هو الحال فى الملابس الأرمينية ، وحينذاك يصبح من السهل فهم كيف أن الاسمين ايبومين وبى لوجيون يجرى استخدامهما بالتبادل •

---

(١) Mariot'· Vestiarium Christianum. p. 23.

(٢) Id. p. 17.

(٣) Id. p. 14.

(٤) Vest. Christ. Pl. lvii. and p. 245.

(٥) Greek Church, p. 39.

(٦) Fortescue's Armenian Church, p. 133.

وأخيرا فانه عندما بطل استخدام الصدرة ، ظهر خلط من جديد ، أو أن هذا الخلط يمكن تفسيره بطريقة مختلفة . فالشملة على كل حال كانت فى الكنيسة الغربية ذات شكل مربع أو مستطيل ، وكان يتم ارتداؤها بتداخل اثنين من أطرافها أحدهما فى الآخر عبر الجزء العلوى من الصدر ، وأن الأربطة كانت تربط من الأمام بعد احاطتها بالجسم . وعلى ذلك فقد كانت الشملة عادة عبارة عن صدرة . واذا كانت الكنيسة القبطية تسير على نفس المنوال ، فمن الطبيعى أن يكون اللفظان ايبومين وبى لوجيون قد جرى استخدامهما كمترادفين .

٣ ــ (المنطقة Girdle . انها لا تحتاج الى شرح فان مصادرها القديمة متوفرة ، ولها معنى خاص بين مسيحيى الشرق لأنه منذ الفتح الاسلامى أوحى بها العديد من الخلفاء للتمييز بين الأقباط والمسلمين . وقد حرص الحاكم ، وصلاح الدين على الأمر باستخدام هذه العلامة المشينة ، حسب مفهوم كافة المؤمنين من غير الاكليروس ، بينما تنافس رجال الاكليروس فيما بينهم فى مدح هذه القطعة الموقرة من الملابس . وانطلاقا من حقيقة تمييز المسيحيين بهذه المنطقة فقد أطلق عليهم اسم : « مسيحيو المنطقة ــ الزنار » ــ وهو اسم أثار العديد من التأويلات السخيفة) .

ودون الحاجة الى المزيد من حصر النصوص الواردة ، نقول ان (المنطقة) لم تكن تستخدم بوصفها واحدة من الملابس الكهنوتية فقط ، وانما كانت لها مكانتها فى احتفالات العماد والزواج . ويبدو أن صفة « مسيحيو الزنار » قد أطلقها البنادقة . أما المرسوم المدنى الذى فرض على المسيحيين ارتداء الزنار لتمييزهم عن المسلمين ، فقد صدر لأول مرة ليس عن (الحاكم) ولكن قبل ذلك بحوالى قرن ونصف على أيام الخليفة (المتوكل) .

٤ ، ٥ ــ (من المحتمل أن يكون الكمان هما ايبيمانيكيا اللذان ــ حسب ما يذكره جور Goar ــ يرتديهما اليونانيون ، مفتوحين برباط حريرى لتقويتهما على الذراعين . ويتماثل ايبيمانيكيا تحت شكل آخر مع ما يسمى maniples فى الطقس اللاتينى . ولكن الكمين القبطيين حسب الأصناف المحلية قد يكون لهما شكل مختلف بالرغم من أنه ليست لدينا معلومات مؤكدة فى هذا الصدد) .

وأظن أن تعريف maniple   epimanikia, خطأ ، فالمعلومات المؤكدة التى أرادها رينودو فيما يتعلق بشكل الكمين القبطيين يستطيع القارىء أن يجدها فى موضع آخر بهذا الجزء من الكتاب .

٦ ــ (البطرشيل ــ يعلق من الرقبة • أما عدم معرفة أبو صبا بالبطرشيل اليونانى فقد دفعه الى تقــديم اشتقاق غــريب حيث يقول ان البطرشيل يعنى « الألف صخرة » وتقدم المعاجم كلمة (سكورديون) كمرادف لهذه الكلمة العربية ولكن هذا الاصطلاح غير معروف فى الطقس) •

وهذا الاشتقاق مستحيل بما فيه الكفاية ، الا أن رينودو حينما أخطأ فى الاقتباس العربى جعله يبدو أكثر غرابة • وأميل الى الظن بأن أبو صبا كان لديه بعض المعرفة باللغة اليونانية • والكلمة التى يبدأ بها ليست بيترشيل ولكن بطرشيل التى لا شك أنه يشتقها من بيترا وخيليون • ويضيف أن البطرشيل هو رمز « رمز صخرة » التى تحيط بمسار الكنيسة وتتطلب اليقظة المستمرة من رجال الاكليروس الذين يقودونها ! ويتركز جهله الحقيقى فى أنه غفل عن رؤية أن البطرشيل هو تحريف للمصطلح اليونانى (ايبيتراخيليون) ويلاحظ أن رينودو لا يقول شيئا عن شكل البطرشيل الذى سنورده بعد قليل •

٧ ــ (أخــــيرا تأتى بدلة القــــداس chasuble وهى البرنس كاماسيون كما يفهمها القبط ــ وهى عبارة عن مصطلح يعنى غالبا كلمة القميص لدى اللاتين ، ولكنها هنا تعنى قطعة ملابس تماثل البدلة القديمة التى تلبس فوق بقية الملابس الأخرى وتحيط بكامل الجسم • والجزء العلوى منها له حافة من الذهب أو التطريز الثمين « تسمى فى القبطية (تى كوكليــــا) وفى العربيـــــة قصــلة » وقد وصفها جــــور Goar بدقة مثلما وصف الملابس اليونانية • والبرنس مصنوع دائما من الحرير ولكن أبو البركات يذكر أن العديد من الرهبان والقسوس بالقاهرة كانوا يرتدون برنسا بسيطا من الصوف الأبيض بدون أية حواف مثل ذلك الذى يستخدمه رهبــان الكارثوسيان Carthusians الفرنسيون فى خدمة المذبح • أما رهبان دير أبو مقار فلم يستخدموا البرنس فى خدمة المذبح ولكن فقط فى أوقات الصلوات العامة •

وكافة هذه الملابس لها معان رمزية مثل ملابس اليونانيين • وبالرغم من تضارب المصادر بســبب تداخل الاصــطلاحات العربية وغياب تنظيم للتسمية يحدد معنى الكلمات القبطية أو اليونانية بالعربية ، فان هذه المصادر لا تشجع على اعادة الدراسة لأنها غير واضحة فيما يتعلق بعلاقة الأشكال القديمة للملابس بالشكل الحالى • وربما كان هناك تغيير بسيط يمكن أن نقره بمجرد الملاحظة وليس بالدليل المكتوب •

ولكن من الواضح أن كافة الملابس القبطية تتشابه تقريبا مع الملابس اليونانية ، فنجد أن (البرنس) يتشابه مع الفيلونيــون أو فاينوليــون

كما رسمه جور Goar ، ومع Casula أو planeta لدى اللاتين .
والقميص يتشابه مع القميص الغربى alb واليونانى ستيخاريون . وقد احتفظ المسيحيون العرب بهذا الاصطلاح الأخير الذي يفسره الاخميمى بأنه القميص . ويتم تقوية الكمين بأربطة حريرية . بينما يتضح لنا أنهما مصنوعان حسب الطراز اليونانى . أما الطيلسان أو Epomis فهو الشملة كما ذكرنا من قبل ، وتتصل به قلنسوة حسب ما أورده الاخميمى . أما البطرشيل فيوضع حول الرقبة وينزل متقاطعا على الأكتاف كما فى الرسم الذى أورده جور . وقد أورد الاخميمى غطاء رأس الكاهن . cidaris المزين بالصلبان الصغيرة .

وقد كانت هذه الملابس فيما مضى ولا تزال ، ثمينة ومكلفة بقدر ما تستطيع الكنائس أن تتكفل بتكاليفها . وهى تتطلب الحرص ولا تخرج من الكنيسة أو غرفة حفظ الملابس لأنها مكرسة مثلها فى ذلك مثل كل ملحقات الخدمة بمعرفة الأسقف . واذا استخدمها الهراطقة أو الأشخاص الذين ينتمون الى مذاهب مخالفة فانها تكون قد تدنست ويتطلب الأمر حينذاك اعادة تكريسها بصلوات معينة والا فانها تحرق بالنار . وعلى ذلك فاننا نقرأ على أيام الأنبا خائيل البطريرك السادس والخمسين أنه تم الحصول على اذن السلطان لاحراق ملابس ستة من الأساقفة الملكانيين . ونادرا ما يوجد اختلاف بين ملابس الخدمة التى يرتديها الأسقف بالنسبة لملابس الكاهن ولكنها تتميز كما هو الحال عند الاغريق بالدوائر المطرزة والصلبان) .

ويورد رينودو Renaudot الحديث عن قطعة الملابس السابقة (البرنس Chasuble) بدون مناقشة . ولا شك أنه مخطىء فى ذلك . لأن البرنس فى الاحتفالات القبطية كان كما هو فى الغرب ـ رداء للأعياد الكبرى والقداسات العظيمة أكثر منه ملبسا عاديا يلبس أثناء خدمة المذبح . ويشير رينودو الى التضارب بين القميص alb والبرنس والذى نشأ بسبب تعريف اليونانيين للبرنس بأنه كاميسيون أو كاماسيون . وهو تضارب أقل ما يقال عنه انه يعرف كلمة alb بأنه القميص . ولكن يبدو أن رينودو نفسه لا يعول عليه مثل المصادر التى يناقشها . وبعد أن ذكر أن الكمين اليونانيين مجهزان بأربطة حريرية يقول انه ليست لديه معلومات مؤكدة عن الكمين القبطيين ثم يذكر على الصفحة التالية ببرود ـ أن الكمين القبطيين لهما أربطة حريرية ولذلك فهما يشبهان الكمين اليونانيين ! . ومرة أخرى يذكر فى الفقرات المقتبسة أعلاه ، مرات عديدة بدون تساؤلات ـ الشملة (amiculum) .) أميكولوم

كواحدة من قطع الملابس السبع ، الا أنه يزعم فى موضع آخر (١) أن الشملة Amictus غير معروفة فى الكنيسة الشرقية ٠

أما العبارة المقتبسة عن الاخميمي فتقول ان الشـملة يرتبط بها قلنسوة تشير اما الى الزمن الذى تغير فيه شكلها الأصلى الذى كانت تتكون فيه من قطعتين مميزتين ، أو أنها مجرد سوء فهم للغرض المقصود بسبب الطريقة التى كانت تلبس بها الشملة فوق الرأس ٠ والتى وصفها فانسليب بدقة ٠

وهناك فاصل زمنى بين رينودو ودينزنجر Denzinger الذى نشر كتابه « "Ritus Orientalium" (الطقوس الشرقية) سنة ١٨٦٣ ، بحيث يتوقع الانسان أن تضيف هذه الفترة شيئا لما نعرفه عن الموضوع ، ولكن هذه ليست هى القضية ، فان دنزنجر Denzinger يردد نفس كلمات رينودو والمصادر المبكرة ، بطريقة حرفية ، وهو يصحح خطأ رينودو عن الشملة باعتدال ، بينما هو يشكك فى شهاداته المهمة عن غطاء الرأس الذى يرتديه الكاهن القبطى(٢) ولكنه لا يضيف كلمة أخرى للنقد الأصيل، ويترك الحيرة القديمة أشد سوءا ٠ ولا شك أن انجاز دنزنجر عظيم من نواح عديدة لأنه يتضمن قدرا كبيرا من الاقتباسات والترجمات المأخوذة عن الكتاب الشرقيين وغيرهم ممن لا يزالون يعتبرون مصـادر رئيسـية لمعلوماتنا عن الطقس الشرقى القديم ، الا أنه لم يقدم فى موضوع الملابس القبطية الا قدرا من البيان المتناقص ، فهو لا يحاول التوفيق بين العبارات المتناقضة لدى من سبقه من المؤلفين ، ولا يضيف شيئا الى أى نقطة ولا حتى شهادة مراقب واحد جديد ٠

أما وقد راجعنا المصادر العديدة التى كتبت عن الملابس المقدسـة للكنيسة المصرية ، وقارنا كل مصدر بالآخر للتوفيق بقدر الاستطاعة بين التناقضات ، فاننا نستنتج مع بعض التأكيد أنه كانت توجد على الأقل سبع قطع قانونية من الملابس التى يمكن مطابقتها مع الملابس الانجليزية المشابهة ، وهـذه القطع هى التونية ، والشملة ، والمنطقة ، والكمان ، والبطرشيل ، وبدلة القداس أو البرنس ٠ وتتطابق هذه المقارنة تماما مع العدد والأسماء بالملابس المستخدمة عند وضع هذا الكتاب ، بالرغم من أن الاستخدام الحديث قد أصبح الى حد ما ، غير مهتم بهذه الأصول ، وأن

---

(١) Volume, ii. p. 55.

(٢) من المشكوك فيه حدوث أى تغيير والواضح أنه لا يختلف عما سبق أن ذكرناه أى الشملة ٠

Ritus Orientalium, ed. H. D. Denzinger, Wireburgi, 1963 : tom. i: p. 130.

ارتداء هذه الملابس كلها لا يحدث فى اجتماعات الصلاة العادية ولكن فى الأعياد الكبرى فقط .

ويمكن ملاحظة مثل هذه التناقضات بين عوائد الماضى والحاضر بعد فترة مناسـبة .

التونية (١) Tunie تى مابا

استدعى الأمر أن تكون ملابس الخدمة فى الكنائس الشرقية ذات لون أبيض حسب عادة قديمة جدا (٢) ويورد ابن العسال قانونا من قوانين القديس باسيليوس يقول ان : « ملابس الخدمة يجب أن تكون بيضاء فقط » . وتقول القوانين الامبراطورية ان : « الملابس الكهنوتية يجب أن تصل الى الكعبين وأن تكون بيضاء وليست ملونة » . ولا شك أن المرجع الأساسى لهذين المصدرين يقصد التونية ، التى كانت حينذاك وما زالت حتى اليوم أكثر قطع الملابس ضرورة لخدمة القداس ، بالرغم من أن كلمة القميص alb فى الغرب تتضمن اللون المذكور ، ويبدو أنها أكثر قدما من كلمة « التونية » . أما مصدر الكلمة اللاتينى فهو tunic . وبذلك يسمى القميص tunica alba والتونية tunica dalmatica تونيكا دالمانيكا . وهذا المصدر هو الذى عاش مع الاصطلاح الذى يستخدمه القبط الآن للدلالة على قطعة الملابس التى تسمى « التونية » . والاسم dalmatic يحفظ هنا بوصفه الأقرب الى الاثنين . ولكن من المهم أن نتذكر أن الشكل القبطى لهذه القطعة لا يتطابق تماما مع الشكل اللاتينى ولكنه ربما يتطابق مع الاسم القديم colobion . وقد كانت التونية هى tunic مع اضافة كمين طويلين كاملين . أما colobion فقد كان لها كمان قصيران متصلان (٣) . وقيل أنها أبطلت لتحل محل التونية على يد سلفستر sylvester أسقف روما فى عصر قسطنطين (٤) وعلى ذلك فانه من المثـير أن نجـد أن مصر التى لم تقـع أبدا تحت سـيطرة

---

(١) ان الأسـماء القبطية للابس الخدمة قد اعطاهـا لى ابونا فيلوثاؤس القمص بالكاتدرائية فى القاهرة وهو اكثر الاقباط علما بمثل هذه الموضوعات . ومع وضوح اسمين أو اكثر بالنسبة لغيرهما الا أن الاسماء كلها فيما عدا الأخير مأخوذة عن مراجع مخطوطة . أما الاسم بى بوتيريون فمن الواضح انه ماخوذ عن الكلمة اليونانية بوديرين (التى تصل الى المقدمين) .

(٢) See : Marriott, Vestiarium Christianum, Introd. Chap. iv.

(٣) حسب ما أورده ماريوت فى صفحة ٦٥ الا أن نفس المؤلف يعرف Colobion على صفحة ١١١ بأنها تونية بدون أكمام (حاشية رقم ٢٢٠) .

(٤) Vest. Christ. p. lvii.

بابا روما ، تتمسك حتى اليوم فى خدمة المذبح ـ بشكل التونية التى هجرها اللاتين منذ خمسة عشر قرنا . ويلاحظ أن التونية الموضحة بالرسم لها جسم كامل ولكن الكمين قصيران وهى تنفتح بواسطة شق بطول الكتف الأيسر تغلقه عروة مع أحد الأزرار . وخيوط الخياطة هنا ليس لها أى معنى طقسى ، ولكن ربما كانت تبين أن هذا الرداء مكون من أجزاء . وقد وجدت أجزاء من تونيات أخرى قديمة ولكنها أقل قيمة . ويتشابه التطريز الموجود فوق التونية مع الوصف الذى ذكره أبو دقن . فنجد على الصدر صورة للعذراء مريم وهى تحمل الطفل المخلص على ذراعها الأيسر . ويوجد تحت هذا الرسم ، رسم تخطيطى للقديس مار جرجس وهو يطعن التنين مع عبارة اهداء باللغة العربية . وقد رسمت على كل من الكمين صورة لأحد الملائكة منبسط الجناحين وقد تضمنت الأطراف بعض الصلبان الجميلة حول حافة الكمين ، كما طرز صليب آخر فاخر على ظهر التونية . وقد استخدمت العديد من الألوان الرقيقة فى هذا التطريز الذى نفذ بأشغال الابرة ، مع استخدام الحرير فى بعض الغرز بالتنسيق مع الأرضية البيضاء أو ذات اللون السمنى التى نفذت فوقها أشغال التطريز ، أما الأرضية فهى من الكتان ، أما اللون الأصفر فيرجع الى تعاقب الزمن .



شكل رقم ٢٠ : تونية مطرزة

أما التونية البيضاء ذات الأكمام القصيرة والمطرزة بالطريقة التى فصلناها عاليه ، فهى قطعة الملابس الرئيسية التى يلبسها رجال الدين الأقباط أثناء اقامة القداس • أما الفارق بين التونية التى يرتديها الكاهن والأخرى التى يرتديها الشماس فهو فارق ليس فى الشكل بل فى الزخرفة، لأن تونية الكاهن وضعت على صدرها صورة العذراء مريم ، وصورة ملاك على كل من الكمين ، مطرزة بخيوط الذهب أو الفضة أو أشغال الابرة الدقيقة ، بينما تحمل تونية الشماس صلبانا صغيرة ملونة بدلا من صورة العذراء والملاكين •

وفى الفترة التى كانت فيها التونية العادية مطعمة بأفاريز وصلبان من الجواهر الثمينة ، كما ذكر (أبو دقن) ، كانت الأرضية منسوجة من الحرير الأبيض الثمين أو الكتان • والحرير هو المادة الشائعة الذكر فى الكتابات القديمة ، ولم أستطع أن أجد أى دليل مرسوم أو مكتوب ، يدل على استخدام القبط فى العصور القديمة للتونية ذات الشرائط أو الأكتاف كما هو مرسوم فى رسوم الموزاييك المبكرة فى الغرب • ومنها على سبيل المثال رسوم كنيسة سانت فيتالى S. Vitale فى رافنا Ravenna ، وفى الرسوم المبكرة بالكنيسة اليونانية • وتتدلى هذه الشرائط بمعدل شريط من كل كتف فى الأمام والخلف • وكانت سوداء اللون فى العادة ، ولكنها فى العصور التالية وبالذات فى القرن السابع ، صارت قرمزية اللون • وربما حدث حوالى نفس الفترة أن بدأت زخرفة الكمين بشرائط صغيرة سرعان ما أصبحت تقليدا وتحولت الى افريز كما هو موجود حاليا فى التونية القبطيــة •

يبدو اذن أن اللون الأبيض كان هو اللون المســتخدم للتونية فى العصور الأولى للكنيسة سواء فى الشرق أو فى الغرب • كما أن اللون الأبيض هو اللون الوحيد المذكور فى القوانين الأيرلندية القديمة (١) وتتفق فى ذلك الممارسات الانجليزية وممارسات بلاد الغال ، ولكن مع نهاية القرن السابع نجد أن القديس كوثبرت St. Cuthbert قد دفن فى تونية أرجوانية بالرغم من أن ذلك كان امتيازا خاصا أعطى كتشريف ملوكى لذلك القديس ولا يفرض بالضرورة استخدام اللون القرمزى كلون كهنوتى • وفى القرن الثامن كانت الأقمصة فى أيرلندا تزخرف بأطراف مطرزة كما هو الحال فى مزار القديس ميدوك St. Maedoc (٢) • وفى العصور الوسطى أصبح من المعتاد استخدام الألوان المختلفة فى ملابس الكنيسة اللاتينية • وهناك ألوان خاصة اقتصر استخدامها على مواسم أو مناسبات

---

(١) Warren's Lit. and Rit of the Celtic Church, p. 124.

(٢) Id. p. 114.

خاصة . أما فى انجلترا فلم تستخدم التونيات المطرزة والملونة الا بعد الفتح النورماندى (١) . وبخصوص هذا الاستخدام الأخير فاننى أظن أنه لا يوجد مرجع واضح فى التاريخ الكنسى القبطى يؤيده . وقد أوضحنا منذ قليل أن الأقباط قد زينوا التونية بأغلى الجواهر وأثمن التطريز ، ولكن لم أشاهد فى الاستخدام العملى أى تونية مصنوعة من القماش الأحمر أو الأرجوانى أو غير ذلك من الألوان واقتصر استخدام التونية الملونة على الصور التى تزين الكنائس . وعلى ذلك نرى رئيس الملائكة الجليل ميخائيل فى صورة بكنيسة (أبى سرجة) ، وقد ارتدى تونية قرمزية مزينة بالذهب . وكذلك فان القديسين الذين تحيط صورهم بالمحراب فى كنيسة القديس (أبو سيفين) يرتدون أقمصة وتونيات ملونة . ونفس الكلام ينطبق على صور الرسل التى فوق حامل الأيقونات ، وصور القديسين التى فوق حجاب الهيكل الجانبى الجنوبى بكنيسة العذراء الدمشيرية علما بأن اللونين الأحمر والأخضر هما الغالبان . ونرى أن التطريز فى بعض التونيات المطرزة موزع على الأرضية بطريقة توحى بفكرة أنها تونية ملونة . ويمكن مشاهدة نموذج لتونية ذات لون سمنى ومغطاة بأزهار صغيرة مطرزة ـ فى كنيسة القديس (اسطفانوس) بالقاهرة ، وهناك تونية أخرى فى رسم محفور على الخشب يمثل القديس (اسطفانوس) ومأخوذ عن صورة بكنيسة (أبى سرجة) يعود تاريخها الى القرن الخامس عشر أو السادس عشر . وهنا نجد أن التونية ذات أرضية بيضاء ولكنها مغطاة كلها بأزهار مطرزة ، وكل زهرة منها يتصل بها فرع دقيق وبعض الأوراق . وعلاوة على ذلك نلاحظ أن التونية تنفتح بشق أمامى على الصدر ، وأن كلا من الرقبة والفتحة مزين بحافة مطرزة ، بينما يزين الطرف الأسفل حافة من أشغال الجوهر . وكذلك زخرفت الأساور بتطريزات خاصة . وكما هى العادة فان أكمام هذه التونية ملائمة ولكنها تلفت الأنظار لأنها ليست قصيرة وانما تغطى الذراع بكاملها . ومن المحتمل أن يكون الشمامسة قد اعتادوا ارتداء التونية ذات الأكمام الطويلة ، بينما ارتدى القساوسة تونيات ذات أكمام قصيرة بسبب أن الكمن epimanikia كانا يغطيان مقدمة أذرعهم . ويبدو أن أحدا لم يلاحظ هذا الفارق فى رسم العمود القديم بالكنيسة المعلقة الذى لا يتجاوز تاريخه القرن الثامن . وفيه نرى أن رئيس الأساقفة أو البطريرك المبين فى الصورة ، يرتدى تونية ثمينة مطرزة كلها بدوائر صغيرة ، ولكن كمى التونية يصلان الى الرسغين ، ومن المحتمل كما هو واضح من الرسم ، أن يكون الكمان غير متصلين بالتونية ولكنهما منفصلان ومصنوعان من نفس قماش التونية ومزخرفين بالتطريز .

(١) Rock, Vol. II. p. 100.

وهناك نموذج آخر لتونية قبطية يستحق وصفا خاصا حيث يوجد بكنيسة أبو سيفين على الجانب الشمالى لصحن الكنيسة قريبا من المنبر صورتان تمثلان الامبراطور قسطنطين والملكة هيلانة على التوالى ، وقد ارتدى كل منهما نفس الملابس التى تتمثل فى القميص والتونية • ونرى القميص هنا طويلا وفضفاضا بينما التونية ليست قصيرة جدا — حيث تصل الى مسافة قصيرة تحت الخصر • ويلاحظ أن بها افريزين عريضين فى الطرف الأسفل على شكل زجزاج وليسا على خط مستقيم ولاشك فى وجود الطابع الكنسى لهذه التونيات • أما بخصوص صحة رسمها فهذا يثير سؤالا آخر لا نستطيع أن نجد له جوابا لسوء الحظ • والمؤكد هو أن المصادر لا تذكر شيئا معروفا عن هاتين القطعتين من الملابس ، وعما اذا كانا يلبسان سويا كما أنه لا يوجد أى دليل عملى يؤكد الفصل بينهما •

وتتصل التونية القبطية كما يقول رينودو Renaudot بالتونية التى تستخدم فى الكنيسة اليونانية تحت اسم Sticharion (ستيخاريون أو ستويخاريون) • ويبدو أن نفس هذه الكلمة موجودة بكلمة ستيخارى القبطية المخففة فى النصوص القبطية (١) •

وقد وصف البطريرك اليونانى جرمانوس Germanus الجزء الأول من هذا الاسم فى أوائل القرن الثامن كما يلى (٢) :

« ان التونية اليونانية بلونها الأبيض ترمز لمجد الله ونقاء الحياة التى يحياها القسوس المسيحيون • أما الشرائط الواردة هنا فربما كانت تتمثل فى الشريطين اللذين على الكتفين ، وهى شائعة فى التونية الرومانية ويوزد ماريوت Marriott (٣) مثالا جيدا لهذه الشرائط فى وصفه لقطعة ملابس مرسومة فى صورة قديمة من الفريسكو فى كنيسة أرجب Urgub المنحوتة فى الصخر حسبما ذكره تكسيار Texier وبولان Pullan • وهناك نموذج جيد آخر فى صورة الفريسكو التى رسمها رولت دى فليرى Rohault de Fleury بكنيسة نكربسى Nekresi فى جورجيا Georgia • وهناك نماذج أخرى موجودة فى الشرق والغرب• ويوجد اختلاف بسيط فى شكل التونية اليونانية التى يرتديها الأساقفة حيث لا يوجد بها شريطان فقط ، بل شرائط رأسية عديدة (٤) وهذا

---

(١) Denzinger, Rit. Or. tom. ii. pp. 40, 49.

(٢) Marriott, Vest. Christ. p. 85.

(٣) Id. xxxvii — note.

(٤) Lit. Or. vol. ii. p. 54.

الشكل وكذلك الشكل العادى لا يستخدمه الأقباط بالرغم من أن اليونانيين لديهم نوع منه بدون شرائط وله أكمام طويلة ومغطى أحيانا بأشغال التطريز مما يجعله يشبه التونية القبطية التى يرتديها الشمامسة ٠ ويوجد بين كنوز كنيسة القديس نيقولاوس St. Nicholas القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة ، تونية قديمة فخمة مصنوعة من الحرير الأزرق الفاتح ، مزخرفة بزهور ودوائر مطرزة فى تصميمات جميلة بارزة ٠ وقد أحيطت الزهور والدوائر التى تدور حول رسوم أشخاص القديسين بحبات دقيقة متلاصقة من اللؤلؤ ، مصفوفة مع خطوط التصميم ٠ أما التونية التى يرتديها البطريرك فى الاحتفالات الكبرى حاليا فهى مصنوعة من خيوط الذهب ، وهى تتفق مع التونية القديمة التى وصفناها بأنها مفتوحة من الجانبين حتى الذراعين والتى علقت بها أجراس صغيرة ٠

وقد استخدم السريان تونية بيضاء مثل القبط واليونانيين ــ وسواء كانت قميصا أو تونية ــ فانها ضمن الملابس الكهنوتية ٠ ويطلقون عليها اسم (كوتينة) Kutina وهو اسم مشتق من الكلمة اليونانية خيوتونيون حسب قول رينودو Renaudot (١) ٠ ولكن ربما كان رينودو على خطأ فى قوله بأن كلمة التونية العربية تحريف لهذه الكلمة بدلا من الربط بينها وبين كلمة تون العربية أو كلمة tunica اللاتينية ٠ وقد تمسك السريان باللون الأبيض الأرثوذكسى بالرغم من أن رينودو يتحدث أيضا عن تونيات ذات ألوان أخرى ، وجدت لها صورا فى مخطوط من فلورنسا ٠

وأخيرا فاننا نجد نفس هذه القطعة من الملابس ممثلة فى القميص المصنوع من الحرير الأبيض الذى يستعمله حاليا المسيحيون الأرمن ويطلقون عليه اسم Shapich (٢) ٠ وعلى ذلك فان كافة أرجاء العالم المسيحى تتفق على التقليد القديم الذى يلزم خدام المذبح أن يلبسوا التونية البيضاء ٠ ولكن بصرف النظر عن التطريز الذى ذكرناه ، فانه لا يوجد فى الكنائس الشرقية شبيه للقطع المربعة التى تمثل جزءا ضروريا من زخرفة القميص فى الطقس الغربى ٠

---

(١) Lit Or. vol. ii. p. 54.

(٢) Fortescue's Armenian Church, p. 133.

(الطيلسان) ـ الشملة ـ (البلين) (١) بى بانين ـ بى لوجيون ـ بى ايفرت ٠

لقد وجدنا أن أبو دقن يتحدث عن الشملة بوصفها الافود المصنوع من الصوف أو الكتان والذى يرتديه حول الرأس الكهنة « وكافة من يدخلون الكنيسة » ٠ ولا أظن أن كلمة الكنيسة هنا ترجمة خاطئة لكلمة « الهيكل » العربية التى تعنى حرفيا « المعبد » وأنها قد تحولت الى كلمة « الكنيسة » بمعرفة المترجم الذى يجهل معناها الذى يخصصها للدلالة على « قدس الأقداس » أو الهيكل المحيط بالمذبح ٠ واذا كانت الشملة تلبس منفصله بوصفها جزءا من رداء كنسى فان أبو دقن لم يضعها فى قائمة الملابس المقدسة ٠ ويصف فانسليب Vansleb بوضوح أكثر الشملة بأنها من الكتان الأبيض وتلف حول رأس الكهنة والشمامسة ـ وأنا أرجح هذه النقطة الأخيرة لأنها تتضمن فكرة الترجمة الخاطئة للنص الذى أورده أبو دقن كما ذكرنا من قبل ٠ وبالطبع فان الشمامسة يدخلون الهيكل فى أثناء أجزاء معينة من القداس ، ولذلك فاننا اذا أخذنا ما ذكره أبو دقن عن أن الشملة يرتديها الكهنة وكل من يدخلون الهيكل فان ذلك يطابق ما ذكره فانسليب Vansleb ٠ وأخيرا فان البطريرك الأنبا غبريال يذكر الحرير الأبيض بوصفه القماش المستخدم فى صناعة الشملة ، كما يذكر أبو صبا تلك القطعة من الملابس دون أن يضيف شيئا الى معلوماتنا المتوافرة عنها ٠

ومع ادماج هذه الشذرات من المعلومات نصل الى حقيقة أن الشملة عبارة عن شريط طويل أو تلفيعة من الحرير الأبيض أو الكتان تلف حول رأس الكهنة أو الشمامسة ٠ وهذا التعريف يبين بالكلمات ماهية الشملة التى يرتديها رجال الكهنوت الأقباط على أيامنا هذه ٠ ويبدو أن المصادر قد أخطأت فى القول بالسماح للشمامسة بارتداء الشملة لأن الشملة هى احدى قطع الملابس المقدسة ٠ ويطلق عليها فى اللغة العربية كلمة الشملة أو البلين ٠ وبالرغم من أن هاتين الكلمتين مترادفتان فى الحديث العادى الا أنهما تمثلان قطعتين مختلفتين من الملابس ـ سواء من جهة اللون أو أسلوب الاستخدام رغم التشابه من حيث الشكل ، ذلك لأن الشملة

---

(١) لاحظ أن لوجيون هى الكلمة التى استخدمها القديس جيروم ومن جاء بعده من الكتاب فى وصف الصدرة التى يستخدمها الكهنة فى الكهنوت اللاوى كما ورد فى (Marriott, vest. Christ, p. 17).

عبارة عن شريط مستطيل من الكتان الأبيض مطرز عليه صليبان كبيران . ويلبســـها القس أو القمص (الايغومينوس) ، بينمـا البلين Ballin مصنوع من الحرير الرمادى أو غيره من الألوان ومطرز عليه نقوش وصلبان كثيرة ، ويلبسه البطريرك والأساقفـة • ومرة ثانيـة فان الشملة تلف كالعمامة حول الرأس • وبينما يهبط أحد طرفى الشملة الى ما وراء ظهر الكاهن ، فان الطرف الآخر يلف حول وجهه تحت الذقن ، ثم يربط فى أعلى الرأس • أما البلـين فانه يلبس بطـــريقة مختلفـــة • أولا يلف مرتين ثم يعلق فوق رأس الأسقف من الوســط وبذلك تعلق الأطـراف منسدلة من الأمام ثم يمر كل طرف حول الصدر تحت الذراع الذى فى الجانب الآخر ، ثم يمر عبر الظهر فوق الكتف الذى فى الجانب الآخر وينزل تحت المنطقة ،وبذلك يتخذ شكل قلنسوة فوق الرأس على مثال الشملة • ولكن بينما يتخذ البلين شكل صليب على الصدر والظهر ، فان الشملة تستخدم بطولها لتغطية الرأس فيما عدا طرفا واحدا يترك حرا لينزل الى وسط الظهر • ويظهر فوق هذه القطعـة المستقيمة شكل صليب مطرز بأشغال الابرة ، وكذلك صليب آخر فوق التاج الذى على الرأس بشكل قلنسوة •





شكل رقم ٢١ـ الشملة من الأمام والخلف

والشمـلـة مصنوعـة من الكتـان الأبيض أو الحـرير الأبيض • أما الصلبان التى فوقها فهى مطرزة بخيوط ذهبيـة فى معظم الأحوال •

ويبلغ طولها فى العادة ٨ أقدام ، بينما يبلغ عرضها قدما واحدا • ولكن فى حوزتى شملة لا يقل طولها عن ١٦ قدما و٨ بوصات ، بينما يبلغ عرضها قدما واحدا و ٤ بوصات • أما الصلبان التى تبعد عن الطرف القريب بمسافة ٣ أقدام و٤ بوصات ، ومسافة قدمين و٦ بوصات على الترتيب ، فهى مشغولة بالحرير الأحمر والأصفر ، وفى زواياها حروف التكريس القبطية • ولا توجد حواف لهذه القطعة وانما يحدد كل من طرفيها بخط أحمر مفرد من أشغال الابرة •

أما الطيلسان فهو يتميز عن الشملة بأنه شكل تقليدى لنفس القطعة من الملابس وهو يتكون من شريط عريض من الكتان أو الحرير ينزل على الظهر وينتهى فى أعلاه بقلنسوة بدلا من أن يلف حول الرقبة وفوق الرأس مثل الشملة • ولا يرتدى البطريرك البلين الا فى مناسبات خاصة مثل يوم الجمعة الكبيرة وليس أثناء خدمة القداس ، أما المطارنة والأساقفة فانهم يرتدونه أثناء خدمة القداس ، عندما لا يلبسون التاج • وعندما يكونون خارج المطرانية أو الأسقفية الخاصة بكل منهم ، أو داخل المطرانية أو الأسقفية ولكن فى حضور البطريرك ، فانهم يرتدون البلين ، ولا يجوز استخدام التاج فى مثل هذه المناسبات • ولسنا فى حاجة الى القول بأن العباءة Cope نادرا ما يرتدونها مع البلين •

أما الشملة التى تستخدم الآن فهى فى العادة غير مزخرفة بأية زخارف أو اضافات مزينة بالجواهر والذهب ، كما كان معتادا فى الكنائس الغنية بالغرب • ولكن فى مثل هذه الحالات كما هو فى كل حاجة ، يوجد ما يدعو الى الاعتقاد بأن الطقس القبطى قد نافس طقسنا الغربى فى ناحية الفخامة • وعلى كل حال فاننا نبحث فى الصور القبطية القديمة وفى الحديثة كذلك عن أى رسم واضح يمثل الشملة • وربما كان المثال الموجود فى صورة الأنبا شنودة فى كنيسته التى تحمل اسمه بمصر القديمة لا يؤدى الغرض لأن غطاء الرأس فيها عبارة عن قلنسوة • الا أن هذه القطعة من الملابس قد تعنى الطيلسان ، بينما نجد أن الشملة قد توصف بأنها القلنسوة حتى فى الآثار الانجليزية كما هو الحال بالنسبة لتمثال كاهن فى كنيسة تاوين Towyn • فى ميريونثشاير Merioneth shire وتمثال آخر فى بيفرلى مينستر Beverley Minster (١) • أما الشكل الغالب بالنسبة للشملة فى المقابر الغربية فهو عبارة عن ياقة مرتفعة حول الرقبة ويوجد شبيه لها فى الاستخدام القبطى ، فنرى أن الشملة تتمثل فى الياقة المرتفعة المطرزة حول رقبة البطريرك فى الصورة التى على ختم بطريرك الاسكندرية والتى سنقدم لها فيما يلى ، وصفا مأخوذا عن رسم

---

(١) Bloxam's Ecclesiastical Vestments, p. 47 (eleventh edition).

مطبوع من حفر على الخشب . وحتى اذا كان الدليل غير متاح فعلينا أن نكون متـــأكدين من أن الشملة كانت فى وقت ما مزينــة بالكثير من الأحجار الكريمة التى تبين فخامة الشملة سواء كانت زخرفتها فى شكل رسوم نباتية أو صلبان من الجواهر .

أما العصر الذى يعود اليه استخدام الشملة فى الكنيسة القبطية ، فانه سؤال أخشى ألا أستطيع الاجابة عنه ، فقد حدث أول ذكر للشملة فى الغرب ، مبكرا فى القرن التاسع بمعرفة رابانوس ماوروس Rabanus Maurus . وكانت فى الأصـل عبارة عن قطعة من التيل مربعـة أو مستطيلة تربط عبر الكتفين والصدر ، وكان مطرزا عليها ـ مثل الشملة التى يستخدمها الأقباط ـ صليب كبير (١) . وحتى القرن الثانى عشر لم نسمع عن ارتداء الشملة فوق الرأس ولذلك فقد اعتبرت رمزا لخوذة الخلاص حسب ما أورده دوراندوس Durandus ، وبذلك فانها عند ارتدائها تحمى الرأس ولذلك فانها لا تنزل لتصل حتى بدلة القداس فى لحظـة التكريس . وهنـاك نوع من الشملة يطلق عليه اسم fanon كان يلبس فوق رأس البابا أثناء القداس بدلا من التاج وذلك يوم خميس العهد عند قيام البابا بأداء طقس غسيل الأقدام . وبالرغم من أن الافود وليس الشملـة هو الذى ورد ذكره بـين المـلابس القديمـة للأساقفـة السلتيين (٢) الا أنه من المرجح أن الشملة أيضا كانت موجودة منذ وقت مبكر سابق للفترة الزمنية التى حددت لها ، ونظرا لارتباطها الطبيعى بالافود فانه لم يرد ذكر مبكر لها بصفة منفصلة . ولا يبدو لنا أن ذكر مثل هذه القطعة كان معروفا مثل الشملة فى طقس الكنيسة اليونانية رغم أن الافود موجود فى صـــدرة من الذهب أو الفضـة كانت تلبس فوق بدلة القـداس بواسطة البطاركة والمطـــارنة وتسمى : الصدرانية بى ريستثيون (٣) . ومن ناحيـــة أخرى فان رجال الكهنـــوت الأرمن ما زالوا يلبسون الشملة وهى عندهم صغيرة وذات ياقة صـلبة حسب الوصف الذى قدمناه سابقا ، ويرتبط بها فى بعض الأحيان صدرة من معدن ثمين . والشملة بدون الافود شائعة فى كنائس السريان الأرثوذكس والموارنة حيث تعتبر احـدى قطع الملابس التى يرتديها الأسقف أثنـاء الرسامة كما هو واضح فى التعليمات التى ينبغى اتباعها (٤) .

---

(١) See : Chamber's Divine Worship in England, p. 34.
(الصورة المرسومة على تلك الصفحة تبين شملة كانت تخص سانت توماس اوف كانتربرى) .

(٢) Warner's Lit and Rit. of Celtic ch. p. 113.

(٣) Id. p. 114.

(٤) Denzinger, Rit. Or. tom. ii. pp. 93, 157.

وهكذا نرى أنه ليس القبط فقط هم الذين يعرفون الشملة ضمن الملابس الكهنوتية ، وانما أيضا الموارنة والسريان والأرمن ، وأن لهذه القطعة من الملابس تاريخا معروفا فى جميع الحالات ، وحتى مع التسليم بأن هذا التاريخ لا يتعدى القرون القليلة من عصرنا الحالى ، فاننا نشعر بالدهشة لأن المؤرخين الكنسيين من رينودو الى ماريوت ينكرون وجودها ضمن الملابس الكهنوتية الشرقية • وقد تم تفنيد حجة رينودو بنفس كلماته ، أما ماريوت فهو يقول : « لا توجد قطعة ملابس مشابهة لها فى الكنيسة اليونانية » ولكنه يقتبس فى رضا ، عبارة فيكتورجاى Victor Gay (١) :

« يتميز الشرقيون المدققون بالمحافظة على التقاليد المرعية فى استخدام الزى القديم ولا يغيرونه أبدا » •

وحتى نيل فانه يسلم بوجود الشملة الأرمينية ويذكر أنها غير معروفة فى أى كنيسة شرقية أخرى ، ويبدو أنها مأخوذة عن الشملة اللاتينية (٢) وهذا يصحح الخطأ •

ويثير الكثير من الجدل حول استخدام الشملة ، ما هو معروف من أن الشرقيين محافظون فى طقوسهم ، وأن الأقباط أكثر محافظة من سائر أهل المشرق • ومع الافتقار الى الدليل المباشر فان تاريخ استخدامها فى مصر موضع تخمين ، ولكننى أظن أنه أقدم مما هو معروف حيث ان حرارة الجو تتطلب وجود مثل هذه الحماية للرقبة ، ومرة أخرى فمن الطبيعى وجود صلة بين الشملة والافود اللاوى أو الصدرة فى الشرق ، وهى صلة تتعلق بنفس الاسم الذى يطلق على هذه القطعة من الملابس القبطية •

وعموما فان القول بأن الشملة غير معروفة فى الكنائس الشرقية ، لا يقوم عليه دليل ، **ولكن الموازنة بين الاحتمالات العديدة تبين أن استخدام الشملة قد ظهر أولا فى الشرق ، وعبر الى الغرب ، أكثر من ان يكون قد جاء بوصفه هدية من طقس روما الى طقس الاسكندرية •**

المنطقة أو الزنار (٣)
بى أوناريون أو بى زوناريون

بالرغم من أن الاستخدام الاجبارى للمنطقة كأداة للتمييز المدنى بين ملابس المسيحيين والمسلمين فى مصر قد انتهى منذ عهد بعيد ، الا أنه

---

(١) Ves. Christ. p. 212 n.

(٢) Eastern Church, Gen, Introd. vol. i. 306.

(٣) كلمة زنار هذه مع الكلمتين القبطيتين اللتين تدلان عليها ، قد اشتقت جميعها من الأصل اليونانى (زوناريون) •

حتى اليوم فان المسيحيين والمسلمين جميعا يلبسونها للملاءمة ومحاكاة الطريقة التى كان يتم بها ارتداء المنطقة أو الحزام فى العصور القديمة قبل اعتبارها قطعة ملابس مقدسة للكنيسة • لأنه كما هو الحال لدى رجال الكنيسة نجد أن المنطقة تلبس فوق القميص أو التونية ، وكذلك فانها تلبس فى الحياة اليومية الآن بالقاهرة — بواسطة كبار التجار أو الشيوخ الموفرين للاقتصار على ارتداء عباءة تختلف عن التونية من حيث انها مفتوحة طوليا من الأمام ، والشبه بين هذين النوعين من الملابس ملفت للأنظار بشدة ، ويستند فى الحقيقة الى أن الانسان لا يستطيع أن يفهم ندرة المعلومات الموجودة لدى مؤرخى الكنيسة عنه • وقد بذل الكثير من العمل والجهد لاستنباط الأشكال المختلفة للملابس الكهنوتية — من الأنواع المختلفة للملابس القديمة المسجلة فى الأعمال الأدبية والآثار المنحوتة • ونجد أن الملابس الشرقية قد أهملت تماما بالرغم من أن المسيحيين الأوائل كانوا — مثل اليهود — ينتمون الى الأصل الشرقى ، وأن الملابس الشرقية اليوم تكاد أن تكون هى نفس الملابس التى كانت موجودة منذ ألفى عام • واذا جمعت الملابس الكاملة التى يرتديها الأعرابى من محلات بيع العاديات المنتشرة فى القاهرة ، فان ذلك يمثل تماما أصل الملابس المسيحية بصورة أفضل مما تقدمه الآثار المنحوتة عن أثينا وروما •

وحيث ان البرنس لدى الأقباط هو العباءة الخارجية للأعرابى المصرى ، وحيث ان التونية أو القميص هى الرداء الذى يرتديه العرب داخل العباءة ويسمى القميص ، فكذلك نجد أن المنطقة المقدسة هى الحزام الذى يستخدمه الوطنيون • أما الشملة فلها شبيه فيما يسمى : الكوفية • والمنطقة — مثل معظم الملابس الكهنوتية — تلبس هذه الأيام فقط أثناء الاحتفالات الكبرى ، وليست جزءا من الملابس العادية التى تستخدم لخدمة المذبح • أما التونية فانها تلبس دائما عند تقديم القربان كما تلبس الشملة والبطرشيل كذلك • أما بقية الملابس الكهنوتية فانه بالرغم من حفظها بالكنيسة فانها لا تعتبر ضرورية لاقامة القداس • ومازالت توجد عينة لمنطقة قديمة وجميلة مصنوعة من القطيفة القرمزية بمشابك من الفضة • وقد قدمنا وصفا لها عند الحديث عن كنيسة القديسين أباكير ويوحنا بمصر القديمة • ومن المحتمل أن يعود تاريخها الى القرن السادس عشر • أما تلك التى يرتديها البطريرك الحالى فانها مصنوعة من الحرير الأصفر ، وتربط بمشابك كبيرة على شكل الكمثرى من الفضة المزركشة المطعمة بالأحجار الكريمة •

ولا نستطيع التمييز بين استخدام المنطقة كقطعة من الملابس المقدسة عن غيرها من الملابس الكهنوتية من حيث الزمن • وليس هناك سبب يدعونا

لاعتبارها اضافة حديثة أو أى شيء آخر سوى أنها مصاحبة للتونية . وهى مرسومة بوضوح فى الرسم الذى على العمود بالكنيسة المعلقة وقد ذكرناه منذ قليل وهو يعود الى القرن الثامن أو قبل ذلك بقليل ، وتمثل قطعة ملابس كهنوتية ذات طراز مطور وليس أوليا . وفى هذا الرسم نجد أن المنطقة ليست مجرد وشاح غير مقيد ، ولكنها حزام ذو حواف ومشبك مثل المنطقة المرسومة فى كنيسة القديسين أباكير ويوحنا . ولذلك فمن المنطقى القول بأنه عند رسم هذه الصورة ، كانت المنطقة شائعة الاستخدام باعتبارها قطعة تقليدية من الملابس الكهنوتية ، ونستنتج من ذلك أن استخدام المنطقة فى الكنيسة القبطية أقدم من استخدامها بكنائس الغرب المسيحى .

وتستند هذه الفكرة الى حقيقة أن أول ذكر واضح للمنطقة بوصفها قطعة من الملابس المقدسة قد ورد فى القرن الثامن بمعرفة القديس جرمانوس الذى من القسطنطينية ــ وهو مؤرخ شرقى وليس غربيا . وبعد ذلك بقرن تقريبا نجدها مذكورة فى قائمة الملابس الغربية التى أوردها رابانوس ماوروس Rabanus Maurus . ومن ذلك الوقت فصاعدا كثر التنويه عنها . وكانت المنطقة شديدة الفخامة حيث تصنع من أشغال التطريز المذهبة وتعشق بالأحجار الكريمة . ومازالت تستخدم فى الكنيسة اللاتينية حتى اليوم بمعرفة الأساقفة ، ولكنها فى بعض الأحيان تعتبر مجرد حزام تتدلى منه شراريب متأرجحة . ويذكرها جور Goar ضمن ملابس البطريرك اليونانى وليس ضمن ملابس أى رتبة كنيسة أخرى . أما فى الكنيسة الأرمينية فان المنطقة تعتبر ضمن ملابس الكاهن الرسمية وتلبس فوق البطرشيل . ويطلق عليها الأرمن Kodi . وكذلك يلبس كهنة السريان منطقة تشبه المنطقة القبطية من حيث الشكل وتربط بمشابك . وفى الكنيسة المارونية يتمنطق الكاهن عند سيامته بالمنطقة التى تصبح من تلك اللحظة واحدة من ملابس التكريس . ومازالت المنطقة مستخدمة بين النساطرة ويطلق عليها نفس الاسم المستخدم لدى السريان وهو الزنار (١). وواضح أن هذه الكلمة تذكرنا بالكلمة اليونانية زوناريون (= الزنار = الحزام) . لذلك نقول ان المنطقة معروفة عالميا فى الكنائس الشرقية بوصفها واحدة من الملابس الكهنوتية .

---

(١) G. P. Badger, The Nestorians and their rituals, vol. i. p. 225.

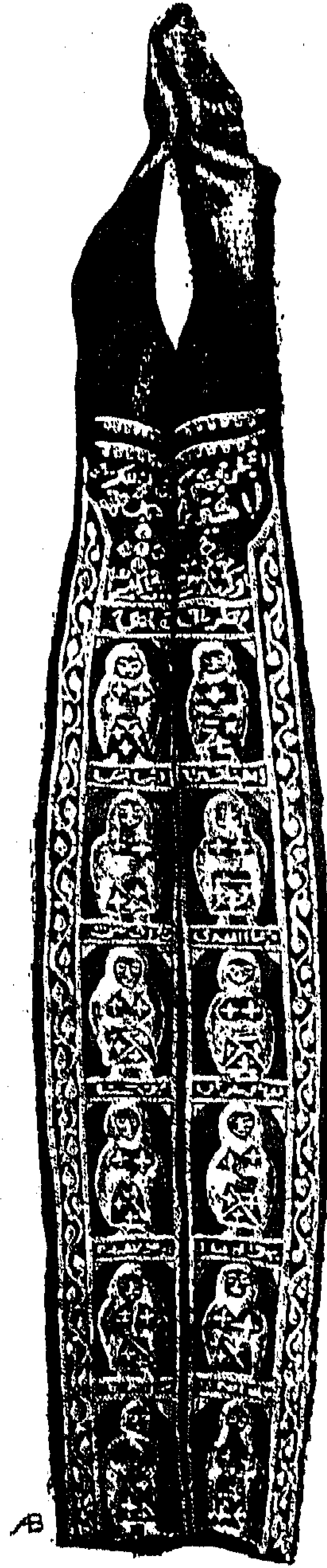
(البطرشيل) بى اوراريون – بى سنخورديون

تشترك كافة المصادر التى ذكرناها عن الملابس القبطيــة فى خطأ واضح هو الفشل فى التمييز بين البطرشيل العادى والبطرشيل الذى على شكل صدرة ، كما فشلت فى ملاحظة وجود النوع الثانى أى الصدرة، وان كان. لا يمكن السؤال عن وجودها أو اختلافها عن البطرشيل العادى أو المدى الزمنى الذى تعود اليه ، كما سنرى فيما يلى • وقد أثرت هذه النقطة هنا للحفاظ عليها لانهــا يجب تذكرها من البــداية ، بالرغم من اهتمامنا بالملابس الكهنوتية المقدسة •

واذا تركنا الحديث عن الصدرة فان المصادر جميعها تتجاهل حقيقة أن بطرشيل الكاهن له شكلان لا يشبه أحدهما الآخر والأسوأ من ذلك التجاهل هو الاقرار بأن الأقباط يلبسون البطرشيل ثم يصمت الكاتب تاركا القارىء لكى يتخيل وحده شكل هذا البطرشيل • وقد جعل مترجمو كتاب أبو دقن – المؤلف – يذكر أن الأساقفـة فقط هم الذين يرتـدون البطرشيل ، ولاشك أن كلمة أساقفة يجب أن تتحول الى : الذين يقيمون القداس ، ومن الصعب رؤية كيف أن الثقة بالترجمة الخطأ يمكن أن تخلص العبارة الأصلية من التحريف • ولا يورد فانسليب أو الأنبا غبريال شيئا عن هذا الموضــوع ، بينما يذكر أبو صبنا أن البطرشــيل ابيتراخيليون يلبسه الكاهن من الرقبة – وهى ملحوظة صحيحة من حيث الدلالة على طريقة ارتداء البطرشيل ولكنها لا توضح الموضوع كله • ولا يبذل رينودو أى جهد لكشف الغموض • وهذه عينة طيبة لكمية المعلومات التى يمكن اقتباسها عن المؤرخين السابق ذكرهم الذين كتبوا فى المواضيع القبطية ، وعن نقص المعلومات لدى المؤرخين الكنسيين الأكثر حداثة • لقد تحدثت عن وجود شكلين للبطرشيل ، ويقع كلاهما مع الصدرة البطريركية تحت اسم « البطرشيل » وهو تحريف للكلمة اليونانية ابيتراخيليون وأظن أن الاسم القبطى أوراريون يطلق على كل منهما • وبينما نجد للصدرة الاسم الواضح الخاص بها الا أن كلا النوعين من البطرشيل لا يختلفــان فى الاسم • ولا شك أن هذه الحقيقة قد أدت الى ظهور التناقض والارتباك الذى يعود فى جانب منه الى صمت المراجع • ويتصل أحد الشكلين بالكلمة اليونانية ابيتراخيليون أو بيتراخيليون كما كان يطلق عليه ، بينما يقترب الثــانى من الكلمــة اليونانية أوواريون ، ومن البطرشيل المستخدم فى

الغـرب • وسنستخـــدم فى الصفحات التـالية كلمــــة ابتراشيليون epitrachelion لوصف الشكل السابق وذلك للتوضيح ، بينما نبقى كلمة بطرشيل للدلالة على الشكل الآخر •

١ ـ يتكون الابتراشيليون epitrachelion من شريط طويل يبلغ عرضه حوالى ٩ بوصات وطوله ٦ أقدام ، ويوجد فى طرفه العلوى فتحة تمر من خلالها الرأس ، وبذلك تصبح هذه القطعة من الملابس مدلاة فوق وسط التونيـــة من الأمام • والابتراشيليون مشغول بالتطريز من العنق الى أسفله فى شكل صلبان كبيرة ، أو بصورة التلاميذ الاثنى عشر على صفين يتكون كل منهما طوليا من ست صور • وقد نقش النص الخاص بالتكريس أعلى هذين الصفين • ويمكن أن نكون صورة لمدى الفخامة التى كانت تتميز بها هذه القطعة من الملابس الكهنوتيـــة فى سالف الأزمــان بالنظر الى الصورة التى تمثل ابتراشيليون من القطيفة القرمزية اللون المطرزة بخيوط الفضة ، وهى تنتمى الى كنيسة القديسين أباكير ويوحنا • وحتى الآن فان فخامة هذا الابتراشيليون مازالت واضحة • ويبلغ عرضه أحيانا ١٨ بوصة • أما المادة الشائعة فى صنعــه فهى الحــرير الأزرق المزخرف بالصلبان ذات الألوان الزاهية أو اللفائف أو الرسومات • ويجدر بنا ملاحظة أن الابتراشيليون غير المزخرف بالرسومات يطلق عليه اسم منفصل هو ـ الصدرة ـ ويمكن فى نظرة واحدة ملاحظـة أصل الشكل الحالى لهذه القطعة من الملابس ، فمن الواضح تماما أن الابتراشيليون كان فى الأصل يشبه البطرشيل الغربى الذى كان يحيط بالعنق من الخلف وينسدل من الأمام على كلا الكتفين • ويتجمع الطرفان ويربطان معا من اليـــاقة لكى ينســدلا الى أسفل بواسطة عــراو وأزرار • وأخــيرا فن الابتراشيليون مع هذا الاستخدام ، كان يصنع من قطعة واحدة عريضة لها فتحة من أعلى • ومازال الوعى بهذا الأصل يختلف مع ترتيب أشغال الابرة لأن الخطوط التى فى الوسط وتتجه من أعلى الى أسفل فى الرسم المحفور على الخشب ـ تحفظ لنا فكرة وجود شريطين متصلين ببعضهما البعض بالرغم من عــدم وجود ذلك فى الحقيقة • ومن جهــة أخــرى فان الابتراشيليون الذين يلبسه الامبراطور قسطنطــين فى الرسم الموجــود بكنيسة أبو سيفين تحت الرداء القصير ـ لايبين هذا القطع الرأسى ، وهو ضيق جدا ومطرز عليه ثلاثة صلبان ينفصل كل منها عن الآخر بخطوط أفقية ، وبه حافة لاتوجد فى الابتراشيليون • وبعد هذا الشرح لأصل البطرشيل فلســنا فى حاجـــة الى التنويه بأن هذه القطعـــة من الملابس الكهنوتية ، وبشكلها هذا ـ تخص فقط القســـوس والأساقفة الذين يرتدون البطرشيل فوق الكتفين بخلاف الشمامسة الذين يضعونه فوق



شكل رقم ٢٢ ـ بطرشيل من المخمل القرمزى
المطرز بخيوط فضية

الكتف الأيسر فقط • وباختصار فان نفس هـذه القطعة وبنفس الاسم والشكل والأصل والاستخدام ، موجودة بالكنيسة اليونانية • ويقدم لنا ماريوت نموذجا مرسوما لها (١) ولكن هذا المؤلف لا يقدم شرحا وافيا للموضوع ، ولا يذكر ما اذا كان الابتراشيليون المرسوم مصنوعا من قطعة واحدة مستقيمة أو أنه مربوط بالخياطة أو أربطة فى الوسط من أعلى الى أسفل • وتبين صـدرة أخـرى للقـديسين سامبسون St. Sampson وميثوديوس St. Methodius (٢) أنهما يرتديان الابتراشيليون على شكل قطعة واحدة • ولكن ماريوت يذكر أن أطراف الابتراشيليون ••• تظهر على شكل قلادة فى العنق بمعنى وجود طرفين يمكن فصلهما • ونرى فى نفس الصورة القطعة التى يرتديها القديس جرمانوس منفصلة طوليا دون أى عـلامة تدل على اتصالها • وربما كان من المحتمل أن اليونانيين فقط هـم الذين يربطـون طرفى البطرشيل ليعطى شـكل الابتراشيليون ، وأنهم لم يتقدموا خطوة فيزيلوا الاتصـال من الوسط كما فعل الأقباط •

ويتحدث الكاتب الذى وضع قاموس الآثار المسيحية Dictionary of Christian Antiquities (٣) بثقة عن الشكل اليونانى ، فيذكر أن به فتحة لدخول الرأس ، ومربوط بواسطة خياطة فى الوسط من أعلى الى أسفل ، ولذلك فهو يختلف عن الشكل القبطى من حيث وجود هذه الخياطة فقط ، ولا يقول انها زخرفة باستخدام التطريز • وعلاوة على ذلك فان رواية نيل Neal عن الابتراشيليون شبيهة بهذه الرواية(٤)• ويوجد بكنيسة القديس نيقولاوس القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة عينات من الابتراشيليون القديم المزخرف بأشغال الابرة الذهبية • وقد رأيت بها واحدا على أرضية زرقاء واثنين على أرضيـة صفراء وواحدا قرمزيـا وواحد ذا لونـين هما القرمـزى والأخضر ، وكلها مصنوعـة من الحرير ومرسوم عليها صور للتلاميذ أو القديسين بأشغال الابرة فيما عدا واحدا فقط مغطى برسوم تمثل صلبانا ، ومعظمها له أهداب سفلية • ويتضح لنا من هذه الأمثلة أن اغلاقه من الأمام هو موضوع الاختلاف مع الملكانيين لأن هذا الاغلاق كامل فى بعض الحالات حيث يربط بواسطة خياطة فى الوسط من أعلى الى أسفل • وحتى هذه الخياطة غير موجودة نهائيا فى

---

(١) vest. christ, pl. lvi.

(٢) Id. Pl. lvii.

(٣) Dict. christ. Ant s.v. stolè.

(٤) Eastern Church : Gen. Introd. vol. i. p. 308.

انظر أيضا الرسم الموجود بالصفحة

العينات الحديثة المصنوعة من قطعة واحدة مغطاة بتصميم كبير متشعب . بينما نرى القطع الأوسط قد ترك مفتوحا تماما فى حالات أخرى وأضيف أن بعض عينات الابتراشيليون مزخرفة بأجراس دقيقة .

أما التشابه الشديد فى الشكل والاستخدام لدى الأقباط واليونانيين ، فانه كما أظن ، يؤيد الاستنتاج الذى توصلنا اليه وهو أن الابتراشيليون من اليعاقبة — فهذا افتراض يدحضه نفس الاسم المستخدم. الانشقاق الذى حدث بين فئتى اليعاقبة والملكانيين فى الكنيسة . وفى ذلك الوقت كانت ملابس رجال الاكليروس واحدة لدى رجال الدين اليونانيين والأقباط ولكننا لا نستطيع القول بأن اليونانيين قد استعاروا الابتراشيليون من اليعاقبة — فهذا افتراض يدحضه نفس الاسم المستخدم. كما نرفض القول بأن اليعاقبة يدينون بفضل استخدام هذه القطعة من الملابس الكهنوتية الى الملكانيين المحتقرين والمكروهين .

وبالطبع فان هذه الفكرة ستجعل الابتراشيليون أقدم من القطعة المشابهة له وهى البطرشيل المستخدم لدى الكنائس الغربية وهو بذلك يوافق ويساند حجتى القائلة بأن أشكال الملابس الكهنوتية كانت محددة ومكرسة لخدمة الكنيسة فى الشرق ، أقدم منها فى الغرب ، بل هى أقدم من الجميع بالنسبة لكنيسة الاسكندرية . وفى نفس الوقت لا يمكن بالطبع انكار أن الابتراشيليون مهما كان قديم الاستخدام الا أنه شكل ثانوى للبطرشيل الأصلى .

وقبل أن نترك هذا الجزء من الموضوع نقول ان شكل الابتراشيليون محدد فى التعليمات الخاصة بتنصيب الأسقف التى أوردها رينودو (١). فقد ذكر أن هذه القطعة لابد أن تكون مصنوعة من الحرير ، وتطرز بصورة المخلص والتلاميذ ولكن لا يوجد ما يبين أن هذا الشكل المزخرف يخص الأساقفة فقط ، أو أن الابتراشيليون المطرز بالصلبان يخص القساوسة فقط . ومن المجتمعات الأخرى التى تستخدم هذا الطراز من الابتراشيليون بالاضافة الى اليونانيين :

مسيحيو مالابار Malabar (٢) والأرمن (٣) الذين يطلقون عليه اسم Pour-Orar وهو اشتقاق من كلمة Orarion ويوصف

---

(١) Denzinger, Rit. Or. tom. ii, p. 28.

(٢) Howard, Christian of St. Thomas, p. 133.

(٣) Fortescue, Armenian Church, p. 183.

بأنه مصنوع من النسيج الحريرى الموشى بالقصب والمطعم بالجواهر — كما يستخدمه أيضا الموارنة ٠

٢ — البطرشيل العادى Orarion يبدو مختلفا عن الابتراشيليون حيث نجد أن كلمة Orarion تطلق على البطرشيل وذلك فى صلاة التكريس حيث يلبسه البطريرك (١) ٠ أما كلمة (ستولا) أى الحلة ، فقد وردت كثيرا فى الكتابات البابوية اليونانية والقبطية ولكن ليس بمعنى البطرشيـــل ٠ انها تعنى دائما — المـلابس — وهذا المعنى لم ينطبق على اصطلاح البطرشيل الى أن جاء القرن التاسع عشر ، حتى لدى المسيحيين الغربيين حيث أطلق عليـه لفظ Orarion لأول مـرة بمعرفة رابانوس ماوروس Rabanus Maurus حوالى سنة ٨٢٠ للميلاد فى الجدال الذى دار بلا طائل حول معنى لفظ Orarion والذى لا أريد الدخول فيه — بسبب التجاهل الحالى للاعتقاد بأنه لا هذه القطعة ولا اسمها يعود أى منهما الى الأصـــل اللاتينى ٠ ان قبول الكنائس الشرقية لقطعـة ملابس لاتينية رومانية قد يكون عملية مخالفة لكافة أنواع القيـاس وأن الاسم Orarion قد وجد فى الشرق منذ حوالى قرنين قبل ذكره فى الغرب ٠ وقد منعت قوانين لاودكية Loadicea حوالى سنة ٣٦٣ للميلاد ، تسجيل هذه القطعة Orarion تحت بند الدياكونية ، بينما لم يرد ذكر هذه القطعة فى التاريخ الغربى حتى مجمع براجا Braga الثانى الذى عقد فى اسبانيا ٠ وقد طلب الى الشمامسة ارتداء هـذه القطعة على الكتف اليسرى وليس تحت التونية — وقد عقد هذا المجمع سنة ٥٦٣ للميلاد ٠

وبالطبع فهذه القطعة Orarion أقدم عن الابتراشيليون من حيث الاستخدام ، ولكن يبـدو أن هناك سببا للظن بأنه حتى بعد أن أصبح القساوسة يرتدون هذه القطعة على الكتفين الاثنتين ، كان ذلك سببا فى ظهور الابتراشيليون ٠ ومازالت هذه القطعة مستخدمة لدى القساوسة الأقباط الى جـانب الابتراشيليون ٠ ويعتبر الابتراشيليون رداء فخما ، ولابد أنه مجرد شريط من الكتان مطرز بالصلبان ويلبس فوق الكتفين وذلك بالنسبة للكنائس الفقيرة ٠ وعلى ذلك فمن الممكن القول بأنه قد سمح باستخدام كلا الأسلوبين بارتداء البطرشيل بالنسبة للقساوسة مع

---

(١) Denzinger, Rit. Or. tom, ii. p. 133.

ولذلك فان ماريوت على خطأ فى قوله أن البطرشيل Orarion يستخدمه الشماس فقط ولا تطلق الكلمة على البطرشيل الذى للكاهن ٠

استخدام الاسمين معا للدلالة على هذه القطعة ، لأنه بينما دعى البطرشيل Orarion فى صلاة التنصيب فان هذا الاسم الأخير يدعى البطرشيل حاليا لأن القساوسة يرتدونه ٠

ويبدو أن الحظر الذى وضعه مجمع لادوكية Laodicca لم يكن ساريا بالنسبة لكنيسة الاسكندرية فقد ورد فى التعليمات البابوية ما يشير الى ارتداء الشمامسة لهذه القطعة أثناء الرسامة (١) ، وكذلك فان الايبودياكون لدى السريان (٢) والأناغنوستيس (القارىء) عند الموارنة (٣) يرتدى كل منهم البطرشيل Orarion أثناء الرسامة ٠

ويلبس البطرشيل فى معظم هذه الحالات فوق الكتف اليسرى فقط ٠ حسب الطريقة الخاصة بالشمامسة ٠ أما فى الكنيسة المارونية فالترتيب مختلف الى حد ما ، فالأناغنوستيس القارىء عند الرسامة يلبسه مفتوحا حول يديه المبسوطتين ، بينما يضعه الايبودياكون (نائب الشماس) حول رقبته مع تدلية الطرفين خلف الظهر (٤) ٠ أما الشماس (الدياكون) فانه يمرره من الرقبة فوق الكتف اليسرى ٠ ولا شك فى أن البطرشيل Orarion كان يرتديه الشمامسة أصلا مع تدليته حرا من الأمام والخلف وعلى ذلك فان الاستخدام فى الكنائس القبطية يتفق مع اليونانية واللاتينية ٠ أما فى الغرب فلم يكن هذا الترتيب ملائما حيث كان يربط أحدطرفى البطرشيل عند الجانب الأيمن من الوسط لتحقيق أمان أكثر ٠ وقد ظهرت طرق عديدة لارتداء البطرشيل فى مصر ، بعضها رسمى وقانونى ، وبعضها الآخر خيالى وعشوائى ، متمرد على كافة العادات والقوانين ، مثل الاستخدام المتهاون وغير المتقن الذى نراه فى هذا القرن ٠ ونرى فى صورة القديس اسطفانوس التى نعتمد عليها ، أن البطرشيل معلق على الكتف اليسرى بينما هو بارز من الأمام ٠ وبدلا من أن يتدلى حرا فى الخلف يمر أسفل الذراع اليمنى عبر الصدر الى جانب الوسط من اليمين ، وحول الظهر ، ومن الجانب الأيسر للوسط يرتفع الى الكتف اليمنى حيث يمر الطرف الى الخلف ٠ ونظرا لأهمية هذه الصورة وفخامة الملابس المبينة فيها وشهرة القديس اسطفانوس بوصفه النموذج الأعظم للشماس ، فمن المحتمل أن تكون هذه الطريقة التى يرتدى بها البطرشيل

---

(١) Denzinger Rit. Or. tom. ii. p. 6.

(٢) Id. ib. p. 82.

(٣) Id. Ib. p. 118.

(٤) Id. Ib. pp. 229 & 233.
ولكن النص غامض ٠



شكل رقم ٢٣ : صورة القديس اسطفانوس ماخوذة عن رسم بكنيسة ابى سرجة

هى المعتادة والقانونية • وسنلاحظ بالطبع أن البطرشيل يتقاطع على الصدر ، وأن هذا الأسلوب فى ارتداء البطرشيل يستدعى أن يكون فائق الطول بالنسبة للبطرشيل اللاتينى • ومن المحتمل أنه يبين ترتيبا خاصا لارتداء البطرشيل قبل الاشتراك فى القداس ، وكما يقول جور Goar (١) فانه كان شائعا فى الكنيسة اليونانية حيث ان الشماس (الدياكون) عند اليونان وهو على وشك الاقتراب للتناول ، كان يعيد ارتداء البطرشيل بحيث يشكل صليبا على كل من الصدر والظهر ، ومنطقة حول الوسط • وربما كانت عادة تشكيل البطرشيل هذه تمثل طريقة ارتداء الايبودياكون (نائب الشماس) القبطى للبطرشيل ، وهى طريقة سنصفها فيما بعد • الا أن بطرشيل الشماس يلبس أحيانا بالطريقة العادية بأن يوضع فوق الكتف اليسرى • ونلاحظ أن القديس اسطفانوس نفسه يرتدى البطرشيل بهذه الطريقة فى رسم موجود على حوائط خورس كنيسة أبى سيفين • ولكن هناك طريقة أخرى واضحة فى صورة ثالثة لنفس القديس بالكنيسة المسماة باسمه والتى تجاور الكاتدرائية بالقاهرة • وهنا نرى أحد الطرفين مدلى خلف الكتف اليمنى حيث يمر البطرشيل من فوق بينما ينزل الى الأمام ويمر من الجانب الأيمن الى الوسط ، وهناك يستدير ويمر منحرفا عبر الصدر الى أسفل الذراع اليسرى الى ما فوق الكتف اليسرى • والطرف الذى يهبط من الكتف اليسرى الى الأمام يحمله فى يده • وبينما تبدو هذه الطرق الثلاث غريبة ، فان الطريقة الأخيرة معروفة حاليا بوصفها الطريقة

---

(١) Euchologion, p. 146.

انظر ايضا الصور التى على ص ١٤٧ •

الصحيحة لارتداء البطرشيل بالنسبة لرئيس الشمامسة (الأرشيدياكون)٠ وهناك ترتيب مشابه موجود بكنيسة الاسكندرية المصرية الأرثوذكسية ، حيث يحمل الشماس فى يده اليسرى أحد طرفى البطرشيل الذى ينسدل فوق الكتف اليسرى من الأمام والخلف ، بينما يرتديه رئيس الشمامسة متقاطعا على الصدر من الكتف اليسرى الى الجانب الأيمن ٠ أما المرتلون مساعدو الشمامسة (والايبودياكونيون) بالكنيسة القبطية حاليا فانهم يرتدون البطرشيل بطريقة مختلفة ، حيث يوضع الجزء الأوسط من البطرشيل على الوسط من الأمام على مثال المنطقة ، أما الطرفان فيرتفعان الى الخلف ويتقاطعان على الظهر ، ثم يمر كل منهما من فوق احدى الكتفين الى الأمام لينسحب نازلا الى الأمام فى استقامة ، ويمر من أسفل الجزء الذى على مثال المنطقة (١) وعلى ذلك فان البطرشيل يصبح على شكل H من الأمام وحرف X على الظهر مما يجعله قريبا من الشكل الذى كان يلتزم به القساوسة فى الكنيسة الانجليزية قبل عصر الاصلاح ٠

وكان بطرشيل القسيس فى الغرب يمر من خلف الرقبة فوق كلتا الكتفين مع التقاطع على الصدر ويتخذ من الأمام شكل المنطقة٠وبالنسبة لحقيقة أن بدلة الشماس كانت فى معظم الحالات تخفى هذه الطريقة الخاصة ، فان أحدا لم يكن يرى البطرشيل وانما طرفاه فقط ، ولا توجد الكثير من الرسوم الواضحة فى هذا الصدد وانما توجد فقط لوحة من النحاس فى كنيسة هورشام Horsham بمقاطعة ساسكس Sussex (٢) نرى فيها البطرشيل المتقاطع واضحا ٠ ويمكن أن نراه أيضا فى رسم على أحد الشبابيك يمثل زواج الملك هنرى السادس Henry VI من مارجريت Margaret التى من أنجو Anjou وهو موجود حاليا فى الشباك الشرقى لكنيسة بودليان Bodleian فى أكسفورد ٠ وتقدم لنا فيوليت لودوس Viollet-le-Duc رسما جميلا للبطرشيل المتقاطع مأخوذا عن مخطوط يعود الى القرن الثانى عشر ومحفوظ بالمكتبة القومية (٣) ونرى رسما لنفس هذا الترتيب فى كنيسة روك Rock (٤) ٠ وربما كان أول قانون واضح يتضمن هذا الموضوع هو ذلك الذى أصدره المجمع الثالث فى براجا Braga وينص على أن الكاهن الذى يخدم المذبح يجب أن يرتدى البطرشيل البطرشيل على كلتا الكتفين ، وأن يجعله متقاطعا فوق الصدر ٠

---

(١) يبدو أن كلمة الزنار التى تطلق على المنطقة ، تستخدم أحيانا للدلالة على البطرشيل عند استخدامه بهذه الطريقة ٠

(٢) نرى صورتها فى كتاب :
Waller's monumental brasses

(٣) Mobilier, vol. ii. p. 375.

(٤) Vol. ii. p. 89 See also i. p. 421.

وعلى ذلك فان الترتيب القبطى الذى يجعل هذه القطعة من الملابس تلبس على شكل البطرشيل والمنطقة فى آن واحد ، لا يختلف عن هذه العادة المستخدمة فى الغرب بالرغم من أنه يتطلب بطرشيلا بالغ الطول • ولكننى أكرر أنه لا القساوسة الاقباط ولا حتى الشمامسه يرتدون البطرشيل الآن بهذه الطريقة ، ولكنها قاصرة فقط على مساعدى الشماس (الايبودياكونيين) ، بينما يتميز القساوسة فى القداسات العادية حاليا بارتداء الشملة التى سبق أن وصفناها بدون الابتراشيليون أوالبطرشيل • أما بطرشيل مساعد الشماس (الايبودياكون) فهو غير عريض ومصنوع من الحرير أو غيره من القماش الثمين • وهذا النوع متعدد الألوان — التى منها الأرجوانى والأصفر والأحمر والأخضر — وهو فى العادة يتضمن ثلاثة أو أربعة ألوان متجاورة فى خطوط طولية • وهو مزخرف ليس فقط بالصلبان ، ولكن أيضا بالأزهار المطرزة بأشغال الابرة • وكان بطرشيل الشماس قديما ، مثل الابتراشيليون مصنوعا من الحرير أو منسوجا من خيوط الذهب ومزينا بالجواهر ، وكما فى الغرب فقد تقهقر الكتان الأبيض الأصلى ليفسح المكان لغيره من الأقمشة اللامعة والغالية الثمن ، حتى انه عند حلول القرن العاشر ، تعددت ألوان البطرشيل وأصبحت زخرفته بالذهب شائعة فى كنائس اسبانيا وبلاد الغال وايطاليا (١) •

ونجد أن طرزا فخمة عديدة لنوعيات البطرشيل التى كانت تستخدم فى العصور الوسطى — مازالت موجودة — وأعظمها نراه فى متحف ساوث كنسنجتون South Kensington • ومن بينها بطرشيل من صنع صقلية يعود تاريخه الى القرن الثالث عشر ويوصف بأنه مصنوع من نسيج الذهب ، ومزخرف بصور الطيور والوحوش والحروف الرومانية والزخارف المكونة من الأزهار • وهناك أيضا بطرشيل ايطالى الصنع ، يعود تاريخه الى القرن الخامس عشر ، مصنوع من الحرير الأرجوانى وموشى بالذهب والأزهار القرمزية اللون (٢) ، وتمتلىء قوائم محتويات الكنائس القديمة بالعديد من هذه الأوصاف •

ويستخدم السريان البطرشيل ، ويطلقون عليه اسم Uroro وهو اشتقاق محرف من كلمة Orarion ، يقدم دليلا جديدا على أن هذه الكلمة تعود الى أصل شرقى • ومن الواضح أن نفس هذه القطعة

---

(١) Marriot. Vest. Christ. pp. 215-6.

(٢) Chamber's Divine Worship in England. p. 51.

تستخدم بواسطة الكهنة والشمامسة على حد سواء ، بالرغم من أن النصوص التى أوردها مورينوس Morinus ليست واضحة ، وعند رسامة الشماس فان الأسقف

accipit orarium et circumfert circum caput"

ثم يضع البطرشيل على كتفه اليسرى (١) أما فى حالة رسامة القسيس فان الأسقف :

« يسلمه البطرشيل بوضعه على ملابسه الخارجية بينما يثبته على كتفه اليمنى » (٢) ٠

ومن الواضح أن الشماس يلبس البطرشيل فوق الكتف اليسرى ، بينما يلبسه القسيس فوق الكتف اليمنى ، ويبدو أن النص الثانى يدل على أن القسيس يرتديه فوق كلتا الكتفين ٠ ويتخذ الأسقف الاجراء التالى :

يلبس المرشح للقسيسية ملابس الشماس مع اسدال البطرشيل على الكتف اليسرى من الأمام والخلف ، ويمسك الأسقف بالطرف الذى فى الخلف ، ويلفه على الكتف اليمنى ٠ وعند استكمال هذا الاجراء يصبح كلا طرفى البطرشيل فى الأمام وقد نزل كل طرف من فوق احدى الكتفين٠ وهكذا يتطابق هذا الاجراء مع ذلك الذى أوردته كافة المصادر الانجليزية ٠ ولكن النص السريانى لا يحدثنا عما اذا كان الأسقف يجعل البطرشيل يتقاطع على صدر القسيس بعد تطويقه للرقبة من عدمه ٠ ويبدو أنه من الانصاف أن نستنتج أن البطرشيل لا يتقاطع ٠ وهذا الاستنتاج يؤيده أسيمان الذى يصف البطرشيل بأنه « ينسدل من الرقبة أمام الصدر على كلا الجانبين » (٣) ٠

أما البطرشيل السريانى كما هو مرسوم فى الصورة التى على الرق فى المخطوط الفلورنسى الذى نقل عنه رينودو (٤) ، فانه اما منقسم الى جزءين بواسطة شريطين من أشغال الابرة أو أنه مزين بصلبان صغيرة ملونة ٠ أما بطرشيل الأسقف فهو دائما من النوع الثانى ٠ ولا يذكر رينودو شيئا عن الابتراشيليون الذى لا يوجد دليل على أن السريان قد استخدموه ، ولذلك فقد أخطأ نيل فى الظن بأن Uroro هو الابتراشيليون الذى ذكره رينودو فى كتابه (٥) ٠

---

(١) Denzinger Rit. Or. tom. ii. p. 70.

(٢) Id. Ib. p. 73.

(٣) Pibl. Orient. tom. iii. Pt. ii. p. 819.

(٤) Lit. Or. tom ii p. 54. seq.

(٥) Eastern Church, Gen. Introd. Vol. i. 308.

أما بطرشيل الشماس فى الكنيسة الأرمينية فانه يلبس حسب الطريقة الأرثوذكسية ويطلق عليه اسم Ossorah — وربما كان هذا الاسم تحريفا آخر لكلمة Orarion · وقد لاحظنا لتونا وجود هذا الاصطلاح فى كلمة Pourourah ،وهى التسمية الأرمينية للابتراشيليون، ولكن لايوجد حد للأشكال التى تتخذها هذه الكلمة الكلاسيكية فى استخداماتها مع احدى اللغات الشرقية · والبطرشيل الارمنى بسيط بوجه عام ، على عكس البطرشيل اليونانى المطرز بكلمة الثالوث مكررة ثلاث مرات ·

أما الاكليروس النسطورى فهو بالنسبة للقساوسة أو الشمامسة — يحدد استخداما واحدا للبطراشيل مثل السريان · ويوجد هذا الاختلاف بالنسبة لمساعد الشماس (ايبودياكون) حيث ان مساعد الشماس يلبس البطرشيل متدليا من الكتف اليسرى ودائريا حول العنق ، بينما نرى فى الطقس النسطورى لرسامة الشماس ، الفارق واضحا فى الاستخدامين عند ابعاد البطرشيل عن عنق مساعد الشماس ، ووضعه على الكتف اليسرى · ولكن الطريقة التى يرتدى بها مساعد الشماس البطرشيل « حول العنق » غير واضحة فى الحالتين ، وهل هو يلف حول العنق كما يبدو محتملا ، أو أنه ينسدل من الخلف (١) ·

ويتفق الاسم النسطورى Hurrara (٢) مع الاسم السريانى من حيث اشتقاقه اليونانى (أوراريون) ·

---

(١) يمضى النص الخاص برسامة مساعد الشماس لدى السريان حسبما أورده رينودو كما يلى : —

« وأثناء الاحتفال يلف الأسقف الابتراشيليون فوق كتفه من جهة الذراع اليسرى » ·

أما فى الطقس المقابل لدى النساطرة كما أورده اسيمان الأصغر فانه يمضى كما يلى : —

« يلف الابتراشيليون حول عنقه » ·

بينما هو فى حالة مساعد الشماس يمضى كما يلى : —

« ثم يرفع الابتراشيليون أسفل رقبته » ·

أما من يرتديه بوصفه مساعد شماس فانه « يضعه على الكتف متدليا من الخلف جهة الذراع اليسرى » ·

(٢) G. P. Badger, Nestorians and their rituals, vol. i. p. 225.

البلـــين

بى بالين أو بى أوموفوريون

يتجاهل رينودو فى حديثه عن الملابس القبطية ـ كما ذكرنا من قبل ـ وجود أى اضافات تشبه البلين الذى يرتديه رئيس الأساقفة فى الغرب أو البلين اليونانى • ولكن البلين لم يرسم فى رسوم الفريسكو المسيحية القديمة فى مصر وفى غيرها • ولكن رينودو يورد أيضا نصوصا تتحدث عن البلين فى طقس رسامة بطريرك الاسكندرية • ومن الصعب بل من المستحيل فهم النصوص المختلفة التى تتحدث عن ملابس البطريرك أو التوفيق بين التكرارات الواضحة والتى تتعارض مع بعضها فى داخل النص الواحد ، ولاشك أن معظم هذا التعارض يظهر بسبب أخطاء الترجمة التى يمكن تحاشيها عن طريق العناية بدراسة المراجع الأصلية ، وللأسف فان تلك المراجع غير متاحة • ويذكر أبو البركات ثلاث قطع فقط من ملابس البطريرك وهى التونية والبلين وبدلة القداس (colo sive casula) وهذه القائمة صحيحة حسبما يتراءى لنا • ولكنها فى الحقيقة غير كاملة فحسب ما ورد فى كتاب : « الملابس الحبرية للطوخى » (١) نجد أنه عند اختيار البطريرك يتقدم أولا الى المذبح عند بداية قداس الرسامة ، مرتديا التونية والشملة فقط أو كما يطلق عليها فى المصادر الأصلية القبطية (لينتيون) و (ستيخاريون) • ويلى ذلك احتفال طويل ، حتى الوصول الى صلاة الأواشى (الأدعية) التى تتضمن هذه الكلمات :

« ألبسه رداء مجدك المقدس ، وضع التاج على رأسه ، وامسحه بزيت البهجة » •

وبعد الرسامة يقوم أكبر الأساقفة سنا بالباس البطريرك المنتخب التونية والبطرشيل وحلة القداس • ويلى ذلك تلاوة التعهد ثم استكمال بقية الصلوات التى بعدها • ويقوم كبير الأساقفة بوضع البلين (أو موفوريون) والشملة (فيلونيون) (٢) •

---

(١) Ap. Denzinger, Rit. Or. tom ii. p. 40, Seq.

(٢) تستطيع التخمين بأن الشملة هى المقصودة بالفعل • ويمضى النص بعد ذلك فيتحدث عن كلمتى Omophorio, Symbolo ومعناه كما يلى : « ألبسه البلين وعلامة الموهبة الرسولية وهى الشملة المدلاة على الرأس والبطرشيل على كتفه • وقد أوردنا الكلمات ذات الأصل اليونانى حسب ورودها • بالرغم من أن دنزنجر قد كتبها بالحروف اليونانية فقد فضلت تقديم النص القبطى أيضا •

ويستمر بعد ذلك في الباس البطريرك بقية قطع الملابس المقدسة .

وكما أن لغة هذا النص رفيعة فانه يمضى فى لغة أكثر رفعة مقدما الوصف التفصيلى لهذه القطع من الملابس وكيفية ارتدائها .

وتبين هذه النصوص المدونة بعبارات لاتينية ويونانيـة وكلمات قبطية وهى ليست فى حاجة الى توضيح فالبطريرك يرتدى أولا التونيـة والشملة والتـاج الذى ورد ذكره فى صـلاة الأوشية ولكن التعليمـات لا تتضمن أية اشارة الى هذه الأردية .

ثم يلبس البطريرك التونية والبطرشيل وبدلة القـداس ، وثالثا يرتدى الصدرة والشملة والفوطة epicheri وبعد أن يرتدى التونية مرتين والشملة مرتين الى جانب البطرشيل وبذلة القداس والصـدرة ، يخرج فى زى رئيس الكهنة حيث يعرف ببذلة القداس والصدرة والبلين Phacialion, morphotacion والفوطـــة epicheri .
انه حقا تحول عجيب . انه انسان جديد ذلك الذى يظهر فيه البطريرك ، حيث يرتدى كامل ملابسه البطريركية .

أما حكاية رينودو Renaudot عن هذا الموضوع فهى أكثر سهولة وخالية من الارتباك ، فعند بدء القداس يلبس البطريرك الجديد التونية والشـــملة ويترجـــم رينـــودو هنا كلمـــة الشـــملة القبطية بكلمـــة

= ويقتبس دنزنجر وأيا يبـدو كنوع من التورية يعلق على الآمال ، يبدو انه يرتكـز بوضوح على الاشتقاق المفترض للكلمة ولكنه لا يسانده أى دليل خارجى . ولا يوجد ما يشبه هذا الاشتقاق فى الطقس القبطى ولا حتى اليونانى . وعلاوة على ذلك فان البلين maniple فى كلتا الحالتين يلبس على الكتف التى لا يمكن أن تكون هى المكان المناسب لوضعه ، كما أن هذا البلين غير واضح الاستخدام بالنسبة للبطريرك .

ولا أستطيع ان أقدم أى اقتراح فيما عدا ما يلى :

ان الخطاب الاكليريكى أو التعهد الكنسى الذى يقرأه الشماس من فوق المنبر، يعرض بين العديد من الأمور واجبات البطريرك ، ويذكر أن عليه اداء خدمة غسيل الاقدام يوم خميس العهد . وتستخدم لأداء هذه الخدمة فوطة لابد وأنها مطرزة بأشغال الابرة الفاخرة وأظن أن كلمة epicheri تعنى الفوطة . ومثل هذه الفوطة الرائعة المنسوجة بخيوط الفضة أو الذهب لابد أنها توضع على كتف البطريرك عند رسامته ، كتذكار لهذا الواجب الخاص بغسيل الاقدام الذى يبدو أن الكنيسة تعطيه أهمية قصوى . ومثل هذا التفسير يزيل جميع الالتباسات ، ولكنـه لا يعـدو أن يكون مجرد اقتراح . وعلى ذلك فان الفـوطة epicheri قد لا تكون قطعة ملابس عادية تشبه البلين اللاتينى maniple وأن جميع الرتب الكنســية ترتديهـــا . وقـد لا تـكون جـزءا من زى البطريرك ولكنها مجرد رمز خاص ولا يرتديها سوى مرة واحدة عند رسامته ، والمكان الطبيعى لوضع مثل هذه الفوطة هو الكتف .
=

mantile بدلا من linteum التى أوردها دنزنجر Denzionger (١)
وقد أصاب باطلاق كلمة الشملة عليها • بينما يطلق دنزنجر فى موضع آخر (٢) كلمة linteum على بلين رئيس الأساقفة •

"Estautem omophorium linteum sive species quaedom stolae smilis Pallio."

والحقيقة هى أن الشملة والبلين تثيران البلبلة فى اللغة كما هما فى الاستخدام •

أما فيما يتعلق بالاجراء الثانى الخاص بارتداء ملابس الخدمة ، فان رينودو يتفـق مع التعليمـات المدونـة فى أن البطريرك يلبس التونيـة والبطرشيل وبذلة القداس •

« Estautem Omophorium linteum sive species quaedom stolae simjlis Pallio. »

أما الاجراء الثالث فهو أكثر وضوحا عند رينودو ، وهو كما يلى : « ثم يضع أكبر الأساقفة على رأسه البلين وهو العلامة على رفعة منصبه ، ويدلى بطريقة تجعله ينزل على الصدر » • وبدلا من البلبلة التى تسببها التعليمات المدونة ، يقول رينودو هذه العبارة : « ثم يظهر مرتديا ملابس رئيس الأساقفة الكاملة » (٣) •

ولا يذكـــر هنـــا شيئا عن مورفوتاكيـــــون morphotacion أو فاكياليون Phacialion أو الفوطة ايبشيرى epicheri ، ويحذف ما يبدو أنه مكرر • ونصـــل بذلك الى أن مـــلابس البطريرك تتكون من التونية والشملة والبطرشيل وحلة القـــداس والبلين والتـــاج • وهناك

= ونلاحظ أن دنزنجـــر Denzinger اذا كان لترجمته أى معنى ، فانها تجعل غطاء رأس الأسقف Omophorion هو نفسه ما يطلق عليه اسم linteum ، ولكن النص الجارى يفند نفسه لأن البلين يوصف بأنه « يتدلى من الرأس » (انظر :
(Vide Rite. Or. tom. ii. pp. 57, 57.

(١) Tom. i. p. 130.

(٢) Tom. ii, p. 40.

(٣) من الواضح أن كلمة Archisacerdotali رئيس الكهنـة التى أوردهـا دنزنجر خطأ ، وأن كلمة ارشيراتيكون التى أوردها نفس المؤلف فى موضع آخر هى المرادفة تماما لكلمة Archiepscopalis رئيس الأساقفة •

ما يدعو الى الظن بأنه تجرى عملية خلع الملابس الكهنوتية واحلال غيرها وذلك خلال احتفال التنصيب · ولا يمكن تحديد أى من قطع الملابس هى التى تخلع ، ومن الطبيعى أن يظهر السرد الجديد كما لو كان تكرارا غير لائق · أما فى الاحتفال المشابه لدى الكنيسة المارونية فانه بعد الباس البطريرك الجديد القميص والبطرشيل الخارجى والكمين والشملة وبدلة القداس ، يمضى وقت طويل فى الصلاة وسائر الطقوس ، ثم « يأتى به الأساقفة أمام المذبح ويخلعون عنه بدلة القداس والشملة الكهنوتية » وذلك حسب ما ورد فى التعليمـات المكتوبـة · وفيما بعد يلبس التاج وبدلـة القـداس والبطرشيل ــ وهذا الأخـير قد يكون اما الابتراشيليون وهو المقصود بكلمة البطرشيل الخارجى التى ذكرناها عاليه ، أو البلين · ويبدو أن بدلة القداس التى ذكرناها هنا قطعة غالية الثمن عن تلك التى يلبسها ثم يخلعها فى الاجراء الأول ·

ومن هذا القياس نستنتج وجود خمس مراحل واضحة فى عملية الباس الملابس الكهنوتية للبطريرك القبطى · ففى البداية يلبس التونية والشملة وحدهما ، ثم يضاف اليهما البطرشيل وبدلـة القداس ، وفى المرحلة الثالثة تخلع الشملة وبدلة القداس ، ثم يلبس بدلة أكثر فخامة وشملة أكثر بهاء · وبعد ذلك تسدل الصدرة · وأخيرا يوضع التاج على رأسه · ومن المـلاحظ عدم ذكر المنطقـة أو الكمين ضمن خدمـة الباس البطريرك الملابس الكهنوتية ، وأشعر بكل الثقة أن الوصف الذى قدمته لعملية الباس البطريرك الملابس الكهنوتية صحيح تماما حيث ان كلا من المنطقة والكمين ضمن الملابس الكهنوتية التى يجرى الباسها للبطريرك فى أيامنا هذه (١) ·

---

(١) أود ــ بدون محاولة الموافقة على معنى كلمة Photacion وكلمة Phacialion وما شابههما ، وهو الأمر الذى لا يمكن تحقيقه بدون العودة الى النص ــ ان أوجه الانتباه الى انتقاد دنزنجر ، الذى لم يكن ــ بالنسبة للنص الموجود امامه ــ مقصرا فى حق نفسه وحق قرائه ، ولكنه وقع فى خطأ الالتزام الحرفى ، فهو يقول عن ملابس البطريرك القبطى (الجزء الأول ــ ص ١٣٠) انها تتكون من التونية ستيخاريون واوراريون

quae sunt presbyterorum vestes : فوتاكيـون hoe est فيلوليون

quod فاكياليون praeterea vero ex ordination is textu Renaudotiano est super Caput et pendet ita ut descendat super pectus ejus, ex textu autem Tukiano مور فوتاكيون وفيلونيون hoc est penula sive Casula, quod a capite ejus dependet, scilicet de homophorio (ic), et Epicherion ستيخاريون super humerum ejus. Phakialion absque dubio edit dubio erit mitra, quae in orationibus memoratur ut insignium patriarchae = peculiarium pars quadam est autem omophorum (sic) linteum sive

species quaedam stolae similis pallio, crucibus insignita collo et humeris circumvouta.

والآن فان النص الذى أورده رينودو لا يقول أن البلين est super caput فيعطى وصفا زائفا تماما وعجيبا للطريقة التى يتم بها ارتداء البلين • ولكن الكلمات هى : —

species quaedam stolae similis pallio, crucibu. insignita collo et humeris Caput ejus.

وهذا يعنى بالطبع أن البلين يسدل على الراس وليس أنه يستقر على الراس •

ولا يقدم دنزنجر أية ملحوظة عن morphotacion • والحقيقة أنه لا يوجد لدينا ما يكشف عن معنى هذه الكلمة ولكنه يخطىء فى بيان معنى Phacialion • والحقيقة أن طقس الرسامة يصف هذه القطعة من الملابس بانها تتدلى من الراس ، أما دنزنجر وقد جعل البلين على الراس بدلا من وضعه حول الكتفين ، فانه يوضح الآن موضع phacialion بانه يتدلى من البلين ! ولو لم أنقل كلماته بدقة لظهر لنا أن خطوته التالية هى تعريف phacialion بأنه التاج بطريقة واثقة • (absque dubio) • وهكذا يتدلى التاج من الراس حيث يربط بالبلين !! وهذا العالم الألمانى له مفاهيم متفردة عن الملابس الكهنوتية ولكن عبارته هذه تظل أكثرها غرابة • وبعد ذلك بصفحتين (ص ١٣٢) يذكر دنزنجر بين الملابس النسطورية : —

"Maaphra quod et dicitur Phakila et Kaphila, quod est pallium in modum pluvialis nostri qui totum corpus ambitur, est que Graecorum

والآن فمن المؤكد أن فاكيوليون وفاكياليون همـا نفس الشىء • وهنا يقـال ان فاكياليون ليس تاجا ولكنه عباءة • ولكن ما هو المصدر الذى يدل على وجـود قطعـة الملابس اليونانية المسماة فاكيوليون والتى تشبه العباءة اللاتينية ؟ لا أعرف شيئا عن ذلك • أما البطريرك جرمانوس فى حديثه عن الملابس اليونانية — فانه يستخدم كلمة فاكيوليون أو فاكياليون بمعنى رباط • ويذكر أن الابتراشيليون نموذج للرباط الذى ربط به السيد المسيح عندما اقتادوه من أمام رئيس الكهنة ، ولكن لا يوجد فى القطعة أقل دليل • واعتقد كذلك أنه لا يوجد هذا الدليل فى غيرها من القطع — للقول بأن فاكيوليون واحد من الملابس اليونانية على الاطلاق ، والقليل من المصادر يتحدث عنه بوصفه العباءة • ويصعب القول بان العباءة موجودة بكنيسة القسطنطينية لان مانديـاس الخاصة بالبطريرك والتى تقترب من معناها ، جزء من ملابسه العلمانية وليست ضمن ملابس الخدمة • ويذكر دى كانج فى كتابه :

"Glossarium ad scriptores Mediae et infimae Grecitatis"

الأشكال العديدة لهذه الكلمة ويعرفها بأنها

Facia qua caput involvebant olim saraceni atque adeo Graeci ipsi Byzantini ut hodie turci.

وهى تعنى نوعا من العمامة •

ويظهر أن المعنى الذى يبدو لأول وهلة هو رباط أو شريط طويل يلف حول الرأس لعمل عمامة ، ويتدلى فوق الكتف لكى يماثل البطرشيل • ويترتب على ذلك ظهور دليل مثير للتساؤل يبين أن الاصطلاح Phacialion ربما يكون قد استعمل فى مقام كلمة =

ولكن مهما بقي خافيا ضمن الطقوس السرية التي أوردتها ، فانه من الواضح أنها تقدم دليلا كافيا عن البلين بوصفه قطعة ضرورية تدخل ضمن ملابس البطريرك · وهنا يظهر التساؤل عما اذا كان المطارنة والأساقفة يرتدون البلين مثل البطريرك · وهذا التشابه قد يجيب على السـؤال بالايجاب ·

ويقول ماريوت (١) انه « ربما كانت المنطقة ابتداء من القرن الخامس اذا لم يكن قبل ذلك ، وحتى اليوم ، يلبسها البطاركة والمطارنة وتقريبا كافة الأسـاقفة فى الشرق » · وعلى كل حال فانه لا يوجد ـ على قدر علمى ـ أى دليل على امتداد هذا التعميم الآن الى كنيسة الاسكندرية ، لأن مراعاة البلين لم تذكر بوضوح فى أى من الطقوس القبطية عند التعرض لاحتفالات

= البطرشيل orarion بمعرفة واحد أو اثنين من المؤرخين · وينقل جور تعريفـا عن كورسيوس شنسيس Coresius Chiensis هو : ـ

فاكيوليس tiara est et militum pileus, proprie inquam Capitis كالبترا Turcicae persimilis, qua caput velut zona vel cingulo circumeingitur."

وقد ذكر أيضا أن أحد بطاركة الاسكندرية الأوائل وكان يدعى يتموثاؤس أطلق عليه اسم شالاقليولوس لأنه كان يلبس غطاء رأس أبيض · ولذلك يبدو من المحتمل أن Phacialion بالرغم من أنه لا يشبه التاج اللاتينى بأى حال الا أنه كان نوعا من غطاء الرأس الشرقى أشد شبها بالعمامة وبه طرف يتدلى على ظهر العنق ، وبالنسبة لهذا الطرف جاء وصـفه بأنه « يتدلى من الرأس » حسب النص الصعب الوارد فى الترتيب الطقسى للطوخى : Tukian Pontifical · ومن الممكن ألا يكون أكثر ولا أقل مما يسميه فانسليب « البلين » الذى يصفه بأنه شريط طويل من الكتان الأبيض عرضه قدم وطوله أربع أقدام ، يلبس فوق العمـامة ويلف حـول العنق · ويتدلى طرفاه على الكتفين ، (Vide Historie de l'Eglise d'Alexandrie, Paris, 1677, p. 9 seq.)

أما البلين فانه يخصص للبطريرك فقط · ولكننا نجد فى طقس رسامة الأسقف المدون فى Tukian Pontifical ان احدى قطع ملابس الخدمة تدعى بالين ، ويترجمها دنزنجر بأنها الصدرة Pallium ، وهى كلمة ذات معنيين ربما تعنى البلين omophorion. ولا شك فى أن البلين والـ بالين متطابقان وربما كانا يعنيان الشملة · لأن ارتداءهما يتم بالطريقة التى أوردناها سابقا فى المتن · وقد ذكرت حينذاك أن كلمة ـ البلين ـ موجودة اليوم وتطلق على الشملة التى تشبه العمامة والتى يرتديها رجال الاكليروس عند المذبح ، كما تطلق على قطعة أخرى من ملابس الخدمة التى يرتديها الأساقفة · واذا أخذنا بهذه الحقيقة تمشيا مع وصف فانسليب للطيلسان أو لوجيون بأنه شريط طويل من الكتان الأبيض يلف حول الرأس على شكل العمامة ، فلا شك فى كلمات البلين وبالين ولوجيون تستخدم لأداء نفس المعنى بالرغم من أن كلا منها تصف فى الأصل قطعا مميزة ·

أما فيما يتعلق بالكلمة الأخرى morphotacion فاننا لا نجد أى دليل يبين معناها أو حتى وجودها فى المعاجم البيزنطية أو القبطية · وربما كانت ترتبط بالأصل القبطى الذى بمعنى يحزم ـ وتعنى المنطقة ·

(١) Vest. christ. p. lxxiv.

تجليس الأسقف أو المطران : ولا يمكن أن يحدث مثل هذا التجاهل اذا كان البلين يمثل القطعة التى تميز الأساقفة . كما أنه لايوجد دليل مصور يربط البلين بأى رتبة أخرى خلاف البطريرك .



شكل رقم ٢٤ : ختم البطريرك القبطى

ومن ناحية أخرى فاننا نرى فى ختم بطريرك الاسكندرية أنه لا توجد أى علامة على الصدرة التى قيل ان البطريرك يرتديها . كما أن الصدرة لاتوجد فى صورة أى من الرجال الاثنى عشر الذين يحيطون به ، وعلى ذلك فان الدليل الذى يقدمه هذا الرسم يأتى فى صالح استخدام الصدرة بالنسبة للبطريرك كما هو الحال فى الكنيسة الرومانية التى تخصصها لرئيس الأساقفة . ويتناسب مع الملحوظات السابقة افتراض أنه ربما كان البلين يرتديه الأساقفة فى الكنيسة القبطية كما كان الحال فى الكنيسة اليونانية فى الأزمنة السالفة . ويتحدث القديس ايذيدور St Isidorr الذى من القلزم Pelusium وهو قديس مصرى عاش فى أوائل القرن الخامس – عن بلين الأساقفة ، فى لغة يبدو أنها صحيحة ، بالرغم من أن ذكر هذه القطعة من الملابس يربطها قبل ذلك بحوالى عشرين عاما بالبطريرك – وهو تيوفيلوس Theophilus الاسكندرى . أما كلمات القديس جرمانوس St. Germanus فى حديثه عن الملابس الكهنوتية اليونانية (١) فانها تقدم شكلا مختلفا للبلين بالرغم من أنه يستخدم نفس الكلمة فيما يتعلق بكل من البطريرك والأسقف . وقد يكون ذلك هو الحال أيضا بالنسبة للكنيسة المصرية . ولكن لايوجد تفسير كاف فى النص اليونانى يتمشى مع الترتيب الذى ذكره ماريوت فى ترجمته ، التى تفرق ما بين بلين الأسقف وبلين رئيس الأساقفة من حيث وجود الصلبان المطرزة فوقه بالرغم من أن هذا الفارق لم يذكر بوضوح لدى هذا المؤرخ ، ولم يتأيد بأى دليل آخر لفظى أو أثرى .

---

(١) Vest. Christ p. lxxiv.

وعندما نأتى الآن الى شكل البلين القبطى سنقابل مصادفة غريبة فنجد أنه يماثل تقريبا الشكل الآخر للصدرة الرومانية أكثر منه بالنسبة لشكل البلين اليونانى • ولاشك أن هذه القطعة تتكون أصلا من شريط طويل من الصوف الذى يتدلى فى شكل لولبى على الصدر من الأمام وفوق الكتفين من الخلف ، ويترك أحد طرفيه متدليا من الأمام فوق الكتف اليسرى والطرف الآخر يتدلى من الخلف • ويتمشى هذا الشكل مع أى تغيير موجود اليوم بالنسبة لكنيسة القسطنطينية بالرغم من أنه الآن يتدلى على شكل قلادة من الأمام وسط الجسم ، بدلا من أن يتدلى من الكتف اليسرى ، وأن اللولب يدور عاليا حول العنق بدلا من أن يتدلى بحيث يسمح لليد اليمنى بأن ترتاح فوقه كما كان الحال فى الأزمنة القديمة • ومثل هذا الاختلاف عن الشكل الأصلى ، يمكن ملاحظته حاليا بالمقارنة بين اللوحتين رقمى ٤١ ، ٥٨ فى كتاب : « الملابس المسيحية لمؤلفه ماريوت » "Marriott's Vestiarium Christianum" حيث نلاحظ لأول وهلة أن الشكل اليونانى الحديث يتشابه قليلا مع الصورة الرومانية الحديثة وهو تشابه عرضى ، وأى توجس من وجود التأثير الرومانى فى تحديد شكل البلين المصرى تدحضه سريعا حقيقة أن هذه القطعة من الملابس كما هى مرسومة على ختم البطريرك حاليا ، هى نفس الصورة القديمة المرسومة للصدرة ، وهذا الرسم شرقى وليس رومانيا • ومازالت رسوم الموزاييك التى على مسجد القديسة صوفيا فى القسطنطينية والتى يعود تاريخها الى سنة ٥٣٧ للميلاد أى الى ٦٠ عاما سابقة على الصورة المعروفة للقديس غريغوريوس — ما زالت تحفظ لنا صور القديس باسيليوس وأربعة أساقفة آخرين عاشوا فى القرن الرابع وهم جميعا يرتدون ستيخاريون Sticharion وفيلونيون Phelonion وصدرة على شكل حرف (واى) Y (١) وجميعها بيضاء اللون • وتلك القطعة التى على شكل حرف (واى) Y تمثل البلين الذى يرتديه البطريرك القبطى • وتبرهن رسوم الموزاييك هذه التى تعود الى القرن السادس على وجود شكل ثابت ، وبناء على ذلك فاننا نعتبره مستخدما منذ القرون الأولى • وتبين الآثار التالية لهذه الفترة أن الشكل كان يتأرجح من وقت لآخر بالنسبة للشريط الأصلى الذى لم يهمل مطلقا • ولذلك فمن المستغرب أن نجد الشكل التقليدى المنحوت على ختم البطريرك القبطى متمشيا مع الشكل التقليدى المرسوم على حوائط كنيسة القديسة صوفيا •

أما فى الغرب فان سجلات الفن القديم تبرهن على أن الصدرة كانت فى الأصل شريطا يلبس بنفس الطريقة المعتادة فى الشرق • ويبين رسم

(١) See Marriott, Vest. Christ, pp. 84-86.

فريسكو من القرن الثامن اكتشف فى روما (١) أن القديسين كرنيليوس Cornelius وكبريانوس Ceprianus كانا يرتديان كلاهما صدرة هى نفس الصدرة اليونانية المرسومة فى درج يونانى من القرن التاسع عليه مخطوط محفوظ فى المكتبة القومية بباريس ويمثل المجمع المسكونى الثانى الذى عقد بالقسطنطينية • وفى هذا الرسم الذى رسمه م• روهولت دى فليرى M. Rohault de Fleury ، والرسم الآخر المشابه والذى يعود الى القرن العاشر أو الحادى عشر والذى يقدمه لنا ماريوت Marriott ويمثل المجمع المسكونى السابع ، نجد أن جميع الأساقفة المجتمعين يرتدون البلين على الصدر وأحد طرفيه مدلى من الكتف اليسرى • وهناك اختلاف مقبول فى ترتيب ارتداء البلين فى الصورتين • ففى الأقدم منهما يتدلى البلين على الصدر مسافة أكبر من مثيله فى الصورة الأحدث حيث يرتفع فى الأخيرة ليدور حول العنق فيما يقترب من الشكل الحالى • وعلاوة على ذلك فمن المستغرب ملاحظة أن البلين فى مخطوط القرن التاسع كان ظاهرا عليه صليبان فقط ، بمعدل صليب واحد على كل فرع • ولايوجد أى علامة تدل على وجود الصليب الثالث والمرسوم على الجزء المستطيل الذى يتدلى من الكتف فى الرسم الذى قدمه ماريوت وهو يمثل الشكل المعتـاد فى جميع الرسوم اليونانية • ولكن هذه الطريقة اليونانية لارتداء الصدرة أفسحت الطريق فى روما لذلك الشكل الذى أصبح يعرف باسم الطراز الرومانى • وهذا الانتقال السهل الذى حدث يمكن تحصيله بمجرد نظرة الى الشكل المعروف للقديس غريغوريوس الكبير (٢) الذى يعود تاريخه الى حوالى عام ٦٠٠ للميلاد • وهنا نجد أن الصدرة تلبس حول الكتفين وأن طرفيها بعد مرورهما الى الأمام والخلف فى شكل لولبى ينحدران الى وسط الجسم • وكما فقدنا الاهتمام بالأصل ، فان القطع المـدلاة كانت مطرزة على الشريط الدائرى الذى يوضع على الكتفين بحيث تتخذ الصدرة شكل حرف T أو حرف Y المعتاد فى صور المخطوطات الغربية التى تعود الى القرن التاسع وما قبله (٣) ويتضح لنا أن الشكل اليونانى قد ظل لفترة معقولة يستخدم جنبا الى جنب الشكل اللاتينى للصدرة • وعلى ذلك فاننا نجد فى رسم موزاييك يعود الى القرن التاسع فى تريكلينيوم لاتيرانوم Triclinium Lateranum أن القديس بطرس يرتدى البلين وحتى فى القرن الثانى عشر نشاهد رسما للبلين كما هو فى الشكل الذى

---

(١) Marriott, Vest. Christ. pl. xxx, from De Ros i's Roma Sotterania.

(٢) Marriott, Vest Christ. Pl. xxv.

(٣) انظر على سبيل المثال :

Marriott, Pl. xxxiv, Westood, Minatures, pl. 50.

يظهر به القديس امبروسيوس St. Ambrose فى رسم بالموزاييك فى الكنيسة التى دعيت باسمه فى ميلانو Milan (١) بصرف النظر عن أن الشكل البيزنطي للصدرة الذى يمثل عمل فنان بيزنطى قد يقلل من قيمة هذا الرسم كدليل على استمراره فى الممارسات الرومانية المعاصرة ·

ولسوء الحظ فان الدمار الكثير الذى اعترى الكنائس القبطية بعد الفتح العربى قد أزال تقريبا جميع الآثار المرسومة التى كانت تسجل الأشكال القديمة لملابس الخدمة الكنسية · ومن الملاحظ أن أقدم عرض وجدته للبلين ، يبين شكلا ثابتا وتقليديا لهذه القطعة ، يشبه تقريبا الصدرة اللاتينية المستخدمة حديثا · وقد أفلت رسم العمود الذى ليس له اسم والذى نظهر فيه الصدرة مصادفة ، من التخريب الذى حاق بالرسوم المشابهة على أعمدة صحن الكنيسة الأخرى بالكنيسة المعلقة · ولا شك أن الهالة النورانية والتاج والصدرة تخص بعض البطاركة الذى لابد وأن يكون اسمه قد طمس ، أو ضاع طي النسيان · والصدرة فى تلك الصورة على شكل حرف T وتتكون من شريط مستقيم عبر الكتفين من أسفل مع شريط آخر يتدلى من الوسط ويخفى مشبك المنطقة · والغريب أنه لا توجد علامة على وجود أى صليب على هذه الصورة حيث ان لكل جانب من جانبيها حافة ضيقة مطرزة وقد امتلأ الفراغ بينهما برسوم دوائر أو أشكال بيضاوية متشابكة · وتغيب كلية الصلبان الكبيرة التى تميز كلا من البلين اليونانى والصدرة الرومانية التى تعود الى العصور الأولى حتى العصور الحديثة وقد ورد أن نفس الرسوم المتشابكة تزين منبر مسجد بنى بالقاهرة فى القرن الرابع عشر ، وعلى الرغم من هذا فاننى أرجع هذا الرسم المرسوم بالفريسكو الى القرن الثامن أو التاسع · وعلى كل حال فهذه القطعة هى أقدم دليل أثرى على استخدام البلين · وقد رسمت هذه القطعة من الملابس فى الصور التى على الألواح التى تعود الى تاريخ أكثر حداثة وان لم يتكرر ذلك كثيرا · وأحيانا نشاهد الصدرة القبطية مرتبة بطريقة تختلف عن الطريقة اليونانية القديمة لارتداء البلين أى مع وجود استدارة أو ثنية على الصدر ، واسقاط أحد الطرفين من الكتف اليسرى ، وقد طرزت فوقها ثلاثة صلبان كبيرة · وهذا الشكل مرسوم فى صورة القديس نيكولاوس St Nicolas التى تتكرر كثيرا (٢)· أما فى الجزء الأمامى من الخوروس بكنيسة أبو سيفين ، وفى الصورة التى

---

(١) Rohault de Fleury, La Messe, Vol. i. Pl. xvii.

(٢) انظر الصورة التى فى صدر الكتاب خلف العنوان الداخلى ·

تمثل نياحة العذراء مريم ، نرى أن التلاميذ الاثنى عشر المحيطين بالتابوت، يرتدون البلين حسب الطريقة اليونانية (١) • أما الكنيسة المجاورة والتى باسم العذراء أو ست مريم ، فانها تحتوى على صورة للقديس مرقوريوس Mercurius نرى فيها أسقفا (*) يرتدى البلين اليونانى فوق بدلة القداس • ولكننا نرى صور التلاميذ الاثنى عشر على حامل الأيقونات فى نفس الكنيسة ، وقد ارتدوا جميعا القميص والتونية وبدلة القداس والبلين الذى على شكل حرف Y وهم يحملون الصلبان والأناجيل •



شكل رقم ٢٥ : صورة بالفريسكو فى الكنيسة المعلقة

(١) Vol. I. p, 108.

(*) الأسقف المرسوم هنا هو القديس باسيليوس الذى نظر الى صورة القديس مرقوريوس أبى سيفين وطلب اليه أن يستخدم السيفين فى محاربة الامبراطور يوليانوس والقضاء عليه ، وبعد قليل أعلن الى الشعب خبر موت يوليانوس الذى تأكد بعد ذلك — (المترجم) •

• وكما لاحظت مؤخرا فان البلين المرسوم على ختم البطريرك هو أيضا على شكل حرف Y وينتمى الى الطراز الرومانى أكثر منه الى الطراز اليونانى حيث يدور حول الرقبة ويكشف من الامام ثلاثة أقسام مستطيلة متساوية فى كل منها صليب • ومن المحتمل أن يكون هناك ترتيب مشابه يختفى بخلاف ذلك المبين فى الرسوم العجيبة التى حول حائط المحراب فى كنيسة أبى سيفين حيث نرى أن القديسين المرسومين يلبسون عباءات تتدلى فوق التفافات البلين وتخفيها • ومن المستحيل الخلط بين البلين والابتراشيليون لأن كلا من القطعتين تشبه الأخرى من حيث ارتداؤهما فوق القميص وتحت التونية القصيرة • وكما يبدو هذا الترتيب مثيرا للارتباك فانه أيضا غير شائع فى الصور القبطية ، بالرغم من أنه يحدث أثناء الجمع بين القميص والتونية ، أن يلبس الابتراشيليون فوق التونية كما هو الحال فى الصورة التى تعود الى القرن الخامس عشر بكنيسة ست مريم •

اذن فالحقيقة تتمثل فى أن الصورة التى على شكل حرف Y قد طورت عن الشكل اليونانى القديم ، والدليل على ذلك هو شهادة الآثار القبطية التى يرجع تاريخها الى العصور الوسطى • ومن السهل فهم هذه المسيرة ، الا أن نفس هذه الآثار تبرهن بنفس الدرجة من الوضوح على أن الشكل القديم قد استمر شائعا جنبا الى جنب البلين • ولكن ليست هذه هى القصة بكاملها ، لأنه الى جانب هذين الشكلين الشائعين حتى فى الغرب ، فان الصور القبطية تقدم دليلا على هذا الاستخدام العجيب والمتميز • وتظهر الصورة القبطية مستخدمة أكثر مما هو مقرر فى الترتيب المعتاد ، وتتخذ الى جانب شكل حرف Y ، شكل شريط من نفس القماش واللون مزخرف بصلبان مشابهة ويحيط بالوسط من الجانب الأيمن الى الجانب الأيسر • ويتدلى الطرف من الجانب الأيسر فوق الرسغ أو يمسك باليد • ونشاهد الصور التى تبين هذه الطريقة فى صورة القديس مرقس الرسول التى يعود تاريخها الى القرن السابع عشر ، ويرتدى فيها ملابس البطريرك وهى موجودة بكنيسة القديس اسطفانوس بالكاتدرائية فى القاهرة • وفى صورة السيد المسيح الموجودة بين صف الرسوم التى على حاجز الخوروس بكنيسة أبى سيفين • ومن هذا الترتيب يبدو أن أحد طرفى البلين يمر من خلف الكتف اليسرى عبر الظهر الى الجانب الأيمن ، ثم يلف فى الأمام عبر الوسط • بينما يتدلى الطرف فى الترتيب العادى ، من الكتف اليسرى الى الخلف ، وهناك طريقة أخرى لارتداء البلين وهى التى نراها فى صورة رئيس الملائكة الجليل ميخائيل بكنيسة أبو سرجة • ونرى فيها الشريط البالغ الطول • ومن السهل متابعة وضعه ابتداء بذلك الطرف الذى يتدلى على الرسغ الأيسر ، ويمر من اليسار كما هو مبين

بصورة القديس اسطفانوس ـ الى الجانب الأيمن ثم يمر خلف الظهر تحت الذراع اليسرى ، ويرتفع عبر الصـدر الى الكتف اليمنى حول الرقبة فوق الكتف اليسرى • ويمر من الكتف اليسرى الى منتصف الصدر حيث يشبك تحت القطعة الأخرى التى تتخذ شكل الصليب • ثم يتدلى الطرف الثانى من منتصف التونية فى الأمام الى أسفل • وهويذلك يذكرنا بقطعة الملابس التى تتخذ شكل حرف Y ولكنه يختلف عنها اختلافا واضحا •



شكل رقم ٣٦ : صورة رئيس الملائكة الجليل ميخائيل من رسم موجود بكنيسة ابى سرجة

وليس من السهل أن نصف هذا الترتيب العجيب للبلين القبطى ، ولكن ربما كان أبرز الأشياء عنه هو الطول البالغ للشريط ولا أستطيع التفكير فى أنه يبين الانتقال من البلين القديم الى الصدرة الحديثة ، كما يرتديها الأساقفة • أما الدليل المصور الذى تقدمه هذه الصورة فهو متأخر الى حد ما • حيث لا يعود تاريخه الى ما قبل أوائل القرن السادس عشر ، بينما البلين المخصص للأسقف حديث جدا حتى يمكن القول بأنه غير موجود فى الأعمال الفنية ، ونادرا ما نجد شبيها له فى الصور القبطية ، ويمكن

التأكد من هذا التخمين ، انطلاقا من حقيقة أنه لا البلين البالغ الطول ، ولا البلين المخصص للأسقف ، يرتكز على تصريح مدون أو مصور رسمي. ولكن اذا صح أن البلين الحديث يمثل البلين القديم وأنه نسخة مطورة منه ، فلاشك أن عملية التطوير كانت بالغـة التعقيد ــ مما ترتب عليـه الخلط بين الشملة المخصصة للكاهن ، والبطرشيل ، والابتراشيليون ، والبلين ــ وجميعها قطع من الملابس الكهنوتية لم يهتم أحد بالنظـر في الفروق بينها خلال عصور الظلام الطويل الذى خيم على الكنيسة القبطية. ولابد من ملاحظة ضرورة مقاومة معظم هذا الخلط الذى لا يمكن استبعاده تماما بأى منطق يرتكز على مثل هذا الدليل • ولابد من ملاحظة أن الملكانيين التابعـين لكنيسة الاسكندريـة الأرثوذكسية يتمسكون حتى هذا اليوم بالاستخدام القديم للبلين ، ولا يعرفون شيئا عن البلين الحديث (١) •

أما بخصوص قدم الصدرة التى يرتديها البطريرك ، فليس لدينا الا القليل الذى يمكن اضافته الى المعلومات التى أوردناها • وقد ورد فى الشرق أن هذه القطعة من الملابس تذكر لأول مرة مرتبطة بذكر بطريرك الاسكندرية حوالى سنة ٣٨٥ للميلاد • أما فى الغرب فانهـم يستبعدون الهبة المشكوك فيها للصدرة التى أهداها مرقس أسقف روما الى أسقف أوستيا (حوالى سنة ٣٣٠ للميـلاد) ولا نجـد ذكرا لها حتى سنة ٥٠٠ للميلاد ، عندما أهداها سيماخوس الى ثيودور كبير أساقفة لورياكوس فى بانونيا •

وبعد ذلك بقرن من الزمان يقول القديس غريغوريوس الكبير فى رسالته الى فيجيليوس أسقف أرلس ، انها عادة قديمة أن يتوسل الأسـقف الى كرازة روما من أجل الصدرة ومن أجل السلطة المفوضة التى تمثلها •

---

(١) ان كلمة بلين = الشملة ليست كلمة قبطية الاشتقاق ، ولا شك فى أنها مأخوذة عن البلين اللاتينى من خلال الشكل اليونانى باليون ، الذى يتردد بين حين وآخر لدى المؤرخين البيزنطيين القدامى ، ويقول ستيفانوس فى موسوعته عن المترادفات ان القديس غريغوريوس النزينزى تحدث عن ذلك فى وصيته التى تركها للشماس ايفاجريوس ــ انظر أيضا (Epiph. 11. 188 B)

والشكل (بالين) أو الشملة يستخدم كثيرا • وهذه الكلمة تعنى فى اليونانية بالطو أو عباءة خارجية ولم يستخدم للدلالة على البلين • ولذلك فانه لمجرد المصادفة المحضة أن يكون (باليون) المستخدم بين القبط مثل الصدرة لدى اللاتين ، مخصصا للدلالة على رداء كهنونى • وبالمقارنة الدقيقة للتغيير فى معنى كلمة (كاماسيون) البيزنطية القديمة التى كانت تعنى بعض الملابس الداخلية ، أصبحت فى الطقس القبطى (كاماسيون) التى تعنى الكم ، كما سنرى فيما بعد • وهناك فارق كبير بين المعنى القبطى والبيزنطى فى كل حالة ، بالرغم من تغير النطق •

وبينما لايوجد دليل مباشر كاف للاجابة عن السؤال الذى يدور حول ما اذا كان استخدام الصدرة قد ظهر أولا فى روما أو فى الاسكندرية ، الا أن أول ذكر مؤكد لهذه القطعة من الملابس الكهنوتية قد جاء بقلم مؤرخ مصرى فنحن نعرف أنه خلال القرن السادس على الأقل ، كان من المعتاد بالنسبة للبطريرك الجديد أن يأخذ صدرة القديس مرقس من رقبة سلفه قبل دفنه ، وهذا جزء من الطقس • وعلاوة على ذلك فان البلين قد استمر مستخدما فى الكنيستين اليونانية والمصرية حتى هذه اللحظة دون تسجيل أى تدخل لاتينى •

ويقف ذلك كله ضد دعاوى روما باعتبار الصدرة امتيازا رومانيا يمنح كعلامة للتشريف وتذكار للولاء • ، ويبدو أن لذلك بعض الأسباب ـ يقرل أحد قوانين مجمع ماكون Macon سنة ٥٨١ للميلاد انه لا يجوز لأى من رؤساء الأساقفة اقامة القداس بدون الصدرة ـ وهذا يدفعنا للظن بأن هذا الادعاء لم يكن معترفا به من كنيسة بلاد الغال فى القرن السادس الميلادى ، ولكن ليس من الضرورى متابعة نموه ، كما أنه ليس من الضرورى تكرار القول بأنه لا اليونانيون ولا الأقباط يعترفون بسيادة البابا الرومانى •

والصدرة على مستوى كل العالم المسيحى ، تصنع من الصوف وليس من الكتان ، لكى تذكر من يرتديها أنه الراعى الروحى لقطيعه ، وكلا المادة والرمز ذكرهما القديس ايذيدور St Isidore • وحتى هذا اليوم فان بركة الحملان البيضاء التى تنتج الصوف ، تتخذ مكانها سنويا فى عيد القديسة أجنس St. Agnes بالكنيسة التى تدعى باسمها فى فيانومونتانا Via Nomentana بروما • وبعد الاحتفال تحفظ الحملان فى دير حتى يحين موعد مشاركتها • والصدرات التى تصنع من صوف هذه الحملان توضع فوق قبر القديس بطرس عشية عيد الرسل ، ثم تكرس على المذبح فى اليوم التالى (١) •

ويلبس أساقفة الأرمن البلين الذى يشبه فى شكله البلين اليونانى ولكنه أوسع منه قليلا • ويعرف البلين بين الموارنة والسريان بأنه جزء من ملابس البطريرك • وبالطبع فانه بالعودة الى الطريقة الأصلية لارتداء البلين نستطيع أن نفهم توصية طقوسنا القديمة بربط الصدرة على بدلة القداس • لأننا نقرأ أنها كانت « تربط بدبوس من الأمام والخلف على

---

(١) Catechisme de Persévérance Par l'abbé I. Gaume, vol. vii. p. 234. (4th ed. Brussels, 1842).

الكتف اليسرى (١) أى عند النقطة السفلى من الدوران على كل من الصدر والظهر وعند نقطة تقاطع الطرفين على الكتف اليسرى • واذا حاولنا تطبيق هذه القاعدة على الصدرة التى على شكل حرف تى T أو حرف واى Y فانها تصبح بلا معنى • انه ترتيب سهل الفهم وضرورى عند تطبيقه على البلين أو الصدرة كما يتم ارتداء كل منهما حسب الشكل القديم •

الكمـــان

نى كاماسيون

عند تعرضنا للحديث عن القطعة التالية من الملابس الكهنوتية القبطية وتتمثل فى الكمين ، يحسن بنا فى البداية مراعاة عدم التداخل بينهما وبين المنديل maniple • وهذا الأخير شائع بوصفه قطعة من الملابس الكهنوتية التى تستخدمها الكنيسة الغربية لدرجة أننا نشعر بالدهشة لعدم اكتشاف ما يشبهه فى الطقس اليونانى أو القبطى ، وحتى مع التسليم بأن كلمة (انخيريون) اليونانية تقدم لنا من حيث التسمية والهدف ما يشبه المنديل maniple ، ولا توجد مثل هذه القطعة حيث ورد ذكر الفوطة فى التعليمات البابوية بين الملابس القبطية • وأقرب مثال لهذه القطعة فى الطقس القبطى ــ بخلاف الحجاب أو الصدرة التى تخص الكهنة ــ هو المنديل الذى ورد ذكره فى الطقس بأنه قد أهدى مع الصليب الى أحد الأساقفة عند تنصيبه • وتمضى التعليمات المكتوبة فى الطقس كما أوردها رينودو فى ترجمته ــ قائلة :

« Dabtique illi crucem et mantile ».

ولكن بينما نجد كلمة mantile غامضة ، فانه لا يسهل التوصل الى النص الأصلى ، وهذا هو التنويه الوحيد لاستمرار وجود مثل هذا المنديل ، بصرف النظر عن طبيعته سواء فى التعليمات القبطية أو السريانية أو النسطورية • ان الصليب الذى يسلم هو بالطبع صليب اليد الصغير الذى يستخدم للبركة وليس عصا الرعاية ، ولذلك فان المنديل فى هذه الحالة لا يمكن أن يقصد به الحجاب أو Pannicellus • وقد ذكرنا من قبل أنه لدى كنيسة الاسكندرية بفرعيها اليعقوبى والملكانى ــ يجرى حمل أحد

---

(١) Bloxam's Ecclesiastical Vestment, 11th edition, p. 5.

طرفي البطرشيل بطريقة تذكرنا بالمنديل الغربي · وربما تقف هذه العادة ذاتها ضد القول باستمرار استخدام المنديل بوصفه احدى قطع الملابس الكهنوتية رغم أنها تفضح الوعي به ، وربما تفسر أصله·الا أنه من الانصاف أن نذكر هنا حقيقة أن (أبو دقن) (اذا كانت الترجمة الانجليزية لكتابه يمكن الوثوق بها) يذكر المنديل بين الأردية الكهنوتية القبطية حيث يمسك به الكهنة في اليد اليسرى ولا يسمح للشمامسة أو الرتب الأقل باستخدامه · وهذه العبارة تقف وحيدة بلا سند من دليل خارجي · انها ضد كل منطق وتثير الشك في دقة أبو دقن بالنسبة للموضوعات الأخرى التي أوردها · ومن جهة أخرى فانه بالرغم من صمت التعليمات المكتوبة بالنسبة للسؤال المتعلق بما اذا كان الأقباط قد استخدموا الفوطة من عدمه فان هناك دليلا مصورا ، قليلا من حيث الحجم ولكنه حاسم من حيث الخاصية ، وهو يبرهن على وجود هذه القطعة ضمن أردية العبادة ·

وعلى ذلك ففي صورة القديس اسطفانوس بكنيسة أبي سرجة (١) نجد أن الوعاء المقدس الذي يحمله القديس في يده اليسرى سواء كان حق القربان المقدس أو علبة للبخور – يرتكز على فوطة تحفظه من ملامسة أصابع اليد ، ولا شك أن تخصيص مثل هذه الفوطة في الغرب لتناول أوعية القربان المقدس – كان هو الدافع لظهور المنديل · وبينما أصبح المنديل في الكنيسة اللاتينية – ضروريا – فانه ظل بين القبط مجرد أداة لخدمة المذبح · وبذلك ضاع الهدف الرئيسي من استخدامه في الحالة الأولى ، وتحول الى قماش للزينة ، بينما في الحالة الثانية ظل في وضع أقل تشريفا واعتبارا لأن حقيقة استمراره استدعت بعض الايضاح · ومع وجود هذا المنديل فاننا مازلنا نعتبره مختلفا عن الكمين المقدسين من حيث الأصل والهدف ·

ويتشابه الكمان القبطيان مع (ابيمانيكيا) اليوناني من كافة الوجوه، حتى انني لن أتردد في استخدام نفس هذا الاصطلاح للدلالة عليهما كلما كان ذلك مناسبا · ويقدم ماريوت Marriott رسما للكمين epimanikia اللذين كان يلبسهما الأسقف الروسي نيكيتا Nikita في القرن الثاني عشر ، ولكن لسوء الحظ مقياس هذا الرسم لم يدون عليه ، ولم يورد المؤلف شيئا نعرف منه ما اذا كانا عبارة عن أسورتين قصيرتين كما يطلق عليهما ، أم أنهما كمان حقيقيان يغطيان الساعدين ، الا أن جور Goar

---

(١) انظر شكل رقم ٢٣ ·

يصفهما (١) بتفصيل مسهب على أنهما يصلان من الرسغ الى الكوع • وبصرف النظر عن وصفهما بالنسبة للكنيسة اليونانية ، فلا شك أن الكمين القبطيين يغطيان الساعدين بكاملهما ، وهما متسعان عند الكوع ، ويضيقان مع الاتجاه نحو اليد • وهما يختلفان عن الكمين الروسيين من حيث انهما فى الجزء الأكبر منهما ملتصقان تماما مع قفل خطوط الخياطة ، بينما نجد أن الكمين المرسومين لدى ماريوت يظهران كما لو كانا قد فتحا عمدا وأنهما يربطان على الذراع بسيور أو أزرار • ويزعم جور أن القسوس اليونانيين يستخدمون سيورا حريرية لربط الأكمام على أذرعهم ، وتبدو عبارته وكأنها تؤكد الاستنتاج الذى نستخلصه من الرسم الوارد لدى ماريوت Marriott • وأن الأسورتين لدى فتحهما تصبحان مسطحتين • وأنا أخالف رينودو Renaudot الذى ينفى أى علم بهذا الموضوع ، وينسب النقطة موضع التساؤل الى التشابه فى الشكل بين الكمين اليونانيين والقبطيين • ويصف نيل Neale (٢) الكمين السريانيين بأنهما يختلفان كلية عن الكمين اليونانيين دون أن يورد أى تفسير ، ولكنه يضيف أن الكمين اليونانيين يتدليان على جانبى الذراعين فى شكل لسانين بارزين ، ثم يربطان تحت الرسغين بسيور حريرية تتمشى مع الحواف وتثبتهما على الذراعين • وليست هذه الرواية واضحة كما ينبغى ، ولكنها تبين أن الكمين عبارة عن لفافتين أو قطعتين من القماش تربطان حول الذراع وليستا كمين أو أسورتين حسب ما تعنيه هاتان الكلمتان •

ويذكر نيل Neale أن هذين الكمين فى رسوم الموزاييك المرسومة على حوائط نيقية — يظهران تحت شكل مختلف يقترب من شكل الكمين فى تونية جيدة الصنعة ، وهنا يتأكد وجود الخلط فى اللغة ، فلا يستطيع الانسان أن يتخيل الكم اليونانى بأنه يماثل كم التونية الفضفاض بأى حال من الأحوال مهما كان جيد الصنعة • ومن المؤكد أنه يقصد الكم المحكم للقميص أو التونية • وبصرف النظر عن القراءة الصحيحة فاننا مازلنا نتخبط فى الظلام فيما يتعلق بطول الكم ، وهل هو يغطى الذراع بكاملها أو الساعدفقط ، ولذلك فانه من الصعب أن نتحدث بايجابية عن الشكل اليونانى للكمين ولكن بقدر اكتشافى أقول ان الشكلين اليونانى والقبطى مختلفان ، فالكمان القبطيان أطول من الكمين اليونانيين ، ومتصلان عن طريق الخياطة فى حبكة شديدة ، مع صعوبة اخفاء هذا الاتصال • وهما غير مربوطين أو محبوكين بسيور حريرية • ونرى بكنيسة القديسين

---

(١) Vest. Christ. Pl. lvi.

(٢) Eastern Church : Gen. Introd. vol. i. p. 307.

أباكير ويوحنا زوجا من الأكمام المصنوعة من القطيفة القرمزية والمطرزة بالنجوم والصلبان بخيوط من الفضة السميكة • وتدور حول الأطراف حافة مزدوجة من التصميمات الداخلية • وبينما نرى أحد الكمين مزينا بصورة العذراء والطفل يسوع فان الكم الثانى عليه صورة ملاك منبسط الجناحين • ولا يوجد ما يفوق فخامة أشغال الابرة ونعومة الألوان التى طرزت بها هاتان الصورتان • وتشير فخامة هذا العمل الى أن هذين الكمين يخصان أحد الأساقفة لا شك أنه أسقف بابيلون • وأعتقد حقا أن وجود الصورتين بالمقارنة مع الصلبان يدل على أن الكمين يخصان الأسقف والكاهن معا ، لأنهما غير مميزين بنفس الطريقة • والكمان القبطيان مثل التونية وغيرها من الملابس الكهنوتية لكنيسة الاسكندرية ، كانا فى سالف العصور يصنعان من الأقمشة الثمينة ويطرزان بأغلى أنواع التطريز ، الا أنهما كانا يزخرفان كذلك بالجواهر الثمينة • وأخشى ألا يكون ذلك موجودا الآن • أما أسورتا الكمين المرسومين فى صورة القديس نيقولاوس Nicholas التى أشرت اليها فتظهران كما لو كانتا من الذهب أو القماش الذهبى ، ومرصعتين بالجواهر العظيمة القيمة •



شكل رقم ٢٧ : الكمان الموجودان بكنيسة القديسين أباكير ويوحنا

أما الكمــان اللذان يرتديهما رجال الدين الملكانيون فى مصر فهما عبارة عن أسورتين وليسا كمين ، ويصنعان فى شكل مقفول أو مفتوح • وفى الحالة الثانية يربطان بالخيوط • أما الكمان القبطيان فانهما بالرغم من أنهما مازالا جزءا من ملابس الكهنة والأساقفة والبطريرك فانهما نادرا الاستخدام حاليا فيما عدا أثناء احتفالات التجليس ، ولذلك فمن الصعب رؤيتهما • أما العينة المرسـومة فى الصورة فما زالت موجودة بكنيسة

القديسين أباكير ويوحنا بمصر القديمة وربما يعود تاريخ الكمين الى القرن السادس عشر ٠ وعلى ذلك فان النماذج الحديثة لهذه الأكمام مصنوعة من القطيفة القرمزية المشغولة بأشغال الابرة التى من الذهب أو الفضة والتى تزخرف فى الغالب بتصميمات الأزهار أو السيرافيم ذوى الستة أجنحة وبالرغم من أنهما مقفولان مثل القفاز الا أن هناك بعض النماذج المفتوحة والمربوطة بالعراوى والأزرار وليس بالخيوط ٠

ولم نجد تفسيرا مقنعا حول أصل أو هدف الكمين اليونانيين٠ ويصفهما البطريرك سمعان Symeon بأنهما يرمزان الى القوة الالهية مقتبسا الآية : ــ « يمينك يارب صنعت قوة » ٠ و « يداك صنعتانى وجبلتانى » ٠ ويضيف أيضا أنهما تشكلان تقديس الأسرار لالهنا وانحناءة يديه فى آلامه، ولكن مثل هذا الاعلان المنطوى على المعانى العميقة والذى تفرد به الكاتب الذى ينتمى الى العصور الوسطى لا يساعد على اجابة السؤال القديم المتعلق بأصل هذه القطعة من الملابس الكهنوتية ٠ وربما كان المنديل فى الكنيسة اللاتينية يتمثل فى مجرد شريط من النسيج الموشى بالقصب مع استدارة فى احدى نهايتيه لكى يلف بها على الرسغ ولذلك فاننا نجد فى الكنيسة القبطية لفافة مشابهة توضع على الذراع بطريقة مشابهة ، وربما تكون هذه اللفافة قد تطورت بحيث أصبحت كما ، وأضيف اليها كم آخر لأجل التناسق فى الشكل ٠ ولكن هذه القصة التى يصعب تصديقها غير واردة بسبب حقيقة أن اللفافة فى كل من الكنيستين اليونانية والأرمينية توصف بأنها تتدلى دائما ليس على الرسغ الأيسر ولكن من المنطقة ٠ وقد ذكر البطريرك جرمانوس Germanus (١) المنديل على أن الشمامسة يلبسونه فوق المنطقة ٠ وأنه ظل على هذه الحال حتى القرن الحادى عشر عندما أصبحت القطعة التى على شكل المعين والمصنوعة من مادة صلبة تسمى الآن epigonation ، مخصصة للأساقفة وحدهم حسب ما أورده نيل Neale (٢) وماريوت Marriott (٣) بالرغم من الثقة فى أنها تخص الأساقفة ، بينما كان الكهنة يرتدون المنديل ولكن الاختلاف الموروث بين الكمين واللفافة أو المنديل مصور بطريقة قاطعة فى الطقس الأرمنى لأن رجال الدين الأرمن مازالوا يرتدون المنديل لتجفيف اليدين وهو معلق فى المنطقة ، بينما يشكل الكمان اللذان يطلق عليها اسم Pasbans جزءا من

(١) Marriott, Vest. Christ., p. 87.

(٢) Eastern Church : Gen. Introd., vol. i. p. 311.

(٣) Vest. Christ., p. 171 n.

الملابس الكهنوتية . والحقيقة أن هذين الكمين قد اختزلا الآن الى مجرد قطعتين من النسيج الموشى بالقصب (١) تلبس كل منهما على كل من الرسغين . ولكن البقاء المتزامن للمنديل والكمين فى الطقس يبرهن على عكس الافتراض القائل بأن الكمين مجرد تطور منفصل عن المنديل أو الفوطة . ولا يتردد فورتسكيو Fortescue فى تسمية القطعتين الأرمينيتين Pashans باسم الكمين بعد حسبان الكمين كقطعتين منفصلتين من الملابس الكهنوتية . ولابد من الاقرار بندرة الدليل التاريخى الايجابى الذى يجيب على هذا التساؤل أو الميل الى التخمين .

ويبدو أن استخدام الكمين شائع فى الكنائس الشرقية لأنه الى جانب شيوعهما لدى الأقباط واليونانيين والأرمن الذين ذكرناهم عاليه ، فاننا نجد الكمين شائعين أيضا لدى السريان والنساطرة . ويطلق عليهما السريان اسم Zenda أو Zendo حسب ما أورده رينودو (٢) الذى يربط بينهما وبين الكمين اليونانيين قائلا :

"de quarum forma inter orientales Christianos nihil certi affirmare possumus."

ويضيف أنه وجد رسما فى مخطوط فلورنسا لكاهن يرتدى نوعا من الكمين اللذين يغطيان الذراعين الى ما فوق الكوع ، وهما كما يقول ليس لهما شبه بالشكل اليونانى . وعلى ذلك يبدو أنه يتخيل أن الكمين اليونانيين قصيران أو أنهما مجرد اسورتين ولكن لا يوجد ما يشجب اعترافه المباشر بالجهل . ويكاد يتساوى معه فى درجة الجهل وان كان أقل سذاجة دنزنجر Denzinger (٣) الذى يذكر عند معالجته لموضوع الملابس الكهنوتية لدى ما أسماه براشياليا brachialia أى العضد ويقول ان الكهنة والأساقفة جميعا يرتدونهما . ونصل الآن الى المسيحية الغربية فيسوق روك Rock (٤) افتراضا بأن الكمين كانا جزءا من الملابس الكهنوتية فى كنيسة بريطانيا المبكرة . ويقول ان ذلك مجرد استنتاج مبنى على المقارنة مع العادة القديمة التى انتشرت فى بلاد الغال . وليس لهذا الاستنتاج أى وزن لأنه مجرد تخمين . ولا شك أن الأساور المعدنية أو

---

(١) Fortescue, Armenian Church, p. 133

(٢) Lit. Or., tom. ii. p. 55.

(٣) Rit. Or., tom. i. p. 132.

(٤) Church of our fathers, vol. i, p. 438.

الحريرية أو غيرها مما صنع من النسيج الثمين (١) قد انتشر استخدامها ضمن ملابس الخدمة في بلاد الغال خلال القرن السادس (٢) حسب الدليل الواضح الذى أورده مستر وارين warren :

« وكان القفاز الذى يلبس فى اليدين ضمن الأردية الكهنوتية وهو الأساور التى تربط على ذراعى الكاهن بطريقة خاصة بالكاهن وحده » .

وهذه الشهادة عظيمة الأهمية حيث تحفظ لنا سجلا لهذه القطعة من الملابس الكهنوتية التى أصبحت الآن منسية ، وكانت مستخدمة يوما فى الكنيسة القديمة ببلاد الغال . وسواء كان هذان الكمان قد أهمل استخدامهما فيما بعد بسبب عدم الاكتراث أو أن الارساليات الرومانية لم تعتد بهما ، فانهما غير معتمدين حاليا . وأظن أن أحدا لا يجازف بالقول بأن الكمين الشرقيين تمت استعارتهما من النموذج الذى استخدمته بلاد الغال التى تقع فى أقصى الغرب . واذا لم نستند الى فكرة وجود أصل مستقل لهذه القطعة من الملابس المستخدمة فى الكنائس الشرقية وفى كنيسة بلاد الغال ، **فاننا سننساق الى الاستنتاج بان الكمين قد انتقلا من الشرق - ربما عن طريق مستعمرة من الرهبان المصريين الذين نعلم انهم جاءوا الى بلاد الغال وايرلندا فى العصور الأولى للمسيحية** . ثم استخدمهما رجال الكنيسة فى بلاد الغال .

واذا صحت هذه الفكرة الخاصة بالتأثير الشرقى ، فلن يكون من المستغرب الربط بينها وبين التذكارات الأخرى التى تنتمى الى نفس التأثير الشرقى فى الكنائس البريطانية والأيرلندية ، ولكنها تثير أيضا الجدل حول عراقة الكمين القبطيين بوصفهما ضمن الملابس الكهنوتية . وعلاوة على ذلك نقول انه لو كان الكمان قد انتقلا من مصر الى بلاد الغال وأصبحا شائعين فى القرن السادس فلابد أنهما كانا شائعين بكنيسة الاسكندرية قبل ذلك بفترة معقولة . ليس ذلك فقط بل أقول أيضا انهما يقدمان الدليل على الانفصال الواضح للكمين عن المنديل ، وهو الدليل الذى ناقشته من قبـل .

وبناء على شهادة جور Goar فمازال استخدام الكمين المقدسين باقيا حتى القرن السابع عشر فى بعض الكنائس الفرنسية ، وما زالا مستخدمين لدى رهبان الدومنيكان الذين كان جور ينتمى اليهم . أما وقد أصبحت القضية بهذه البساطة فاننا نستغرب التجاهل التام من الكتاب الفرنسيين وغيرهم من المؤرخين الكنسيين لمثل هاتين القطعتين من ملابس العبـادة المعروفة والقديمة .

(١) Warren, Lit. and Rit. of the Celtic Church, p. 117.
(٢) Id. Ib. note 3.

ملابس رجال الاكليروس الأقباط
(تكملة)

البرنس ـ التاج ـ عصا الرعاية ـ صليب الصدر ـ التليج ـ صليب البركة ـ المسبحة

الرداء الخارجى (البرنس)
بى فيلونيون ـ بى امفوريون ـ بى كوكليون

اننا نرى من الضرورى أن نستخدم فى البداية اصطلاحا غامضا وهو اصطلاح Super vestment للدلالة على الرداء الخارجى للكهنة الأقباط ـ وهو اصطلاح تدور حوله العديد من المصادر التى تسبب ارتباكا عظيما • وسنحاول بيان أن هذا الارتباك الذى يشير الى تداخل هذه القطعة مع بذلة القداس ومع الجبة أو العباءة ـ لا يعود الى الخطأ فى تأويل المصطلحات ولكنه يكشف عن تداخل حقيقى بين الاستخدامات •

وبالعودة الى الكلمة الموجزة التى أوردناها فيما سبق نقلا عن المؤرخين الذين تحدثوا عن ملابس الكهنة الأقباط ، نستطيع أن نجمع النصوص التالية المتعلقة بالرداء الخارجى • ويسميه أبو دقن (Palliu Cumcucullo') ولا يرتديه الكاهن فقط بل أيضا الشماس أو مساعد الشماس أثناء القداس ، عندما لا يكون الأسقف حاضرا ، ولا يتردد فانسليب فى كتابه الذى يعود الى أواخر القرن السابع عشر ـ من وجهة نظره الشخصية ـ فى أن يسمى الرداء الخارجى باسم (البرنس) ، ويضيف أن هذا الرداء الذى يلبسه الكهنة بسيط ، بينما ذلك الذى يرتديه الأساقفة ملحق به قلنسوة • ويعرف هذه القطعة بعد ذلك باستخدام الكلمة العربية (البرنس) • ويتحدث النص الذى كتبه الأنبا غبريال والذى يعود الى بداية القرن الخامس عشر والذى أورده رينودو فى ترجمته عن العباءة البيضاء التى تلبس فوق الملابس الأخرى • ولكن نفس هذا

المؤرخ مسئول عن استخدام الاصطلاح الذى أورده أبو صبا عن الرداء الخارجى باللاتينية وهو Camisia siva alba . وأخيرا فان رينودو نفسه يزعم أنه يعنى بالبرنس رداء يماثل بذلة القداس اللاتينية والتى تسمى فى المصادر القبطية كاميسيون (١) . ويتجاهل بهذا الاختلاف المميز ـ حقيقة أنه قد شهد بنفسه بأن نفس هذه القطعة يسميها الأنبا غبريال : البرنس . وهناك الكثير عن الدليل المباشر المكتوب ، ولكن الواضح أنه غير مقنع تماما . والآن فان أصدق المصادر التى اعتمدنا عليها هنا هو ما دونه الأنبا غبريال . ومن سوء الحظ أننا مضطرون الى قبول الجهل بالكلمة الأصلية التى استخدمها البطريرك الأنبا غبريال والتى ترجمها رينودو بأنها : الجبة . ولست أشك فى أن هذه الكلمة يجب أن تترجم الآن الى بذلة القداس Chasuble شازوبل وليست (العباءة) Cope (كوب) . وتدلنا حقيقة أن هذا الرداء مصنوع من الحرير الأبيض ، على أنه أقرب الى أن يكون بذلة القداس لأن جميع الملابس الكهنوتية المعتادة ذات لون أبيض ـ حسب القوانين الكنسية ، بينما نجد أن العباءة بوصفها ثوبا احتفاليا يلبس فى الاحتفالات الكبرى ـ يمكن أن تكون بأى لون . ومرة أخرى فان أبو صبا ـ الذى يعود كتابه الى عصر سابق يقدر بحوالى قرن من الزمان ـ يسمى الرداء الخارجى اسما أورده رينودو خطأ الا وهو القميص alb . ولكننا نلتمس العذر للارتباك الذى حدث ، اذا عرفنا أن كلمة كاماسيون هى الاصطلاح القبطى الذى يقابل Chasuble بذلة القداس ، لأن الكلمة قريبة الصلة بكلمة قميص وهو الاصطلاح العربى الدارج الذى يستخدم للدلالة على التونية . وعلى أية حال فاننى اظن أنه من المستحيل أن نفسر دليل أبو صبا بأنه يشير بالضرورة الى استخدام العباءة ضمن الملابس الكهنوتية . ولابد أن نتذكر أن كلا من الأنبا غبريال وأبو صبا ـ يتحدث بناء على بعض المراجع ، ولو كانت اللغة التى استخدمناها أكثر وضوحا ـ لكان الأنبا غبريال بوصفه رئيس أساقفة الكنيسة القبطية ، وأبو صبا بوصفه مؤرخا قبطيا ـ قد قاما بتاليف رسالة عن الشئون الكنسية . وبذلك كان من الممكن أن تتفق شهادتهما مع بقية المدونات البابوية القبطية ، فيما هو واضح ، وأن يفسرا لنا ما هو مشكوك فيه . ولكن من سوء الحظ أننا نلتقى هنا مرة أخرى مع التعبيرات المزدوجة المعنى مثل « "Pallium album" » بالبوم البوم وكبا البا "Cappa alba" التى نجدها مستخدمة للدلالة على الرداء الأخير الذى

---

(١) من الواضح أن هذه الكلمة لا تتسق مع الاستخدام الحالى لكلمة كاميسيون التى تعنى : الكم ـ كما ذكرنا من قبل بالرغم من انها كانت تدل فيما مضى على الاستخدام الطبيعى لهذا الاصطلاح . ولكن الاقباط هم المسئولون عن هذا التناقض .

يرتديه الأسقف عند تنصيبه ، كما وردت فى كتاب Tukian Ponificial (١)
الملابس الحبرية للطوخى . الا أنه من الواضح أن كلا الاسمين يدل على نفس الرداء الكنسى وهو بذلة القداس . ويبدو أن معنى هذه البذلة تؤيده التعليمات المدونة فى نهاية الفصل الخاص بتنصيب الأسقف كما يلى (٢)

« Quando danda est Ultima benedicto ad dimittendum populum, Patriarcha induet novum episcopum Cappa nigra praeter Canadiam et invitabit eum ad benedicendum populum seorsism. Denique procedunt ad cellam patriarchalem."

والآن ـ اذا كان يعنى بكلمة (Cappa) (كابا) الجبة ، فان علينا فى كلتا الحالتين أن نتخيل الأسقف الجديد وهو يرتدى جبتين . ولكن العمل المتعلق بترتيب جبتين بطريقة مناسبة لنفس الشخص ـ ليس بالأمر الهين ، بعيدا عن الحمل الذى لا يطاق الخاص بارتدائهما فى مثل هذا المناخ المصرى ولكن اذا كانت باليوم البوم Pallium album أو Cappa alba كابا البا وهى آخر رداء كهنوتى يلبسه الأسقف الجديد ـ هى بالفعل بذلة القداس ، فسيكون من السهل اذن أن نفهم كيف أن الأسقف ـ بعد احتفال التنصيب ـ يرتدى جبة سوداء اللون تسمى nigra للاحتفال بمقر البطريرك ـ وهو احتفال نعرف من مصادر أخرى كم هو عظيم . ولكن حتى اذا نحينا هذا الدليل المشكوك فيه جانبا ، فسيكون من دواعى سرورنا ألا يتبقى لدينا السؤال المتعلق بذكر بذلة القداس فى التعليمات المدونة وفى غيرها ، لأن أبو البركات وهو كاهن قبطى من القرن الرابع عشر . يذكر فى كتابه « نور فى الظلام » بذلة القداس بوصفها قطعة من الملابس الكهنوتية(٣) تحت اصطلاح كولو سيفيه كازولا "Coulo sive Casula" وربما كانت هذا الكلمة اشتقاقا آخر من كلمة كولا التى وردت فى سير البابوات . ويبدو أنها تعنى القلنسوة أو بذلة ذات قلنسوة وهذا هو الاحتمال الأرجح كما هو موجود فى الكنائس الغربية فى العصور القديمة(٤) ولكن بذلة القداس وردت فى كتاب : (الملابس الحبرية للطوخى) Tukian Pontifical فى الفصل الخاص بتنصيب البطريرك (٥)

---

(١) Denzinger, Rit. Or. tom. ii. pp. 29-31.

(٢) Il. ib. p. 32.

(٣) Renaudot, Lit. Or tom. i. 397.

(٤) Id. ib. p. 32.

(٥) Denzinger, Rit. Or. tom. ii, p. 49.

جنبا الى جنب البطرشيل والتونية ، وهي هنا تسمى فيلونيون (عباءة)، ومن الواضح أنها نفس كلمة فيلونيون (= عباءة) المعتادة أو بذلة القداس المستخدمة في الكنيسة اليونانية • والحقيقة أنه قد ورد في صفحات قليلة أخرى من التعليمات المكتوبة الخاصة بنفس هذه الخدمة (١) الاصطلاح القبطي متمشيا مع الكلمة اليونانية فيلونيون (عباءة) وعلى ذلك فاننا نجد أنه من خلال الحالات التي تذكر فيها مراجعنا الأصل القبطي ، فانه لا يمكن اغفال أن هذا الرداء مقصود به بذلة القداس •

ويؤيد هذا الاستنتاج الدليل المصور ونعني به صورة الامبراطور قسطنطين المرسومة في كنيسة أبي سيفين وهي تبين بذلة للقداس ذات مقدمة دائرية قصيرة تصل الى الوسط ، بينما نجد أن صورة القديس نيقولاوس St. Nicholas الأقدم زمنيا - تبين الرداء الخارجي كعباءة فضفاضة كاملة(٢)•وقد ارتفعت الذراعان ، احداهما في وضع منح البركة بينما تمسك الذراع الأخرى بالانجيل • وهذه الصورة تبين ثنيات البذلة بمنتهى الوضوح رغم أنها لسوء الحظ - لا تظهر الا النصف الأعلى للجسم ، وبذلك لا يستطيع الناظر اليها أن يرى ما اذا كان الطرف الأسفل الأمامي مستديرا أو مدببا • أما بخصوص فتحة الرقبة فتوجد ياقة مزينة بالجواهر هي بلا شك « الحافة المطرزة بالذهب أو غيره من أنواع التطريز الثمينة » والتي ذكر رينودو Renaudot أنها تخص بذلة القداس ويطلق عليها بالقبطية اسم (تي كوكليا) ، وبالعربية اسم (القصلة) • وعلينا أن نتذكر أنه حسب ما أورده أبو البركات فان الرهبان والكهنة بالقاهرة كانوا خلال القرن الرابع عشر - سواء من منطلق الفقر أو البساطة ، يرتدون بذلة صوفية بدون ياقات ، بدلا من الرداء الحريري • وقد توقف رهبان دير القديس مقاريوس عن استخدام بذلة القداس أثناء خدمة المذبح، واكتفوا باستخدامها فقط أثناء أوقات الصلوات العامة •

وحتى اليوم ، يمكن أن نرى في مبنى القصر بهذا الدير - على حوائط الكنيسة الصغيرة المكرسة على اسم القديس أنطونيوس - بعض أعمال الفريسكو القديمة التي تمثل ثلاثة قديسين يلبس كل منهم الطيلسان ويرتدي أحدهم بذلة قداس صفراء اللون ، والآخر يرتدي بذلة بيضاء بها شرائط حمراء بينما يرتدي الثالث عباءة مربوطة بخيط رفيع • ونرى في كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل في برج دير الأنبا بيشوي أن الرسل الذين

---

(١) Denzinger, Rit. or. tom ii, p. 57.

(٢) انظر الصورة التي في صدر الكتاب المواجهة للعنوان الداخلي •

وضعت صورهم فوق حامل الأيقونات ، يرتدون جميعا العباءات . واذا عدنا الى القاهرة نستطيع أن نرصد العباءة واضحة في صورتين للأنبا شنودة في الكنيسة المكرسة على اسمه ، وفي صور القديسين الذين رسمت صورهم حول حائط المحراب في كنيسة أبي سيفين وفي أماكن أخرى عديدة . كما يمكن رؤية بذلات أخرى في صور التلاميذ الاثنى عشر التي فوق حامل الأيقونات الأوسط . كما نراها كذلك في الصور التي تعود الى القرن الخامس عشر التي فوق حامل الأيقونات الجنوبي بكنيسة العذراء الدمشيرية . ونرى بنفس الكنيسة فوق الحائط الشمالي للخوروس صورة للقديس مرقوريوس تبين أسقفا يرتدي بذلة القداس والبللين الذى من الطراز اليونانى . أما في كنيسة قرية تريس Tris بالدلتا فاننا نشاهد صورة تبين القديس مرقوريوس يرتدى بذلة خضراء . وعموما فان بذلة القداس أقدم من العباءة التي نراها في الرسوم التي بقيت بعد التخريب الاسلامي للصور .

ونرى في الكثير من الصور القبطية أن البذلة التي تشبه تماما تلك التي يرتديها الكهنة أو القديسون ، تصور على أنها الرداء الخارجي للقديسة العذراء مريم أو غيرها من النساء القديسات والفارق الوحيد في هذه الحالة يتمثل في وجود قلنسوة للبذلة ، وقد جرى ترتيبها في الصورة بحيث تظهر كغطاء للرأس . وغالبا ما نرى العذراء في الصور المرسومة وهي ترتدى عباءة مطرزة مربوطة بخيط ذهبي ولها حافة مشغولة على القلنسوة التي تغطي الرأس ويمكن ملاحظة أن هذا الطراز الكنسي من ملابس السيدات ، يعتبر احدى خصائص الرسم القبطي ويختلف تماما عن رسوم الأردية الفضفاضة التي يرسم الرسامون الايطاليون القديسات وهن يرتدينهـا .

وحيثما رصدت البذلة ، فانها تختلف اختلافا كبيرا عن البذلة اللاتينية وتقترب كثيرا من الطراز اليوناني ولاشك في أنها كانت في الأصل رداء خارجيا كاملا كما هو في صورة سانت سامبسون St. Sampson في الرسم الذى أورده جور Goar ونقلـه ماريـوت Marriott ولكن هناك فارقا واضحا بين الاستخدامين الشرقي والغربي عندما نجد أن هذا الرداء مشقوق فوق الذراعين لتوفير الخفة وحرية الحركة ، وبينما أصبحت البذلة في الغرب قصيرة من الأمام والخلف ، فان هذا التقصير في الشرق ، كان محدودا جدا واقتصر على حذف جزء صغير من الأمام وفوق الذراعين ، دون احداث أى تغيير بالنسبة للظهر . ولذلك فاننا اذا نظرنا للبذلة من الخلف فسنرى أنها على شكل رداء كامل فضفاض يصل

طوله الى الأرض ، بينما هو فى الأمام يماثل البذلة اللاتينية · ولا شك أن التغيير فى كلتا الحالتين قد حدث تدريجيا · ونرى صورة البذلة الكبيرة الفضفاضة فى رسم الفريسكو الذى يمثل اكليمنض S. Clements أمام المذبح وفى الرسم المعروف للقديس دونستان St. Dunstan الذى جرى تنفيذه على الرق (١) · ويعود الاثنان الى القرن الحادى عشر ، بينما نرى فى رسم الموزاييك الذى يعود الى القرن الثانى عشر الموجود بكنيسة سانت نيقولاوس St. Nicholas فى أوربى Urbe بروما والذى يمثل سانت سيلفستر Silvester وسانت انستاسيوس Anastasius نرى القديسين يرتديان بذلتين للقداس كاملتين وطويلتين تماما مثل تلك التى يرتديها سانت نيقولاوس فى الصورة القبطية التى عرضنا لها من قبل · ولكن التغييرات التى اعتورت بذلة القداس اللاتينية تجعلها تميل فقط الى الاختلاف تماما عن أى رداء آخر فى حين أن البذلة القبطية المختلفة فقط من الأمام ، تقترب أكثر وأكثر من شكل الجبة · وأظن أن ذلك هو سر عدم القدرة على التفرقة بين الاثنتين ·

ومن الصعب أن نرفض دليل فانسليب فيما يتعلق بوجود الجبة ضمن الملابس الكهنوتية المستخدمة بالقاهرة على أيامه ، حتى اذا كانت شهادة أبو دقن مشكوكا فيها · ونجد أيضا أن الجبة كان البطريرك يرتديها فى أحد الآثار القديمة وهو رسم العمود بالكنيسة المعلقة · وبالاضافة الى ذلك فان الجبة موجورة الآن بدون الحاجة الى سؤال · وقد توهت عن وجود جبة فاخرة بكنيسة العذراء بدير أبى سيفين ، كما أنه توجد بعض العينات الفخمة من العباءات الملونة المزودة بقلانس مشغولة بخيوط الفضة وأشغال الابرة الدقيقة بكنيسة القديس اسطفانوس فى الكاتدرائية بالقاهرة · وعلاوة على ذلك فان قطعة الملابس التى يطلق عليها الأقباط اسم (البرنس) حاليا هى بالطبع عباءة وليست بذلة للقداس · ولم أر أية بذلة للقداس فى أى كنيسة قبطية بالرغم من أننى سمعت عن تونية مشقوقة من الجانبين على شكل رداء قصد به التشابه مع بذلة القداس ، كما لو كان تقليد استخدامها مازال موجودا · وكان ذلك فى احدى الكنائس البعيدة بمصر العليا ·

ومن الممكن الآن أن نعرض المشكلة للمناقشة بايجاز أكثر ووضوح أكثر ، اذا لم نستطع حلها · واذا وضعنا جانبا كافة الشهادات المبهمة فاننا نقف الآن وجها لوجه أمام استنتاجين واضحى التعارض يساند كلا منهما دليل لا يدع مجالا للشك · فمن جهة نجد أن الكتابات القديمة

---

(١) Marriott, Vest. Christ., Pl. xliii and xliv.

والمحققين المستقلين يشهدون جميعا بأن البرنس هو الرداء الخارجى للكهنة الأقباط • ومن جهة أخرى فاننا نجد أن الاستخدام المعاصر والمحققين القدامى الذين يعود تاريخهم الى القرن السابع عشر على الأقل ، يتفقون على أن الرداء الخارجى هو الجبة وليس البرنس • أما الدليل المصور فيميل الى جانب الاستنتاجين كليهما معا •

وقد أوردنا منذ قليل ما بدا لنا أنه الحل الصحيح لهذه المشكلة ، فليس فى الامكان الشك فى أن كلا من البرنس والجبة قد عرفا بوصفهما ضمن الملابس الكهنوتية أو أن البذلة قد اختفت الآن • ولا أشك فى أن تفسير الأمر كله موجود فى التغيير التدريجى الذى تعرضت له البذلة • ففى البداية احتفظت بشكلها الأصلى الفضفاض فى الخلف ومن الجانبين ، بينما استمرت عملية تخفيفها من الأمام حتى أصبح الجزء الذى يحيط بالصدر أصغر مساحة ، وأنه بسبب المظهر والملاءمة تعرضت البذلة كلها الى الشق من الأمام وتحولت الى الجبة • ويبدو لى أن هذا التفسير يستبعد كافة الصعوبات • وعلاوة على ذلك فانه يستند الى أقوى القياسات ، لأنه ربما أمكن تتبع عملية مشابهة حدثت فى تاريخ البذلة اليونانية Phenolion بالرغم من أن هذه العملية قد توقفت قبل آخر التعديلات التى نراها فى هذه القطعة من الملابس القبطية • ومازال جزء صغير من هذه القطعة ممتدا عبر الصدر بدلا من شقها • ولكن التغيير مضى الى أبعد من ذلك بحيث يسهل بالنظرة السريعة الخلط بين البذلة اليونانية والجبة (١) • لأن الجزء الأمامى قد انشق بكامله بينما لم يطرأ أى تغيير على الجزء الخلفى • وكما هو الحال فى الغرب ، فانها تعتبر كذلك فى الشرق — لأن العادة التى جرت برفع قربانة الحمل هى السبب فى ظهور الشكل الممزق لبذلة القداس • ولا أستطيع عند هذه النقطة أن أمتنع عن اقتباس الملاحظات العظيمة للمستر ج • جيلبرت سكوت G. Gilbert Scott الذى يقول : « فى العصور الأولى ومن خلال القانون الكنسى كان الكاهن تخفيه أستار المذبح عن الجمهور ، ولذلك فان مشاركة الجمهور لم تكن تحدث أثناء لحظة تقديم الذبيحة كما هو شائع الآن فى الكنيسة الغربية ، ولكن عند نقطة معينة من القداس عندما تزال الأستار ، يتقدم المستعدون للتناول ، وأثناء عرض القربان المقدس على الجمهور يصحب ذلك عبارات المباركة الخاشعة • ولم يتخل الشرقيون عن هذه الطريقة القديمة فى تعظيم القربان المقدس ، ولما كانت هذه الطريقة لا تستدعى أن يرفع

---

(١) See : G. Gilbert Scott, Essay on the History of Engli h Church Architecture, Pl. xxii, figs. 12 and 13, and text, p. 117, note h.

المتقدمون للتناول أذرعهم أعلى من مستوى الصدر ، فان الشق الذى حدث فى البذلة الشرقية انحصر فى الجزء الأمامى من هذا الرداء الكهنونى (البرنس) • وبعيدا عن الخطأ الذى شاع بين المؤرخين الذين كتبوا عن الكهنوت الشرقى ألا وهو تعميم العادة اليونانية بتحويلها الى عادة شرقية، فاننا لا نستطيع فيما يتعلق بتغيير شكل هذه البذلة أن نتقدم بأفضل من هذه القصة أو أكثر منها ايجازا • وعموما فان هذه القصة لا تطبق حرفيا على البرنس القبطى من حيث تأثره بالاحتفالات القبطية ، ولكنها تطبق روحيا ، لأنه بالرغم من أن رفع الحمل يحدث الآن كما كان منذ العصور القديمة ، ليس من لحظة بدء الخدمة ولكن عند نهايتها قبل صلاة الشكر • ومثل هذا العمل كان مستحيلا مع اثقال ذراعى الكاهن بالكمين الثقيلين لبذلة القداس القديمة • ومن الواضح أن مثل هذا التغيير فى الطقس كان يستدعى احداث تغيير مماثل فى ملابس الخدمة ، ولذلك فان اليونانيين يتمسكون بالطريقة القديمة فى رفع الحمل عند مستوى الصدر ، ولو أن بذلة القداس اليونانية على الرغم من هذا كانت قصيرة من الأمام بحيث تماثل الجبة ، فليس مستغربا أن الأقباط عندما رفعوا مستوى رفع الحمل قد غيروا من بذلة القداس فصارت تماثل الجبة ، ليس فى معظمها بل فى جملتها • ومع سهولة حدوث هذا التحول ، يسهل الحكم عليه لأول وهلة بالنظر الى أى برنس قبطى حتى لو كان قديما مثل هذا الذى كان يرتديه القديس نيقولاوس فى الصورة التى ذكرناها من قبل • ونظرا لأن فتحة الرأس ليست مستديرة كما كان الحال بالنسبة للرداء اللاتينى الا أنها مزودة بشق من أعلى منتصف الصدر بطول يبلغ حوالى ثمانى أو عشر بوصات والياقة الوحيدة التى زخرف بها البرنس تحيط بالرقبة على كلا جانبى الشق • واذا تخيلنا أن هذا الرداء صار قصيرا من الأمام وأن الشق قد امتد الى أسفل قليلا بحيث يصل الى الطرف فسينتج عن ذلك ثوب لا يمكن التفرقة بينه وبين العباءة الا اذا كانت القلنسوة قد أضيفت اليه فيما بعد • ولكن ذلك أيضا مشكوك فيه ، فمن المؤكد أن البذلة ذات القلنسوة لم تكن معروفة ولا شائعة • ومن جهة أخرى فان القلنسوة لم تكن موجودة بالنسبة للعباءة القبطية ولكنها علامة معروفة بالنسبة لرداء الأسقف أو البطريرك بالمقارنة مع شكل بذلة الكاهن • أما العباءة التى يرتديها البطريرك الحالى فى الاحتفالات الدينية فهى مصنوعة من القطيفة القرمزية ومزينة بتطريزات ثقيلة من الذهب • والقلنسوة المصنوعة من نفس هذه المادة لها شرابة ذهبية تتدلى من هذا الطرف ومجهزة على شكل غطاء للرأس يحتمل استخدامه بدلا من التاج •. ويمكن أن نذكر هنا عدم وجود مثيل فى أى برنس قبطى للياقة المزخرفة:

المتفرعة عن بذلة القداس الغربية والتى تعودت الأبصار الانجليزية على رؤيتها فى العديد من الصور والآثار القديمة ٠

واذا كان هناك أى ظل للشك فى تاريخ الملابس الخارجية القبطية كما وصفناها هنا ، فأظن أنه يمكن ازالته باعتبار التحول المماثل الذى حدث لبذلة القداس الأرمينية ، لأنه رغم وجود هذه البذلة فى الكنيسة الأرمينية القديمة كما هو فى أى كنيسة شرقية ، الا أنها قد اختفت تماما من احتفالات الأرمن الدينية فى الوقت الحالى ٠ وقد حلت محلها العباءة ، كما هو الحال فى الطقس القبطى ٠ وعندما نتذكر أن من بين الأسئلة التى توجه الى الأسقف الأرمنى عند الرسامة ـ السؤال التـالى : « هل تلعن أوطاخى وكل أتباعه ؟ »

"Dost thou anathematise Eutyches and all his following ?"

فان الانسان يحس بالغرابة بالنسبة لعدد التشابهات الموجودة بين كل من الطقسين الأرمنى والقبطى ، وهى تشابهات تتزايد عندما نصل الى معالجة الطقوس والاحتفالات ٠ ويذكر دنزنجر Denzinger (١) أن الاصطلاح الوطنى الذى يطلق على العباءة هو Sciursciar ، بينما يذكر فورتسكيو Fortescue (٢) أنـه Schoochar بينما يـذكر نيـل Neale أنهم يتمسكون باصطلاح بذلة القداس Phenolion (٣) بعد تغيير هذا الرداء ٠ ولا يورد نيل أى مرجع لقوله هذا الذى لو صح لكان مثيرا للاهتمام ٠ ولكن يمكن أن يظل الاسم اليونانى موجودا فى التعليمات المدونة أو فى البحوث الكنسية بالرغم من ضياعه بالنسبة للغة العامية ٠ ويضيف أن بذلة القداس قد هجرت أيضا منذ مدة طويلة تعود الى أيام الكاثوليكوس اسحاق الذى علق بعنف على أخطاء الأرمن فى الكتاب الذى ألفه وذلك خلال القرن الثانى عشر ٠ ولكن يبدو أن نيل قد أخطأ فى فهم روح النص الذى اعتمد عليه ،وهو يوبخ الكهنة لعدم استخدامهم بذلة القداس ، ولكنه لا يتعرض بالقول لأى تغيير حدث فى شكل هذا الرداء ٠ ويبدو أنه من الصعب تحديد الطبيعة الحقيقية للملابس الخارجية الخاصة بخدمة القداس ، فى حالة الكنائس الشرقية الأخرى والحقيقـة أن نيل شجاع بما فيه الكفاية للقول بأن « الفروع الأخرى للكنيسة الشرقية قد احتفظت بالشكل المعتاد لبذلة القداس (٤) ولكن يبدو أنه مخطىء للمرة

(١) Rit. Or., tom. i. p. 133.

(٢) Armenian Church, p. 134.

(٣) Eastern Church : Gen. Intror. Vol. i. p. 309.

(٤) L.C.

الثانية . وعلينا أن نأخذ أولا الطقس السرياني فلا شك في أن بذلة القداس وجدت أصلا لدى السريان ، وأطلق عليها اسم مشتق من البذلة اليونانية . ونجد أن الكلمة السريانية التي استخدمت في التعليمات المدونة وما يماثلها هي كلمة Phelono أو Phaino وعلى ذلك فان ساويرس الاسكندراني في كتابه عن طقس السريان ، يذكر أن الكاهن عند ارتداء ملابس خدمة المذبح ، يرتدي التونية ، والبطرشيل ، والكمين (الأيسر أولا ثم الأيمن) ثم Phaino أو بذلة القداس . وبالرغم من أن بودريانوس Boderianus يترجم الكلمة الى amictus في ترجمته اللاتينية (١) ، وكذلك فان مصنف المعاجم السرياني ايسابارهالي I sa-bar-Hali الذي يقدم الأشكال الثلاثة للكلمة يفسر هذا الاصطلاح Phaino بانه يعني ملابس خدمة القداس التي يرتديها الكاهن بالمقارنة مع التونية أو Kutino التي يرتديها الشمامسة ، ويقابلها بكلمة البرنس العربية بوصفها هي الكلمة الموجودة في ترجمة الكتابات القبطية الى العربية (٢) . وقد ترجمت كلمة Phaino في المخطوط السرياني الموشى المحفوظ في فلورنسا والذي نقل عنه رينودو — بانها تعني رداء فضفاضا كاملا ، يشبه بذلة القداس الرومانية القديمة . وله لون واحد هو اللون الأرجواني حسبما وجد في ثلاثة نماذج ، كما وجد اللون الأخضر في نموذج واحد . ولكن هناك صورة مصغرة مرسومة على الرق مغطاة بأشغال الابرة التي تمثل الأزهار . وعلاوة على ذلك فقد رسمت صورة يوسابيوس في مخطوط سرياني قديم يعود تاريخه الى سنة ٥٨٠ للميلاد — وقد ارتدى بذلة قداس كاملة من الطراز القديم وبها تحديد مكان العنق بفتحة مربعة (٣) وبالرغم من أن الدليل الذي يؤيد عدم تغيير بذلة القداس — يبدو واضحا بما فيه الكفاية — الا أننا عندما نرجع الى العصور الأولى نجد دليلا أكثر وضوحا يدل على العكس . وعلى ذلك فان كتاب أسيمان Asseman في أوائل القرن الثامن عشر يبين أن الاسم هو Phaino بينما يرجع هذه التسمية الى الكلمة اللاتينية Penula واليونانية Phenolion الا أنه مفتوح من الأمام طوليا على مثال العباءة الغربية وليس بذلة القداس . وربما ترجع هذه المعلومات الى أصل سرياني

---

(١) Severus Alexandrinus, De Ritibus apud syros, etc., ed. Guido Fabricius Boderianus : Antwerp, 1572.

(٢) Renaudot, lit. Or. tom. ii. p. 55.

(٣) Bibliothecae Mediceae Catalogus, Cod. I, tab iii : Florence, 1742.

وقد اقتبس ماريوت في كتابه (Vest. Christ., pl. xxvii) الرسم ولكن ليس بالأمانة المطلوبة .

فى سيرة البطريرك ميخائيل (١) وكثيرا ما تستخدم الكتابات السريانية كلمة Phaino وتخصص لها اللون الأبيض ، ولكنها بالطبع لا تشرح شكل هذا الرداء • ومن الانصاف أن نتذكر أن أسيمان كتب فيما يبدو بناء على ملاحظاته الخاصة ، وحتى اذا لم تكن هذه هي القضية ، فهناك الكثير مما يحتاج الى الاثبات ، ولا يوجد ما ينزع الثقة من الدليل الذى قدمه •

وبخصوص ما اذا كانت العباءة لدى الموارنة قد حلت محلها بذلة القداس أم لا ، فاننى لا أجد سوى القليل من المعلومات حول هذا السؤال• والشيء الوحيد المؤكد هو أن الاسم المستخدم للدلالة على هذه القطعة من الملابس Phaino قد ورد فى كتاباتهم • ويزعم أسيمان (٢) أن هذا الاسم Phaino مثل Maphra أو Phakila المستخدم لدى النساطرة يدل على عباءة وليس بذلة القداس • ولكن من المحتمل جدا أنه حتى مع التغيير الكامل لصفة هذا الرداء خلال القرن السابع عشر ، فان الأصل أو على الأقل الشكل الرومانى المعدل لبذلة القداس قد عاد مرة أخرى بسبب التأثير الرومانى المتتابع • أما بخصوص الطقس النسطورى حاليا فمن غير الممكن الحديث عنه بدقة • ويعلن دنزنجر Denzinger (٣) مرتين أن البذلة التى يرتديها النساطرة تماثل العباءة الغربية • ولكن الفصل الذى خصصه للحديث عن الملابس النسطورية عبارة عن لغز منقطع النظير استطاع أن يتوصل الى مفتاحه (٤) أو ربما كان المفتاح عند أسيمان

---

(١) Denzinger, Rit. Or., tom. i. p. 131 and tom. ii. p. 73 n.

ومن الصعب متابعة الملحوظة لأنها تتحدث عن الرداء المسمى Pallio seu Casula بوصفه مستخدما بدلا من التونية ويفرق بينه وبين Phaino فيقول : ان كلمة الحلة Penula اللاتينية تماثل الكلمة اليونانية Phenolium وهى تعنى عباءة مفتوحة •

(٢) Bibliotheca Orientalis, tom. iii. Pt. 2. P. 681 : Rome, 1728.

(٣) Rit. Or., tom. i. p. 132.

(٤) يقول فى الفصل الذى اقتبسه ان الكاهن يرتدى التونية والبطرشيل على كلتا الكتفين والصدرة Pallium التى تسمى gulta ، ثم يلبس بذلة القداس فوق البطرشيل • أما الملابس التى يرتديها الأساقفة والكهنة عادة فهى ١ – maaphra وتسمى أيضا Kaphila; Phakila وهى الصدرة التى تشبه العباءة الغربية وتحيط بالجسم وتشبه فاكيوليون (= المعطف) اليونانية • ٢ – biruna وهى غطاء للرأس يشبه الشملة • ٣ – Sciu cefo أو الحجاب velum

وقد أشرت فى موضع آخر الى استحالة المقارنة بين الرداء اليونانى الخيالى فاكيوليون والعباءة الغربية أو غيرها من الملابس المستخدمة فى الغرب • والحقيقة ان أسيمان Asseman هو المسئول عن هذا الخطأ • ولكن دنزنجر Denzinger لم يوافق على مثل هذه المغالطة الواضحة • والآن فان هناك صلاة ضمن خدمة قداس تنصيب الأساقفة تقال عند لحظة ارتداء maaphra – أوردها دنزنجر كما يلى : –

"indaut te Dominus pallio (seu Casula) lucis," & C. (tom. ii. p. 247).=

وهناك نص مكتوب فى الاحتفال بتنصيب البطريرك يجرى كما يلى : —

"Tunc afferunt Kaphilam et princeps metropolitarum illam super caput ejus demittit." (ib. p. 255)..

ولذلك فان لدينا أولا كلمة (maaphra) المستخدمة بمعنى بذلة القداس وثانيا كلمة Kaphila (التى تتطابق مع maaphra) وتوصف بأنها تسدل على الرأس ، وهو وصف من الواضح أنه لا ينطبق على العباءة • ولا يمكن المعارضة فى القول بأنه يعنى بذلة القداس • وهناك نص آخر (ib. p. 272) مع صلاة ارتداء الملابس التى تأتى بعده — يمكن الاستدلال منه على ماهية maaphra (مافرا) مع البذلة ، لأنه يصف هذا الرداء رمزيا بأنه : « رداء المجد السماوى » وتستمر الصلاة قائلة : « الرب يلبسكم حلة الروح الخفية ويزينكم بأعمال الخير ويغنيكم بموهبة العفة حتى تستطيعوا بلا لوم أن تطعموا الخراف التى تعتمد عليكم بخوف الله وبكل قداسة الآن وعلى الدوام » • ولم ينس فى هذا الفصل استخدام الكلمات المشابهة والرموز المستخدمة فى الصلوات الغربية التى تتلى عند ارتداء بذلة القداس • وعلى ذلك فهناك أرضية عريضة للاعتقاد بأنه فى وقت كتابة هذه العبارات واظن أنه لا يتجاوز القرن التاسع كانت بذلة القداس Phenolion هى الرداء الخارجى المعروف لدى النساطرة فى خدمة القداس •

واذا عدنا الآن الى ما أورده دنزنجر Denzinger بخصوص الصدرة Pallium (باليون) أو جولتا gulta فاننا على ما أظن نستطيع أن نفسرها بالعودة الى خطأ الدكتور بادجر Badger فى النص الذى أوردناه عاليه والذى تعلق به دننجر Denzinger حسب عادته فى التعطش الى تصيد الأخطاء • والحقيقة هى أن ما يسمى Pallium ليس الا التونية • ونظرا لجهل الدكتور (بادجر) Badger بالاصطلاح الصحيح ، فقد استخدم اصطلاحا خاطئا فى اللغة الانجليزية وهو Surplice الذى يعنى رداء كهنوتيا أبيض اللون مثل التونية • وقد صاغ (دنزنجر) Denzinger من هذا الاصطلاح رداء كهنوتيا جديدا خاصا بالنساطرة • ويتضح لنا ذلك تماما بمقارنة ما ورد فى الجزء الأول من كتابه على ص ١٣٢ : —

"Presbyter orarium habet Collo impositum ... supra tunicam albam ... et Pallium quod dicitut gluta. et super orarium induitur (sc. Presbyter) phelonio sive pluviali."

• مع ما ورد فى الجزء الثانى على ص ٢٦٦ حيث يعلق على Pallium أو التونية التى يضعها الأسقف على الكتف اليسرى للكاهن فى بداية خدمة التنصيب قائلا : —

ê'Anglice est surplice Posuimus vocem ab Assemano usurpatam. Est gulta, quae super orarium induitur."

• والآن ففى أول هذه القطع ترك موضع ارتداء Gulta للخيال ، ولكن يبدو أنها توضع فوق البطرشيل • وفى القطعة الثانية قيل لنا ببساطة لنها توضع فوق البطرشيل • ولكن ما تذكره القطعة الأولى بدون التباس هو أنها الرداء الخارجى الذى يلبس فوق البطرشيل مباشرة • فماذا اذن عن Gulta أو التونية ؟ لابد وأنها لا تظهر وتنضم الى الخلف فى التونية التى تخرج منها بفعل سوء التفاهم المحض • ولو شككنا فى هذه النتيجة فاننا سنتأكد بالنصوص المدونة على الصفحة التالية لها كما يلى : —

"tunc episcopus pallium sumat de humero eorum sinistro et circum colla appendat."

وأخيرا فان هذا يؤيد أن الكاهن أثناء التنصيب كان يرتدى الصدرة pallium باليوم وبعبارة أخرى أن الصدرة والتونية مسميان لشىء واحد •

Asseman الذى اقتبس العبارة دون أن يفهمها · وعلى أية حال فان أسيمان يستخدم لغة واثقة فيجعل العباءة هى نفس الرداء البطريركى الذى يقول عنه :

"apud syros Nestorianus pro phenolio Graecorum el penula, Casula, planeta Latinorum Sumitur, quaetamen ante pectus operta sit et pluvialis formam reprae sentent.» (1)

ويبدو أن السؤال قد إنتهى عند هذه الفترة·ويوجد أحد المستشرقين المعاصرين لنا وهو الدكتور (بادجر) Badger الذى يقدم لنا دليلا يستحق الاهتمام·أما فيما يتعلق بالملابس النسطورية التى رآها فى آشيسا Ashitha (٢) فانه يذكر اثنين يطلق عليهما اسم التونية Surplice وبذلة القداس بالترتيب · ولكنه يعرف Surplice بأنها نوع من الأقمصة ذات الأكمام القصيرة ، وهو يعنى بذلك : التونية · أما بذلة القداس فيفسرها بأنها رداء بسيط مربع مطرز عليه صليب فى الوسط ، وأن هذا الرداء ينسدل على الرأس والكتفين ، وأن الركنين المتوازيين يمسك بهما فى كل يد بين اصبعى الابهام والسبابة · ولو كانت هذه هى بذلة القداس فلا يمكن أن يكون بها صليب فى الوسط لأنه لا بد من وجود فتحة الرأس فى هذا الموضع ، وعلاوة على ذلك فان بذلة القداس لا يمكن وصفها بأنها تنسدل فوق الرأس والكتفين بل انهـا توضع أو ترخى ولايوجد سبب لامساك بذلة القداس من الركنين بصرف النظر عما يمكن أن يدل عليه هذا الاصطلاح · ونأسف كثيرا لأن مثل هذا الدارس يجهل الاصطلاحات الطقسية الى هذا الحد بحيث يخلط ما بين التونية والقميص وأن يسمى قطعة القماش المربعة باسم بذلة القداس · ومثل هذا الجهل يظهر فى مؤلفه الكبير (قاموس اللفظ القديم = انجليزى ـ عربى) ومراجعه الطقسية عديمة القيمة · ويضيف الدكتور بادجر Badger أن الرداء الذى يطلق عليه اسم Surplice يسمى Peena فى اللغة السريانية ـ وهو اسم يدل على Phaina أو Phaino ولكن ربما كان من الخطأ نسبته الى النساطرة ـ وأن بذلة القداس تسمى estla أو Shoshippa والكلمة الأخيرة لابد أنها قريبة من كلمة Shouchar وهى كما رأينا

---

(١) Bibl. Or., I.C.

(٢) The Nestorians and their Rituals, vol. I. pp. 225-6 : London, 1852.

سابقا ـ الاصطلاح الأرمنى الدال على العباءة ـ وعموما فان شهادة الدكتور بادجر Badger ليست ذات قيمة جدية واذا ما اعتمدنا عليها وحدها فانها ستكون مربكة وعديمة الفائدة ـ وهناك كاتب آخر أحدث من الدكتور بادجر يؤكد بثقة أن كهنة النساطرة قد هجروا بذلة القداس منذ زمن طويل ، ويضيف أن شمامسة النساطرة يرتدون القميص أو التونية التى تسمى (صدرة) المطرز على صدرها صلبان حمراء وأرجوانية ، كما يلبسون المنطقة والبطرشيل القصير فوق الكتف اليمنى ، بينما يرتدى الكهنة التونية والمنطقة والبطرشيل الذى يتدلى على كلتا الكتفين ويتقاطع على الصدر • وعلاوة على ذلك فان الكاهن أثناء خدمة القداس يرتدى الصدرة وهى مربعة ومصنوعة من قماش الكتان الأبيض وبها صلبان ملونة فى الزاويتين العلويتين • وهذه الصدرة تنسدل على الكتفين وتمسك من الأمام باحدى اليدين • وفى مواضع معينة من الخدمة ترفع بحيث تغطى الرأس • وفى مواضع أخرى تبسط بحيث تشكل ستارة بين الكاهن والجمهور • وهذه الصدرة تتفق مع بذلة القداس Shoshippa ولكنها ليست عباءة ولا بذلة للقداس وانما هى رداء خاص بالنساطرة وليس له اسم • ويذكر مستر كاتس cutts أن كهنة النساطرة يرتدون العباءة بدلا من بذلة القداس • وبالرغم من أنه يسمى هذا الرداء (صدرة) الا أنه يصفه فى وضوح بأنه يماثل العباءة التى تلزم قوانين سنة ١٦٠٣ ـ الكهنة بارتدائها أثناء الخدمة بالكنائس الانجليزية وعلى ذلك يظهر لنا الدليل الذى أقامه أسيمان Asseman •

ومازال هناك فرع من الكنيسة الشرقية مخلصا لتقليد بذلة القداس وهو كنيسة الاسكندرية الأرثوذكسية العتيدة فى مصر • ومازال كهنتها يلبسون العباءة أيضا ولكن كرداء خاص بالاحتفالات • وعلى ذلك فان البطريرك فى الأعياد الكبرى يدخل الكنيسة فى موكب مهيب مرتديا عباءة من الحرير الملون والمطرز ، ولكنه يخلعها عند خدمة القداس ويختلف شكل بذلة القداس التى يرتديها البطريرك عن تلك التى يرتديها الكاهن لأن الأخيرة هى بذلة قداس حقيقية من الطراز الروسى ـ قصيرة من الأمام بحيث تصل الى المنطقة فقط ، ولكن بذلة البطريرك التى يسمونها Phelonion أو Phenolion تصل الى الأرض تقريبا ـ من الأمام والخلف ، وتذكرنا بالشكل القديم لهذا الرداء الا أنها قد تغيرت كثيرا وصارت تقليدية باستحداث فتحات رسمية مربوطة ببعضها البعض عن طريق سيور أو أشرطة حريرية ـ على الجانبين وتحت الذراعين • أما الجانب الأمامى فانه غير مدبب كما هو الحال فى بذلة القداس الانجليزية ولكنه على شكل الترس الذى يحمى الجسم • والطرف السفلى أفقى بينما تتخذ

الأركان شكل منحنيات بحيث يصير هذا الرداء عند بسطه على شكل الصليب الذى نجد طرفيه الأعلى والأسفل أطول كثيرا من الفرعين الجانبيين وجميع الزوايا مستديرة • ولا شك أن هذه البذلة التى على شكل الصليب قد نتجت عن عملية تعديل استغرقت وقتا طويلا • أما اختلاف شكل بذلة البطريرك عن بذلة الكاهن فهو يتركز فى الحاجة الى تخفيف وزن الأولى لسبب ثقل الأردية التى يرتديها البطريرك • ومازالت خزانة كنيسة القديس نيقولاوس بالقاهرة تحتفظ ببعض بذلات القديس التى يعود تاريخها الى القرن الخامس عشر وهى أقرب الى الشكل القديم ولابد من تصنيفها بين أجمل الأردية المطرزة بسبب فخامة القماش المصنوعة منه واللون المختار وجرأة التصميم ودقة التنفيذ •

أما وقد رأينا أن بذلة القداس Phenolion (فينوليون) قد أهملها النساطرة ، الا أنها مازالت ضرورية ومعروفة قانونيا لدى الموارنة والسريان والكنيسة القبطية ، وبذلك لا يوجد محل لمساندة ما صرح به نيل Ncale من أن الشكل الشائع لبذلة القداس ظل مستخدما لدى الفروع الأخرى للكنيسة الشرقية باستثناء الروس الذين عدلوا منه والأرمن الذين هجروه • وعلى العكس فان هجر بذلة القداس هو أحد العلامات الشاملة التى تميز التخلى عن العوائد البدائية ضمن التغييرات الطقسية التى حدثت فى الشرق • وقد رأينا أنها استغرقت حقبة قانونية طويلة ــ وهى حقبة لم تنته بعد بشكل رسمى ــ وأن أصلها قد ضاع بين السحب التى تحجب فجر المراسم المسيحية •

ويبدو ان هذا الرداء مثله مثل غالبية الأردية الأخرى قد ظهر بناء على بعض أشكال الملابس الشرقية القديمة ــ وهذا القول يضعفه ما هو معروف من أن الأردية تبدو فى شكل تقليد للطرازات القديمة لأن الملابس القديمة كانت شرقية • أما أشكال الكلمة اليونانية التى تطلق على بذلة القداس فانها تعنى نوعا من الرداء الخارجى الثقيل الذى يحيط بكامل الجسم • وبالطبع فانه من الصعب أن نناقش بجدية السؤال الذى طرحه الكاردينال بونا Bona وآخرون وهو يدور حول ما اذا كان الرداء فيلونيين الذى تركه القديس بولس فى ترواس Trous هو بذلة القداس ، لأن كلا من الطقس والملبس الشائعين فى خدمة القداس قد تعرضا للتطورات البطيئة حيث ان استخدامهما فى هذا الشكل المقدس ، قد تسلمته الكنيسة وحافظت عليه • وعلى ذلك فان بذلة القداس لم يدون عنها شىء قبل القرن الرابع ــ وحتى ذلك الحين فان الدليل على استخدامها ليس حرفيا بل مأخوذ عن الصور • لقد قيل ان صورة الموزاييك بكنيسة سانت

جورج فى تسالونيكى (١) والتى قيل ان قسطنطين هو الذى بناها ـ تقدم لنا صورا عديدة لقديسين يرتدون بذلة يبدو أنها من طراز كنسى خاص بالرغم من صعوبة التمييز بين الأردية التى يرتديها الأسقف أو الكاهن أو الطبيب أو العبد • ولكن حقيقة أن كلا من هؤلاء قد رسمت صورته واقفا أمام المذبح فى وضع التوسل ، تجعل من المحتمل اعتبار جميع الشهداء بعد موتهم ، كهنة يخدمون الرب ، ولذلك ارتدوا جميعهم ملابس مقدسة لأداء واجب مقدس • يقول رابانوس Rabanus (٢) :

« Sacerdos Vocari Potest sive episcopus sit sive presbyter. »

وهو نفس ما يقوله البابا سلستين Celestine والقديس غريغوريوس وغيرهم من الكتاب القدامى الذين تحدثوا عن الكهنة بمعنى الأساقفة • وعلى ذلك فانه عند رسم صور الموزاييك هذه ـ خلال القرن الرابع ، اعتبر الشكل الكهنوتى للقديسين هو الشىء الوحيد الضرورى لظهورهم فى الصور المرسومة حيث جرى رفض التمييز العرضى بين الرتب العليا والدنيا ، ويزعم ماريوت Marriott دون أن يتزعزع ـ بأن لوحات الموزاييك هذه لا تظهر رداء مقدسا (٣) ويتفق معه فى هذا الرأى معظم الكتاب المحدثين • وهناك نقطة يبدو أنهم أطلوا عليها ذلك أنه عند فحص خلفية الصورة يتضح لنا أن المذابح المرسومة فيها قد رتبت وأثثت بطريقة تشير الى نظام ثابت للزخرفة واحكام ملحوظ فى الطقس ، فالدرجات التى أمام المذبح ، والأعمدة الأربعة التى فى الأركان الأربعة ، والقبة التى فوق المذبح ، والستائر التى تجرى على قضبان بين الأعمدة ، والمحاريب ، والمصابيح المدلاة ، والحواجز ـ هذه كلها تدل على ترتيب محكم وتمثل فى الحقيقة معالم زخرفة المذبح التى كانت موجودة فى الكنائس الشرقية على مدى ألف سنة مضت والتى قد نراها اليوم وبها بعض التغييرات القليلة بالنسبة للمذابح القبطية فى مصر • واذا كان الطقس قد تطور منذ تصميم هذه الصور المرسومة بالموزاييك أفلا يكون من المعقول استنتاج أن رداء الكهنة كان خاصابهم ومميزا عن ملابس عامة الناس ؟ يبدو لى أنه من السهل الاعتقاد بأن الفنان لم يكن مدققا فى بعض تفاصيل المنسوجات أكثر من القول بأن الكهنة الذين كانوا يخدمون حول مثل هذه المذابح لم يرتدوا ملابس مميزة خاصة بوظائفهم •

وقد تحدثت منذ قليل عن الأردية البيضاء المرسومة فى صورة

---

(١) See : Marriott, vest. Christ., Pl. xviii-xxi, and notes, pp. 236-7.

(٢) Marriott, Vest. Christ., p. 46, note 71.

(٣) Id. ib. p. lxxv.

الموزاييك بكنيسة القديسة صوفيا Sophia في القسطنطينية ، والبذلة التي رسمت في المخطوط السرياني الذي يعود تاريخه الى سنة ٥٨٠ للميلاد، ولكن حتى بعد ذلك التاريخ بقرن ونصف تقريبا ، نجد أن هذا الرداء لم يرد ذكره بمثل هذا الوضوح في أي نص مكتوب ٠ وعلى ذلك فان البطريرك جرمانوس Germanus يتحدث عن بذلة القداس بوصفها رمزا للرداء الأرجواني الذي ألبسوه للسيد المسيح قبل الصلب ٠ ومن ذلك التاريخ فصاعدا تعددت الاشارات الى الرداء الخارجي ٠ ولذلك فان جور Goar (١) يذكر أن نيسيفوروس Nicephorus بطريرك القسطنطينية قد أرسل الى البابا الروماني حوالي سنة ٨٠٠ للميلاد ـ بذلة للقداس ملونة بلون ثمرة أبو فروة ، مع غطاء أبيض للرأس ، وهما هديتان لاشك في امكانية استخدامهما في خدمة القداس اللاتيني وليس لمجرد حب الاستطلاع ، وهذا دليل آخر على هذه الحقيقة التي أصبحت أكثر وضوحا كلما تغلغلنا في أعماق الماضي ألا وهي **حقيقة أن الملابس الرومانية واليونانية تعود الى أصل واحد أو أن هذه الملابس مثل الطقس ولغة العبادة المقدسة في روما ـ قد طورت عن أصول شرقية** ٠ أما فيما يتعلق بلون الملابس الكهنوتية اليونانية فان جور Goar يذكر أن الملابس الحمر أو الأرجوانية كانت تستخدم خلال موسم الصوم الكبير ، بينما كان اللون الأبيض هو المستخدم خلال بقية السنة ٠ ويعود الى سيمون Symeon الذي من تسالونيكي للاستشهاد به في هذا الصدد ٠ وعلى كل حال يبدو لنا أن الملابس الأرجوانية تستخدم ضمن الطقس الحزين وتلبس أثناء الصلاة على الموتى ٠ والى جانب البذلة العادية غير الواضحة لدى اليونانيين هناك نوع خاص من الأردية يسمونه موليستانيون يرتديه الأساقفة ويتميز بأنه كثيف الخياطة مع التطريز بالصلبان الصغيرة ٠

أما بخصوص أصل واستخدام البذلة الغربية فان المواد التي تصنع منها معروفة جيدا وقد تعرض لها كتاب كثيرون ولا يستدعي الأمر الحديث عنها هنا ، ويكفينا التنويه بأنه حتى القرن التاسع كانت كلمة Planeta هي الاصطلاح المستخدم لوصف الرداء الخارجي لرجال الكهنوت ، ومن هنا ظهر اصطلاح Casula ٠ وظل الاصطلاحان يستخدمان بالتبادل لفترة طويلة ٠ وأخيرا فان الاصطلاح الأخير الذي اشتقت منه كلمة بذلة (Chasuble) قد استخدم بدلا من الاصطلاح الأقدم وهو كلمة Planeta ويبدو أن الانتقال من الرداء المدني الى الكنسي كان بطيئا ومن الصعب ملاحظته ، ولكن لايدهشنا أن نجد أقدم شهادة على استخدام Planeta بوصفها الرداء المميز للكهنة والأساقفة أثناء خدمة المذبح في بلد بعيد

(١) Euchol. p. 113.

مثل اسبانيا حيث يختلف الرداء العادى اختلافا كبيرا عن الطرز القديمة التى استخدمت فى ايطاليا والتى حكمت طرز الملابس الخاصة بالحياة اليومية وحددت شكل ملابس رجال الاكليروس • واذا كان لباس الكهنة (القسوس) فى خلال القرن الثانى — والذى كان يختلف قليلا عن لباس المدنيين — معروفا فى أماكن أقل تحضرا مثل اسبانيا أو بلاد الغال فى تلك الحقبة — يمكن ملاحظة أنه لباس مقدس بالمقارنة مع الطرز المختلفة للملابس المستخدمة بين الاسبان أو مواطنى بلاد الغال • وعلى ذلك يمكن اعطاء دفعة نحو تطوير الملابس الكهنوتية مع التوصل الى رسوخ معين بين المجتمعات البعيدة عن المنبع من حيث يستمدون طموحاتهم • وقد ورد اصطلاح Planeta بوصفها لباسا خارجيا وذلك للمرة الأولى فى أعمال مجمع طليطلة (٦٣٣ للميلاد) بالرغم من أنها ذكرت هناك بشكل عارض بوصفها الرداء المعتاد للكاهن دون الاشارة الى أنها ربما كانت مستخدمة منذ أجيال عديدة • وهناك دليل فنى على أن بذلة القداس كانت مستخدمة فى أيرلندا منذ القرن الثامن لأن صندوق حفظ رفات سانت مايدوك St. Maedoc — الذى رسمت عليه صور لقديسين يرتدون بذلات فضفاضة للقداس مع ياقات مطرزة (١) • وفى اسكوتلندا وجدت على بعض الأحجار المنحوتة القديمة — صور لكهنة يرتدون بذلات للقداس • وفى كتاب الغزلان The Book of the Deer الذى يعود تاريخه الى القرن التاسع ، نرى أن الانجيليين الذين وردت صورهم فى الكتاب كانوا يرتدون بذلات للقداس (٢) • وتعتبر فرنسا غنية بالدليل الذى يقدمه فن النحت حول استخدام بذلة القداس خلال نفس هذه الحقبة لأن كل لوحة منحوتة على الأغطية العاجية بكنيسة دروجون Drogon بها نموذج أو أكثر لهذا الرداء • وكذلك فان كنيسة تورز Tours التى ترجع الى القرن التاسع تتضمن شهادة على استخدام بذلة القداس • واذا كانت انجلترا خالية تقريبا من الآثار الفنية الخاصة بالكنيسة فى عصورها الأولى ، الا أن بذلة القداس قد ورد ذكرها بوضوح فى كتاب Ponitifical of Ecgbert الذى يعود الى القرن الثامن • ومن الغريب أن نجد ونحن نستوثق من الاستخدام القبطى كما وصفه فانسليب Vansleb ، أنه حتى القرن العاشر على الأقل — كان برنس الأسقف يتميز عن برنس الكاهن بوجود القلنسوة ، وهو تقليد يعود الى العصور المبكرة ، كما هو مؤكد بالنسبة لحقيقة أن القديس ايزيدور Isidore الذى من سيفيل Seville يتحدث عن البذلة Casula بوصفها : رداء

(١) Warren, Lit. and Rit. of the Celtic Church.

(٢) westwood, Facsimiles of Anglo-Saxon and Irish Ms., pl. li.

خارجيا له قلنسوة (١) أما عن الاسم القبطى الذى يطلق على البرنس توكليون (البرنس) والذى يتضح لنا أنه مشتق من الكلمة اليونانية كوكوليون (البرنس) التى وردت فى باخوميوس وايفاجريوس Evagrius وبلاديوس Palladius ـ فهو عبارة عن كلمة تعود الى الأصل اللاتينى Cucullus • ومازالت اللفافه manipie التى وجدت فى قبر القديس كوثبرت Cuthbert فى درهام Durham ، تحمل رسما للقديس سكستوس Sextus وهو أسقف قديم لمدينة روما ـ مرتديا بذلة القداس التى تعتبر قصيرة بالنسبة للطراز القديم بالرغم من أن هذا الرسم يعود الى القرن العاشر • ويقال ان هذا هو النموذج الانجليزى القديم لبذلة القداس • وهناك بذلات أخرى وردت فى مخطوط صلوات سانت أثلولد Ethelwold (حوالى سنة ٩٧٠ للميلاد) الذى رسمت فيه صور لقديسين يرتدون ملابسهم الكاملة (٢) • ونرى فى الكتاب البابوى الخاص بالكنيسة الأنجلوساكسونية ـ والمحفوظ حاليا بمكتبة روين Roun ـ صورة أسقف مرتديا بذلة قداس تشبه بذلة سانت سكستوس St. Sextus من حيث انها قصيرة من الأمام أكثر من الخلف • ونرى فى نفس الكتاب صورة أسقف آخر يرتدى العباءة • وتلك هى أقدم نماذج يعرفها بلوكسام Bloxam لبذلة القداس • ومن المؤكد وجود نموذج يعود الى تاريخ أقدم بحوالى خمسمائة عام ، فى رسوم الموزاييك بكنيسة سانت أبوللينار St Apollinare فى كلاس Classe بالقرب من رافنا Ravenna ، حيث نجد (ملكيصادق) وهو يكسر الخبز على المذبح الذى وضع فوقه القربان والكأس ـ ويرتدى عباءة بلون البنفسج ، مميزة بخيوط الأطراف الذهبية ومربوطة على الصدر ببعض الخيوط ، وهى من طراز يماثل الطراز المستخدم فى تلك الحقبة • ونرى بذلة قداس أخرى مشابهة فى رسم بالموزاييك بكنيسة القديس فيتال Vitale بمدينة رافنا Ravenna ، ويرتديها ملكيصادق أيضا (٣) ولكنها غير واضحة بسبب الوضع الجانبى والذراعين المرفوعتين لخادم القداس وهو ملكيصادق •

ولكن بالرغم من أن البذلة القصيرة قد ظهرت فى انجلترا مبكرا الا أنها لم تصل الى الكنيسة الأنجلو ساكسونية بهذا الشكل المدبب الذى عودتنا عليه الآثار الانجليزية التى تعود الى العصور الوسطى • وقد ظهر هذا

---

(١) Marriott, Vest. Christ., pl. lxvi.

(٢) Bloxam, Eccle iastical Vestments, pp. 14-16.

(٣) See : La Messe, vol. i. Pl. iii. and Pl. ii.

التغيير البعيد ليس لأسباب الملاءمة العامة ولكن للحاجة الى حرية أكثر فى العمل عند رفع الحمل ، ولذلك يستطيع الناس رؤيته فوق رأس الكاهن الذى يقف أمامهم وظهره تجاههم • أما فى ايطاليا فقد كان الكاهن يواجه الناس فى لحظة رفع الحمل ولذلك فان هذا السبب غير موجود هناك • وكذلك فان البذلة الرومانية نفسها قد تعرضت للتقصير ، ويتأكد ذلك لأول وهلة من اللوحة المعروفة المرسومة بالفريسكو للقديس اكليمنض Clement بكنيسة سانت مارك St. Mark فى البندقية ، ومن جهة أخرى هناك دليل عظيم يبين أن هذا الرداء القديم ظل مستخدما فى روما منذ سنة ٦٠٠ للميلاد (١) وأنه حتى اليوم فان النصوص الرومانية المدونة تلزم الكاهن بارتداء البذلة الفضفاضة تماما • ويوجد أيضا فى الكنائس الانجليزية العديد من التماثيل والعملات التى وجدت فى المقابر ، والتى تحمل الدليل على حقيقة أن البذلة القديمة استمرت جنبا الى جنب البذلة القصيرة حتى عصر الاصلاح الدينى •

ولم تكن هذه البذلات فى انجلترا وفى كافة البلدان المسيحية بيضاء اللون دائما ، فقد كانت الألوان الشاحبة والذهبيـة المصفرة والقرمزية والأرجوانية معروفة • وقد استخدمت أيضا الأقمشة الغالية الثمن مثل الحرير والقطيفة والقمـاش الذهبى • وكانت جميعهـا مطرزة بالحواف الجميلة • وأحيانا كانت تدخل الجواهر الثمينة ضمن النسيج ، أو تغطى بكاملها بالزهور وغيرها من التصميمات بأفخر أشغال الابرة • ولم يعمل حساب لضخامة التكلفة فى سبيل تزيين الرداء المستخدم فى خدمة المذابح الانجليزية • ولم يوجد ما يبارى الكنائس الانجليزية فى فخامة وكثرة ملابسها كما يشهد بذلك العديد من المدونات الباقية •

التـــاج

تعرف كنيسة الاسكندرية بفرعيها اليعقوبى والملكانى التاج بوصفه أحد رموز السلطان الكنسى • ونجد أن التاج لدى كلا الفرعـين يلبسه البطريرك وكذلك الأساقفة • ولاشك فى أن استخدام البطريرك الاسكندرى للتاج يعود الى عهد القديس كيرلس الأول فى مجمع أفسس (٢) سنة ٤٣١ للميلاد أو أنه يعود على الأقل الى القصة التى تشير الى استخدام التاج فى مصر منذ العصور المبكرة للمسيحية • وعلاوة على ذلك فاننا اذا تذكرنا

---

(١) G. Gilbert Scott, Hist. Eng. Ch. Archit. p. 117 n.

(٢) Goar, Euchol., p. 314.

العداء المستحكم الذى مزق الكنيسة الى فرعين متقاتلين وجعلهما فى خصومة دائمة بعد ذلك التاريخ بعشرين عاما ، وكيف أن بطاركة كل من الفرعين استمروا متمسكين بامتيازاتهم القديمة وكيف أن كلا منهما استعار بدعة من صراعهما غير الأرثوذكسى ، فان حقيقة استمساك كنيسة كل من الفرعين بالتاج تعتبر تأكيدا لهذه القصة ، وتؤكد وجود نوع من غطاء الرأس المميز بالنسبة لبطريرك الاسكندرية منذ النصف الأول للقرن الخامس وقبل الانفصـــال ٠

وهناك احتمال بأن يكون استخدام التاج قد ظهر مبكرا فى الشرق حيث كان لغطـاء الرأس توقير وأهميـة على الدوام ومازال غطاء الرأس الحديث وهو الطربوش باقيا كبديل لغطاء الرأس القديم الذى كان معروفا فى فريجيا والذى كانت التيجان القديمة سواء فى الشرق أو الغرب تقليدا له ٠ والحقيقة أن الدليل على هذه المسألـة غير متوفر ، ولكن لدينـا من النصوص ما يكفى لدحض كافة الادعاءات الرومانية بان التاج رداء رومانى صرف ٠ ويستشهـد جور Goar نفســه بالمؤرخ الاتيوس Allatius كمصـــدر لرداء كالنبترا البـابوى بعد وينقل بعـد ذلك عن كوريزيوس Coresius الذى من خيوس Chois قصة عن خصومة بين ثيوفياوس بطريرك الاسكندرية فى القرن العاشر والامبراطور اليونانى الذى أهدى للبطريرك تاجا ملكيا لحل المشـكلة بطريقة وديـة ، ولقى بذلك ترحيبا وقبولا ضمن أعضاء الجماعة المقدسة المحيطة بالبطريرك ٠ وقيل لنا ان بطريرك أورشليم كان يرتدى فى الاحتفالات الدينية تاج القديس يعقوب حتى سنة ٨٦٩ للميلاد ٠

واذا تحولنا الى المدونات المختلفة فسنجد التـاج مذكورا بوضوح كأحد رموز السلطة التى يرتديها بطريرك الاسكندرية عند تنصيبه ٠ وقد ورد ذلك فى كتاب Tukian Pontifical ٠ ويجدر بنا أن نذكر أن النسخ القبطية القديمة لصلوات تنصيب الأسقف لم تتضمن دليلا واضحا على استخدام التاج ٠ وهذه الحقيقة يفسرها اما الارتباك الكلى الذى يدور حول غطـاء الرأس الذى يميز النصوص المدونـة فى شكلهـا الحـالى ، أو افتراض أن امتياز ارتداء التـاج قد شمل الأساقفة منـذ فترة زمنية بعيدة ، أو ربما العادة الشائعة الآن والتى بناء عليها يمنع الأساقفة من ارتداء التاج فى حضور البطريرك ٠ ولكن طقس اليعاقبة السريان (السريان الأرثوذكس) يتضمن أن وضع التاج على رأس الأسقف الجديد هو أعظم المواقف وقارا فى عملية الباسه الملابس الكهنوتية بمعرفة البطريرك ٠ وقد ورد ذكر التاج مرتين فى النص الذى أورده موريونوس Marinus (١)

(١) Denzinger, Rit. Or., tom. ii, pp. 74-75.

كما ورد مرتين أيضا فى النص الذى أورده رينودو Renaudot (١) ويعلن رينودو أيضا أن ذكر التاج قد ورد فى المخطوطات السريانية المتعددة تحت اسم togo (الواضح أنها كلمة تاج العربية) كواحد من أردية الأسقف • ولذلك ربما كان (أسيمان) مخطئا فى انكار استخدام الأساقفة السريان للتاج ولا شك فى أن بطريركهم كان أيضا يرتدى التاج •

ومن سوء الحظ أن كافة الرسوم القبطية القديمة قد اندثرت تقريبا، وأن الآثار البرونزية أو الحجرية والمزارات المنحوتة والتماثيل ذات القيمة الكنسية ــ غير معروفة فى التاريخ القبطى • ولكن آثار القديسين الضئيلة التى حفظتها يد الزمان قد حفظت لنا بعض الأدلة التى يمكن جمعها حول الاستخدام المبكر للتاج • وعلى ذلك فان أحـد القديسين الذين نقشت صورهم على عوارض حامل الأيقونات فى كنيسة أبى سرجة يبـدو أنه يرتدى نوعا من غطاء الرأس يمثل تاجا بسيطا • وتعود هذه الصور الى القرن الثامن وربما كانت لبعض البطاركة بدليل الصليب الذى تمثله العصا التى يحملونها وهى تشبه الرمح الطويل • وربما كان رسم العمود القديم بالكنيسة المعلقة يعود الى نفس التاريخ أو بعده بقليل (٢) وبالرغم من أن معالمـه الآن مطموسة الا أنه مازال يكشف بوضـوح عن البلـين

---

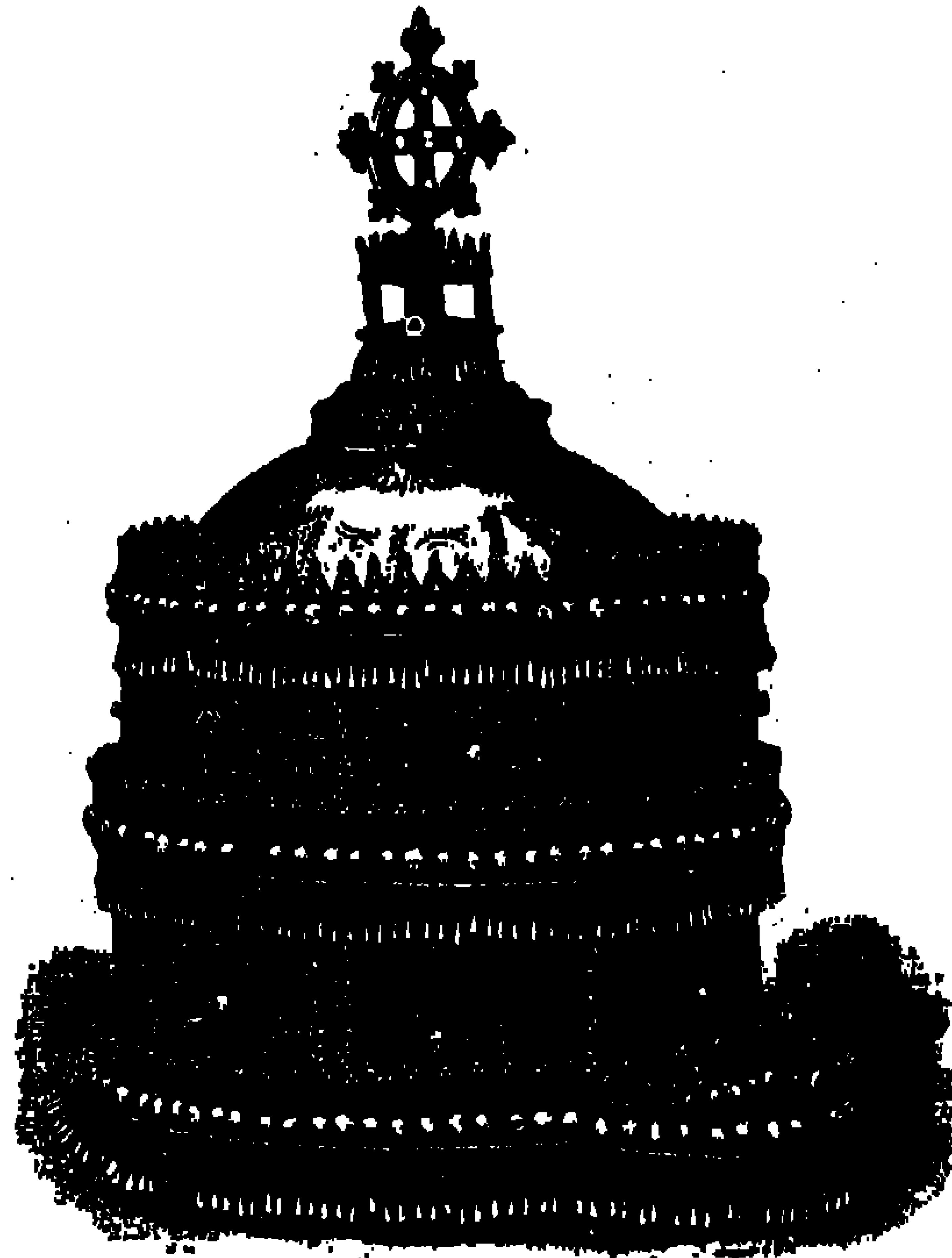
(١) يقتبس دلزنجر عن رينوردو الكلمات : ــ
"imponit illi cidarim seu mitram, alligatque illi epomidem"

ولكنه يضيف فى حاشية :
"Ornamentum de quo agitut (se. mitra) est maznaphtho, amictus phrygio opere ornalus."

وهو بذلك يؤكد ان كلمة mitra المستخدمة فى النص تعنى الشملة ذات الطرف المطرز • وهذا الخطأ تدحضه بقية العبارة المقتبسة من النص وتقول "alligatque illi epomidem" ومن الواضح ان كلمة epomis تعنى الشملة ، وهى مختلفة تماما عن عبارة "Ciéaris seu mira" والترادف ايضا يبرهن على ان كلمة mitra هى المرادفة لكلمة التاج mitre التى تستخدم فى الانجليزية • أما بخصوص التاج البطريركى فلا يوجد تداخل بين مصادرنا حوله ولذلك أظن أن مستر Cutts مخطىء فى القول بان بطريرك اليعاقبة السريان « لا يرتدى تاجا بل حجابا على رأسه يتم ازاحته عند قراءة الانجيل (انظر كتاب : (Christians under the Crescent in Asia, p. 84). وهو يصف هذا الحجاب بانه « مزين بصفائح ونتوءات من الفضة » • ولا شك أنه يماثل البلين القبطى ، وهو الرداء المعتاد بالنسبة للبطريرك ؛ بينما يستخدم التاج فقط فى الاعياد الكبرى • ويقع السائح بسهولة فى خطأ كبير عندما يرى البطريرك وهو يشارك فى القداس بدون التاج ويفشل فى أن يجد شبيها لرداء الرأس هذا • وبنفس الطريقة فان البطريرك القبطى نادرا ما يرتدى التاج أثناء خدمة القداس • وفى جميع الزيارات التى قمت بها لمختلف الكنائس لم أر سوى نموذج واحد لاستخدام التاج ولكننى لا أشك فى أن التـاج لا يرتديه البطريرك القبطى فقط ولكن أيضا الأساقفة •

(٢) انظر الرسوم التى على ص ١٩١ من الجزء الاول وعلى ص ١٥٦ من هذا الجزء الثانى •

البطريركى وعن رأس انسان عليه تاج مرصع بالجواهر · والتاج مكون من شريط من الفضة أو الذهب مقسم الى مساحات صغيرة فى داخل كل منها حجر كريم ــ وهو يشبه التاج الذى على رأس جوستنيان فى صورة الموزاييك التى بكنيسة القديس فيتال Vitale فى رافنا Ravenna ، ونقصد من ذلك أنه اذا لم نجد سوى هذا الأثر وحده فهو دليل كاف للبرهان على استخدام التاج كرداء معروف فى وقت لم يكن فيه التاج المعدنى معروفا فى أوربا · وبين هذا الرسم على الفريسكو والصور المرسومة على عوارض حامل الأيقونات التى تعود الى القرن الخامس عشر أو السادس عشر ، توجد فجوة خالية من الأدلة الفنية · ولكن من هذا التاريخ فصاعدا شاعت صور البطاركة والصور المرسومة للقديس مرقس والسيد المسيح على هيئة البطريرك · وقد وضع لها جميعا التاج الذهبى المعشق بالجواهر وعلى كل حال فان شكل التاج قد تغير منذئذ ، وبدلا من التاج المنخفض ، ظهر التاج الذى على شكل شريط ضيق من المعدن يحيط بالجبين · وهناك أيضا غطاء صلب للرأس يشبه كثيرا التاج الملكى فى العصور الحديثة ، وليس هناك مثال فى الرسوم القبطية للتاج ذى الحافتين الشائع استخدامه لدى الرومان والذى يظهر فى تماثيلنا النحاسية وتصميماتنا الخاصة بالشعارات ·



شكل رقم ٢٨ : تاج البطريرك القبطى

وبالرغم من أن الطراز الغربى للتيجان غير معروف لدى الأساقفة الأقباط ، الا أن الشكل المؤكد لتيجانهم غير ثابت على طراز محدد • والتاج القبطى يعبر عن فكرة لباس الرأس الملكى كرمز لقوة السلطان •

ولا يختلف شكل التاج الذى يرتديه الأساقفة عن ذلك الذى يرتديه البطريرك ، ويدور الفارق الوحيد حول الاستخدام حيث يمتنع على الأسقف أن يلبس تاجه أو يحمل عصا الرعاية خارج ايبارشيته أو فى حضور البطريرك الذى يخضع لسلطانه •

ولذلك يجب أن نعرف أن شكل التاج البطريركى الذى أوردناه فى الرسم قد رسمه الفنان حسب رؤيته الخاصة وليس له أى معنى رمزى أو طقسى • أما التاج المصنوع من الفضة والمغطى باضافات عديدة ، فقد أرسله يوحنا ملك الأحباش الذى أصدر الأمر بصنعه ـ كهدية للبطريرك كيرلس ، وهو مزخرف بزخارف رائعة ويعطى انطباعا حقيقيا يدل على عظمته ذات الطابع القديم • وجسم التاج أسطوانى وقمته على شكل قبة ، وينتصب فوق القبة التى تنتهى بشكل بروز مزركش ـ برج صغير مفتوح يحمل صليبا تسنده خمس جواهر كبيرة الحجم ، أما الجزء الأسطوانى فينقسم الى قسمين مع ثلاثة شرائط معدنية تحمل أشكالا بارزة وقد رصع كل شريط منها بصف من الجواهر المختلفة الألوان التى تفصل بينها نتوءات معدنية دقيقة الصنع • ويتدلى من كل شريط العديد من السلاسل الصغيرة القصيرة مع دلايات معلقة فى الطرف السفلى لكل شريط ، بينما يرتكز على الطرف العلوى لكل شريط اطار مفتوح دقيق الصنع • أما الجوانب الرأسية للتاج فهى مقسمة بشرائط رأسية الى ثمانية أقسام تمتلىء بتصميمات حلزونية مزركشة ومركب فيها رسوم محفورة بالحفر البارز للعذراء والطفل يسوع أو غير ذلك من صور القديسين • أما مقدمة التاج فهى مميزة ببروز دائرى فوق الشريط السفلى • أما القبة فهى مزينة بعدد من الخطوط التى تستخدم للكتابة • وبنظرة واحدة الى الرسم نستطيع رؤية الخاصية الثلاثية التى تميز هذا التاج البطريركى ، وهذه الخاصية التى تعتبر مجرد صدفة ذات طابع محلى ـ تعطى انطباعا عن شكل تاج ملوك الحبشة (١) وهو لا يستدعى المقارنة مع التاج الثلاثى للبابا الرومانى •

---

(١) يحمل التاج الذهبى للملك ثيودور الذى اسر فى مجدل نفس هذه الخاصية ويمكن مشاهدته فى متحف ساوث كنسنجتون •

ويتفق طقس الملكانيين مع طقس الكنيسة القبطية فى تخصيص التاج للأساقفة كما هو بالنسبة للبطريرك ولكنهم يخالفونها فى تخصيص شكل معين للتاج البطريركى يختلف عن شكل التاج الأسقفى ، ويطلق عليه أيضا اسم مختلف للتمييز بينهما ، ذلك التاج البطريركى يسمى tiara بينما يسمى التاج الأسقفى Mitra · والفارق فى الشكل يتمثل فى ان التاج البطريركى عال ومخروطى مثل التاج الغربى بلا أية زوائد فى اعلاه · بينما التاج الأسقفى هو تاج حقيقى منخفض ودائرى أكثر منه مخروطى · ومن المستحيل تحديد متى ظهر هذا الفارق أو سبب ظهوره ·

والتاج البطريركى الملكانى الوحيد الذى رأيته بالقاهرة حديث تماما· انه مصنوع من القطيفة القرمزية بافريز فضى أو ذهبى يبلغ عرضه حوالى بوصة ويحيط بالرأس ـ ويرتفع من هذا الافريز أربعة أشرطة معدنية تتلاقى عند قمة المخروط وقد أقيم صليب من الجواهر فوق نقطة التلاقى · ويحتضن كل قسم من أقسام التاج البطريركى الأربعة ميدالية من الخزف مزينة بأشكال مقدسة ومحاطة بالأحجار الكريمة·وهذا التاج البطريركى له كافة خصائص التاج الملكى فهو مصنوع من الفضة ونادرا ما يصنع من القطيفة الغالية الثمن المغطاة بأشغال الابرة بخيوط ذهبية مزخرفة ومعشقة بالجواهر · وبالرغم من أن التاج البطريركى مصنوع من المعدن الا أنه ليس مفتوحا ، والأرضية عبارة عن صفيحة من الفضة الخالصة أو الذهب· والتاج على شبه البرميل وليس على شكل دائرة ، بشرائط معدنية متدلية من القمة لتتقابل مع الدائرة ـ ونجد بكنيسة القديس نيقولاوس بالقاهرة مجموعة كبيرة من هذه التيجان ، وبعضها قديم ورائع الجمال وأقدم هذه التيجان نموذج عظيم مشغول من الفضة والجواهر ، والقطعة العليا منه مصنوعة من الفضة الخالصة · ويحيط بأسفله اطار آخر من أفخر أنواع الميناء الزرقاء وقد كتبت داخله بعض الكتابات المقدسة بحروف يونانية· ويلى ذلك شريط ثالث ضيق يتكون من زخارف بارزة عن الأرضية · وقد طعمت كافة الأطراف والزوايا بالجواهر اللامعة ·

وتنقسم الكرة أو الجسم الرئيسى للتاج الى أربعة أقسام متساوية بواسطة سيور رأسية تتدلى من حلية دائرية بالقرب من القمة · وهذه السيور مصنوعة من الفضة وتصل حتى الأرضية مثل الحلية الدائرية الثالثة التى تحدثنا عنها وهناك ميدالية بيضاوية من الميناء الفاخرة ترتفع قليلا فى وسط كل قسم وقد رسمت عليها صورة العذراء والسيد المسيح ومناظر مقدسة أخرى بألوان ناعمة ولكنها زاهية وهى الأحمر والأخضر والأزرق ويحيط بكل مدالية اطار من الجواهر الثمينة · أما الحلية الدائرية التى حول قمة التاج والتى تتجمع فيها السيور الأربعة الرأسية

فهى مزينة بالجواهر على الحواف ، بينما يتكون الداخل من الميناء الزرقاء ويحتضن نصا من الكتاب المقدس بحروف يونانية • أما النقطة العليا فهى مغطاة بدائرة كبيرة تتجـه الى أعلى فى ثلاث درجات منخفضة وجميعهـا معشقة بالأحجار الكريمة ويبرز صليب صغير فوق القمة • وعموما فاننى أظن بالنسبة لطراز الميناء وطريقة الصنعة ، أن هذا التاج الفاخـر قد يعود تاريخه الى القرن الحادى عشر أو الثانى عشر ولكن ليس فى مقدور أى وصف أو أية صورة تكوين فكرة عن مدى روعته • ورأيت فى نفس الخزينة تيجانا أخرى عـديدة وجميعهـا مصنوعة من المعـادن الثمينة أو مطرزة بالجواهر ، وبعضها قديم جدا • وفى كل حالة ، يعلو التاج صليب هو من المعالم المميزة لغطاء رأس الأسقفين اليونانى والقبطى •

وهكذا يتضح لنا أنه فى كلا المذهبين الملكانى واليعقوبى للكنيسة المصرية يعود استخدام التاج الى عهد قديم ، ومن الواضح أيضا أن رواية نيل Neale عن هذا الموضوع غير وافية حيث ان كل ما يذكره لنا هو أن البطريرك الاسكندرى يستخدم غطاء للرأس مثل التاج ولا يخلعه أثناء القداس (١) • أما البطريرك الملكانى فانه لا يرتدى أى نوع من أغطية الرأس ولكنه يرتدى فقط التاج البطريركى الملكانى Tiara • ويرتدى البطريرك القبطى تاجا فى جميع الاحتفالات الكبرى • أما غطاء الرأس الوحيـد الذى يغطى رأسه دائما فهو نوع من الطربوش المخفى داخـل قلنسوة العباءة • وهناك غطاء للرأس يلبس اليوم أثناء القداس ويعود الى حقبة زمنية بعيدة ، ورد أول ذكر له بمعرفة مؤرخ قبطى من القرن الثانى عشر هو أسقف اخميم (١) الذى يورده ضمن قائمة الملابس المقدسة ويصفه بأنه « مزين بصلبان صغيرة » • وينقل رينودو هذه القطعة المهمة دون أن ينقدها (٢) ودون أى دليل حول الموضوع • ولا شك أن دنزنجر لسبب مماثل ، يرفض شهادة الأسقف القبطى ويوضح غطاء رأس الكاهن بأنه سـوء فهم لكلمـة epomis التى تعنى الشملة (٣) • ومثـل هذا

---

(١) نقل رينودو نصوصا كثيرة عن هذا المؤلف الاخميمى وقد أورد لنـا دنزنجر اسمه بالكامل وهو « فرج الله الاخميمى » •

(٢) Lit. Or., tom. i. P. 163. "Mentio fit Praeterea cidaris quam sacerdos imponit capiti et quae cruiculis ornata est."

(٣) Rit. Or., tom i. p. 130. "Mentio fit etiam teste Renaudotio apud Echmimensem cidari cruciculis ornatae, quam sacerdos capiti imponit, de quo (sic) tamen varia nobi; dubia occurunt, videturque nihil aliud esse nisi pilogion."

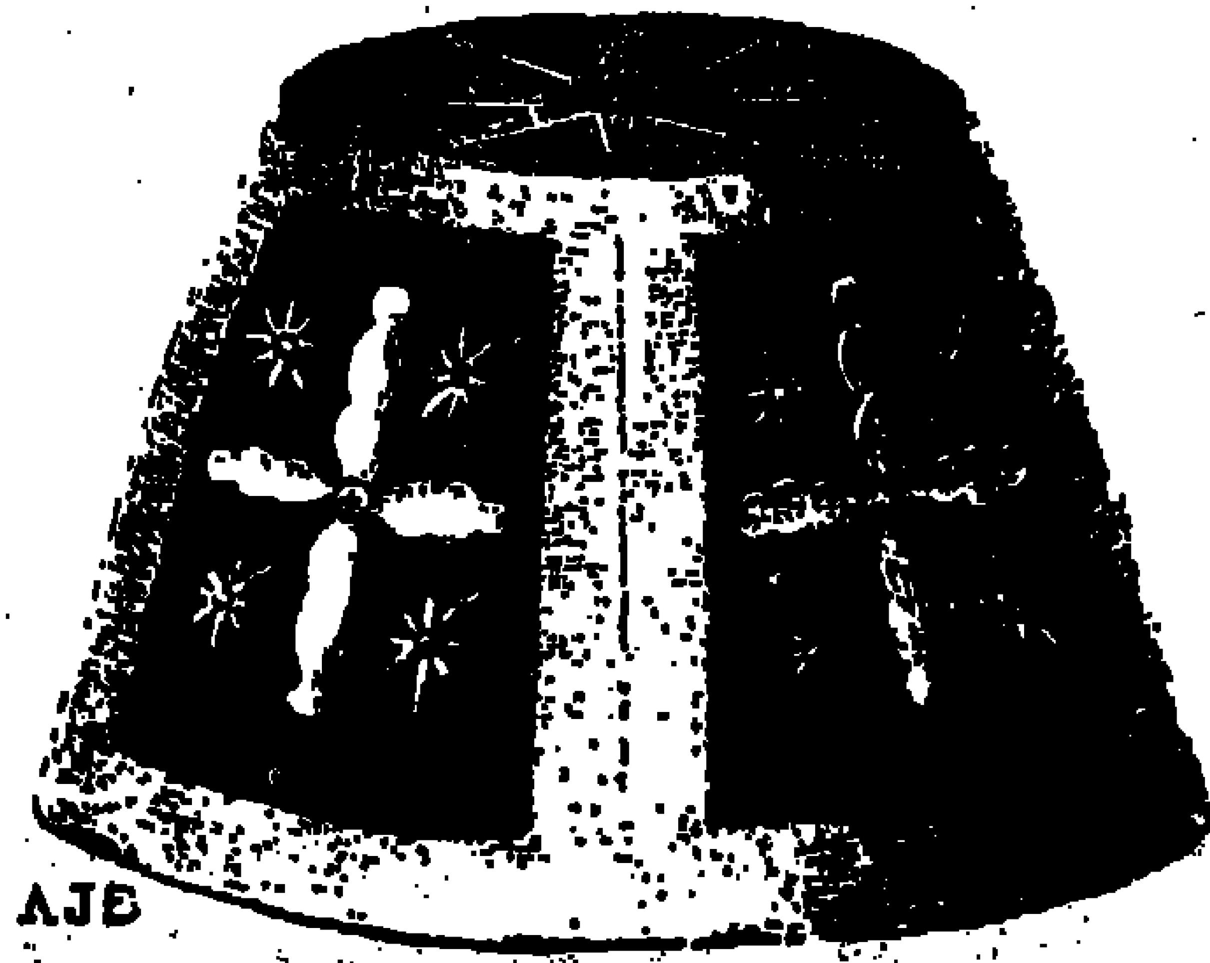
الارتباط غير محتمل لأن نفس المرجع يذكر الشملة ضمن القائمة كرداء منفصل للكهنة · وعنـدما نجد أن كافة المراجـع لا تتكلم عن الموضوع مطلقا وعندما لا نجد ذرة من دليل، فى أى مصدر ، نرى أنه كان طبيعيا بالنسبة لدنزنجر أن يتشكك فى مثل هذه العبارة المعزولة · وعلى الرغم من هذا كان الأسقف صادقا والنقد الذى وجه اليه كان خاطئا · والدليل على ذلك واضح وان كان حديثا جدا لأنه يقفز عبر سبعة قرون من الصمت، ولكننى أظنه قويا بما فيه الكفاية ليمر كومضة كهربية نحو الاقناع ، وذلك لأن غطاء الرأس الذى يتفق مع الوصف الذى أورده المؤرخ القبطى منذ سبعة قرون مضت ، يستخدم الآن فى خدمة الكنيسة ليس بين الكهنة هؤلاء الذين يغطون رؤوسهم بالشملة ولكن بمعرفة الشمامسة · وعلى سبيل المثال يوجد فى كنيسة أبى سيفين بين ملابس الخدمة ، غطاء للرأس من القطيفة القرمزية على شـكل الطربوش مع تزيين الطرفـين العلوى والسفلى بشريط من الفضة ، وتنقسم جوانبه الى أربعة أقسام بواسطة شرائط رأسية من الدانتلا وقد نقش داخل كل قسم صليب من الفضة الخالصة وبين فروعه صلبان أخرى صغيرة على هيئة النجوم ، وصليب آخر من الدانتلا الفضية مثبت فى القمة · ويمكن رؤية غطاء رأس مشابه له مصنوع من القطيفة القرمزيـة وبه أربعـة أقسام بكنيسة القـديس اسطفانوس فى الكاتدرائية ، ولكننا نرى فى هذا النموذج أن قسمين فقط من بين أقسامه الأربعة مرسوم بهما صلبان · أما القسمان الآخران فيتضمن كل منهما رسما لملاك السيرافيم ذى الستة أجنحة · وفى كل حالة يتمثل الانطباع السائد فى أن غطاء الرأس مزين بصلبان صغيرة تماما كما تم وصفه خلال القرن الثانى عشر ·

ولست أشك مطلقا فى أن هذا الرداء كان غطاء رأس لأحد الكهنة ـ تماما مثلما هو موجود فى التراث الانجليزى القديم بالرغم من أن آثاره ليست شائعة فى الآثار الانجليزيـة (١) ومع انتشار استخدام الشملة أكثر فأكثر أصبح غطاء الرأس هذا مخصصا للشمامسة ، مثلما يبدو لنا من أن عادة ارتداء الكهنة للبطرشيل أصبحت الآن قاصرة على مساعدى الشمامسة · ومن المحتمل حقا أن يكون غطاء رأس الكاهن نفسه مشتقا من التاج الأسقفى القديم ، كما تتضح لنا حقيقة أخرى وهى أن الكهنة كانوا خلال القرن الثانى عشر يرتدون « غطاء الرأس » هذا وكان مزينا

---

(١) يوجد أثر من النحاس فى كنيسة هاكنى يعود تاريخه الى سنة ١٥٢١ للميلاد (مرسوم فى كتاب وولر عن الآثار النحاسية) يظهر فيه كاهن يرتدى غطاء رأس منخفضا ولكنه بقدر حجم الرأس (طاقية) وله طرف بارز فى أعلاه ·

بصلبان صغيرة · ومن الواضح أنه يتميز بالفخامة مما يجعله يشكل فى ذاته حوارا حول التاج القبطى الموغل فى القدم ·



شكل رقم ٢٩ : غطاء رأس الكاهن

ويجدر بنا الانشغال لحظة بالفاصل الزمنى الغريب فى تاريخ غطاء الرأس الذى يستخدمه الكهنة Cidaris تصويرا لما يمكن أن يسمى : دلائل عرضية حول المسائل الطقسية ـ وسنجد أن نص فرج الله يقف منعزلا · وكما يظن دنزنجر ، فانه لا يمكن مقاومة الاغراء بتجاهله · ويبدو أنه من الأسلم مناقشة احتمال أنه لو كان مثل هذا الرداء موجودا لكان قد لاحظه المؤرخون الآخرون ـ ومن الجهة الأخرى فانه لو كان غطاء الرأس هذا كأحد مستلزمات العبادة ـ ضروريا مع أن الصور والكتب القديمة لم تتحدث عنه ـ فلابد أن ينتهى النقد بعرض سبب واضح للتدليل على أن غطاء الرأس هذا مجرد استخدام حديث لا يستند الى أى مصدر · وعلى ذلك ففى كلتا الحالتين مهما كان المنطق خاطئا ـ يكون الاستنتاج خاطئا · وعلى ذلك فان التلازم العرضى للحقيقتين اللتين يفصل بينهما سبعة قرون هو الذى يثبت الحقيقة التى يبدو أن الفصل بين شقيها يقود الى انكارها ·

ويتبقى لنا أن نتلمس برفق موضوع استخدام التاج فى الكنائس الأخرى بالشرق والغرب · لقد تحدثت عن معرفة السريان للتاج بشهادة رينودو وموريتوس Morinus · وبالرغم من أن دنزنجر يساند جاك دى فيترى Jacques de Vitry وأسيمان Asseman ضد رينودو الا أنه كعادته ، غير متأكد بل انه يناقض نفسه أيضا · ويعجز تفسيره

عن زعزعة المصدر الصلب الذى كتبه المؤرخ الطقسى الفرنسى العظيم (١) أو حتى اذا لم يوجد دليل كاف يبرهن على استخدام أساقفة السريان للتاج بشكل قاطع ، فلا جدال فى أن التاج tiara كان يرتديه البطريرك اليعقوبى والبطريرك المارونى • وتمهد هذه الحقيقة للافتراض بأن امتياز ارتداء التاج قد أعطى للأساقفة أيضا ، وهو افتراض يؤكده معنى لفظ togo السريانى كما أورده رينودو بوصفه يتفق مع لفظ « تاج » العربى وهو يطلق على تاج الأسقف فى اللغتين السريانية والعربية •

ويعتبر التاج ضمن ملابس الأسقف لدى الموارنة ويوضع على رأسه عند التنصيب حسب ما ورد فى المدونات القديمة • أما بخصوص الطقس النسطورى فهناك بعض التداخل الذى يظهر بسبب صعوبة تفسير الاصطلاحات المستخدمة فى الكتابات البابوية • ويقول دنزنجر Denzinger صراحة :

"Mitras non gerunt nisi chaldaei Romanae ecclesiae uniti (2).

الا أنه بسبب الارتباط الوثيق بين biruna وبين الكهنة فى النصوص المدونة ، فمن الصعب الشك فى أن biruna تعنى نوعا من غطاء الرأس يشبه التاج ــ أكثر من أن تكون شملة كما يزعم دنزنجر ، وعلى ذلك فاننا نقرأ ما يلى :

---

(١) يكتب دنزنجر باختصار (Rit. Or. tom. i. pp. 131-2) ويذكر رينودو "Thogo, corona sivemitra." ضمن أردية الأسقف • وحسب ما ذكره أسيمان فان "mitras non deferunt syri Jacobitae" فيما عدا الكاثوليك • ويتحدث رينودو عن "mitram sive cidarim" المشكوك فيه • ونشك كذلك فيما ذكره مورينوس عن أن Maznaphtho أو الشملة السريانية هى المقصودة بكلمة Cidaris • ويذكر جاك دى فيترى أن الأساقفة السريان بخلاف المارونيين لا يستخدمون التاج • ويلى ذلك مباشرة قائمة الملابس البطريركية للبطريرك السريانى التى أوردها كما يلى :

"apud syros maronitas et Jacobitas patriarcha insignitur Masnaphta (sic) seu amictu simili Birunae Nestorianorum. Phaina seu phainolo orario seu epitrachelio pontificio ad in tar omophorii seu pallii Graecorum, tiara seu mitra, et baculo pastorali."

ويوضح فى نفس الصفحة أن Biruna توصف بانها "Cidaris phrygio opere ornata instar amictus" • وأن Maznaphtho هى "amictus phrygio opere ornatus" ومن الواضح أن دنزنجر لا يجادل فى مهاجمة نص رينودو Renaudot وأنه عندما يتهم مورينوس Morinus بانه أطاح به Cidaris and amictus فانه يحتفظ بالحق فى نشر نفس الارتباك كصفة من صفاته الخاصة به •

(٢) Rit. Or., tom. i. p. 132.

"episcopi ... ordinati birunis et baculis". : "induit birunam et tradit Virgam in manum eius dexteram » : « ornati birunis induti et baculos tenentes ». : « Patres vero ornantur maaphris. birunis, baculis" : "Princeps metropolitarum induit eum biruna, et tradit illi baclum." (1)

ولا تستطيع هذه الفقرات بالطبع ، أن تبرهن على استخدام ما نسميه التاج mitra ولكنها تبرهن على استخدام نوع من غطاء الرأس الذى يشبه التاج . أما بين الأرمن فيقال ان التاج قد استخدم لأول مرة فى القرن الحادى عشر . ومهما كان الأمر فان أساقفتهم حاليا يلبسون التاج والخاتم معا (٢) وهما من حيث هذا الاستخدام الأخير موجودان لدى كافة الكنائس الشرقية . أما الأربطة التى كانت متصلة بالتاج قديما ، فهى منفصلة الآن وقد حلت محلها شرائط من الدانتلا مربوطة بكتفى العباءة (٣) . ولا يوجد فى أى كنيسة شرقية ما يماثل أربطة التاج الغربى لأن غطاء الرأس فى الشرق عبارة عن تاج فعلى وان تفرد الارمن باستخدام غطاء الرأس ميتر mitre بالشكل المعروف فى الغرب مع الخاتم الأسقفى يؤيد الرواية القائلة بان هذا التاج كان فى البداية هدية من روما . وعلى أية حال فان الأرمن يتفقون مع القبط فى استخدام غطاء رأس الكاهن الذى يطلقون عليه اسم ساجفارد "Sagavard" ومعظم الأساقفة والكهنة يخلعون غطاء الرأس ابتداء من تسبحة الشاروبيم حتى نهاية القداس . أما فيما يختص بالكنيسة اليونانية فيذكر نيل Neale أن التاج غير معروف هناك بينما يرتدى الأساقفة نوعا من القبعات الصغيرة المصنوعة من القماش والتى تشد بشريط تحت الذقن وتسمى "bonnet" وقد نقل صورتها عن رسم مطبوع من حفر على الخشب ولكنه لا يصف هذا الرسم أو يذكر اسمه . وفيما عدا غياب الصليب الذى على القمة ، فان هذه القبعة تشبه تاج كنيسة الاسكندرية الأرثوذكسية الا أنها مصنوعة من مادة لينة وليست من المعدن . ويؤكد هذا روك Rock (٤) الذى يسمى غطـاء الرأس اليونانى « قبعة مستديرة » ويذكر أنه معروف بالاسم (tiara) تيارا .

---

(١) Denzinger, Rit. Or., tom. ii. pp. 238, 244, 245, 249, 250, 255.

(٢) Id. ib. tom. i. p. 133.

(٣) Fortescue, Armenian Church, p. 134.

ويمكن تخمين السبب فى هذا التغيير ، بمتابعة ملاحظات نيل فى كتابه :
Gen. Introd., Vol. i. p. 313.

(٤) Church of our Fathers, vol. ii. p. 62.

وإذا تحولنا بأنظارنا الآن نحو الغرب فاننا سنجد ما يشبه النموذج القبطى فى العصور والأقطار البعيدة ، فقد ارتدى الأساقفة السلتيون التاج بدلا من غطاء الرأس الذى على شكل التاج ميترا mitra (١) وياله من تغيير عالمى ذلك الذى يرتبط بتغيير حرفين من اللغة القبطية الى السلتية! وقد ورد أن سانت سامبسون St. Sampson فى قصة حياته التى تعود الى القرن السادس ،وقد رأى فى حلم « ثلاثة أساقفة بارزين يرتدون تيجانا ذهبية » ويورد مستر وارين Warren صورة « أسقف أيرلندى يلبس تاجا ــ محفورة على حائط أحد الآثار العظيمة وهو جزء من كنيسة مهجورة فى وادى جلندالو Glendalough وهو يؤيد الرأى القائل بأن التاج كان مستخدما فى الكنيسة الأنجلوساكسونية حتى القرن العاشر . وقد ورد فى تمجيد سانت اثلولد St. Ethelwold أن أحد رجال الاكليروس ظهر لابسا تاجا ذهبيا مرصعا بالجواهر . ويقول روك Rock (٢) أيضا إن الأساقفة الأوائل كانوا يرتدون تيجانا ذهبية مرصعة بالجواهر ويضيف أن منديلا أو غطاء رأس من الكتان كان يحمله الأساقفة الأنجلو ساكسون وكان مربوطا بشريط يتدلى طرفاه الى الخلف . أما صورة سانت دونستان St. Dunstan فى المخطوط القطنى (٣) المرسوم فى القرن الحادى عشر ، فيظهر فيها مرتديا غطاء رأس مستديرا بشريطين متدليين فى الخلف. ونرى التاج البابوى فى رسم بالفريسكو يعود الى القرن الحادى عشر على شكل غطاء رأس مرتفع مخروطى الشكل (٤) . ويوجد رسم بالمينا من القرن الثانى عشر فى متحف اللوفر Louvre نرى فيه ملكيصادق يقف أمام المذبح ويقدم الكأس والقربان الى ابراهيم ، وهو يرتدى تونية وقميصا وبذلة للقداس وقد وضع تاجا فوق رأسه . ولا شك فى أن التاج هنا مجرد رمز للعظمة الملكية أكثر من العظمة الكهنوتية . وهناك شكل محفور على بوابة كنيسة سانت دنيس St. Denys يعود الى نفس الحقبة التاريخية يظهر فيه تاج منخفض ولكنه منفصل(٥) . وقد وردت نصوص عن القرون التى بدأ ظهورها حوالى هذه الفترة . وفى رسم معاصر بالموزاييك بكنيسة سانت مارك St. Marc فى البندقية نرى صورة تاج

---

(١) See : Mr. Warren's Liturgy and Ritual of the Celtic Church, p. 119.

وأيضا الملحوظات المهمة حول هذا الموضوع والصفحة التالية التى اقتبست منها

(٢) Church of our Father., vol. ii. p. 91.

(٣) Westwood, Facsimiles, pl. 50.

(٤) La Messe, vol. i. pl. xii.

(٥) Id. ib., Pl. xiii, xiv.

يتفق مع هذا النموذج • وابتداء من القرن الثانى عشر فصاعدا زادت مشاهداتنا للتاج فى الصور والتماثيل (١) وكافة أنواع الآثار • أما الظهور التدريجى للشكل الشائع الآن فمن السهل متابعته • ومنذئذ صار التاج معروفا كأحد الأردية الكنسية فى الغرب بشكل رسمى ، وصار مخصصا للأسقف الذى يرتديه أثناء الخدمة ولا يرفعه الا وقت أداء القداس • وعلى الرغم من هذا فان استخدامه لم يقتصر على الكنيسة فقط بل صار يلبس خارج حدود الكنيسة أثناء المناسبات الاحتفالية •

العكاز أو عصا الرعاية (٢) بى شبوت

يحمل البطريرك القبطى وكافة أساقفته عصا الرعاية ، ولكن نفس القاعدة التى تحكم لبس الأساقفة للتاج تحد أيضا من استخدامهم للعصا : ذلك أن الأسقف وهو فى حدود ايبارشيته فقط يحمل العصا بشرط عدم وجود البطريرك فى الايبارشية ، ويسمى الأقباط العصا « رمز الرئاسة والسلطة » • أما فى الغرب فقد كان رمز السلطة دائما مثارا للجدل ، وأما بين الأقباط فان كلا من الاصطلاح الذى يطلق على العكاز والقيد المفروض على استخدامه ، يتفقان معا فى تحديد الشعار بأنه العصا • ويبدو أنه ليست هناك فكرة عن الرعاية ترتبط بالسلطة ، والحقيقة هى أن العكاز الذى يحمله الأسقف القبطى يمثل صولجانا ملكيا مثلما يمثل غطاء رأسه تاجا ملكيا •

وعلى ذلك فان العكاز الأسقفى ليس بالشكل المعقوف الشائع فى كافة الآثار الغربية • ويفهم شكله سريعا من العبارات التى تدل على نوعية

---

(١) اقدم نقش اثرى معروف هو ذلك الذى يمثل رئيس الاساقفة ايزويلب Ysowilpe فى كنيسة سانت أندرو St. Andrew بمدينة فردن Verden بالقرب من بريمن Bremen والذى تنيح (توفى) سنة ١٢٣١ للميلاد ــ ويرتدى تاجا عريضا ولكن له قمتان بارزتان • ويأتى بعد ذلك التاريخ تمثال الأسقف أوتو Otto الذى من هلدشايم Hildesheim (سنة ١٢٧١ للميلاد) ونرى فيه التاج مرتفعا قليــلا ولكن القمتين متباعدتان • وبعد ذلك بحوالى قرن نجد القمتين تتجهان نحو الداخل وتلتقيان تقريبا كما هو الحال الآن •

(٢) الكلمة القبطية الدالة على العكاز بى شبوت كلمة أجنبيــة ولكنهــا اقرب الى العبرية منها الى اليونانية فهى تشبه (شبط) العبرية •

العصا اليونانية وليست العصا اللاتينية (١) أى أن الجزء العلوى ينتهى على هيئة صليب بشكل حرف T بفرعين قصيرين على استقامة واحدة بدلا من الاستدارة على شكل التواء حلزونى • أما فى العكاز القبطى فان كلا من هذين الفرعين يتخذ تقريبا شكل عنق الأفعى برأس منحن ، وفى الوسط بين الرأسين بروز يعلوه صليب • وهناك راية مماثلة لتلك المستخدمة لدى الغرب والتى تسمى فى اللاتينية Pannicellus مربوطة بالعصا بالقرب من طرفها العلوى فى المكان الطبيعى للامساك بها • وهذه الراية مصنوعة من الحرير وغالبا ما تكون خضراء اللون •

لقد قلنا ما فيه الكفاية الآن لبيان نقاط الاختـلاف بين العكازين اليونانى والمصرى وخصائص الأخير•أولا : اذا كان ما أورده نيل Neale محل ثقة (٢) فان العصا اليونانية « تستخدم للارتكاز عليها أثناء السير ولا تعلو عن مستوى اليد • وبالرغم من أن كيرزون Curzon لم يكتب بوضوح فى هذه النقطة (٣) الا أنه يبدو كذلك يتحدث عن قصر عكاز البطريرك • ويقدم كل من المؤلفين رسما يبين العكاز باتريسا أو باترتسا Pateressa Patritza كما يدعوانه ولكن لسوء الحظ ، بدون مقياس للرسم • وعلى أية حال فان رسم نيل Neale مأخوذ عن الصورة التى أوردها جور Goar (٤) للبطريرك بيكوس Bekkos فى ملابس الخروج ونجد أن العكاز هنا لا يزيد ارتفاعه عن ٣ أقدام و ٦ بوصات وتشير كلمات جور فى موضع آخر (٥) الى نفس النتيجة •

"Pastorali autem virgae pontifex innititur progrediens : eius summa pars juxta manum transverso lingno sive eboreis serpentibus in sese capitibus mutuo retortis, انكورون ريكين est ornata. »

---

(١) يقتصر استخدام هذه الكلمة احيانا بصورة خاطئة ـ على الدلالة على الصليب الاسقفى بالمقارنة مع العصا الاسقفية فى الغرب ولن اتردد فى استخدام هذا الاصطلاح بالمفهوم الواسع للكلمة ـ انظر :

Smith's Dict. Christ. Antiq. s.v. Pastoral staff :

(٢) Eastern Church : Gen. Introd., vol. i. p. 314.

(٣) Monasteries of the Levant, p. 299.

(٤) Euchol., p. 115.

(٥) Id., ib. p. 314.

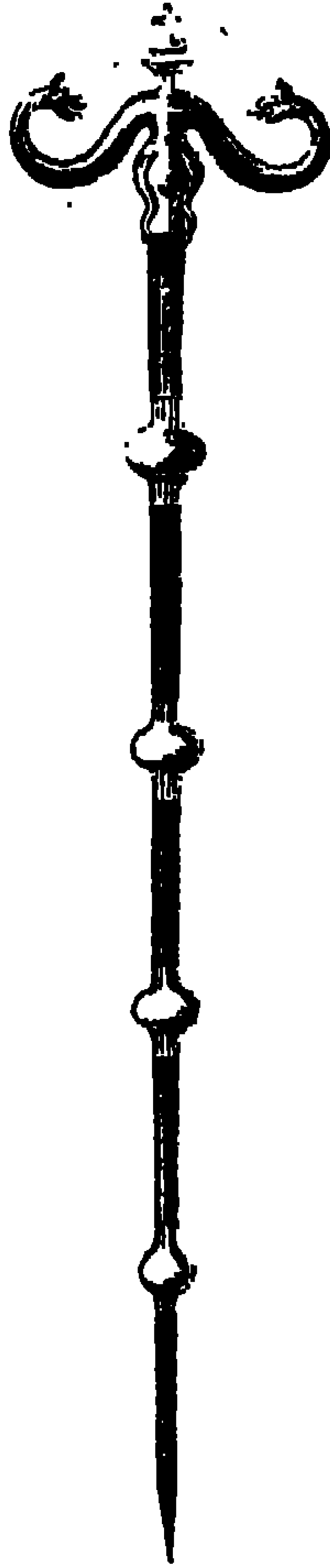
ويذكر مرة أخرى (١) أن Pateressa والتى تسمى "Paterna sollicitudine" أو dikanikion وتعنى شعار السلطة ، التى يحملها الأساقفة ورؤساء الأديرة – أقصر من العكاز اللاتينى وليست مزخرفة بالمعادن أو الجواهر الثمينة وتستخدم فى السير • وهذه كلها تختلف عن العكاز القبطى الذى يصل ارتفاعه عادة الى ٥ أقدام و٦ بوصات ، ولا يستخدم الا أثناء الاحتفالات الكنسية • وعندما يخرج البطريرك – فان الاحترام الذى يلتزم به الشرقيون يحتم أن يصحبه أثناء السير خادم يحمل عصا طويلة غير مزخرفة لها رأس فضية ، ولا يحمل البطريرك عكازه • وهناك اختلاف آخر هو أنه بينما يتفق الشكل القبطى مع الشكل اليونانى فى رسم رأس الأفعيين يبدو أن الصليب الصغير الذى بين الرأسين يميز العكاز القبطى وحده • وهناك نقطة ثالثة من نقاط الاختلاف تتمثل فى الراية التى لا أجد لها ذكرا فى الروايات الخاصة بالعكاز اليونانى Pateressa •

ومن المثير أن نجد لدى الفرع الثانى لكنيسة مصر أى اليونانيين الأرثوذكس أو الملكانيين ، أن العكاز الأسقفى يشبه تماما عكاز الأسقف القبطى لأن به الصليب والراية وارتفاعه من ٥ الى ست أقدام • أما نماذج العكاز اليعقوبى فهى نادرة لدرجة أننى لم أجد نموذجا واحدا قديما ، بينما استطاع الملكانيون لحسن الحظ أو العناية الفائقة أن يحتفظوا بالعديد من العكاكيز الجميلة التى تعود الى العصور القديمة والموجودة حاليا بكنيسة القديس نيقولاوس St Nicholas بالقاهرة وهذه العكاكيز طرفها السفلى مدبب فى كل حالة ، بينما ينقسم جسم العكاز الى خمسة أجزاء بواسطة أربعة نتوءات على مسافات متساوية • وقد زينت هذه النتوءات مع رأسى الأفعيين بالجواهر • وشاهدت عكازا من العاج القديم به نتوءات فضية مطعمة بالجواهر • كما شاهدت عكازا آخر من العاج ، أخضر اللون وبه نتوءات فضية مطعمة بالجواهر • كما شاهدت أيضا عكازين أو ثلاثة من الأبنوس بها نتوءات فضية وأفاع فضية ، وعكازا آخر من العاج الخالص به نقوش رائعة ونتوءات من العاج أيضا • أما الصليب الذى فى أعلاه فيرتكز على تاج صغير به زخارف بارزة • وكقاعدة عامة نجد أن المسافات التى بين النتوءات سداسية الأضلاع وليست دائرية •

وبالرغم من وصفى لهذه النماذج بأنها قديمة الا أن أيا منها لا يعود تاريخه الى أكثر من ثلاثة أو أربعة قرون لأنها تنتمى الى العصور الوسطى من حيث الخواص ، وتتشابه مع العكاكيز المرسومة فى الرسوم القبطية

---

(١) Ib., p. 313.



شكل رقم ٣٠ : العكاز القبطى

التى تعود الى العصور الوسطى (١) • ويوجد كذلك فى كنيسة القديس اسطفانوس الملحقة بالكاتدرائية بالقاهرة رسم للقديس مرقس الرسول يرتدى ملابس بطريرك الاسكندرية ويمسك فى يده اليسرى عكازا من هذا النوع • وبالرغم من عدم بقاء أى نموذج قديم للعكاز الى يومنا هذا ،

---

(١) احيانا يرسم العكاز القبطى وبه حليتان حلزونيتان اى بدون حيات ، كما هو الحال فى كنيسة مارمينا • أما فوق الختم البطريركى فنجد أن العكاز عليه حلية حلزونية بها رأس افعى واحدة وهذا التصميم غير معروف فى اى مكان آخر •

الا أنني لا أشك في أن التصميم يعود الى أوائل العصر المسيحي • وقد أوردنا منذ قليل اقتراحا (١) بأن عكاز الكاهن في الغرب يعود الى أصله ليس الى عصا الرعاية أو الصولجان الملكي ، بل الى ما يسمى Lituus أو قضيب العراف angur's wand الذي كان معروفا في العصور القديمة • وأرى كذلك أن أصل العكاز الشرقي ربما يعود الى قضيب المرسل سكيبترون رابدوس الخاص بالاله هيرميس أو Caduceus الخاص بالاله ميركوري اللاتيني (*) • ويعود ذلك الى شدة التشابه بينه وبين القضيب المذكور • لأننا نجد في الآثار الفنية سواء القديم منها أو الحديث أن قضيب هيرميس Hermes تلتف حوله حيتان يواجه رأساهما المرتفعتان بعضهما البعض (٢) ، وهذا الاتفاق في الصميم يظهر بوضوح هنا ، عنه في حالة ما يسمى Lituus ليتووس حيث تعتمد المقارنة على حقيقة أن ليتووس Lituus كانت معقوفة • وعلاوة على ذلك فالمقارنة مع الحالة الأولى ضعيفة لأن العراف augur كان يجبر على حمل عصاه باليد اليمنى ، أما الحالة

---

(١) Dict. Christ. Antiq. s.v. Pastoral Staff.

(*) ميركوري Mercury هو رسول الآلهة عند الرومان ويقابله هيرميس رسول الآلهة عند اليونان (المترجم) •

(٢) See : Adam's Roman Antiquities, 10th edit. London, 1839, p. 220, pl. ii., and Smith's classical Dictionary, Pl. opposite, p. 336.

ويخطىء الدكتور سميث Smith فيما ذكره عن نسبة ظهور الحيات الى الاعمال الفنية المتأخرة واليك كلماته بالنص :

« وفي الاعمال الفنية المبكرة نجد أن الأشرطة البيضاء التي كانت تحيط بعصا المرسل قد تحولت الى حيتين (ص ٣١٣) • والآن فاننا نرى في نفس هذه الاعمال الفنية المبكرة أن العصا تظهر على شكل حية ملتفة بهيئة الرقم 8 ربما قصد بذلك ان يقوم هذا الشكل مقام الحيتين ولكنه لا يعني الأشرطة • وهذا الشكل على سبيل المثال يظهر كثيرا على قطع العملة التي تعود الى القرن السادس الميلادي • كما ظهر كذلك على فازة من الطراز الشفاف حوالي ٥٥٠ للميلاد • واقدم نموذج للعصا ذات الأفعى هو ما نراه على فازة فرنسوا François التي لا يتجاوز تاريخها عام ٥٠٠ للميلاد • (انظر : Monumenti inediti, iv. liv.) وفي هذه الصورة يحمل الاله ايريس Iris العصا بينما يحمل هيرميس عصا من نفس التصميم ولكنها لا تنتهي برؤوس أفاع • ويوجد بالمتحف البريطاني الآن عصا من البرونز طولها حوالي قدمين مرسوم عليها الحيتان بوضوح • اما بالنسبة للحروف اليونانية التي عليها فلابد وان يعود تاريخها الى سنة ٤٥٠ للميلاد • وانا ادين بالمعلومات السابقة الى مستر سيسل سميث Cecil Smith من رجال المتحف البريطاني • ومن الواضح تماما ان العصا التي بها راس الأفعى شائعة منذ فترة طويلة قبل انشاء مدينة الاسكندرية ولا اشك في أن ورودها في العبادات السرية لهذه المدينة العظيمة - يحكى عنه في تراث الاقباط الارثوذكس حتى اليوم •

الثانية فتستند الى حقيقة أن هيرميس يرسم دائما وهو يحمل عصاه بيده اليسرى • أما معنى الرمز الذى تشير اليه الحيتان الملحقتان بعصا المرسل بين اليونانيين ، فهو غير مؤكد ، ولكن من الواضح أن تلك العصا كان يحملها المرسلون والسفراء رمزا لمناصبهم ورمزا للسلام (١) •

وربما كانت وظيفة هذه العصا هي وحدها السبب في استخدامها لدى كنيسة الاسكندرية رمزا لسلطة الأسقف ورمزا للسلام فهى على الأقل أكثر مناسبة للمرسلين الذين يحملون رسالة الانجيل •

وهناك تفسير آخر يربط العكاز الشرقي بفكرة الحية النحاسية التى رفعها موسى في البرية • ويبدو لى ذلك أقل احتمالا وأقل مناسبة •

---

(١) انظر : Smith, Dict. of Greek and Roman Antiquities, p. 218.
والفصل المقتبس من :

Millin's Peintures des vases Antiques حيث نرى ان طول كيريكيون يبلغ ٤ اقدام بالاعتماد على مقياس الرسم الموضح بالصورة • اما المقارنة بين هذا الطول وبين قصر Lituus فهى تشكل نقطة اخرى تتميز فيها المقارنة التى اجريتها بالميزة الاخرى • ويقول هايجينوس Hyginus ان الحيتين كانتا تعتبران شعارا للسلام لأن الاله ميركرى Mercury كان قد وجد فى احدى المرات حيتين تتنازعان ففصل بينهما بعصا • وينقل ماكروبيوس Macrobius هذا الرمز عن مصر (Saturn. I. xix) فيقول :

"In mercurio solem coli etiam ex caduceo claret, quod Aegyptii in specie draconum maris et feminae figurarerunt."

يشير بوضوح الى قرص الشمس المجنح وعلى جانبيه الحيتان • ويذكر بريلر ذلك فى ملحوظة : Schol. on Thuc. i. 53.

ولم يستخدم رسل الرومان هذه العصا ، ولذلك فان بلينى Pliny يذكر ما يلى :
"Hic complexus anguium et efferatorum concordia causa videtur esse quare exterae gentes caduceum in pacis argumentis circumadata effigie anguium fecerint. Neque enim cristatos esse in caduceo mos est."
(Nat. Hist. xxix. 12 fin.)

وبالطبع فانه من المستحيل ان تكون كلمة كيريكيون اليونانية مشتقة من مصر ، وان تكون اثرا من اثار بعض العبادات الوثنية المبكرة الا ان الصليب الذى على شكل حرف T والذى يبدو انه كان مستخدما فى مصر منذ زمن بعيد ـ قد يكون له صلة بالافعى فى رموز احدى العبادات السرية المبكرة لدى المصريين • ولا شك ان الصليب الذى على شكل حرف ☥ فى شكله المصرى كان مقبولا لدى المسيحيين المصريين الاوائل بوصفه رمزا •

الا أنه من الانصاف أن نتذكر أن رمز الحية النحاسية في الغرب له مكانة شرفية في الاحتفالات الكنسية ، فنجده على سبيل المثال ضمن الطقس الانجلو ساكسوني وكان موجودا أيضا في انجلترا حتى القرن السادس عشر ، لأنه بعد انتهاء الترانيم في أيام خميس العهد والجمعة العظيمة وعشية عيد القيامة ، كان يسير موكب احتفالي الى باب الكنيسة حاملا عصا تنتهي في طرفها العلوي بالأفعى · وقد وضع في فم الأفعى شمعة مضاءة كانت تشعل منها بقية الشموع (١) ·

ويبدو أن هناك احتفالا مماثلا مذكورا في مدونات قداس المسيحيين من المغاربة أثناء الاحتلال الاسباني · كما أن العصا ذات الأفعى كانت مستخدمة في روان Rouen منذ القرن الثامن عشر · ويجدر بنا التساؤل عما اذا كان الشمعدان الذي على شكل الأفعى الموجود بكنيسة مارمينا والذي قدمت رسما له في الجزء الأول من هذا الكتاب (٢) قد استخدم أصلا لنفس هذا الاحتفال الذي يجرى عشية عيد القيامة · ولكن لا يوجد دليل مقنع حول هذه النقطة · ولا شك أن المقارنة السريعة التي عملها مخلصنا بين رفعه على الصليب وبين رفع الحية النحاسية ـ كافية لصياغة هذا الرمز بما له من تأثير ملحوظ · وعلى ذلك يقول القديس أمبروز Ambrose بوضوح : « ان الحية النحاسية تمثل الصليب وعليها رمز جسد السيد المسيح » وكذلك يوافق ترتوليان Tertullian على صحة هذا الرمز · أما بخصوص وجود ومناسبة هذا الرمز في حد ذاته فاننا لا نرى أنه يناسب منصب الأسقف حيث يبدو كما لو كان الأسقف ينتحل لنفسه مثل هذا الرمز المقدس ·

ويتبقى لنا تفسير ثالث يختص بالعكاز القبطي وهو تفسير ممكن ولكنه غير محتمل ، وينطوي على الفكرة الضمنية التي تدور حول انتصار الصليب على الحية بمعنى انتصار السيد المسيح على قوة الشيطان · وهذا يحتم أن تكون الحية الثانية قد أضيفت للملاءمة ، ويحتم أيضا الاختلاف الكامل بين كل من الرمزين القبطي واليوناني ، فالعكاز اليوناني لا يحمل

---

(١) Lit and Rit. of the Celtic Church, p. 53.

أما التعبير المستخدم في الملحوظة (الحية التي علقت على العصا "hastam cum imagine serpenti") فيبدو أنه يشير الى الحية النحاسية · وقد اقتبست الكثير من هذه الصفحة التي أوردها وارن في كتابه ·

(٢) Vol. i. p. 50.

صليبا ، ومن غير المحتمل وجود مثل هذا الاختلاف • وعموما نرى من الانصاف افتراض أن العكاز الأسقفي الشرقي قد انحدر في تتابع متصل ـ عن عصا المرسل التى كانت شائعة فى هلاس Hellas أثناء العصور الوثنية • وعلى ذلك فلا توجد ضرورة لمتابعة تطوره من العكاز العادى الذى كان يستخدم للمشى ، لأن مثل هذا الافتراض يسقط من حسابه الحيثين ، كما تضعفه حقيقة أن عكاز المشى الذى كان على شكل حرف T مازال موجودا جنبا الى جنب عصا الرعاية حتى اليوم ، كمظهر عادى ضمن مظاهر العبادة فى كل كنيسة قبطية ، ولم يقتصر استخدامه على كبار السن والمرضى من رجال الاكليروس ـ كما كان الحال فى انجلترا ـ حسب ما أعلنه روك Rock (١) ولكن طول مدة القداسات القبطية مع غياب المقاعد بوجه عام ، يجعله يلقى الترحيب حتى من الشباب والأصحاء • وبعد تخصيص العكاز لمنصب الأسقف أصبح غير مستخدم لدى المؤمنين من الشـعب •

ومن الغريب أن المدونات القبطية المعروفة تصمت حيال موضوع العكاز • ولا شك أن السبب فى ذلك يعود الى أنه عندما يبدأ التكريس ويجلس الأسقف أو البطريرك على عرشه ، يصير لزاما عليه أن يمسك فى يده الانجيل وليس العكاز • وكذلك فان حمل الكتاب المقدس أكثر شيوعا فى الرسوم القبطية عن حمل العكاز • ولكننا نعرف من فانسليب Vansleb أن العكاز يمثل أحد مستلزمات ارتداء الأسقف ملابس الكهنوت • ويذكر فانسليب أنه بعد انتهاء احتفال التنصيب يذهب الأسقف الى مقر البطريرك وهناك يتسلم « صليبا صغيرا من البرونز وعكازا على شكل حرف T » ويذكر نفس المؤرخ أنه عندما يستكمل البطريرك ارتداء ملابسه الكهنوتية يأخذ من فوق المذبح « صليبا حديديا كبيرا يقوم لدى الأقباط مقام عصا الرعاية » • ويصدق القول بأن صور مثل هذا الصليب تظهر فى احتفالات التنصيب ، ولكننا نشك فى أن عكاز البطريرك يختلف عن عكاز الأسقف بالطريقة التى زعمها • ويرسم رئيس الملائكة الجليل ميخائيل أحيانا وهو يحمل صليب أورشليم البطريركى الذى به ثلاثة أذرع افقية ونجد فى الرسوم التى تعود الى القرن الثامن والمرسومة على الألواح

---

(١) Church of our Fathers, vol. ii. p. 184. note 22.

ويقول روك ان استخدام عكاز المشى استمر حتى منتصف القرن الثانى عشر ، مع ملاحظة ان كافة مراجعه فرنسية •

بكنيسة أبى سرجة ــ أن كلا من الفرسان الثلاثة وهم القديس مارجرجس والقديس مرقوريوس والقديس ديمتريوس ــ يحمل عكازا طويلا ينتهى فى أعلاه بصليب يماثل تماما ذلك الذى يحمله القديس مارجرجس كما هو مرسوم فى معجم اللغة الهيروغليفية (١) ولكن ربما كان العكاز هنا رمحا به زخرفة خيالية • ولا يكفى مثل هذا الدليل لتفنيد معنى العادة الموجودة حاليا • ولو صحت كلمات فانسليب فستكون معظم الرسوم القديمة التى تمثل عصا البطريرك التى بها تصميم الأفعى ــ دليلا مؤكدا على انكار الشكل الشائع للعكاز •

أما فيما يتعلق بالكنائس الشرقية الأخرى فيستخدم العكاز ضمن احتفالات تقليد المنصب الكهنوتى عند السريان اليعاقبة حيث يسلم الى الأسقف أثناء خدمة القداس مع هذه العبارة : « أرسل لك الرب قضيب قوة من صهيون » • وبعد تنصيب البطريرك يمسك كل من الأساقفة الموجودين العكاز بيده اليمنى ، جميعهم فى وقت واحد ، ثم يرفع أقدم الأساقفة يد البطريرك فوق أيدى الجميع ويجعلها فى أعلى العكاز ، ويجرى هذا حسب التقليد ••• (٢) أما بين الموارنة فيسمح للكهنة (٣) باستخدامه مثل الأساقفة والبطريرك (٤) • أما الكلمات والاحتفالات التى تجرى أثناء تسليم العكاز فى حالة الرتبتين الأخيرتين فانها تجرى كما تجرى لدى السريان • وقد ورد ذكر العكاز مع الخاتم والصدرة خلال القرن الحادى عشر (٥) •

وقد ذكرت من قبل ما فيه الكفاية عن العكاز لدى النساطرة • أما الكنيسة الأرمينية فانها تمنح العكاز **Vartapeds** للكهنة عند تنصيبهم أولا مع الكلمات التى تجعل العكاز رمزا لقوة انقاذ الخطاة من شراك الشيطان وقيادتهم الى التوبة ، وثانيا مع الكلمات التى تؤكد واجب الكرازة وثالثا مع الكلمات التى تصف مهمة الكاهن بأنه يريح الحزانى والمصابين • وفى نفس خدمة قداس التنصيب يسمى « عصا الرعاية » مع تنويه مباشر

---

(١) See : Smith's Dict. Christ. Antiq., p. 1566.

(٢) Denzinger, Rit. Or., tom. ii. pp. 75-77.

(٣) Id. ib., p. 176.

(٤) Id. ib., pp. 203, 208, 223.

(٥) Gerhard, De Eccl. Maronitarum, Jena, 1668 (not paged).

بالراعى الصالح والصولجان الملكى (١) · وفى مرحلة أخرى من مراحل تنصيب الكاهن يوصف بأنه يعد طريق الرب ومرة أخرى بأنه يصعد جبل صهيون وأخيرا يوصف العكاز بأنه رمز القوة والشجاعة · ولذلك فهناك رمز وطقس يتميزان بالبهجة حول تسليم العكاز للكاهن فى كافة مراحل تنصيبه · أما فى حالة الأسقف فان العكاز يسلم مرة واحدة مع الكلمات القائلة :

« تسلم عكاز الأسقفية هذا حتى تؤدب وتعاقب العاصى ، وأن تحكم وتطعم الذين يطيعون قوانين وتعاليم الرب دائما(٢) وبالطبع فان التعليمات المدونة لا تقول شيئا عن شكل هذه العكاكيز الشرقية ولكن لدينا لحسن الحظ بعض الأدلة المستقلة فالكنيسة السريانية اليعقوبية تستخدم كلا من العصا المعقوفة وعصا الصليب الذى على شكل حرف T ولذلك نجد فى الكنيسة التى تخص هذا المذهب فى أورفا **Urfa** عصا أسقف ثنائية الرأس » كل رأس منهمـــا يمثــل رأس أفعى كمــا فى تصميم الطراز الانجلوساكسونى (٣) وأيضا عصا معقوفة ذات رأس واحدة من طراز حديث جدا » ويتحدث نفس المرجع عن عكاز طويل من العاج يشبه عكاز البطريرك ، موجود بالكنيسة النسطورية فى كوشانز (٤) وهو بالطبع صليب على شكل حرف تى T بدون أفاع ، ولكنه لا يمثل الشكل المعتاد للعكاز بسبب أن الدليل مبهم · أما بين الأرمن فان البطريرك والأساقفة يستخدمون عصا الرعاية المعقوفة حسب الشــكل الرومانى ، بينما ظل العكاز القديم ذو الحيتين مستخدما بمعرفة الدرجات الأدنى من الكهنة Vartapeds (٥) ·

أما فى الغرب فقد ورد أول ذكر لعصا الرعاية فى أعمال المجمع الرابع الذى عقد فى طليطلة سنة ٦٣٣ للميلاد وقد ورد ذكره هناك مع الخاتم بطريقة عرضية قد تشير الى أن استخدام العكاز معروف منذ وقت طويل ، ولا شك فى أن استخدام العكاز فى الكنائس السلتية البريطانية يعود الى نفس بداية الاحتفالات بقداسات التنصيب · والاسم اللاتينى

---

(١) Denzinger, Rit. Or., tom. ii. p. 324.

(٢) Id. ib., p. 337.

(٣) Chrsitians under the Cresent in Asia, p. 84.

(٤) Id. Ib., p. 218.

(٥) Fortescue, Armenian Church, p. 134.

ولكن دنزنجر يقول ان : عصا الرعاية التى يستعملها الأسقف كانت تشبه العصا اليونانية ــ انظر . Vol. i. p. 133.

المقابل للاسم الساكسونى أو السلتى للعكاز هو Cambutta وأحيانا Cambo . ونجده على سبيل المثال واردا فى القداس الغريغورى الموجود حاليا بمكتبـة الكليـة فى أوتون ، وفى كتاب : الترتيب الطقسى لمؤلفه ايجبرت — يتحدث التقليد عن عكاز ذهبى مزين بالجواهر كان يحمله سانت باتريك ويقال ان اثنين من أتباعه هما سانت داجايوس وسانت أسيك وأيضا سانت كولومبا كانوا مهرة فى صنع العكاز الثمين (١) أما العكاز المغطى بصفائح الذهب والمزخرف بتصميمات عجيبة من اللؤلؤ والذى تسلمه سانت كولومبـــا St. Columbaمن سانت كنتيجرن St. Kentigern فقد كان موجودا بمدينة ريبون Ripon فى القرن الخامس عشر . وكان شكل العكاز الأنجلو ساكسونى والأيرلندى غريبا جدا حيث كان متناهيا فى القصر بحيث يماثل الصولجان لا العصا المعقوفة . أما الحلية التى فى أعلاه فهى غير واضحة التكوين عما هو معروف فى النوع الأخير والطراز الشائع . والحقيقة أنه يمكن مقارنة شكله بشكل علامة الاستفهام (٢) وعلى كل حال فان البروفسير وستوود Westwood يذكر نموذجا غريبا ومتفردا موجودا حاليـــا فى متحف جمعيـــة Kilkenny Archaeological Society وهو على هيئة صليب على شكل حرف T له رأس تشبه القارب والطرفان معقوفان ، والأعلى منهما على شكل رأسى أفعى » . ومن المؤكد أن هذا الشكل يتشابه بشكل صارخ مع الشكل الشرقى ويضيف وصلة أخرى الى الدليل الذى يربط بين ايرلندا القديمة والكنائس الشرقية . وحتى فى النماذج الحديثة للعكاز الايرلندى والانجليزى والشرقى ، نجد أن الأفعى تمثل زخرفة شائعة لرأس العكاز بشكل أو بآخر . وعلى ذلك فان رأس العكاز الذى وجد فى خرائب كاتدرائية أجادو Aghadoc ينتهى برأس أفعى تمسك بساق أحد الرجال وهى نفسها تمسك بها أفعى أخرى . وقد بيع عكاز فاخر ضمن مجمـوعة كاستيلانى Castellani (٣) كان من البرونز المطعـم بالمينـاء وتمثل رأسه صـورة لرئيس الملائكة الجليـل ميخائيل والشيطان . أما المقبض فقد كان مشغولا على هيئة أفاع متوحشة .

ومن السهل تتبع تطور العكاز من العصا المعقوفة غير المزخرفة التى ورد رسمها فى مخطوط يعود الى القرن الحادى عشر ، معروض فى مكتبة

---

(١) Warren, Lit. and Rit., of the Celtic Church, pp. 115-116.

(٢) See : Westwood's Miniatures, p. 152, 153.

(٣) See : Academy, March 15, 1884.

ترويس Troyes (١) والرسم مأخوذ عن لوحة من الفريسكو تعود الى نفس الحقبة موجودة بكنيسة سانت كليمنت S. Clemente بروما وفى رسوم الموزاييك بكنيسة سانت مارك St. Mark فى البندقية أو فى تمثال أسقف جوسلين Joceline الذى يعود الى القرن الثانى عشر بكاتدرائية سالزبورى Salisbury وتمثلت المرحلة الثانية فى ملء الشكل الحلزونى برسوم أوراق العنب أو بعض الزخارف المكونة من أوراق النباتات كما هو ظاهر فى عكاز محفور على أثر حجرى آخر فى كاتدرائية سالزبورى Salisbury يمثل الأسقف اجيديوس Ægidius من القرن الثالث عشر(٢) وأخيرا فان هذه الأشكال قد حفرت بمهارة فائقة.

ومن المحتمل أن يعود الاستخدام الشائع للأفعى الى اعتبارات التناسب الفنى أكثر منه الى الاستعارة الدينية ، ويبدو أن Pannicellus (الراية) التى على ساق العكاز لم ترسم فى الآثار القديمة بالرغم من حقيقة أن استخدامها على العكاز الأسقفى يثير الجدل حول قدم المدى الزمنى ، والراية موجودة على العكاز النحاسى لرئيس الأساقفة جرنفيلد Grenfeld فى يورك مينستر York Minster ، ويعود تاريخه الى سنة ١٣١٥ للميلاد وعلى عكاز رئيس الدير ايستنى Abbot Easteney فى وست مينستر Westminister ويعود تاريخه الى سنة ١٤٩٨ للميلاد ، وعلى عكاز الأسقف جودريتش Goodrich فى كاتدرائية ايلى Ely ويعود تاريخه الى سنة ١٥٥٤ للميلاد (٣) . ويوجد فى اكسفورد نموذجان للعكاز ذى الراية مرسومان على الزجاج ـ أحدهما فى الشباك الشرقى لمكتبة بودليان Bodleian ، والآخر فى الجناح الشمالى بكاتدرائية كرايست تشيرش Christ Church ـ حيث يوجد شباك يتضمن صورة مهمة لآخر رؤساء دير أوسنى Abbot of Osney .

وهناك صليب من الطراز اليونانى يميز عكاز رئيس الأساقفة بالمقارنة مع عكاز الأسقف فى الغرب . وهناك نموذج قديم له ، على رسم الفريسكو بكنيسة سانت كليمنت S. Clemente التى ذكرناها سابقا ، حيث يمكن مشاهدة شكلى العكاز ذى الرأس المعقوف والعكاز الذى يمثل رأسه صليبا. وعن الرسوم الانجليزية نستطيع الحديث عن تمثال روبرت والدبى Robert Waldeby رئيس أساقفة يورك York الذى يعود الى القرن الرابع عشر فى وستمنستر آبى Westminster Abbey . وفيما خلا دليل

---

(١) La Messe, Vol. i. Pl. 10.

(٢) See : Bloxam's Ecclesiastical Vestments, pp. 22, 28.

(٣) Waller, Monumental Bras ses.

فانسليب Vansleb المشكوك فيه فلا يوجد فى الاستخدام القبطى ما يماثل العكاز الذى ينتهى بالصليب سواء بالنسبة للأسقف أو البطريرك •

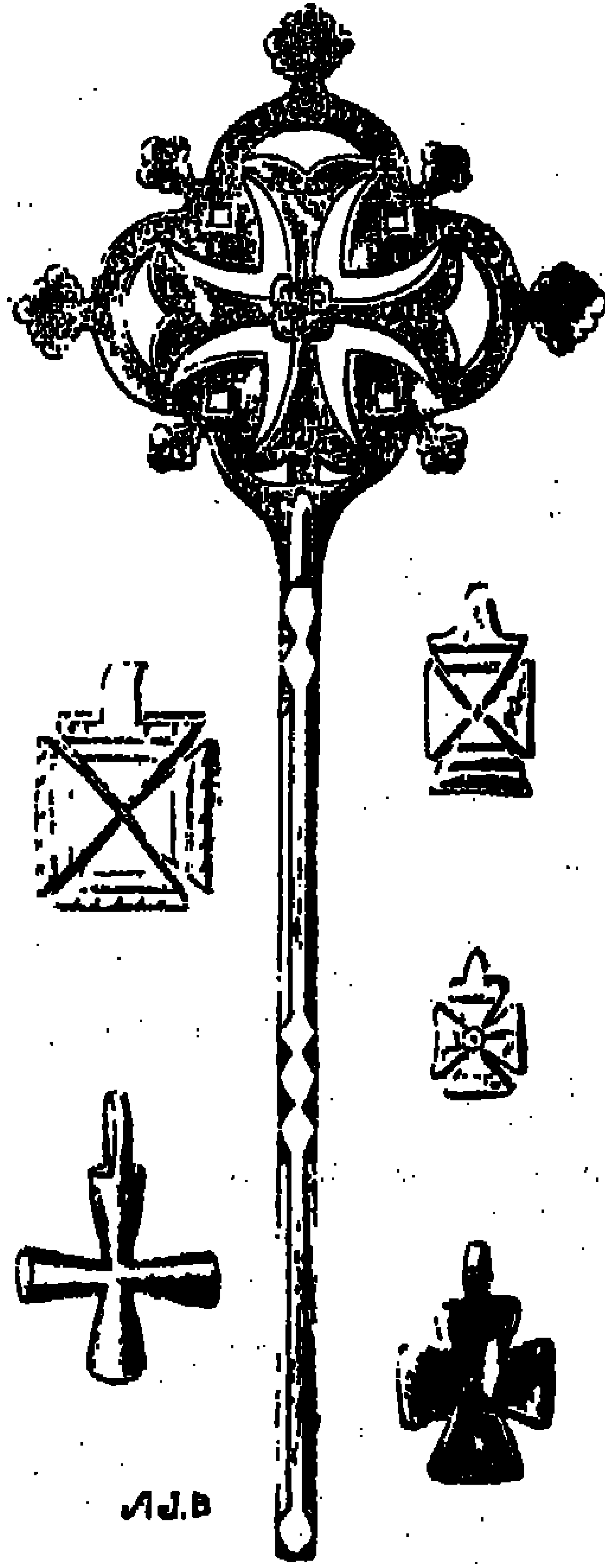
الاضافات الصغرى للاردية الكنسية

ليس من الضرورى الحديث باستفاضة عن الاضافات الأخرى التى يرتديها رجال الاكليروس الأقباط ، فالكهنة والأساقفة والبطاركة فى مذهبى كنيسة الاسكندرية (اليعقوبى والملكانى) يرتدون الصليب الذى يعلق على الصدر حتى مع ملابسهم العادية ولكنه ـ حسب العادة القديمة ـ يختفى بين طيات الرداء • وهذه الصلبان مصنوعة عادة من الفضة وبالرغم من أننى لم أشاهد أية آثار قديمة ، فلا أشك فى أن هذه الصلبان كانت تستخدم كتذكارات مع أجساد الراحلين فى مصر كما هو الحال فى سائر أنحاء العالم المسيحى • والحقيقة أن هناك ثلاثة أو أربعة صلبان من هذا النوع الذى يعلق على الصدر بصرف النظر عن حجمها الكبير ـ موجودة بين كنوز كنيسة القديس نيقولا St. Nicholas بالقاهرة ، وهى تمثل عينات جميلة من أشغال المصاغ البيزنطى ومغطاة بالجواهر • والاسم اليونانى لصليب الصدر هو انكولبيون ، ويتحدث نيكوفوروس Nikephorus بطريرك القسطنطينية فى القرن التاسع عن صليب ذهبى للصدر ، كما يسجله البطريرك سيمون Symeon بعد ذلك بحوالى خمسة قرون ـ ضمن رموز السلطان الأسقفى • ونقرأ فى الغرب عن صليب فضى كان يرتديه القديس غريغوريوس (١) وصليب آخر كان لدى سانت الفيج St. Elephege الذى من كانتربرى Canterbury بانجلترا، كما نرى أن ارتداء صليب الصدر كان اجباريا ضمن تعليمات الأسقف لاسى Lucy وكان صليب سانت ايدن Aidan ضمن المخلفات بكنيسة درهام Durham فى القرن الرابع عشر(٢) ولا شك فى أن أفراد الشعب من غير الاكليروس كانوا مثل رجال الاكليروس يرتدون صليب الصدر فى حالات كثيرة خاصة فى العصور الأولى للمسيحية حيث يقوم لدى الجميع مقام الميدالية التذكارية الدينية • كما اعتبره الذين يعتقدون فى الخرافات تعويذة أو تميمة • ويبين الرسم خمسة صلبان صغيرة ثلاثة منها على الأقل قديمة جدا • وضمن هذه الصلبان ثلاثة من البرونز ، وصليب واحد من الحجر ، والخامس

---

(١) Rock, Church of our Fathers, Vol. ii. p 176.

(٢) Warren, Lit. and Rit. of The Celtic Church, p. 115.



شكل رقم ٣١ : صليب التبريك مع صلبان صغيرة تستخدم مثل التعاويذ .

مصنوع من قرون أو عظام حيوانية • وتتميز هذه الرسوم بالبساطة والصلبان البرونزية مطلية • وربما كان أقدم نموذج يتمثل فى صليب صغير من البرونز الخالص له أربعة أطراف متساوية ومستديرة مع التقعر الى الداخل قليلا • أما الصليب البرونزى الثانى فهو من الطراز اللاتينى ولكنه مصنوع من صفيحة مستطيلة ذات زوايا مفرغة بحيث تترك أربعة أفرع قصيرة وعريضة • أما النموذجان الأخيران فهما على شكل خطوط مائلة مفرغة على السطح ومحفورة عند الزوايا ، وهذه الصلبان جميعها ذات مساقط بارزة تمثل كل منها حلقة لتعليق الصليب ، ويعود تاريخها جميعا الى القرن الثانى أو الثالث الميلادى •

أما صلبان المواكب الاحتفالية فهي موجودة في جميع الكنائس وهي ذات تصميمات مختلفة جميلة في معظمها • أما التليج (النعال) فلا يحسب ضمن الملابس الكهنوتية القبطية • وكقاعدة عامة فان كل من يدخل الهيكل يخلع نعليه عند الباب ، وينطبق ذلك على الجميع بما فيهم رجال الكهنوت• ويورد رينودو Renaudot (١) عبارة سفيروس Severus أسقف الاشمونين التي يساندها مخطوط مستقل وتتلخص في أن رجال الاكليروس السريان هم الذين كانوا يرتدون التليج • أما الكاهن النسطورى فلا يقترب من المذبح حافى القدمين ولكنه يلبس التليج (٢) بينما يلبس كهنة الأرمن (٣) حذاء خاصا •

ويستخدم الأرمن كذلك الخاتم وربما يكونون قد استعاروه عن الغرب لأنه غير معروف لدى سائر الكنائس الشرقية ، ولا يدهشنا أن القفازات الأسقفية التي لم تظهر في الغرب حتى القرن الثانى عشر ، ليست معروفة ضمن الملابس الكهنوتية الشرقية • ولكن رجال الاكليروس الأقباط يتميزون بأداة غير موجودة لدى المسيحيين الغربيين ويجدر بنا ذكرها هنا ـ وهى صليب اليد الذى يستخدمه البطريرك والأساقفة والكهنة لمنح البركة •

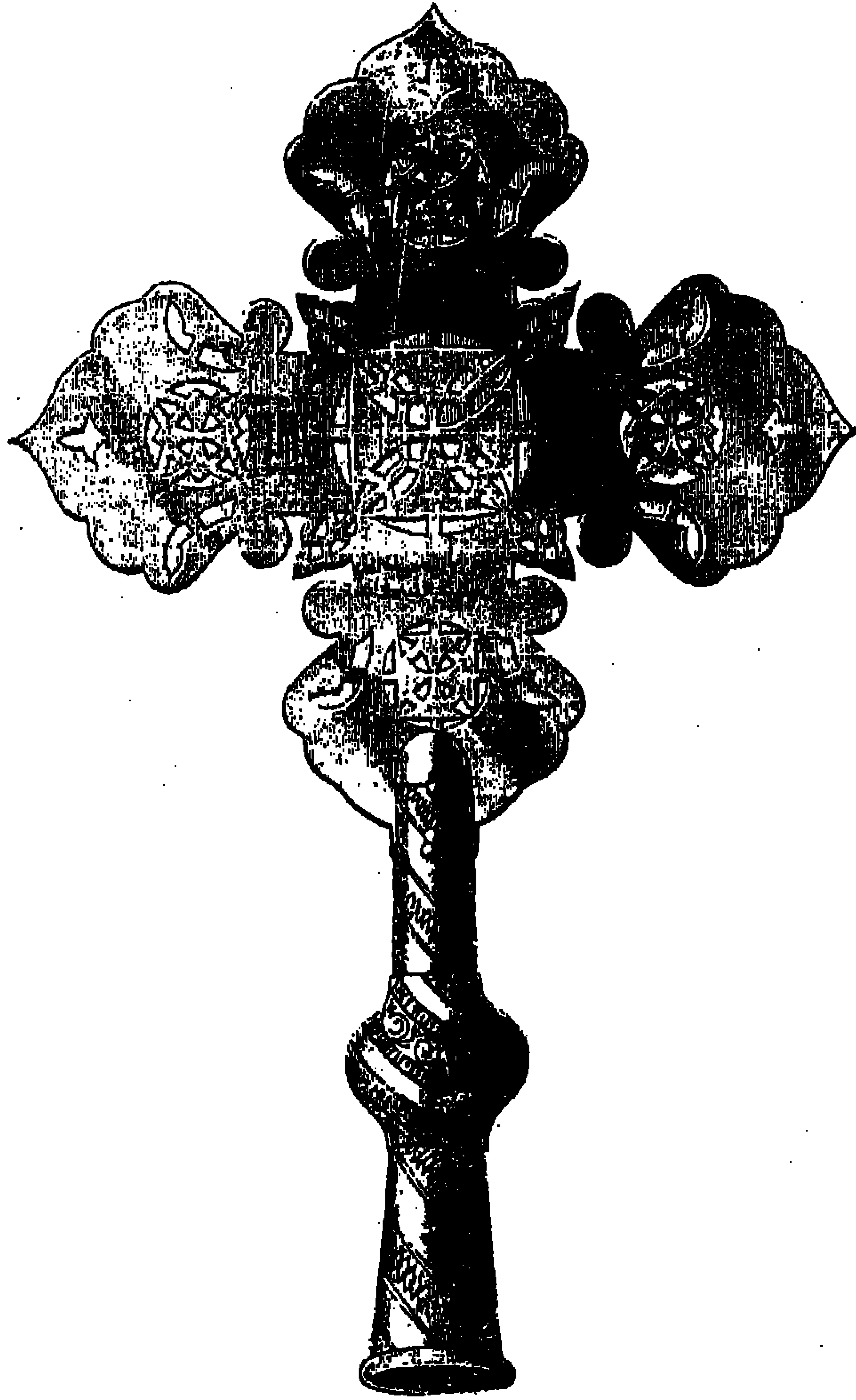
وهو يستخدم أيضا في احتفالات التعميد وغيرها من مظاهر العبادة وعندما يتم تجليس البطريرك على عرشه في الكنيسة فانه وهو غير قائم بالخدمة ، يمسك في يده اليمنى صليبا ذهبيا ، ويمسك العكاز بيسراه • ويلاحظ أن الصليب الصغير المرسوم على ختم البطريرك يتصل به مفتاحان كرمز لرفعة المنصب • أما صليب البركة العادى فهو مصنوع من الفضة وأحيانا من المعدن أو البرونز ، ومحفور عليه في العادة عبارة اهداء ، وهو بالشكل المبين في الرسم على وجه التقريب • ويستخدم البطريرك الملكانى كذلك صليبا ذهبيا أو مطعما بالفضة لمنح البركة •

وأخيرا فلابد من ذكر epigonation ابيجوناسيون ، ربما لانكار وجودها ضمن الأردية القبطية • وتوجد غالبا مرسومة في الرسوم القبطية المتأخرة • وكل من يدخل الى الكاتدرائية بالقاهرة ويجد أن صور جميع رجال الاكليروس المرسومة على ألواح حامل الأيقونات يلبسون epigonation

(١) Lit. Or., vol. ii. p. 54.

(٢) Christians under the Cresent, p. 220.

(٣) Fortescue, Armenian Church., p. 134.



شكل رقم ٣٢ : راس صليب المواكب الاحتفالية المصنوع من الفضة

ابيجوناسيون ـ سوف يحسبها ضمن الملابس الكهنوتية القبطية ٠ ولكنه عندما لا يجدها فيما بعد مرسومة فى الصور الحديثة مثل تلك الموجودة بالكاتدرائية وانما فقط فى الصور الأخرى التى يرجع عمرها الى مائة عام مضت ، وهى ليست موجودة بالقاهرة فقط بل فى قرى الدلتا البعيدة مثل قرية تريس Tris ، بل أيضا فى دير القديس مقاريوس فى الصحراء ـ سيتأكد له صحة استنتاجه ٠ الا أننى أجازف بالقول بخطأ ذلك تماما ،

فقد سألت الكهنة والمسيحيين من غير الاكليروس فى الصحراء وفى الدلتا عن هذا الأمر فلم أجد قبطيا واحدا يعرف حتى مجرد اسم epigonation ايبجوناسيون بأية لغة ، فما بالك بمعرفة معناها • وعندما أشرت اليها كان الموجودون ينظرون اليها باستغراب ، ولم يستطع أحد أن يقدم تفسيرا لوجودها واتفق الجميع على انكار وضعها ضمن الملابس الكهنوتية •

وكذلك فان المدونات لم تورد شيئا عن هذا الموضوع ، كما أنه لا توجد ذرة من دليل مكتوب يبين أن القبط قد عرفوها يوما ما • أما الصورة التى سبق أن قلت انها متأخرة جدا — فقد رسمت فى فترة كان فيها الأقباط معتمدين كلية على اليونانيين لرسم صورهم المقدسة • ونظرة سريعة الى حامل الأيقونات بالكاتدرائية ستبين أنه مثله كمثل بقية المبنى — من عمل فنانين يونانيين وليسوا أقباطا • **والأقباط اليوم مثل الأقباط منذ مائة عام مضت ، لم يهتموا برسم صورهم الفنية كما أنهم قد جهلوا تماما أو تكاسلوا تماما عن مراجعة الفنانين الذين استأجروهم • وقد اتبع الفنانون اليونانيون بالطبع التقليد اليونانى وأغرقوا الكنائس القبطية بالصور التى رسمت فيها الملابس اليونانية وعلى ذلك نجد أن جميع الصور القديمة فى مبانى العبادة القبطية ليست ذات قيمة كدليل على الطقس القبطى (*) •**

وعلاوة على ذلك فمن السهل أن نفهم كيف كانت هذه القطعة من الملابس شائعة لدى اليونانيين فى مصر • فلم يضطروا للذهاب الى القسطنطينية لاكتشافها ولكنهم رأوها ومازالوا باستمرار فى كنائسهم الملكانية المصرية ، وبالطبع فان epigonation ايبيجوناسيون فى شكلها الذى يشبه المعين يعود تاريخها الى العصور الوسطى فقط ولذلك فهى شىء لم يسمع عنه أحد حتى لو كان اليعاقبة قد استعاروها من الملكانيين بعد الانفصال بفترة طويلة • وقد رأينا أن كلا المذهبين قد تمسك بهذا الرداء بنفس أسلوب استعماله الذى كان شائعا عند الانفصال ، ولكن أيا منهما لم يستعر شيئا من الآخر • وكان من الطبيعى أن يقع الملكانيون تحت تأثير القسطنطينية بينما لم يتخل الأقباط عن استقلالهم الصلب • وعلى ذلك تسلم الملكانيون epigonation ابيجوناسيون بينما رفضها الأقباط باصرار • وحتى مع تجاهل هذه الحقب الأخيرة يبدو أنهم ظلوا ينكرونها لأنه

(*) تستلىء الكنائس القبطية اليوم فى مصر وبلاد المهجر بالصور القبطية التى رسمت حسب الطقس القبطى مع الالتزام بتقاليد الفن القبطى القديم وذلك بفضل جهود الدكتور ايزاك فانوس ومن قبله أستاذه الاستاذ الكبير حبيب جورجى وتلاميذهما ومن سار على نهجهم • (المترجم) •

بالرغم من أن جميع الصور تحمل الدليل فى صالحها ، الا أن عادة الكنيسة القبطية وقوانينها تبرأت منها ٠

ويمكن مشاهدة بعض قطع هذا الرداء الجميل الخاص بالكنيسة الملكانية فى خزانة كنيسة القديس نيقولاوس Nicolas بالقاهرة ، ولما كانت أجمل من أى شيء من نوعها جرى وصفه بالانجليزية ، فاننى أستسمح القارىء فى تقديم بعض تفاصيلها وأفضلها يعود عمره الى ما بين مائتين وثلاثمة سنة وجميعها على شكل المعين وأحدها له أرضية من القطيفة القرمزية ومطرز بخيوط الذهب ٠ وتدور حافة مطرزة حول أطرافه ٠ وفى وسط المعين دائرة توصف بأنها تفصل ما بين الأركان الأربعة التى شغلت برموز الانجيليين الأربعة ٠ أما الدائرة نفسها أو المنطقة الدائرية التى يبلغ عرضها حوالى بوصتين فان عليها أربع عشرة ميدالية تتضمن أعلاها الثالوث بينما تتضمن أسفلها صورة أحد الأنبياء ، بينما تتضمن كل واحدة من الميداليات الباقية صورة أحد الحواريين ٠ وفى داخل هذه الدائرة رسمت صورة القيامة على أنها هى الصورة الرئيسية ٠ وكل ميدالية محددة بحبات اللؤلؤ الدقيقة ٠ وهناك نموذج آخر يعود تاريخه الى سنة ١٦٧٣ للميلاد وهو مثل النموذج السابق ، به دائرة داخل المعين ٠ وقد امتلأت الأطراف بزخارف من درج الكتابة ، ورصعت حدود الدائرة بحبات اللؤلؤ الكبيرة ٠ ويوجد فى وسط الدائرة تصميم عظيم للمجوس يحملون هداياهم للطفل يسوع وقد طرزت جميعها بخيوط الذهب فى فخامة عظيمة ٠ ورسمت الملائكة فى أعلاها برؤوس منحنية قصيرة الأبعاد فى المنظور ٠ والرسم كله صادق التعبير ورشيق ، وكافة الأشكال المرسومة جميلة ، والنسيج طبيعى وفياض ، وزاوية التصوير تثير الاعجاب ٠ أما الانطباع العام فيقدم صورة ناعمة ولكنها فاخرة ٠ انها واحدة من أجمل الصور المصاغة بأشغال الابرة فى كافة الأقطار (١) ٠

ويحمل المسيحيون من غير الاكليروس مثلهم مثل الراهبات ورجال الاكليروس ـ المسبحة ـ التى تتكون من ٤١ حبة وأحيانا ٨١ حبة ، والأقباط لا يهتمون بعدد الحبات مثل اهتمام مواطنيهم المسلمين ، لأن المسبحة لدى المسلمين تتكون من ٩٩ حبة مقسمة بعلامات التقسيم الى ثلاث مجموعات تتكون كل منها من ثلاث وثلاثين حبة ٠ وتصحب كل

---

(١) يقدم لنا نيل رسما لهذا الرداء epigonation فى كتابه : Gen. Introd, p. 311 ـ وقد رسمها أيضا جور فى كتابه : Euchol., pp. 114 & 115, ولا تنقل أى من الصورتين الفكرة الصحيحة عن فخامة هذا الرداء لأن كافة الأوصاف تعجز عن ذلك ٠

مجموعة من المجموعات الثلاث عبارة « الحمد لله » أو ما يشبه ذلك من الدعاء • بينما العبارة القبطية هى : كيريى ليسون تتردد ٤١ مرة كما هو الحال أثناء خدمة القداس أما مسبحة الكاهن فهى مميزة بصليب صغير مربوط فيها • ولكن المسيحيين من غير الاكليروس يغتصبون هذا الرمز أحيـانا •

أما فى الغرب فان المسبحة لا يعود تاريخهـا الى ما قبل العصور الوسطى • بينما فى مصر خاصة والشرق عامة يعود تاريخها الى أقـــدم العصـــور • ويذكر بلاديوس Palladius أن ناسكا كان يحمل معه حصوات يلقى بحصاة منها جانبا بعد كل صلاة ، وكذلك يرسم القديس أنطونيوس أحيانا فى الصور القبطية مرتديا مسبحة فى منطقته • وهناك سبب وجيه يدعونا للافتراض بأن المسبحة كانت تستخدم فى الشرق قبل العصر المسيحى •

الفصــل الســادس

الكتب واللغة والأدب عنــد الأقباط

الـــكتب

تم انقاذ القليل من الكنوز الأدبية التى لا تقدر بثمن والتى كانت تخص كنائس مصر ، بينما دمر الكثير ، ومن المحتمل أن بعض هذه الكنوز قد بقى لاثراء البحث العلمى ٠ ولابد أن كل دير وربما كل كنيسة كان بها مكتبة خاصة من المخطوطات ٠ وحتى اليوم لا يوجد بين الكتب المطبوعة ما يبارى هذه المخطوطات فى خدمة العبادة ٠

ولسنا فى حاجة لاعادة التنويه عن المخطوطات الثمينة التى اكتشفها كيرزون Curzon باديرة وادى النطرون لأنها معروفة جيدا (١) ويذكر نفس الكاتب كتبــا أقل قيمة فى كنيسة دير البكرة Pulley المحفورة فى الصخر بمصر العليا ـ بما فيها كتاب به زخارف ملونة سخر منه كيرزون ونحن نعذره لأنه الكتاب الوحيد من هذا النوع الذى رآه طوال حياته (٢) ٠ ويذكر أيضا الكتب التى وجدت بمدينة هابو Madinat Habu (٣) وبالدير الأبيض قريبا من سوهاج (٤) ٠ وفى هذا الدير الأخير تحدث الكاهن عما يزيد عن مائة مخطوط مكتوب على الرق ، دمرت جميعها سنة ١٨١٢ ، عندما نهب المماليك المكان ٠ وكذلك فان ديرى القديسين الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا اللذين يقعان بين الجبال فى أقصى الصحراء الشرقية كان بهما يوما ما مكتبتان غنيتان بالكنوز القديمة لا يقل تدميرهما أهمية عن التدمير الأقدم زمنيا والذى جرى لمكتبة الاسكندرية العظمى على يد عمرو

(١) Monasteries of the Levant, pp. 97-110.

(٢) Id., p. 116.

(٣) Id., p. 123.

(٤) Id., p. 132.

ابن العاص(*) وقد مرت أربعمائة عام فقط منذ قام العبيد الذين استخدمهم بعض رهبان هذين الديرين بثورتهم فى احدى الليالى ضد سادتهم وذبحوهم. وبعد فترة قصيرة تعبوا من قسوة الحياة فى هذا المكان البعيد عن العالم فهجـروه .

وقد بقيت المبانى مهجورة لمدة ثمانين عاما ، لم يزرها خلالها سوى البدو الرحل الذين نهبوا كل ما يستحق النهب فى الكنائس وأحرقوا كل ما يمكن أن يحرق . وبسبب جهلهم المطبق جعلوا الكتب ضمن التصنيف الأخير ، ودمروا كل ما يقبل التدمير . ولكن بمرور الزمن عاد رهبان آخرون الى الخرائب فأصلحوا الكنائس وأعادوا بناء الحوائط . ومنذئذ اجتاز الديران ثلاثة قرون هادئة لم تتوقف خلالها الأصـوات اليومية للتسابيح والصنوج . ولم تختلف حياة النزلاء الا عندما كان يبحث بعض الرحالة غير العاديين عن مأوى لقضاء الليل ، أو يندفع فرسان بعض القبائل المتوحشة فى يأس ضد الأسوار الحصينة . ومازالت هناك بعض الكتب فى برج دير القديس أنطونيوس وبالرغم من أن تاريخها لا يعود الى أبعد من اعادة التعمير ، الا أنها تستحق الفحص بعناية أكثر مما لقيت من قبل ، لأن الرهبان عند عودتهم لابد أنهم أحضروا معهم بعض الكتب القديمة . ويقال أيضا ان دير الأنبا بولا الذى يقع على مسيرة يومين من دير الأنبا أنطونيوس ـ لا يتضمن مخطوطا قديما واحدا حيث هلكت جميع المخطوطات خلال ثورة العبيد أو خلال فترة هجر الدير ، وأن انتشار هذا الخبر منع السياح من القيام برحلة الزيارة المحفوفة بالضجر والخطر . وهناك من الأسباب ما يدعونا للشك فى صحة هذه الاشاعة .

والقليل من المخطوطات الباقية مكتوب على الرق ، أو يعود تاريخه الى ما قبل القرن السادس عشر . أما المخطوطات الورقية فقد صنعت من ورق القطن أو الورق المقوى الذى يطلق عليه الاسم : Carta Bombycina كارتا بومبيسينا وهو يشبه نوعا فاخرا من الرق وان كان قديما جدا . ويوجد بمتحف كوليجيو رومانو Collegio Romano ـ فى روما مخطوط مكتوب على هذا الورق يعود تاريخه الى القرن السادس (١) . ويتحدث (كيرزون) Curzon عن مخطوط قبطى فى حوزته مصنوع من نفس المادة

(★) ليس هنا مجال الدخول فى تفصيل الدراسات العديدة التى برات العرب من هذه التهمة الملفقة والتى مازال العديد من الكتاب الغربيين يلصقونها بالفتح الاسلامى لتشويه صورة العرب واظهارهم بمظهر البرابرة اعداء العلم والثقافة (المترجم) .

(١) الأديرة الشرقية . Curzon, Monasteries of the Levant, p. 123.

ويعود تاريخه الى سنة ١٠١٨ للميلاد ٠ والحقيقة أن كتابة المخطوط على الورق بدلا من الرق تجعله أكثر حداثة الا أن معظم الكتابات القديمة مكتوبة على الرق ٠

وجميع المخطوطات مكتوبة بالقلم البسط الذى يستعمله العرب اليوم والذى كان مستخدما فى مصر منذ ظهور الكتابة ٠ أما الحروف فهى كبيرة متجاورة حيث لا توجد حروف متشابكة فى اللغة القبطية ٠ ويستخدم فى كتابتها الحبر الأسود أو الأحمر حيث يستعمل الأحمر لكتابة العناوين ٠ وتضمنت معظم كتب الخولاجى والقطماروس الحروف الكبيرة المزخرفة مع رسم صليب كبير موشى فى بداية كل كتاب ، بينما تضمن بعضها قدرا معقولا من الزخارف الأخـرى ٠ ويقدم لنا البروفسـير وسـتوود Westwood (١) والسـيدان سـلفتر Silvester وشـامبليون Champollion (٢) صـورا طبـق الأصـل من المخطوطات القبطيـة الموشاة ومعها تعليقات تستحق الاطلاع ٠ وربما نقول لأول وهلة ان هذه الزخرفة بدائية فى التنفيذ بالرغم من جمال تصميماتها وبالتالى فهى لا تقارن بالمنمنمات الدقيقة فى الغرب ، ولكنها تستحق اهتماما أكثر مما حظيت به نظرا لغرابتها وأصالتها ٠ وربما تقدم لنا القصة التالية عن أحد المخطوطات الذى يعود تاريخه الى القرن الرابع عشر والذى أحضره مؤلف هذا الكتاب من مصر وهو الآن بمكتبة بودليان Bodleian ـ فكرة عن رسوم المنمنمات القبطية بوجه عام بالرغم من أن المخطوط ـ لسوء الحظ ـ ليس فى حالة جيدة ، وأن الزخارف فى العديد من الأماكن قد لطخت وأتلفت بسبب مجلد الكتب الانجليزى الذى استخدم المعجون لتثبيت ورق نسيج التغليف فوقها لتقوية الصفحات ، وهو يختلف عن المخطوطات الأقدم من حيث انه لا يحتوى على رسم واحد يمثل أشخاصا من البشر وهذا مما يجعلنا نميل الى القول بوقوعها تحت التأثير الاسلامى أكثر من القول بانعدام المهارة فى هذا الفرع من الفن الذى تجرى ممارسته دائما من خلال رسم الصور والأيقونات الضرورية للكنائس ٠ ونجد رسوم الطيور فى المجموعات غير العادية من الرسوم الشاذة ٠ وأحيانا نجد رسما لكائن له رأس أحمر ضخم وجسم بدون أجنحة يشبه المومياء ، مرسوما بطول الصفحة ، وله ساقان رفيعتان أو بدون سيقان وقد قسم جسمه بخطوط رأسية مع تغطيته بزخارف سوداء وصفراء على شكل لفائف درج الكتابة ٠ ويحمل هذا الكائن فى فمه شيئا قد يكون ثمرة فاكهة أو جوهرة ٠ ومرة أخرى نجد له شكلا

---

(١) Palaeographia Sacra Pictoria.

(٢) Universal Palaeographia.

حلزونيا مثل جسم الأفعى ، يلتف حول هامش الصفحة فيما يشبه العديد من الأعشاش الملتفة التى تشتمل على أفراخ صغيرة • بينما نجد طيورا صغيرة أخرى غريبة الشكل تنقر أجزاء مختلفة من جسم أمها • أما الأفراخ التى فى الأعشاش فقد رسمت بطريقة شاذة جعلتها تظهر كما لو كانت بقايا فرائس فى عش العنكبوت ــ مجرد كومة من الأرجل والأجنحة المتناثرة • وبعض هذه الطيور تنقر صدورها ، وربما كان المقصود بها طيور البجع وأنها تمثل شعار المسيحية ، ولكننا نشاهد خلطا ما بين الأفعى والطائر ــ مما يشكل تناقضا فى الرمز • أما صغار الطيور ذات الرؤوس المطرقة الى أسفل فربما كان المقصود بها طيور اليمام وان كانت أكثر شبها بطيور البط • وهناك طيور أخرى تظهر على وشك السقوط أو تقف على رؤوسها، والقليل منها يظهر فى حالة الطيران • ونجد فى هذا المجلد شجرة نسب السيد المسيح على شكل عمود عريض أسفل الجانب الأيسر من الصفحة وقد كتب كل اسم ما بين رأس طائر من ناحية وزهرة ذهبية من الناحية الأخرى • وقد استخدم ماء الذهب فى هذه الزخارف مع الألوان الرئيسية الأخرى وهى الأحمر والأصفر الفاقع والأخضر الزيتونى والأسود • أما الأزرق الفاتح والداكن فهما نادرا الاستخدام •

ولا نجد رسوم حيوانات أخرى فى هذا المجلد ، وليست هناك علامة على وجود رسوم للأزهار فيما عدا تصميما أسود لنوع من زهور التيوليب tulip ــ وعنقودا أو اثنين من البراعم أو حبات العنب أو غير ذلك من ثمار الفواكه التى تنقرها الطيور • وبينما تنتشر الطيور غير المحصورة داخل الهوامش ــ بطريقة عشوائية ، أعلى وأسفل الصفحات ، فان الجزء الأكبر من الزخرفة القبطية يظهر تقليديا ونمطيا • وربما تنقسم هذه التصميمات التقليدية الى نوعين ــ النوع الأول هو التصميمات الهندسية التى تتكون من شرائط ضيقة تتشابك فى تشكيلة لا نهائية • والنوع الثانى هو التصميمات النباتية التى تشكل أشكالا من زهرة الأكانثوس acanthus وقد استخدمت الرسوم المتشابكة لزخرفة الحواف فى بداية كل صلاة أو دعاء • كما استخدمت الصلبان الكبيرة فى نهاية كل منها • أما الحواف فهى مكونة من مربعات أو مستطيلات متداخلة حول الصفحة (١) ، أو من شرائط متوازية بها عقد مجدولة على مسافات متساوية (٢) أو صلبان صغيرة فى أشرطة مجدولة (٣) • أما الصلبان الكبيرة التى تملأ الصفحة فهى من الطراز اليونانى أكثر من الطراز

---

(١) Bodleian Ms., p. 29.

(٢) Id., p. 42.

(٣) Id., p. 107.

اللاتينى (١) • وهناك نموذج واحد لصليب مرسوم داخل مربع (٢) • ويوجد أحسن نموذج لزخارف زهرة الاكانثوس acanthus عند بداية سلسلة نسب السيد المسيح ، أما فى الجانب الأيمن فتوجد دوائر فى داخلها مجموعات من الشرائط المتشابكة • والزخرفة التي استخدمت فيها الشرائط على الجانب الأيمن ذات أرضية زرقاء بتصميمات ذهبية • أما الفراغ المستطيل الشكل فى أعلى الصفحة فانه محاط بمجموعة من تصميمات زهرة الاكانثوس acanthus باللونين الأزرق والذهبى • أما الأرضية فانها تنقسم الى جزءين أحدهما أحمر اللون والآخر أزرق ، وقد زخرفت برسوم ذهبية تمثل أوراق الشجر • وهذه الزخارف الرائعة لا تقل فى دقتها وفخامتها عما هو موجود فى أفضل نسخ القرآن التى نراها بالمكتبة العامة فى القاهرة • وقد كانت زهرة الاكانثوس acanthus دائما هى الموضوع المفضل لدى الفنانين الشرقيين، ونراها بكميات وفيرة فى أشغال الجص وأشغال الحفر على الخشب والرخام فى المساجد القديمة ، وفى أشغال العاج القديمة الفاخرة بالكنائس القبطية ، وفى الصوانى والقناديل والمحابر التى ترى عمال القاهرة الذين يشتغلون بأعمال النحاس ـ يحفرونها فى (خان الخليلى) وهى معروفة جيدا فى رسوم المنمنمات بالغرب ، وعلى ذلك فهى موجودة منذ القدم فى نسخ الانجيل اللاتينية بكلية الثالوث Trinity College فى كمبردج Cambridge والتى يعود تاريخها الى القرن العاشر الميلادى (٣) وقد وجدت بكثرة بشكل أكثر تقليدية خلال القرن الحادى عشر على سبيل المثال فى كتاب مزامير أروندل Arundel Psalter (٤) ومن المثير أن نتابع فى أساليب زخرفة كتبهم ، صلة أوثق بين كنائس مصر وأيرلندا فسرعان ما يواجه الانسان حجر عثرة يتمثل فى حقيقة أن زهور الأكانثوس الشائعة فى التصميمات المصرية غير موجودة فى الزخرفة الايرلندية (٥) • ومرة أخرى نقول ان الخطوط الحلزونية الرفيعة فى اللفات المعقدة ، والمربعات المملوءة بالخطوط المتقاطعة فيما يشبه النماذج الصينية ، والخطوط المحدودة بالنقط الحمراء ، تمثل ثلاثة من الخصائص

---

(١) E. G. id., p. 145.

(٢) Id., p. 41.

(٣) We twood, Facsimiles of Anglo-Saxon and Irish Onaments, Pl. 42

(٤) Id. ib.

(٥) Westwood, Palaeographia Sacra Pictoria, Chapter on Book of Kells, p. 2.

المميزة للزخرفة الأيرلندية ولكنها غير مشتركة مع الزخارف القبطية ٠
وكذلك فان تصميمات الطير البرى التى وصنفاها عاليه ، لا تعتبر مشابهة للمجموعة العظيمة المرسومة فى المخطوطات الأيرلندية ٠ أما بخصوص الحيوانات والطيور البرية ذات الأجسام البشعة (١) والأعناق والسيقان والذيول والألسن المسحوبة في شكل شرائط متشابكة ، فانه يتبقى لنا من خلال هذا الأسلوب المرهق ، خاصية واحدة مميزة شـائعة لدى كلا المدرستين وهى بالتحديد التعلق بالحواف المصممة فى أعمال الضفائر البارعة والمعقدة التركيب ، بالرغم من أنه حتى فى هذه الحالة لابد من مراعاة أن الأيرلنديين أكثر من الأقباط شغفا بالزوايا الدائرية ٠ وربما كان كتاب المزامير الخاص بالقديس يوحنا فى كامبردج والذى يعود تاريخه الى القرن التاسع هو المخطوط الغربى الوحيد ذو الزخارف التى تقترب من الطراز القبطى (٢) ٠ وعموما فان التشابه بين الفن المصرى والفن الغربى أقل من أن يوحى بمثل هذه الفكرة ٠

وعلى كل حال فالموضوع يتغير الى حد ما ، اذا تجاوزنا داخلية كتب الخدمة هذه الى خارجها يتضح لنا التشابه بين العلب المعدنية التى تحفظ البشائر القبطية داخلها وبين العلب الأيرلندية Cumhdachs ، وعلاوة على ذلك فان الأسلوب الأيرلندى فى حفظ الخولاجي وغيره من الكتب داخل حقائب من الجلد يطلق عليها اسم Polaires (٣) يتوازى مع العادة الحبشية ان لم تكن القبطية كما وصفها وصورها كيرزون Curzon فى قصـة زيارته الى أديرة وادى النطرون ، وفى وقتنـا الحالى نجـد أن المخطوطات القبطية عامة تصنع من جلود صغار العجول الحمراء مع استخدام الرسوم التى على شكل أوراق الشجر المتشابكة فى ختم الغلاف والأطراف التى تحمى الحواف الأمامية ٠ وفى حالة عدم وجود الأطراف يغلف الكتاب بسيور جلدية تربط فى مكان المشابك وتؤدى نفس الغرض ٠ وكتب الخدمة هذه تخص الكنائس فقط ، واذا حصل عليها عامة الناس لاستخدامها فى منازلهم يستثنى منها كتب الصلوات والخولاجيات التى لا يستخدمها عامة الناس الا لمتابعة الكلمات عند خروجها من بين شفتى الكاهن بتوقير وفهم مع المرور على النص بعيونهم ٠

---

(١) Id. Ib.

(٢) Westwood Fascimiles, Pl. 30.

(٣) Warren, Lit. and Rit. of Celtic Chucr.

اللغــة القبطيـــة

لا يستطيع الأقباط أن يفاخروا بالشعراء العظام ، أو المؤرخين أو الفلاسفة أو رجال العلم الذين كتبوا بالقبطية فالأدب الوحيد لديهم ذو طابع دينى · وينبغى ألا نعتبر عدم امتلاكهم لسحر الكلام أو كنوز المعرفة سببا لمعاملة لغتهم بعدم اكتراث عجيب لا تستحقه لأنها لغة لا تباريها لغة أخرى فى عراقتها وبنائها غير العادى وتاريخها الغريب · ان السجلات التى تعود الى خمسة آلاف عام مضت ، المنحوتة على آثار مصر ، ما زالت واضحة بالرغم من بقائها ملفوفة بالصمت الدائم · ومازالت الكلمات التى نطق بها عظماء أثينا تدوى بالرغم من أنها لم تعد تكتب بنفس طريقة الكتابة القديمة ، الا أن هذين الاثنين وهما الكلام المصرى القديم الفاقد النطق ، والكتابة الاغريقية القديمة الفاقدة الحروف ــ متحدان ومحفوظان فى اللغة الحالية · ولا يستطيع الخيال اللغوى أن يمضى الى أبعد من ربط حديث الفرعون وكتابة هوميروس فى كتاب الصلوات الذى يستخدمه المسيحى المصرى · ويجرى الآن انقاذ دراسة اللغة القبطية من براثن الاهمال الذى عانت منه طويلا بسبب التركيز على دراسة اللغة الهيروغليفية التى تعود الى نفس الأصل اللغوى ، كما أن علماء اللغات قد أحسوا بالخجل واضطروا الى الخروج عن تقاعسهم بسبب حماس المؤرخين وعلماء الآثار

وبالطبع فان موضوعا له مثل هذه الطبيعة ، يحتاج فى حد ذاته الى دراسة كبيرة ، وهى دراسة لم تنضج أدواتها بعد ، وعلاوة على ذلك فانها تخرج عن نطاق هذا الكتاب · أما ملاحظتنا هذه فهى موجزة بقدر ما تسمح حالة الأدوات المتاحة والنطاق الذى يحتاجه هدف المؤلف ·

ولا شك أن اللغة القبطية اليوم هى نفس اللغة التى تحدث بها بناة الأهرامات ، ومازالت تحتفظ بكلمات عديدة لم تتغير عما كانت عليه أثناء تلك الحقبة · أما المفردات فهى ليست آرية صرفة ولا سامية صرفة ، وانما هى خليط من الاثنتين · وبنفس الطريقة نقول ان البناء النحوى للغة القبطية نصف سام ونصف نسيب للغات الافريقية ومن المحتمل أن يكون الأقباط فى العصور الأولى للمسيحية قد ثبتوا لغتهم بهذا الشكل الموجود حتى اليوم بالرغم من أن المسيحية نفسها لم تصبح بالتحديد عقيدة غالبة حتى القرن السادس الميلادى ، ذلك أنه حتى ذلك التاريخ ، استمر وجود عقيدة أوزوريس خاصة فى المناطق الريفية البعيدة حيث لم يسمع أحد عن بشارة الانجيل فيما عدا أصداء خافتة · ثم بدأ الأساقفة يقبضون على ناصية السلطة المــدنية ، كمــا انتزعوا مهمة توزيع القمح على الأهالى

من بين براثن الولاة كعنصر آخر من عناصر السلطة(١) وفى هذه الفترة بدأ ظهور الكتابة القبطية حسب ما أورده السيدان سلفستر Silvestre وشامبليون Champollion ولكنه من الصعب فهم الأسباب التى ينسبان اليها بداية استخدام الحروف القبطية فى مثل تلك الفترة المتأخرة • لقد كانت أديرة الصحراء فى القرنين الثالث والرابع مكتظة بالرهبان الذين كان معظمهم لا يتحدث سوى لغته الوطنية وهى القبطية ، ولذلك فان القديس أنطونيوس الذى لم يكن يعرف اليونانية هو أول من أرسى أصول التفكير فى الحياة الديرية بالاستماع الى قراءة الانجيل باللغة القبطية • ويتحدث بلاديوس Palladius عن القداسات والاحتفالات المنتظمة التى حضرها (٢) والتى تعنى ضمنيا اقرار الأشكال التى كتبت بها اللغة القومية • وعلاوة على ذلك فاننا نعرف أن المزامير قد ترجمت الى اللغة القبطية حوالى سنة ٣٠٠ للميلاد بمعرفة القديس باخوميوس وبالرغم من أن هذا التاريخ قد يكون هو أقدم تاريخ مؤكد فانه من الصعوبة بمكان تصور أن الحاجة لوضع صيغ مقدسة للكتابة لم تعلن عن نفسها خلال فترة سابقة على هذا التاريخ دون أن تلقى المقاومة • ومن المحتمل طبعا أن تكون أقدم أشكال الصلاة باللغة القبطية العامية قد كتبت ليس بالحروف اليونانية بل الحروف الديموطيقية ولكننا لا نجد دليلا كافيا لاثبات هذه الحقيقة المثيرة للاهتمام بالرغم من وجود ما يبرر الظن بأن الكتابة الديموطيقية ظلت مستخدمة بين الأقباط بطريقة أو بأخرى على مدى ألف عام من العصر المسيحى • ويبدو لنا أنه لا توجد نقطة متفق عليها لاثبات الصلة بين الكتابتين القبطية والهيروغليفية ، فقد ظلت معرفة الكتابة الهيروغليفية قبل الفتح الفارسى بفترة طويلة ـ مقصورة على رجال الدين ، ربما الى ما قبل القرن الرابع عشر قبل الميلاد حيث لم يستطع نساخ المخطوطات الذين زاروا قرية بنى حسن أن يفهموا النقوش التى تخص الأسرة الحادية والعشرين والتى عثروا عليها مصادفة ضمن ما وجدوه من نسخ كتاب الموتى •

ولذلك لا نستغرب أن الهيروغليفية لم تكن مهجورة تماما على أيام القديس اكليمنض الاسكندرى وأنها ظلت معروفة بعده لمدة تزيد عن قرن • ولكن طابعها الوثنى أخرجها من نطاق المعرفة لدى المسيحيين • وهناك قصة معاصرة تقول انه فى وقت غزو كسرى لمصر حوالى عام ٦٠٠

---

(١) Monasteries of the Levant, pp. 105-1

(٢) Rosweyde, Vitae Patrum, lib. viii. p. 712.

للميلاد كان أحد الرهبان وهو الذى احتمى فى أحد القبور ، قادرا على قراءة النقوش المدونة على الحوائط ، ولكن من المحتمل أن تكون تلك الكتابة قد كتبت بالديموطيقية (*) وليست الهيروغليفية ويحتوى الدير الأبيض بمصر العليا والذى شيدته الامبراطورة هيلانة وجعلت شكله الخارجى حسب طراز العمارة المصرية القديمة ـ على العديد من الأحجار التى تتضمن نقوشا هيروغليفية فى وضع مقلوب بما يفيد أن البنائين لم يكونوا على دراية بهذه اللغة • ويذكر فانسليب نقشا على حجر المذبح بكنيسة صغيرة مكرسة على اسم رئيس الملائكة الجليل ميخائيل فى دير القديس متى بالقرب من اسنا • ولم تكن حروف هذا النقش هيروغليفية ولكنها تمثل لغة لا نعرف عنها شيئا (١) وأشعر ببعض الشك فى كتابة هذا النص بالديموطيقية ، بالرغم من عدم وجود دليل يحدد التاريخ ـ واذا صح هذا الاحتمال فان هذه الحقيقة تثير العجب لأنها تدل على استمرار الأسلوب الديموطيقى فى كتابة الطقس المسيحى •

أما بخصوص تضارب وتفاعل اللغة القبطية مع اللغتين اليونانية والعربية فلدينا الدليل على ذلك ـ **وهو يبرهن على أن اليونانيين لم يكن لهم تاثير قوى على المصريين الأصلاء يماثل التاثير العربى** • وعلى سبيل المثال يذكر أوريجانوس أنه عندما كان اليونانى يريد أن يعلم المصريين كان يضطر الى دراسة لغتهم أولا والا فان مجهوده يضيع سدى (٢) • وقد جمع الامبراطور سفيروس Severus عددا ضخما من الكتب الخاصة بالسحر وأغلق عليها فى قبر الاسكندر • أما دقلديانوس الذى أغضبته ثورة الجماهير والذى خشى أن يصير الناس أغنياء مرة أخرى فقد جمع بعناية جميع كتب الكيمياء (خاصة ما يتعلق منها بتحويل بعض المعادن الى ذهب التى كتبها المصريون القدماء وأحرقها فى ميدان عام • وبالطبع فان هذه الكتب كانت مكتوبة بالخط الديموطيقى (الشعبى) • وفى العصور الأولى للمسيحية كان القليل من المواطنين المتعلمين يتحدثون باليونانية • وعلى

(*) الديموطيقية خط وليست لغة منفصلة عن اللغة المصرية القديمة ، مثلها مثل خط الرقعة بالنسبة الى النسخ والثلث فى اللغة العربية ، وكانت تكتب بها الرسائل بينما استخدمت الهيروغليفية للكتابة على المعابد والمقابر (المترجم) •

(١) هذا الدير مكرس على اسم القديس متى المسكين وليس متى الانجيلى (احد الاثنى عشر تلميذا) كما ذكر فانسليب ، ومتى المسكين قديس قبطى تحتفل الكنيسة بذكراه فى الثالث من ديسمبر الذى يوافق الرابع والعشرين من هاتور •

(٢) استعرت هذه الفقرة والفقرات التالية من كتاب :
"Etienne Quatrèmere, Recherches Critique et Historique sur la Langue et la Littérature de l'Egypte, Paris, 1808.

ذلك فانه بينما كان الأنبا بولا الناسك يتحدث اليونانية(١) لم يكن القديس أنطونيوس يعرف الا اللغة المصرية • وكانت رسائله الى الأديرة والمكتوبة بهذه اللغة ، لا تزال باقية على أيام المؤرخ أبو البركات • ونقرأ أيضا أن رسائل القديس أثناسيوس قد ترجمت الى اللغــة المصرية الدارجة • وقد ورد فى السيرة السريانية للقديس افرام أنه عندما قام بزيارة مصر لرؤية القديس المشهور الأنبا بيشوى لم يستطع كلا القديسين أن يتحدث مع الآخر لأن كلا منهما لم يكن يعرف سوى لغته القومية ولكن كلاهما نال موهبة التحدث بالألسنة • ويذكر مؤلف دراسة عربية حول أحد المخطوطات القبطية ، أن الدروس قبل الفتح العربى كانت تقرأ باليونانية ثم تفسر بالقبطية • ويذكر أبو المحاسن أن عبد الله بن عبد الملك والى مصر أمر بأن تكتب سجلات الدواوين باللغة العربية بدلا من القبطية وذلك سنة ٩٦ هجرية • وحتى ذلك التاريخ كان نظام حفظ الوثائق فى مصر أحد الأسرار التقليدية التى ظلت فى يد القبط • ويقول ساويرس أسقف الأشمونين الذى صنف كتاب تاريخ بطاركة الاســكندرية ، اعتمادا على المخطوطات اليونانية والقبطية الموجودة بدير القديس مقاريوس — فى مقدمة الكتاب — انه ترجم مصادر الكتاب الى العربية لأنها كانت لغة الحديث فى كل مكان فى الوقت الذى أصبحت فيه غالبية الناس تجهل اليونانية والقبطية معا •

ولابد أن ذلك كان خلال القرن التاسع الميلادى ، وأن اللغة القبطية لم تكن معروفة فى القرن التاسع لأن الأنبا يوساب البطريرك الثــانى والخمسين خاطب الجمع بالقبطية أثناء محاكمته وأن الموجودين بما فيهم المسلمين قد فهموا خطابه • ولا شك أنه عند حلول القرن الحادى عشر أصبح الأقباط أقل علما بها (٢) بالرغم من استمرارها بعد ذلك لمدة حوالى أربعة قرون • وقد أمرت قوانين البطريرك الأنبا غبريال الثانى حوالى سنة ١١٤٠ ميلادية ، الأساقفة بشرح قانون الايمان والصلاة الربانية باللسان العامى أى بالعربية •

وقد وجدنا أن مخطوطات الفاتيكان مزودة بحواش مكتوبة باللغة القبطية ، كما تدل كتابات المقريزى فى أوائل القرن الخامس عشر على أن اللغة القبطية كانت لغة حية حينذاك • وعندما يتحدث عن الأديرة القريبة من أسيوط — على سبيل المثال — يؤكد أن الرهبان هناك يستخدمون

---

(١) Rosweyde, vitae Patrum, p. 18.

(٢) Renaudot, Hist. Pat. Alex., p. 467.

اللهجة الصعيدية وأن نساء وأطفال مصر العليا لا يتحدثون سوى اللهجة الصعيدية · ويذكر كذلك عن (درنكة) أن سكانها مسيحيون يتحدث عظماؤهم وبسطاؤهم اللغة القبطية ويشرحونها بالعربية · وهناك مؤلف عربى آخر يدعى أبو صلاح يذكر ضمن تاريخه عن أديرة مصر ـ عادة مازالت موجودة فى اسنا يشارك بها المسيحيون فى أفراح المسلمين حيث يقودون موكب العريس خلال الشوارع وهم يرددون نصوصا وأمثالا باللهجة الصعيدية · ويذكر فانسليب Vansleb أنه خلال زيارته لمصر سنة ١٩٧٢ تحدث ـ حسب زعمه ـ مع رجل آخر كان يتحدث القبطية بوصفها لغته الأم ·

وهذه باختصار هى الحقائق التى تدل على بطء عملية الانقراض ـ ولكن ـ من الغرابة أن نكتشف فى ضوء هذا الدليل مدى جسامة الأخطاء التى ارتكبتها المراجع المهتمة بالشئون الكنسية ـ فى حق اللغة القبطية · ولذلك يعلن دنزنجر :

"Uno aut altero seculo post Arabum tyrannidem vernaculus linguae Aegyptiacae usus prorsus interiit." (1)

ولذلك فان سرعة الاضمحلال أو التدمير فى تاريخ هذه اللغة منقطعة النظير·ولا يقل خطأ نيل Neale فى الناحية الأخرى عن ذلك حيث يسجل عن مطرانية فى جنوب مصر أن « أقباطها متعلمون أفضل من غيرهم فى سائر أنحاء الكرازة وأنهم جميعا يتحدثون القبطية ، بينما لا يزيد عدد الذين يفهمونها فى القاهرة عن اثنين (٢) وبالطبع فان اللغة القبطية مازالت هى لغة الطقس حيث ان القداس وغالبية الصلوات يجرى ترديدها بالعربية· ويقرأ الانجيل أولا باللغة القبطية ثم يقرأ باللغة القومية أى العربية · ولكن بعض أجزاء القداس مكتوبة باللغة اليونانية بينما كتبت التعليمات المدونة وكذلك بعض الصلوات والمزامير ـ باللغة العربية · وعموما نستطيع القول بأن نصوص الخدمة المستخدمة الآن ـ مكتوبة باللغة القبطية ، ولم يدون أقدمها الا بهذه اللغة · ولكن مع اضمحلال لغة الطقس لعدم استخدامها فى الحياة العادية ، نجد أن التعليمات والحواشى ورؤوس الموضوعات مع ترجمات مقابلة ـ قد كتبت جميعها باللغة العربية ـ · والجدير بالملاحظة أننا لا نجد نموذجا واحدا لمخطوط مكتوب بالقبطية والخط العربى الكوفى فربما أظهر لنا ذلك أنه لم يشعر أحد بالحاجة الى ترجمة عربية حتى بعد

---

(١) Rit. Or., tom. i. p. 1.

(٢) Eastern Church : Gen Introd., vol. i. p. 118.

أن تخلى الخط الكوفى عن مكانته لخط الرقعة العربى • والحقيقة أن النموذج الوحيد للخط الكوفى الذى استخدم فى الكنائس القبطية حسب علمى ــ هو النقش الموجود على الحجاب القديم المصنوع من خشب الأرز بالكنيسة المعلقة • ومازالت بعض آثار الخط الكوفى موجودة فى حروف كتابة المنشورات البابوية أو غيرها من الكتابات الاحتفالية حتى وقتنا الحالى • وعلى ذلك نرى فى خطاب مكتوب منذ أربعين عاما مضت ــ موجه من بطريرك الاسكندرية الى رئيس أساقفة كانتربرى ، أنه بينما كتب الاسم والعنوان بخط الثلث العربى ، فان التحية الرسمية كتبت بالخط الكوفى • كما نجد بعض الكلمات التى وردت فى نهاية الخطاب مكتوبة أيضا بالكوفى • وعلى ذلك فان المخطوطات القبطية تندرج تحت ثلاثة تصنيفات لكل منها معناه التاريخى • الأول سابق على الفتح العربى ويتمثل فى المخطوطات الثنائية اللغة حيث توجد بها الكتابة اليونانية بجانب اللغة الوطنية وهى القبطية • وهذه المخطوطات فى العادة مكتوبة على ورق البردى ويعود تاريخها الى القرن الثانى وربما قبله • وأحيانا نجد هاتين اللغتين قد نقشتا معا على البلاطات أو الحجر •

ويتمثل الثانى فى أن النص اليونانى قد حذف وبقى النص القبطى وحده • وقد بدأ هذا التغيير مع استقرار العرب فى مصر عندما أعطى الغزاة مساندتهم لليعاقبة فى انشقاقهم ضد الملكانيين ، وبذل اليعاقبة قصارى جهدهم لتدمير كنائس الملكانيين وطمس معالم اللغة الملكانية ، ولذلك اختفت المخطوطات اليونانية القبطية حتى القرن العاشر الميلادى • وخلال تلك الفترة كان الخط اليونانى المتشابك شائعا بينما رفض الأقباط أى شكل من أشكال الحروف المتشابكة ربما لأن اللغة القبطية كانت تتخذ لنفسها الشكل الهيراطيقى (*) ولذلك لم تنحط الى مستوى استخدامات الحياة اليومية ، بينما كانت اللغة العربية تمر من مرحلة الخط الكوفى الجميل الى شكلها الحالى المنطلق والرشيق ولذلك أصبحت مطوعة لتلبية احتياجات العمل والمعاملات الاجتماعية •

والتصنيف الثالث للمخطوطات يمثل المرحلة التى أصبحت فيها اللغة العربية معترفا بها رسميا بوصفها اللغة الشائعة واستخدمت فى كتابة النصوص جنبا الى جنب مع اللغة القبطية التى كانت فى مرحلة الاحتضار • وتعود هذه المخطوطات الى القرن الثالث عشر أو قبل ذلك بقليل ، ومازالت

(*) المعروف أن المصريين استخدموا الخط الهيراطيقى وهو خط الكهنة قديما ، فى كتابة المنشورات والوثائق الرسمية والعقود (المترجم) •

موجودة الى وقتنا الحالى بالرغم من أن لغة الجماهير ظلت غير منطوقة مائتى عام ، وحتى الكهنة الذين التزموا بقراءتها ، كان القليلون من بينهم هم الذين يفهمونها ·

ومازالت بعض العبارات والمقتطفات اليونانية متأصلة كالحفريات ـ فى لغة الطقس القبطى ـ حتى اليوم · وعلى ذلك فكلمة (كيريا ليصون) كلمة شائعة على ألسنة المصلين اليوم فى أجزاء كثيرة من خدمة القداس ومازالت معظم النداءات التى يعلنها الشماس على الشعب ـ تنطق باليونانية مثل :

(اسباساسثيه اللليوس ان فيلوماتى أجيو) وتعنى : قبلوا بعضكم بعضا بقبلة مقدسة ·

(اين أناتولاس فليبساتى) وتعنى : والى الشرق انظروا ·

(أوكيريوس ميتابانتون ايمون) وتعنى : الرب مع جميعكم ·

(كى ميتاتو ابنفماتوس سو) وتعنى : ومع روحك ·

(ذوكسا باترى كي ايوكى اجيو ابنفماتى) وتعنى : المجد للآب والابن والروح القدس ·

وكلمات خاصة مثل :

(باراديسوس) أى الفردوس ، (بروفيتيس) أى نبى ، (بارثينوس) أى العذراء ، (أناستاسيس) أى القيامة ، أو (أنجيلوس) أي الملاك و (بانتوكراتور) أى القادر على كل شيء ·

وما زال قربان الافخارستيا يختم بخاتم عليه العبارة التالية : ـ

(آجيوس أوثيئوس) أى قدوس الله ، (آجيوس اسشيروس) أى قدوس القوى ، (آجيوس آثاناتوس) أى قدوس الذى لا يموت ·

ونورد هنا كلمة في محلها بخصوص لهجات اللغة المصرية (١) : ١ ـ كانت اللهجة البحيرية أو القبطية على الدقة هى لغة مصر السفلى وقد اشتق اسمها من اسم (ممفيس) العاصمة القديمة التى تقع جنوب القاهرة بمسافة قليلة · والكتاب المقدس مكتوب كله تقريبا بهذه اللهجة ، وكذلك أسفار التوراة الخمسة ، وسفر أيوب ، والمزامير ، وأسفار الأنبياء ، والعهد الجديد ، قد نشرت جميعها بهذه اللهجة · ٢ ـ اللهجة الصعيدية وقد

---

(١) See : Dr. Tattam's Compendious Grammer of the Egyptian Language. 2nd ed., 1863.

اشتق اسمها من اسم مصر العليا أو الاقليم الذى كانت عاصمته فى طيبة. ولذلك فان هذه اللهجة تسمى أحيانا اللهجة الطيبية . ومن الغريب ملاحظة أن اللهجة الصعيدية بالرغم من بعدها عن مركز الحياة اليونانية الا أنها استخدمت العديد من الكلمات اليونانية أكثر من الموجودة باللهجة الأخرى التى تعتبر أقرب منها الى هذا المركز . وغالبا ما توجد الكلمات اليونانية التى تكتب فى كلتا اللهجتين ، عندما تكون اللهجتان متعادلتين . ومن المعتاد فى اللهجة الصعيدية أكثر من القبطية — التعبير عن الحروف المتحركة بوضع خطوط فوق الحروف الساكنة . وتوجد نسخة كاملة من الكتاب المقدس مكتوبة باللهجة الصعيدية بما فيها العهد الجديد بالرغم من أنها مخطوطة ، وبالنظر الى عدم الاهتمام بدراسة اللغة القبطية بانجلترا ، فان شيئا لم يتم تجاه مقارنة النصوص منذ القرن الماضى .

٣ — يوجد تشابه واضح بين اللهجة البشمورية — نسبة الى اقليم بشمور بالدلتا — وبين اللهجتين القبطية والصعيدية ولكنها أشد منهما غلظة وهذا أمر طبيعى بالنسبة للعادات القبلية الغليظة التى تميز المتحدثين بها . ولم يبق الا القليل من الشذرات المكتوبة بهذه اللهجة وتم نشرها .

أما دراسة اللغة القبطية فى العصور الحديثة فتعود الى كتاب : Kircher's "Prodromus Coptus" الذى طبع سنة ١٦٣٦ . وبعد ذلك بثمانين عاما نشر بلومبرج Blumberg كتابا عن قواعد اللغة القبطية. وفى سنة ١٧٧٨ نشر أسقف أرسنوى Arsinoe (ارسانيوس) واسمه : الطوخى — بحثا عنوانه "Rudimenta Linguae Copticae" (= مبادىء اللغة القبطية) ولكن أول دراسة علمية لقواعد اللهجات الثلاث كتبها تاتام Tattam ونشرت سنة ١٨٣٠ (١) .

---

(١) لا ينبغى لمن كتبوا فى هذا الموضوع ومعظمهم من خريجى اكسفورد أن يمروا مر الكرام على الخدمات العظيمة التى قدمتها جامعة اكسفورد لدراسة اللغة القبطية . وتعود بداية اثارة حماس الدارسين لهذا الموضوع الى نشر مجموعة المخطوطات الشرقية الثمينة التى أهداها الرحالة هانتنجتون Huntington الى مكتبة بودليان Bodleian فى القرن السابع عشر . وقد عمل الدكتور مارشال Marshall عميد كلية لنكولن Lincoln College الذى يوصف بأنه أستاذ اللغات الشرقية والذى نشر ترجمة كتاب (أبو دقن) فى اكسفورد سنة ١٦٧٥ — فى دراسة اللغة القبطية بنجاح حتى وصل الى حد تقديم طبعة للعهد الجديد بهذه اللغة ومعها ترجمة لاتينية وبعض التعليقات . ولكن عندما وصلت أول ملزمة الى المطبعة انتهت مهمة العميد بوفاته . وبعد ذلك استدعى الدكتور فل Fell أسقف اكسفورد الذى كان قد دفع لتوه ثمن بنط خاص لطباعة اللغة القبطية وخصصه لهذا العمل — دارسا من جامعة كامبردج اسمه توماس ادوارد Thomas Edward ، استطاع بعد معوقات عديدة أن يطبع ليس فقط =

وقد وصفنا الأدب القبطى بأنه أدب دينى بالضرورة · وأعتقد أنه لايوجد مكتوبا باللغة القبطية نموذج واحد للكتاب المقدس كله ، وكذلك لم نجد أسفار العهد القديم كلها مكتوبة بهذه اللغة حتى فى شكل منفصل· ولكن الى جانب النسخ التى سبق ذكرها يوجد أيضا العديد من الأناجيل المنحولة وأعمال العارفين (الغنوسيين) بأشكال مختلفة ، بينما توفرت سير وأعمال القديسين ، والميامر ، والعظات ، وسير الشهداء (١) ·

ولكن بينما نجد فى كل كنيسة من الكنائس القريبة من القاهرة أو فى داخلها — مجموعاتها الخاصة من الكتب ، فان المكتبة الوحيدة التى يطلق عليها اسم مكتبة والتى تحتل شقة مستقلة هى مكتبة البطريرك ·

= العهد الجديد بالقبطية بل انه طبع أيضا معجما قبطيا · وحوالى نفس هذه الفترة أرسل وتسن Witsen رئيس بلدية امستردام Amsterdam بنطا خاصا لطباعة اللغة القبطية كهدية لمطبعة جامعة اكسفورد · وفى سنة ١٧١٦ نشر الدكتور ولكنز Wilkins الألمانى المولد رغم اسمه الانجليزى — العهد الجديد بالقبطية واللاتينية على نفقة الجامعة· وعمل جابلونسكى Jablonski لفترة ما فى عمل نسخ للمخطوطات باكسفورد · وبعد موته اشترى الدكتور رادكليف Radcliffe المعروف — العديد من كنوزه ، من ابنه ·

وبدأ الدكتور كبرلاند Cumberland أسقف بتروبورو Peterborough دراسة اللغة القبطية بحماس نادر وهو فى سن الثمانين · أما جورج هويستون George Whiston فقد نسخ وترجم أسفار موسى الخمسة الى اللاتينية ، وهما رجلان انجليزيان يتحتم تسجيل اسميهما رغم انهما ليسا من خريجى أوكسفورد · وفى سنة ١٧٦٥ حصل مستر وويد Woide من شولتز Scholtz فى برلين على مقتطفات من معجم وكتاب نحو ومقالات كلها باللغة القبطية وأحضرها الى الدكتور دوريل Durell الذى كان حينذاك وكيلا لجامعة اكسفورد · واستطاع الدكتور دوريل والدكتور هويلر Wheeler أن يستكملا معا نشر هذه الأعمال الثلاثة على نفقة الجامعة · وعهد الى وويد Woide بعد ذلك بمهمة طبع النسخة الصعيدية وقطع شوطا طويلا فى هذا الصدد ولكنه لم يعش ليرى انتهاء هذا العمل · وقد تصدى لهذه المهمة البروفسير فورد Ford أستاذ اللغة العربية بجامعة اوكسفورد فقام بمراجعة وتصحيح العمل كله اعتمادا على الوثائق الأصلية ونشر النص فى مطبعة أوكسفورد سنة ١٧٩٩ ·

ومنذ ذلك التاريخ لم يتم سوى القليل من الجهد لدراسة اللغة القبطية فى انجلترا ، كما قل المجهود المبذول فى أوكسفورد ، ولكن مطبعة الجامعة نشرت معجم تاتام Tattam سنة ١٨٣٥ · وفى سنة ١٨٣٦ نشرت الجزء الخاص بالأنبياء الصغار ثم الجزء الخاص بالأنبياء الكبار سنة ١٨٥٢ · ولكن القليل من الدارسين هم الذين يعرفون ما عمله علماء أوكسفورد نحو اللغة القبطية فى الماضى ولذلك ضاعت انجازات القرنين السابع والثامن عشر فى طوايا النسيان خلال القرن التاسع عشر ·

(١) توجد قائمة بهذه الاعمال فى :
Catalogus Codd. Copt. MSS. in Museo Borgiano : 4 to. Romae, 1810.

وأظن أن عالما فرنسيا فحصها وفهرسها مؤخرا ، ولكن يبدو أنه لم يجد فيها أية جوهـرة نفيسة (١) أما الكتب التى فى الكنائس فهى جميعهـا خاصة بالخدمة بصرف النظر عن تعدد أنواعها . ونستطيع تكوين فكرة جيدة عن طبيعتها بالنظر الى قائمة المخطوطات التالية التى وجـدت فى كنيسة بمدينة اسنا القريبة من الأقصر :

١ ـ قوانين الكنيسة القبطية ـ من القرن الثانى عشر .

٢ ـ كتاب البشائر ـ من القرن الثالث عشر .

٣ ـ قطماروس (كتاب فصول القراءات) ـ من القرن الرابع عشر .

وهذه المخطوطات مكتوبة على الرق . أما البقية التى سنوردها فيما يلى فهى مكتوبة على الورق :

٤ ـ رسامة الرهبان ـ سنة ١٣٥٨ .

٥ ـ رسامة بقية الرتب الكنسية .

وهى رتب الابصلتس (المرتل) والأناغنوستيس (القارىء) ومساعد الشماس (الايبودياكون) ورئيس الشمامسة (الأرشيدياكون) ثم القس والقمص (الايغومينوس) وأخيرا الأسقف والمطران والبطريرك وهذه الرتب الثلاث الأخيرة لها طقس رسامة واحد (٢) .

وهذا المخطوط يعود الى القرن السادس عشر .

٦ ـ كتاب السبع صلوات المرتبة مع المزامير حسب الساعات (الأجبية)، ـ من القرن السادس عشر .

٧ ـ كتاب الخولاجى للتقديس Euchologion ـ من القرن السادس عشر .

٨ ـ الأنبياء الصغار ـ من القرن السادس عشر .

٩ ـ صلوات التجنيز ـ من القرن السادس عشر .

---

(١) يمتلك بطريرك كنيسة الاسكندرية الأرثوذكسية مكتبة أخرى من المخطوطات اليونانية بكنيسة القديس نيقولاوس بالقاهرة وبها مخطوط يعود الى القرن التاسع وعدد آخر يعود الى القرن الثالث عشر ليس بينها ما يلفت الأنظار .

(٢) ليست هذه هى الحالة المبينة فى مخطوط رينودو . وهذه الدراسات تؤدى بنفس الطريقة لدى السريان الأرثوذكس والموارنة وذلك بالنسبة للأسقف والمطران . أما رسامة البطريرك فهى مختلفة وان كانت واحدة بالنسبة لكنيسة الاسكندرية .

١٠ـ كتاب فى الطب الروحانى والمرشد فى سر التوبة والاعتراف Mystagogia ـ من القرن السادس عشر .

١١ـ تكريس الميرون وزيت القنديل ـ من القرن السادس عشر .

١٢ـ ترتيب المعمودية وتكريس أدوات المذبح ـ من القرن السابع عشر .

١٣ـ تكريس المذابح وأجران المعمودية ـ من القرن الثامن عشر .

١٤ـ نسخ عديدة من الاناجيل والرسائل والقداسات الثلاثة وخدمات التكريس المختلفة (١) .

ويوجد فى كل كنيسة كتاب السنكسار أو سير القديسين ، ويقرأ منه فصل أثناء صلاة باكر أو قداس الموغوطين حسب عادة قديمة تقررت فى مجمع قرطاجنة الثالث الذى انعقد سنة ٣٩٧ للميلاد . ويتشابه هذا الكتاب مع الكتاب المستخدم فى الكنائس الانجليزية والذى تقرأ منه دروس صلاة باكر ، أو كتاب سير الشهداء Martyrology الذى كان يقرأ عند نهاية الترنيمة الرئيسية (٢) وكتاب السنكسار موجود داخل الكنيسة ولا توجد منه نسخ لدى الأفراد ، وهو مترجم الى اللغة العربية لاستعماله فى الخدمة . ونود الاشارة الى أن القصص التى أوردناها فى نهاية هذا الكتاب مأخوذة عن النسخة العربية وتعطينا فكرة عن التقاليد المعجزية التى مازال المؤمنون يستمعون اليها بتوقير عظيم .

أما كتاب خدمة القداس فيطلق عليه بالعربية اسم : « الخولاجى » . أما دلال السنة أو القطماروس فهو اصطلاح لسنا متأكدين من أصله . ونذكر أيضا « الأجبية » أو مزامير السبع صلوات المرتبة حسب الساعات . أما بالنسبة للأعياد فهناك ترتيب منفصل بالنسبة للاكليروس وللمؤمنين من غير الاكليروس . ويوجد كذلك كتاب التسبحة (الأبصلمودية) الخاص بالأعياد السيدية أى المرتبطة بشخص السيد المسيح وتلك الخاصة بالعذراء . وهناك كتابان آخران أحدهما خاص بالبصخة (أسبوع الآلام) والدفنار أو مدائح القديسين والشهداء . وقيل ان الذى جمعه هو الأنبا غبريال البطريرك السبعون حوالى سنة ١١٣٥ للميلاد (٣) . أما السنكسار فقد دونه الأنبا بطرس أسقف مليج .

---

(١) See · Academy. Dec. 28. 1882, Article by : J. H. Midriton.

(٢) Rock, Vol. iii. Pt. ii. p. 212.

(٣) See : Vansleb, Histoire de l'Eglise d'Alexandrie, p. 62.

وبالاضافة الى الكتب السابق ذكرها فان كل كنيسة لديها سجل بجميع أوانيها المقدسة وغيرها من المتعلقات التى يقوم الوكيل أو الناظر بمراجعتها مرة كل عام ، ومن بينها كافة الهبات التى تقدم الى الكنيسة ـ وأحيانا ان لم يكن غالبا ـ يدون معها اسم المتبرع أو مقدم الهبة · وهذا السجل يسمى كتاب التقدمات · ويماثل من بعض النواحى كتاب المتبرعين الخاص ببعض الكنائس الانجليزية الكبرى فى العصور القديمة ويسمى The Book of Benefactors · وبالرغم من أنه لا يحفظ فى نفس المكان المخصص للتكريم أو ضمن المواد الثمينة · وعلى سبيل المثال نقرأ فى كاتدرائية دورهام Durham أن كتاب المتبرعين « الموضوع على المذبح الرئيسى هو كتاب فخم ومجلد بغلاف من الذهب والفضة ، ويحتوى على أسماء جميع المتبرعين لكنيسة سانت كوثبرت Cuthbert منذ تأسيسها » · ونقرأ مرة أخرى : « هناك كتاب آخر ثمين يتضمن الرفات والجواهر والحلى والملابس التى قدمها هؤلاء المؤسسون للكنيسة » (١) ·

ولنا وطيد الأمل فى أن يتم فحص هذه السجلات القبطية بمعرفة دارس عربى يتحلى بالقدر الكافى من الكياسة والصبر والمهارة لاستكمالها وفك رموزها · ولايوجد من هو أعلم من مؤلف هذا الكتاب بما ستتكلفه هذه العملية من الوقت والجهد والمال ، حتى تصبح هذه السجلات صالحة للاستعمال · ولكن اذا تشابهت كما هو متوقع ، مع سجلات كنائسنا الانجليزية ، واذا قدر لبعضها كما هو محتمل ، أن تدلنا على شىء ثمين ، فستؤدى نتائجها الى اثارة الاهتمام الشديد بالشئون الكنسية ، وتتكافأ مع ما ستحتاجه من تكلفة فى الوقت وما ستؤدى اليه من مضايقات ·

---

(١) Durham Rites, ed. Surtees Society, pp. 14, 15.

الأسرار السبعة

المعمودية - التثبيت - الشكر (التناول) - التوبة

يؤمن الأقباط منذ فجر المسيحية بسبعة أسرار قانونية وهى المعمودية ، والتثبيت (الميرون) ، والشكر (الافخارستيا) ، والتوبة ، والكهنوت ، والزيجة ، ومسحة المرضى ٠

لقد كتب الكثيرعن طبيعة هذه الأسرار كما تفسرها كنيسة الاسكندرية وذلك فى عصور تسبق جيلنا الحالى - عن طريق مصادر أوربية (١) من بينها المصادر الانجليزية ٠ ولكن يبقى شىء نرى أنه من المناسب معالجته فى هذا الكتاب ، وبما أنه لايمكن استكمال وصف مبانى الكنيسة بدون الحديث عن المراسم التى أقيمت من أجلها ، فمن الطبيعى كذلك أن تكون العمارة تابعة للطقس ٠ ولكن مؤلف هذا الكتاب لايستطيع أن يدعى لنفسه ما يتعدى القدرة على الاقتراب الخفيف من الشئون المتعلقة بالقداس، وذلك بتسجيل شهادة غيره من المؤرخين واضافة الحقائق التى لاحظها ٠

وتعميد الأطفال مقرر ليس فقط حسب العادة المطبقة حاليا بل أيضا حسب القوانين القديمة التى تأسست طبقا للشريعة الموسوية فيما يختص بالتطهير ، وحددت مدة أربعين يوما بوصفها السن المقررة لتعميد الأطفال الذكور ، وثمانين يوما لتعميد الاناث وهى الفترة الزمنية المقررة لتطهير الأم بعد الولادة ، وبعدها يتحتم حضور الأم الى الكنيسة (٢) ٠

(١) The Assemani, Vansleb, Renaudot, Denzinger, & c.

(٢) يخطىء بوكوك فى تحديد سن ٢٤ يوما لتعميد الانثى - انظر :

Description of the East, vol. i. p. 246. Barhebraeus (Chronicon Ecclesiasticon, ed. Abbeloos et Lamy, Louvain, 1872.

يحدد ثلاثين يوما للطفل الذكر ، وكذلك ايضا النص الوارد فى مخطوط الفاتيكان الذى اقتبس اسيمان عنه ، بالرغم من الاتفاق على تحديد عمر الانثى بثمانين يوما ، ولا اشك فى هذا الموضوع جديا ٠

ولكن اذا ظهر خطر الموت أو عند الضرورة القصوى ، يمكن تعميد الطفل مباشرة بدون اعتبار لشرط العمر · ان القاعدة اليهودية الخاصة بالختان فى اليوم الثامن تعتبر قاعدة عامة ولكنها ليست اجبارية ولا تعتبر طقسا دينيا · ويحظر تماما اجراء عملية الختان بعد المعمودية · ويسرى نفس هذا القانون الخاص بالعمر على تعميد الأطفال عند كنائس الاثيوبيين والسريان والنساطرة ، ولكن كنيستى الأرمن والنساطرة المحدثين تثبتان العمر عند ثمانية أيام من الولادة.· ونقرأ أن نفس هذه العادة مطبقة فى القاهرة · ولكن بالرغم من أن التاريخ القبطى يسجل بعض حالات الخروج على التقليد الأصلى فى بعض الفترات، فان القوانين لم تتغير أو تلغى على أية حال · وعلى ذلك فقد أكد البطريرك الأنبا خائيل الأول سنة ٧٥٠ للميلاد هذه القاعدة المتعلقة بتعميد الأطفال – وبعد ذلك بثلاثة قرون منع الأنبا خريستوذولوس تعميد الأطفال من الجنسين فى نفس ماء المعمودية وأمر بوجوب أن ينال الأطفال سر التناول بمجرد خروجهم من المعمودية حسب العادة القديمة · وعلى ذلك فان كلا من البطريرك الأنبا مكاريوس الثانى والأنبا غبريال الثانى قد شجب اجراء عملية الختان بعد المعمودية ، وكان ذلك خلال القرن الثانى عشر · والحقيقة أنه منذ تطبيق هذه القوانين الصارمة ونحن نكتشف بعض التراخى فى التنفيذ من وقت لآخر ·

وقد حددت لتطبيق هذا الطقس فترات معينة من السنة ، بينما منع فى فترات أخرى ، ولكن الاستثناءات تحدث دائما أثناء الخطر أما الفترات غير المناسبة لاجراء المعمودية فهى فترة الصوم الأربعينى بكامله وأسبوع الآلام وعيد القيامة · ويذكر الأنبا مقاريوس أسقف ممفيس فى القرن الثامن أن المعمودية كانت تجرى خلال العصور المبكرة للكنيسة مرة واحدة كل عام فى يوم الجمعة العظيمة (١) ولكن هذا القول يختلط بالأساطير ويبدو أنه مدسوس · أما قوانين الأنبا خريستوذولوس فتمنع اجراء المعمودية عشية عيد القيامة وخلال فترة الخمسين · ونجد أن الموسم المناسب للعماد منذ أقدم العصور وحتى يومنا الحالى هو عيد الغطاس أو الظهور الالهى· ولكن أبو دقن(٢) يذكر – وهو مصدر غير جدير بالثقة ولكن ربما كان صادقا فى هذا الصدد – أن يومى عيد القيامة وعيد العنصرة هما اليومان اللذان كانا مخصصين للعماد فى القرن السابع وقد رأينا من قبل أنه نادرا ما يوجد فى أى كنيسة مصرية معمودية خارج المبنى الكنسى ، وأنه بينما تتضمن معظم التصميمات جرن المعمودية عند

---

(١) Vansleb, Histoire de l'Eglise d'Alexandrie, p. 83.

(٢) p. 16.

الطرف الغربى بالقرب من البـاب الرئيسى ، فان المعمودية الآن أصبح موضـعها فى أماكن مختلفة وبذلك أصبح من المحتم دخول الأطفـال الى الكنيسة قبل اتمام سر المعمودية • وتتبقى نقطة واحدة تصور لنا بوضوح العادة القديمة الخاصة بتنفيذ الطقس خارج الكنيسـة ولكن فى داخل مبنى مكرس خصيصـا لهـذا الغرض • ونظـرة عاجلة الى الرسـم الرابع (١) توضح لنا الترتيب القديم المعروف والخاص بتطبيق الطقس القديم • وهناك يتم استقبال الطفل المرشح للعماد أولا فى ردهة صغيرة عند المدخل ثم يقتاد الى المعمودية • وبعد تمام الطقس يقتاد الى الهيكل الجانبى المواجه مع اعتباره خارج الكنيسة ثم يتناول من سر الافخارستيا وبذلك تتم عضويته فى جماعة المؤمنين ويصبح له الحق فى دخول مكان العبادة • وتتمثل الخطوة التالية فى نقل المعمودية والهيكل الجانبى داخل الحائط الغربى للكنيسة أى فى الرواق وأقيم حائط يفصلهما عن صحن الكنيسة والجناحين أو على الأقل يفصلهما عن صحن الكنيسة • ويبدو أن هذا التقليد قد استمر بكنيسة أبى سرجة ويشهد على ذلك المحراب الغربى الذى مازال موجودا بلوحاته المرسومة بالفريسكو • وأخيرا فقـد جرى التخفيف من تزمت العادة القديمة بازالة الفاصل الذى كان موجودا بين المعمودية والكنيسة • واختفت الحاجة الى تخصيص هيكل جانبى لحديثى العضوية • وأصبح مكان المعمودية متروكا للمصادفات وبدون تحديد (٢) ولكن الأقباط فى كل الأحوال لا يسمحون بعماد الأطفال فى منازلهم ، فمن الضرورى حضور الجميع الى مبنى الكنيسة • ويطلق على المعمودية اسم « الأردن » ولكن الاسم القبطى القديم (تى كوليمبثرا) أى جـرن المعمودية يعود الى أصل يونانى • وقد نشر برنارد الذى من لوكسمبرج ، وجاك دى فيترى ، وآخرون غيرهم قصة تثير السخرية فحواها أن الأقباط يعمدون أطفالهم بالنار (٣) بعمل وشم بالنار على شكل صليب فوق الجبهة وذلك بعد التعميد • وهذه القصة محض خيال ولكنها ربما كانت مأخوذة عن العادة الأثيوبية الخاصة بتشريط ووشم الوجه (*) •

---

(١) See : Vol. i. p. 352.

(٢) يخطىء دنزنجر فى القول بأن المعمودية القبطية يجب أن تكون : (نحو الشرق أى خارج باب الكنيسة الأيسر وهو الباب الشمالى أى البحرى) •

(٣) انظر : (Rit. Or., tom. i. p. 14) وأنا أعترض بشدة على ما أورده دنزنجر فى معالجته للطقوس القبطية مما جعلنى أقدمها بالتفصيل لازالة الارتباك المستمر الذى أوجده مثل هذا المرجع •

(*) منذ حوالى عشرين عاما شاهدت بعينى واعظا من أبنـاء الصعيد يرتدى الملابس البلدية يقف على منبر احدى الكنائس لالقاء العظة ، ثم يزيح الشال الذى كان يغطى جبهته ليظهر صليب مرسوم بالوشم يبلغ طوله عرض الجبهة (المترجم) •

ويتم سر المعمودية فى جميع أنحاء العالم باستخدام الماء الطبيعى ولكن الأقباط يطبقون العادة الكاثوليكية التى تلزم بتقديس الماء ، ويجرى هذا التقديس فى كل مرة يجرى فيها التعميد باستخدام ماء جديد بينما تتم مباركة الماء فى الكنيسة اللاتينية بعمل قداس مرة واحدة أو مرتين خلال العام كله ، وبذلك فان الماء الذى يتقدس بهذه الطريقة يحفظ لاستخدامه حسب الظروف • ويتفق أبودقن مع بقية المصادر فى القول بضرورة تسريب الماء بعد التعميد عن طريق مجرى للصرف • وبالرغم من ان التعليمات تصرح بأن الكهنة فى القاهرة كانوا فى فترة ما يحتفظون بكمية قليلة من الماء للاستعمال فى حالات الطوارىء (١) الا أن القانون يوصى بعدم اجراء المراسم الطقسية إذا كان التأخير سيعجل بموت الطفل المتقدم للعماد • وهناك قصة بنفس المعنى تتحدث عن امرأة كانت قادمة الى الاسكندرية عن طريق البحر وتعرضت السفينة لعاصفة هوجاء • ومع ظهور خطر الموت غرقا وخشية أن يموت طفلاها دون عماد ، جرحت ثديها وأخذت من الدم الذى سال ورشت طفليها(٢)ورددت العبارة التى تستخدم فى العماد • وفيما بعد ، عندما أحضرت طفليها الى الأسقف فى الاسكندرية لتعميدهما ، تجمد الماء فى المعمودية لمنع اعادة الطقس الذى قامت هى ذاتها باتمامه فى البحر • وأخيرا فانه لا يبقى لدينا أى شك بخصوص حفظ الماء المقدس للمعمودية وأنه ينقضى مع الكلمات التى تقال فى نهاية اتمام السر والتى تتضمن الصلاة بأن يعود الماء الى طبيعته السابقة ، وأن يعود الى الأرض مرة أخرى • وتأمر التعليمات المدونة الكاهن بأن يصب عليه ماء جديدا ثم يسرب ماء المعمودية مع الحرص على عدم استخدامه مرة أخرى •

ولا يعرف المسيحيون الأرثوذكس سوى التغطيس كأسلوب وحيد للتعميد وهم بذلك يختلفون عن اليونانيين لأنه بالرغم من استخدام اليونانيين لأسلوب التغطيس، فان أسلوب الرش له نفس الأهمية عندهم ، ان لم يكن أكثر أهمية • وهناك بعض الأسئلة المتعلقة بأسلوب التغطيس لدى الأقباط سواء كانت الغطسه الأولى أم الأخيرة هى التامة ، لأنه لا جدال فى أن التغطيس يتم ثلاث مرات • ومن المحتمل أصلا — اعتمادا على صمت القوانين — أن الطفل كان يغطس بكامله ثلاث مرات تحت الماء ، ولكن خلال القرون الثلاثة الأخيرة ، جرت العادة بأن يغطس الكاهن الجسم حتى

---

(١) يؤكد نيل (Gen. Introd. vol. ii. p. 977) . أن الطقس الحالى لا يقبل هذا الترتيب •

(٢) يقول دنزنجر ان ماء البحر كان يستخدم فى مثل هذه الحالة ولكن القصة كما أوردناها فى نهاية هذا الكتاب تتحدث عن استخدام الدم •

الرقبة . وفى المرة الثالثة يغطى الماء رأس الطفل . ويعلن فانسليب Vansleb أنه لكى يعمل الكاهن هيئة الصليب فأنه يمسك الرسغ الايمن للطفل مع قدمه اليسرى باحدى يديه ، بينما يمسك رسغه الايسر وقدمه اليمنى باليد الأخرى (١) وقد يكون ذلك صحيحا ولكنه يبدو كنوع من التعذيب . أما عند النساطرة فان المرشح للتعميد يقف فى الماء حتى يصل الماء الى عنقه ويقوم الكاهن بتغطيس رأسه فى الماء ثلاث مرات ، ولكن الأرمن وغيرهم من أتباع المذاهب الشرقية الأخرى يجمعون ما بين أسلوبى الرش والتغطيس . والقوانين القبطية صريحة جدا حول هذه النقطة فتقول انه فى حالة تعميد الطفل الضعيف أو المريض ليس من الضرورى استخدام أسلوب التغطيس ، ويمكن اتمام السر فى هذه الحالة برش الماء ثلاث دفعات . وقد ورد هذا المبدأ بوضوح فى أقدم حديث عن المعمودية المسيحية وهو كتاب « تعاليم الرسل » الذى يعود الى القرن الثانى (٢) حيث يأمر بأن يكون « التعميد بالماء الجارى أو الطازج باسم الآب والابن والروح القدس . وفى حالة تعذر الحصول على هذا الماء يستخدم ماء آخر . واذا كان الماء شديد البرودة بحيث يسبب الضرر فمن الجائز استخدام الماء الدافىء . واذا تعذر الحصول على الماء الدافىء أو البارد ، يصب الماء الموجود ثلاث مرات باسم الآب والابن والروح القدس. وقبل المعمودية بيوم أو اثنين يجب أن يصوم من سيقوم بالتعميد ومن سيتقدم للتعميد » .

وهذه الاشتراطات ضرورية بالاضافة الى تحقيق تقدم بالنسبة للطقس الذى ذكرناه أو على الأقل بالنسبة لتفسيره فى أقدم قصة عن اتمام هذا السر بكنيسة الاسكندرية . وقد وجدت هذه القصة فى القوانين الرسولية التى يعود تاريخها الى القرن الرابع أو الخامس (٣) وهنا نجد أن المرشحين للتعميد يصومون استعدادا ليوم الأحد وفى هذا اليوم أى الأحد يحضرون الى الأسقف ويجثون أمامه . ثم يقوم الأسقف بوضع يديه عليهم وطرد أى روح شرير عنهم ، ثم ينفخ فى وجوههم ويرشم جباههم وآذانهم وأنوفهم ، ويقضون الليل سهارى فى القراءة والوعظ .

---

(١) Histoire, p. 81.

(٢) دستلجن تون ابوستولون

(٣) لاجل النص القبطى والنص الانجليزى انظر :
Tattam's Apostolical constitutions, London, 1848, p. 52 seq.

ولاجل النص اليونانى انظر :
(Bunsen's Christianity and Mankind, London, 1854, vol. vi. p. 465.

وفى باكر اليوم الثانى عند صياح الديك يجرى تكريس الماء الذى يصب فى جرن المعمودية ، واذا عز الحصول على الماء الطازج فانهم يستخدمون الماء الموجود • وتعنى هذه الفقرة المبهمة أن الماء يجب أن يسحب من البئر المقدسة كما هو الحال بكنيسة أبى سرجة وغالبية الكنائس المصرية — ويتحتم وجود الوكيل (الأشبين) بالنسبة لصغار السن للاجابة عنهم وهؤلاء الوكلاء هم الوالدان أو من بين ذوى الأرحام • ويصلى الأسقف صلاة الشكر على الزيت الموجود فى زجاجة ويسمى زيت التهليل ولا يستخدم هنا الميرون وانما هو زيت يستخدم لطرد الأرواح الشريرة ويسمى الغاليلايون • ويقف على يمين الكاهن شماس يمسك بزيت الميرون كما يقف على يساره شماس آخر يمسك بزيت الغاليلايون ويلى ذلك جحد الشيطان exorcism الذى يدهن المرشح بعده بزيت الغاليلايون ثم يقف المرشح فى الماء بعد أن يخلع ملابسه • وعند كل مرة يتم فيها الاعتراف بالايمان يغطس فى الماء الى ثلاث مرات • ثم يخرج من الماء ويرشم بزيت الميرون ثم يلبس الملابس ويدخل الى الكنيسة • وهناك يضع الأسقف يده على رأسه ويرشم جبهته ويحييه أو يقبله وينطق الجميع عبارة السلام بأفواههم وبذلك ينتهى طقس التثبيت •

ويبدو أن الرشم هنا وفى أى مكان آخر يقصد به علامة الصليب و «بقول السلام » وبلاشك فان عملية السلام هذه مقصودة •

وبعد العماد والتثبيت مباشرة يأتى دور التناول السر المقدس — سر الشكر • يقوم الأسقف باتمام صلوات تقديس الخبز والخمر ومباركة اللبن وعسل النحل ، ثم يقسم الخبز ويعطى لكل واحد جزءا منه قائلا : « هذا هو خبز السماء ، جسد المسيح يسوع » ثم يعطيه من الكأس قائلا : « هذا هو دم المسيح يسوع مخلصنا » • وكذلك يقدم من اللبن والعسل لكل واحد •

وبعد أن تحدثنا عن القوانين الرسولية ، دعنا ندخل الآن الى صورة أخرى من المراسم التى دونها بعد ذلك بقرنين أو ثلاثة القديس ساويرس(١) بطريرك الاسكندرية سنة ٦٤٦ للميلاد • يبدأ الاحتفال بعملية « خلط المياه » وهى عبارة لم نعرف معناها ، ولكنها تعنى أن الكاهن ينفض أو يحرك الماء بيده • وبعد ذلك يأتى دور حرق البخور مع صلاة لمحاربة « سلاطين قوات الهواء » وبعدها ينفخ الكاهن فى الماء ثلاث مرات • وبعد ذلك يرشم علامة الصليب ثلاث مرات على جبهة كل طفل بدون استخدام الزيت ويطرد

---

(١) See : Maxima Bibliotheca Veterum Patrum, Lyon., 1677, tom. xii. p. 728.

عنه الشياطين برشم صلبان أخرى كثيرة على الوجه • ثم يتجه الأطفال الى الغرب لجحد الشيطان ثم يعودون الى الشرق مرة أخرى • ويرشم الكاهن ثلاثة صلبان على جبهة كل طفل بزيت الزيتون - والواضح أن هذا هو زيت الغاليلايون أو زيت الموعوظين •

والآن وبعد رفع البخور تأتى صلوات تبريك الماء فيرشم الكاهن علامة الصليب على سطح الماء ثم يعمل باصبعه أربعة صلبان صغيرة من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب ، مصحوبة بالدعوات العديدة • ثم يصب زيت الغاليلايون من قنينة صغيرة على الماء فى شكل ثلاثة صلبان ، ثم يصب زيت الزيتون على رأس كل طفل ويضعه فى جرن المعمودية واضعا يده اليمنى على رأسه ويرفع الطفل من الماء بيسراه ثلاث مرات قائلا :

« نعمد (فلانا) باسم الآب آمين ، والابن آمين ، والروح القدس آمين • » وكلمات الطقس هنا تعنى أن الطفل قد غطس تحت الماء ثلاث مرات ولايوجد أى اختلاف فى أى من الثلاث تغطيسات عن الأخرى •

وبعد انتهاء هذا الترتيب يخرج الطفل من المعمودية ويرشم بالميرون ثلاث مرات على جبهته ثم على سائر أعضاء الجسم ثم يلبس الملابس ويقدم الى المذبح للتناول من سر الافخارستيا • وينهى الكاهن هذا الطقس عندما يتوج الأطفال الذين تعمدوا بأكاليل من الزهور •

والتثبيت هنا يتم ضمنيا وليس بالقول ، ولم يرد شىء عن اللبن والعسل • أما الأسقف مكاريوس الذى نقلت عنه هذا الكلام والذى عاش بعد ذلك للقرن التالى ، فيذكر أن هذه العادة تعود الى العصور الأولى للكنيسة فيقول : « كانت ممارسة سر العماد بالاسكندرية فى العصور القديمة تتم فقط يوم الجمعة العظيمة فيلتقى البطريرك والعديد من الأساقفة فى كنيسة الانجيليين ويرفعون غطاء جرن المعمودية ويقرأون العظة •وفى اليوم التالى يجتمعون فى نفس المبنى حيث يقوم البطريرك بتقديس زيت الميرون وزيت جحد الشيطان أو الغاليلايون أى ايلايو أغالياسيوس أى زيت البهجة ويقابله الاصطلاح اللاتينى "Oleum catechumenorum" أى زيت الموعوظين • وبعد ذلك يمضون الى جرن

---

(١) ينكر نيل Neale بشدة اى اثر يدل على وجود اللبن والعسل فى الطقس القبطى (Gen. Introd., vol. ii. p. 971) ولكنه يذكر ان هذه العادة موجودة بكنيسة قرطاجنة ومازالت موجودة فى الطقس الأثيوبى (Vol. iii. pt. 2. p. 102.) ويذكر أن اللبن والعسل يقدمان فى الكنيسة الانجليزية بعد سر الافخارستيا يوم خميس العهد ، وكانا يقدمان معا للمعمدين حديثا يوم سبت النور ؟

المعمودية حيث يقوم البطريرك بتعميد ثلاثة من الأطفال الذكور • وبعد أن يقوم الأساقفة بتعميد بقية الأطفال يقوم البطريرك برشم جميع الأطفال بكلا النوعين من الزيت • وعند نهاية القداس يتقدم الأطفال المعمدون للتناول ثم يتناولون أيضا اللبن والعسل الذى يخلط فى نفس الكأس(١)•

هذه المراسم لا تختلف اليوم عن تلك التى دونها الأنبا ساويرس • حيث تقام عند بداية الاحتفال صلاة التطهير على رأس أم الطفل وترشم على جبهتها بالزيت • وبالرغم من أن هذا الطقس لم يدون فى أى وثائق سابقة على كتاب فانسليب الا أنه قد ظهر فى العصور الحديثة ، وربما أيضا العصور الوسطى • والحقيقة أن الصمت فى الأمور الطقسية يقود الى مجادلات خطيرة ، فمن الصعب على المؤرخ خاصة المؤرخ القديم أن يغفل بعض التفاصيل كما فعل الأنبا ساويرس الذى أخطأ بحذف أى ذكر لموضوع اللبن والعسل • أما عادات جحد الشيطان وتبريك الماء والرشم بالزيت فهى مازالت موجودة ، ولكن الزيت الذى يستخدم أولا هو زيت الزيتون الصافى الذى يباركه الكاهن • والطفل الذى يخلع ملابسه يرفع يديه على هيئة صليب لجحد الشيطان ، ثم يتجه الى الغرب ويتلو قانون الايمان ، وبعد ذلك تتم العودة الى الشرق (١) ثم تدهن جميع مفاصله بالزيت الثانى أو الغاليلايون • أما العادات الأخرى وهى حرق البخور ، والنفخ على الطفل ، وسكب الميرون على الماء فى ثلاثة صلبان ثم التغطيس ثلاث مرات ووضع اليد أو التثبيت والدهن بالميرون ــ فانها لا تزال موجودة فى الطقس الحالى • ويرشم الميرون على الجبهة والعينين والأنف والفم والأذنين واليدين والقدمين والركبتين والظهر والكتفين والذراعين والقلب • ثم ينفخ الكاهن فى وجه الطفل الذى يكون قد ألبس رداء أبيض وتوج بتاج وتمنطق بمنطقة (الزنار) متقاطعة حول وسطه • ويتقدم الى الافخارستيا • واذا كان أصغر من أن يتناول القربان المقدس فان الكاهن يغمس أصبعه فى الكأس ويلمس به لسان الطفل وبعد ذلك يتناول من خليط اللبن والعسل • وخلال هذا الاحتفال الذى يستغرق وقتا طويلا والذى يحفل بالعديد من الصلوات والترانيم والفصول التى تقرأ من الكتاب المقدس توضع البشارة على حامل الانجيل (٢) الموجود بجرن المعمودية وتوقد حولها الشموع التى تظل مشتعلة أثناء الاحتفال • وبعد انتهاء القداس يتحرك رجال الاكليروس بملابسهم الفخمة فى موكب يطوف

---

(١) يذكر فانسليب (Histoire, p. 204) أن الكاهن يكتب اسم الطفل على ورقة ويلقى بها فى الماء •

(٢) انظر الرسم الموجود بالجزء الثانى من الكتاب ص ٦٠ •

بالكنيسة ثلاث مرات · وأثناء الموكب يحمل الأسقف أو الكاهن الطفل الذى يسير أمامه القندلفت حاملا صليب البركة (١) الذى تثبت فيه ثلاث شموع مشتعلة ، ويليه بقية رجال الاكليروس والشمامسة وهم يحملون الشموع ويدقون الأجراس والصنوج ·

وتحل المنطقة (الزنار) فى اليوم الثامن بعد العماد وليس قبل ذلك (٢) فى احتفال مهيب لأن ذلك يعتبر استكمالا لطقس العماد · ويعقد هذا الاحتفال فى جرن المعمودية بالكنيسة وليس فى منزل المعمد كما يدعى فانسليب ، فتوضع زجاجة من الماء على حامل الانجيل مع وضع صليب على الحافة · وتضاء حولها الشموع · ويرفع البخور مع ترديد الصلوات وقراءة الفصول الخاصة من الكتاب المقدس ثم يرشم الكاهن الماء ثلاث مرات على هيئة صليب ثم يحل المنطقة (الزنار) ويغسل الطفل وملابسه ·

وبالرغم من استخدام الأنوار أثناء ممارسة المعمودية كما هو معروف لدى الكنيسة المصرية فان الكاهن لا يقدم شمعة مضاءة الى المعمد كما هو الحال فى الطقس الغربى · ويلاحظ أن الطقس القبطى يختلف عن طقس الكنيسة الغربية الذى يجمع ما بين سرى التثبيت والمعمودية بالرغم من أنهما سران منفصلان ، وليسا سرا واحدا باستخدام الميرون المقدس للتثبيت ، وفى السماح بممارسة سر التثبيت بمعرفة الكاهن مثل الأسقف، وفى جميع هذه العادات نرى تمسك الأقباط بالتعليم القديم للكنيسة الجامعة الذى هجره الغربيون (٣) ·

---

(١) Ib. p. 232.

(٢) يذكر المؤرخ ابو دقن ان هذا الاحتفال يجرى فى اليوم الثالث ويؤكد فى نفس الفقرة أن الاقباط يخلطون الملح بالميرون ــ وهى عبارة مريعة ــ وكان بعض السريان بالقاهرة يجيزون هذا العمل الهرطقى على أيام الانبا خريستوذولوس ولكن الاقباط يتبرأون من ذلك · أما مسيحيو الملابار فانهم يخلطون الزيت والملح مع خبز التناول كما هو وارد فى رواية جوفيا عن الارساليات البرتغالية ــ انظر الترجمة الفرنسية التى طبعت فى بروكسل سنة ١٦٠٩ للميلاد ·

(٣) علينا ان نتذكر كلمات القديس باسيليوس عن المعمودية حيث يقول :
"Consecramus autem aquam hapitismatis et oleum unctionis praeterea ipsum qui baptismum accipit, exquibus scriptis ? Nonne a tacita secretaque traditione ? Ipsam porro olei unctionem quis sermo scripto proditus docuit ? Iam ter immergi hominem unde est traditum ? Nonne ex privata et arcana hac tradition ?"

انظر : Divi Basilli Magni opera, p. 324 B. Paris, 1566.

ويعلق القديس اوغسطينوس على ذلك قائلا : « اذا لم تستخدم هذه العلامة سواء على جبهة المؤمنين او على الماء الذى يجددون به او على الميرون الذى يرشمون به فان كل ما تم يكون تماما على غير الوجه الصحيح ·

سر التناول (١)

ان مناقشة المراسم المتعلقة بالقداس القبطى تحتاج فى حد ذاتها الى رسالة علمية متعددة الأجزاء ولكن نظرا لأن مثل تلك المناقشة تخرج عن نطاق هذا الكتاب وتحيد عن الغرض منه فلذلك يكفينا هنا أن نذكر أبرز النقاط المتعلقة بالطقس القبطى مع تجاوز كافة الأسئلة المتعلقة بأصالة النصوص وترتيب الصلوات فى القداسات المختلفة ـ وهى الأسئلة التى يعرفها العالم جيدا ولا تحتاج الى اعادة ذكرها ولم يدرسها مؤلف هذا الكتاب بالعناية الكافية بحيث تجعل ملاحظاته لها صفة الصلاحية ٠

ولا يسمح لأى رتبة أقل من رتبة القس بتقديس سر التناول ، ولكن الكاهن البسيط لا يستطيع أن يناول الأسقف أو أى رتبة عالية (٢) ٠ واذا أقام البطريرك القداس فانه يناول نفسه أولا ثم يناول بقية الاكليروس حسب رتبة كل واحد منهم ٠ أما اذا كان القسيس هو خادم القداس ويريد البطريرك أن يتناول من القربان فانه يذهب الى المذبح بعد صلاة القسمة ويكرر أوشية الحل والاعتراف ثم يتناول القربان بنفسه وبعد ذلك يناول من يريد من المتقدمين للتناول٠ولكل أسقف نفس الحق فى ايبارشيته ٠ أما القمص أثناء التناول فانه يتناول الملعقة بنفسه ولكنه يتسلم القربان المقدس من القس الذى يضعه على الملعقة ٠ أما عندما يتناول القس من يد قس آخر فانه لا يلمس بيده أيا من العناصر المقدسة أو آنية المذبح٠والقائم بتقديس السر يرتدى التونية والشملة فى الأيام العادية ولكنه فى الأعياد الكبرى يرتدى قطع الملابس السبع المخصصة للخدمة ٠

واليوم فان هؤلاء الذين يتقدمون للتناول يسمح لهم بدخول الهيكل، ولكن لا يسمح بالدخول من المدخل الرئيسى لمن تقل رتبته عن رتبة الشماس ٠ ولا يقف الشماس بجانب الكاهن ولكن فى مواجهته أى فى الجانب الشرقى من المذبح وفى مواجهة الشعب ٠ **ويقال ان هذه العادة يعود أصلها الى أيام الانشقاق بين المذهبين اليعقوبي والملكاني ، عندما كان يندفع اى من رعاع الملكانيين الى داخل اى كنيسة قبطية ويذبح الكاهن امام المذبح ثم يلقى بالعناصر المقدسة ، فكان الكاهن يأمر الشماس بأن يعطى**

---

(١) يسمى بالعربيـــة : سر القـــربان او التقدمة او الذبيحـــة غير الدموية ويسمى بالقبطية (تى ابروسفورا) والاسم الاول من هذه الاسماء (القربان) يتشابه مع الكلمة التى استخدمها السيد المسيح كما وردت فى الترجمة الانجليزية حيث تحمل معنى الكلمة الانجليزية oflete . ٠

(٢) Vansleb, Histoire, pp. 202-3.

الكاس الى أى من المشتركين فى التناول • كما هو واضح من تعاليم الرسل ومن المصادر التى جاءت بعدها •

وقد رأينا منذ قليل أن الأطفال المعمدين يسمح لهم بالتقدم للتناول بعد اتمام سرى المعمودية والتثبيت • واليوم نستطيع أن نرى الأطفال أثناء أى قداس عادى وقد تقدموا للتناول محمولين على الأذرع • والصوم قبل التناول لاغنى عنه بالنسبة لكل من يتقدم للتناول ، وهذا القانون ينطبق على الأطفال أيضا لأنه قانون فوق مستوى السؤال ولا يستثنى منه أحد •

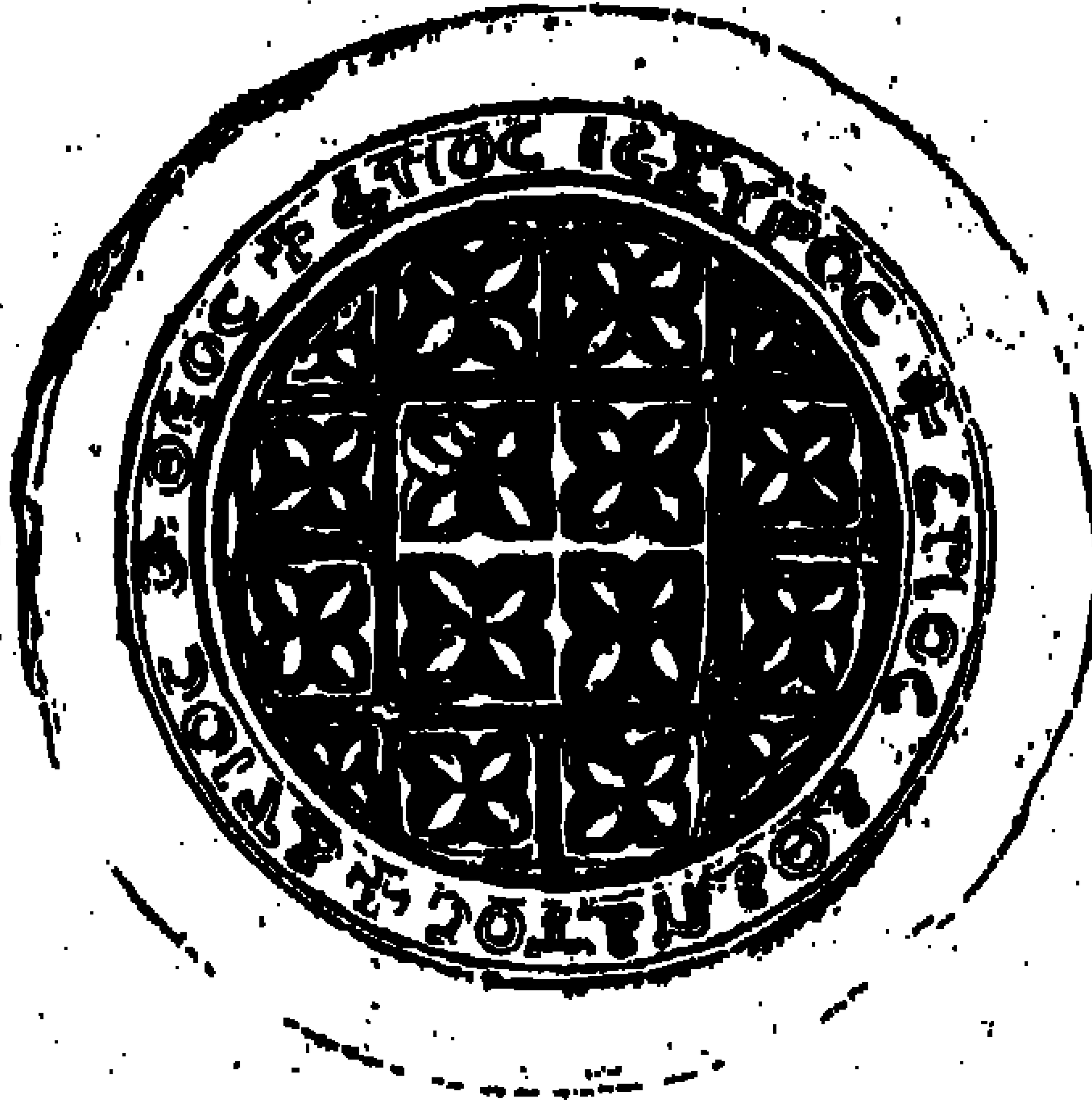
وتبدأ فترة الصيام من بعد صلاة الغروب لليوم السابق على الاحتفال بالقداس • وتعتبر نظافة البدن ضرورية جدا للتقدم للتناول والكاهن فيلزم الأخير منهما بأن يغسل قدميه قبل دخول الكنيسة • ولا يصح مناولة الأشخاص غير المعروفين أى الغرباء الذين لم يفحص الكاهن ايمانهم، خوفا من أن يتقدم للتناول شخص بدون استحقاق وتنصح قوانين الأنبا غبريال ـ الكاهن بأن يحترس بالنسبة للنساء لأنهن يحضرن الى القداس وهن يرتدين الحجاب • ومن الضرورى التقدم للاعتراف وممارسة التأديب الكنسى المقرر فى حالة ارتكاب خطايا تتطلب التكفير ، وأشك فى أن تكون شدة هذه التأديبات هى السبب فى قلة عدد المتقدمين للتناول فى هذه الأيام • ويتناول المتقدمون للتناول القربان المقدس وهم وقوف لا راكعين ، والحقيقة أن الركوع مخالف للطقس القبطى فيما عدا يوم عيد العنصرة حيث يتحتم على المصلين السجود تعبيرا عن الخضوع • ومن يتناول من هذا السر عليه أن يقضى بقية اليوم دون أن يتناول طعاما أو شرابا مع يهودى أو مسلم (*) كما أنه يلتزم بألا يخرج من فمه أى شىء من طعام أو شراب يكون قد تناوله ، ويمتنع كذلك عن التدخين • ويقول فانسليب انه كان من المعتاد قديما أكل الترمس بعد التناول مباشرة كاجراء للدفاع ضد Sabaeans الذين كانوا يترددون على الكنائس القبطية والذين كانوا يمتنعون عن تناول أى فاكهة تنمو على ساق نحيلة •

أما الخبز المستخدم فى القربان فهو مصنوع من أفخر أنواع الدقيق ويتم شراؤه خصيصا لعمل القربان ، ولابد من خبزه فى فرن مخصص لذلك وملحق بمبنى كل كنيسة ولابد أن يقوم بعملية الخبز قندلفت الكنيسة(١)

(*) هذا الحظر غير موجود الآن ولا يوجد دليل على انه كان موجودا فى أى فترة من تاريخ المسيحية بمصر أو خارجها وقد اتى به المؤلف من خياله الخاص رغم أنه يخالف تعاليم السيد المسيح (المترجم) •

(١) يسمى القيم ، ويمتنع على النساء تجهيز أو عمل القربان •

الذى يلتزم أثناء الخبيز بتلاوة أجزاء معينة من المزامير باحترام وتقوى(١) ولابد أن يكون العجين مختمرا ، كما يلزم خبز القربان فى صباح اليوم الذى يستخدم فيه للقداس • وتصنع القربانة على شكل كعكة مستديرة يبلغ قطرها ثلاث بوصات وسمكها بوصة واحدة • ولابد من ختم سطحها العلوى بتشكيلة من الصلبان يحيط بها اطار مكتوب داخله عبارة مقدسة ويورد دنزنجر Denzingir نص العبارة المكتوبة باللغة القبطية داخل الاطار وترجمتها « قدوس الله — قدوس القوى — قدوس الحى الذى لا يموت » (٢) •



شكل رقم ٣٣ : خبز القربان

ويورد نيل Neale نفس الرسم المأخوذ عن سوليريوس Sollerius (٣) وهو المؤلف الذى أخذت عنه كافة المعلومات المتعلقة بشكل القربانة القبطية •

---

(١) ربما تعود تسمية القربان فى انجلترا باسم « خبز الترتيل » الى مثل هذا السبب •

(٢) وقد ورد نفس النص فى :

Rit. Or., tom i. p. 81. The Dict. Christ. Antiq.

(٣) Patriarchate of Alexandria, vol. ii. p. 214.

ويقدم فانسليب أيضا (١) نفس الوصف مع حذف كلمة (صابيوت) • ومن الممكن أن تكون نصوص القصة المسجلة موجودة بالفعـل ، ولكننا لا نشك فى اختلاف الأوصاف التى قدمت عنها وأن العبارة المدونة فى الحفر المذكور ــ مأخوذة عن صورة قربانة صنعت فى الكاتدرائية ، ولم أشاهد اختلافا عن هذا الشكل فى أى كنيسة • أما الرسومات التى قدمها نيل ودنزنجر فهى غير صحيحة ، لأنه يوجد داخل الاطار المكتوب والذى يبتعد عن حافة القربانة ، اثنا عشر صليبا متساويا وقد وضع كل منها داخل مربع خاص به ، وجميع الصلبان تشكل صليبا كبيرا • والحقيقة أن نيل يتحدث عن اثنى عشر صليبا ولكن الرسم الذى قدمه به ثمانيـة صلبان داخل مربعات منفصلة ، وثمانية صلبان أخرى فى مربـع مركزى أكبر حجما ، ورسم دنزنجر مثل رسم نيل ولكنه يقدم قطاعا آخر حيث يبين ظهر القربانة وأظن أن هذا خطأ لأن القربانة لاتختم على ظهرها •

أما المربع الذى يمثل قلب القربانة فيتكون من أربعة مربعات صغيرة تسمى فى القبطية ايسبوديكون او سبوديكون أو ديسبوتيكون وهو اسم فسره رينودو تفسيرا صحيحا من اللفظ اليونانى الذى يعنى (جسد الرب) •

والاسبوديقون يحفظ لكى يغمس فى الكأس • ولا يختلف الطقس اليونانى عن القبطى فى هذا الصدد لأن اليونانيين يستخدمون قربانـة صغيرة مختومة بختم مربع يسمى أمنوس ينقسم الى أربعة مربعـات من حجم أصغر يكتب بها الحروف اليونانية التى تعنى : يسوع المسيح ، وتبرز كلمة أمنوس عن سطح القربانة وتفصل أثناء التناول • وعنـد التقديس تقسم الى أربعة أجزاء يوضع منها الجزء الأول فى الكأس • أما الجزء الثانى فيتناوله رجال الاكليروس والجزءان الباقيان يتناولهما المؤمنون من غير الاكليروس •

ويقوم الأرمن كذلك بختم القربانة ولكن بصورة للسيد المسيح • والقربانة لا تحتوى على خميرة ، وتخبز فى فرن ملحق بالكنيسة صباح اليوم الذى سيقام فيه القداس • وتوضع الأجزاء الأربعة التى تقسم اليها القربانة فى الكأس أما عند النساطرة فانالقربانة تصنع من دقيق القمح الفاخر الذى تلتقطه العذارى ويطحن فى مطحنة يدوية ويخلط بالخميرة ويقوم رجال الاكليروس باعداد هذه الخميرة ، ثم يخبز القربان داخل حدود مبنى الكنيسة • وتختم القربانه النسطورية كذلك بختم ، وهى تشبه القربانة القبطية من حيث الحجم ولكنها أقل سمكا •

(١) Histoire, p. 100.

أما عندنا فى انجلترا فقد كانت القربانـة تختم أحيانا • وينقـل روك (١) عن الدفونسو العبــارة القائلة بأن النقش عليها هو (ايسوس أى يسوع) و (خريستوس أى المسيح) والاختلاف هو (خريستو ألفا أوميجا) أى المسيح الألف والياء) وهناك اختلافات أخرى (٢) • وقد حفظ قالب من الخشب لختم هـذا القربان بمتحف دبلن • ولكن الختم كان يصنع أحيانا من الحديد وكان يسمى « حديد الترتيل » لنفس السبب الذى ذكرناه من قبل ـ وعلى ذلك فاننا نجد فى مدينة يورك وصية تعود الى سنة ١٢٤٩ للميلاد تقول :

"tria instrumenta ferri, vocata syngyngirons ij alia instrumenta ferri propane ad eucharistiam ordinadi." (٣)

وتؤكد شهادة الآثار الفنية ـ انتشار عادة ختم القربان منذ عصر بعيد • واذا نظرنا الى رسوم القربان فى لوحات الموزاييك التى تعود الى القرن السادس الميـلادى بكنيستى سانت فيتـال S. Vitale وبسـانت أبوللينار Apollinare فى رافنا Ravenna ـ فسنجد أنها مرسومة داخل صليب مركزى • أما اذا نظرنا الى المذبح الذهبى فى ميلانو Milan ويعود تاريخه الى القرن السادس ـ فسنرى صورة سانت أمبروز القديس أمبروسيوس Ambrose واقفا خلف مذبح وضعت عليه أربعة قرابين على شـكل صليب • ونرى قربانة مرسـومة فى خولاجى سـانت دنيس St. Denys (٤) الذى يعود الى القرن الحادى عشر • وحيثما وجدنا رسم القربانة فى الصور القبطية نجدها مزينة بصليب واحـد مرسوم بنفس الأسلوب • وهذه الحقيقة التى تبدو معارضة لأصالـة التصميم القبطى الحالى ، تعود الى ضآلة مقياس الرسم الذى ترسم به القربانة (٥) •

---

(١) Vol. i. p. 149, note 24.

(٢) أرسل لى مستر دى فليرى رسما لبعض القرابين مأخوذا عن خولاجى كاثوليكى يعود الى القرن التاسع بالمكتبة الوطنية فى باريس ، ونجد ان اثنين من هذه القرابين تغطيهما نقوش مختلفة يتضمن أحـدها عبارة :

REX DS IHS XPS VERITAS LUX PAX GLORIA VIA.

ومعناها : الملك ـ الله ـ يسوع ـ المسيح ـ النور الحقيقى ـ السلام ـ المجد ـ الحياة •

وقد وزعت الرموز الخاصة بالانجيليين الاربعة حول صليب مركزى كبير •

(٣) Raine, York fabric Rolls, Glossar,y, p. 353.

(٤) La Messe, vol. i. Pls. viii, xiii.

(٥) بالعـودة الى المخـطوط القبطى الذى يرجـع تاريخـه الى القرن الرابع والذى نوهنا عنه منذ قليل ـ نجد أن صلاة التكريس المدونة به تختلف عن تلك المدونة بسائر =

ويستخدم لاتمام سر التناول نبيــذ غير مختمر ولكنه مصنوع من عصير العنب المجفف أو الزبيب الذى يترك منقوعا فى الماء لفترة معقولة ، وبعد ذلك يعصر فى معصرة النبيذ ، وهى معصرة من النوع المستخدم فى كنيسة أبى سيفين والتى وصفناها من قبل • ولكن النبيذ يصنع فى العادة بالقاهرة فى الكنيسة التابعة التى تحمل نفس الاسم بحارة زويلة ومن هناك يوزع على الكنائس فى جرار كبيرة مغطاة بالخيزران المجدول سعة كل منها ثلاثة أو أربعة جالونات وقد رأيت بعضها مخزونا فى خزانــة عميقة • ويصنع هذا النبيذ بكميات تكفى استهلاك السنة • ويحظر تناول النبيــذ المصــنوع من الزبيب بموجب القــوانين الكنســية • ولا شك أن استخدامه هناك يعود الى ضغط الحاجة أثناء عصور الاضطهاد من جانب، ومن الجــانب الآخر بسبب اضمحلال زراعــة العنب فى مصر • وتحت ضغط الحاجة يسمح أحيانا باستخدام النبيذ المصنوع من البلح • وبصرف النظر عن نوع النبيذ المستخدم فلابد أن يكون نقيا وغير معصور دهسا بالقدمين ولا يحتوى على مذاق حمضى • وكانت عطايا النبيذ لاستخدامه فى القــداس ، شائعة فى العصور القديمة (١) وهناك قانون خاص يمنع الكاهن من قبوله داخل الأوعية التى يحضرها المؤمنون من غير الاكليروس • ولذلك فان معظم الكنائس الآن لديها جرة صغيرة أو قنينة بها نبيذ غير مكرس موضوعة على حامل صغير ملحق بحاجز الهيكل • وقد وجدنا نبيذا من هذا النوع مصنوعا بنفس هذه الطريقة مستخدما لدى المسيحيين فى ملابار حوالى سنة ١٦٠٠ للميلاد ولكن أتباع هذا المذهب يخلطون الزيت والملح من عجين القربان وهو ترتيب تنكره كافة المراجع القبطية •

ويبدو أن القداسات الثلاثة كانت مستخدمة بكنيسة الاسكندرية منــذ العصور الأولى ــ وهى قداسات القــديس باسيليوس والقــديس غريغوريوس النزينزى والقــديس كيرلس • والأخــير يسمى باسم قداس القديس مرقس الرسول •

وفى الظــروف العاديــة يستخدم قداس القــديس باسيليوس • أما قداس القــديس غريغوريوس فهــو مخصص لثلاثة أعياد هى أعياد

= المخطوطات المعــروفة من حيث انها تتضمن بين كلمتى « شــكر » و « كسر » كلمـــة الســفراجيهيه ومعنــاها « وختم » وبالرغم من شــيوع هــذا الاصــطلاح فى اللغة القبطية للتعبير عن رشم علامة الصليب ولكن يبدو انه استخدم فى هذا الســياق للدلالة على ان القربانة التى كانت تستخدم فى تلك الفترة كانت مختومة •

(١) عنــدما كانت تفتح الدنان (البراميل الخشبية) الجديدة ، كانت تعطى المقادير الأولى منها للكنيسة • ولهذا السبب فان النبيذ يسمى فى القداسات القبطية : (دى اباركا) اى البواكير او البشائر •

الغطاس والقيامة والميلاد . أما قداس القديس كيرلس فيستخدم أثناء موسمى الصوم الكبير وصوم الميلاد . وقد خصصت لخدمة القداس يوم الأحد الساعة الثالثة (التاسعة بالتوقيت الحالى) ولا يسمح باقامة قداس آخر على نفس المذبح خلال نفس اليوم ، كما أن أوانى وملابس الخدمة المستخدمة فى هذا القداس لا تستخدم فى نفس اليوم مرة أخرى .

وعند بدء الخدمة فان كل من يدخل الكنيسة يحيى المذبح ثم يقبل طرف الستارة المعلقة أمام باب الهيكل أو يسجد أمام عتبة الهيكل . وهذه العادة لاتطبق على النساء اللائى يتعبدن منفصلات فى الشرفات أو غيرها من الأماكن المخصصة لهن . ومن المعتاد الآن بالنسبة للجوقة ترديد « تسبحة موسى » أثناء قيام الشمامسة باعداد المذبح ولابد من تغطية المذبح بالاضافة الى الغطاء العادى الملون ، بغطاء ثان يغطى المذبح والغطاء الأول . ويجب اعداد جميع الأوانى مثل الكأس والصينية والقبة والصندوق والملعقة فوق المذبح الذى يوضع فوقه أيضا اثنان من الشمعدانات التى تحمل الشموع .

ويجب على الكاهن قبل صلاة الاستعداد أن يفحص جميع هذه الأوانى .وأن يتأكد من أن اللوح المقدس مثبت فى مكانه تحت المفارش ، ثم يضع فوقه الصندوق (الكرسى) ويضع الكأس فى موضعها بالصندوق. وبعد أداة صلاة الأستعداد وصلاة الشكر يذهب الكاهن الى باب الهيكل ليأخذ القرابين من يد الشماس حيث تحضر ثلاثة قرابين على صينية ويتحسسها الكاهن للتأكد من أنها طازجة ويمسح فوقها بيده ويلوح فوقها بيده ثم يختار واحدة من الثلاثة ويحملها الى المذبح مع قنينة النبيذ . ويبدو أن هذا الترتيب يماثل المدخل الكبير للقداس اليونانى ، ولكنه الآن لا يطبق بنفس الروعة فى الكنيسة القبطية كما هو الحال فى طقس كنيسة القسطنطينية أو الملكانية المصرية ، وبعد ذلك توقد الشموع ويمسك بها الشمامسة بجانب المذبح ، ويمسك أحدهم كذلك بقنينة النبيذ كما يمسك شماس آخر ابريقا من الماء ثم يتحرك هذا الموكب حول المذبح بالشموع ومجامر البخور بينما يحمل الكاهن القربانة فى لفافة من الحرير ، أو كما هو شائع أكثر — فوق أحد المفارش الصغيرة التى وصفناها من قبل .

وبعد انتهاء الدورة حول المذبح يقف الكاهن فى مكانه أمام المذبح فى مواجهة الشرق وظهره نحو الشعب . ثم يخلط الخمر بقليل من الماء فى الكأس ولا يكون الماء دافئا كما هو الحال لدى اليونانيين . وأثناء صلاة التقدمة التى تلى ذلك يرشم الكاهن الخبز والخمر بعلامة الصليب . وعند انتهاء الصلاة يضع فوق الكأس المفرش الصغير الذى يقوم مقام

الغطاء ويمثل حجابا صغيرا جسميه ما تمليه التعليمات . وفي اجراء مماثل يضع فوق القربانة لفافة مستديرة صغيرة عليها ثلاثة صلبان ثم يضع انقبة أو النجم . وبعد ذلك يضع الصينية فوق الصندوق وبذلك ترتكز أيضا على الكأس (١) . ثم يغطى الجميع بالستر الأكبر حجما المصنوع من الحرير والمطرز فوقه صليب كبير . وبعد انتهاء هذه العملية يركع الكاهن ويقبل المذبح .

وأثناء صلاة التحليل يركع الكاهن وشمامسة الهيكل فى شكل دائرة أمام باب الهيكل مع الانحناء من وقت لآخر ثم يتناول الكاهن المجمرة ويقف أمام المذبح لرفع البخور ويلوح بالمجمرة فوق العناصر المقدسة ويدور حول المذبح وهو يحرك المجمرة بينما يرتل الشمامسة الألحان الثلاثة الخاصة برفع البخور ، ثم ينزل الكاهن ويقف أمام باب الهيكل مواجها الشرق ويبخر حول المدخل ثم يدور وينشر البخور فى كافة أرجاء الكنيسة ومع استمرار الألحان وقيام الكاهن بنشر البخور يقف المصلون ويحنون رؤوسهم .

وبعد ذلك تقرأ الرسائل باللغة القبطية من فوق المنجلية التى تنصب فى الخوروس على بعد عدة أقدام من باب الهيكل ويواجه القارىء اتجاه الشرق وظهره فى مواجهة الجمهور . وأثناء القراءة تنتشر سحب البخور فى الهيكل . وبعد انتهاء القراءة يشدو الشمامسة بأحد الألحان ثم يقرأ نفس الفصل باللغة العربية ولكن القارىء هذه المرة يقف على الدرجات التى أمام الهيكل فى مواجهة الجمهور .

ويقرأ فصل من أعمال الرسل بنفس الطريقة . ثم يقرأ فصل من تاريخ الكنيسة أو حياة القديسين (السنكسار) وبعد انتهاء القراءة يركع القارىء ويلمس الأرض برأسه أمام باب الهيكل ويقرأ الكاهن فصل الانجيل الأول وهو يقف فى مواجهة الشعب ممسكا الكتاب بيسراه بينما يمسك شمعة مضاءة فى يمناه .

وعند هذه النقطة يستمر الموكب فى الدوران حول المذبح من اطلاق البخور حتى الوصول الى لحن الثلاث تقديسات الذى يردده الشمامسة ثم يأتى دور قراءة الكاهن للانجيل فيتجه نحو الشرق ويخرج الشماس لدى باب الهيكل ويقول بصوت مرتفع : « قفوا بمخافة الله لسماع

---

(١) ارتفاع الصندوق يكفى لاحتواء الكأس بحيث تكون حافة الكأس بنفس مستوى سطح الصندوق .

الانجيل المقدس • وهنا يبخر الكاهن كتاب البشارة المختوم داخل الغلاف الفضى ويسلمه الى كاهن آخر يقبله ثم يضعه فوق المنجلية ، ويبدأ فى قراءة فصل الانجيل باللحن القبطى وهو يتجه ناحية الشرق • وأثناء القراءة يقف الكاهن القائم بخدمة القداس أمامه فى مواجهة الغرب ويبخر الانجيل باستمرار وقد وقف على كل من جانبيه شماس يمسك بشمعة مضاءة بينما تتوهج شمعة أخرى على الشمعدان الكبير الذى يوجد دائما بجانب المنجلية لهذا الغرض (١) وبعد ذلك يقرأ الانجيل بالعربية على مدخل باب الهيكل بينما يقف الشمامسة حاملين الشموع بجانب القارىء الذى يواجه المصلين فى تلك الأثناء ، ويظل الكاهن يلوح بالمجمرة • أما الشمامسة وشمامسة الهيكل الذى يرتدون الطرابيش مثلهم مثل جمهور الحاضرين فانهم يخلعونها أثناء قراءة الانجيل •

وعند انتهاء قراءة الانجيل يقبل الكاهن وكافة رجال الاكليروس الحاضرين البشارة الفضية • وكانت البشارة قديما تلف فى مفرش من الحرير وتحمل بهذه الطريقة أثناء الدورة داخل الكنيسة ، كما تقدم لمن يريد أن يقبلها من بين جمهور المصلين (٢) ثم تطفأ الشموع وتعاد البشارة الى الهيكل • ويقف جميع الكهنة حول الباب عندما تبدأ الصلاة بعد قراءة

---

(١) انظر الرسم الموجود فى شكل رقم ١٣ •

(٢) ربما كانت هذه العبارة تحدث بسبب حفظ البشارة داخل غلاف كامل من المعدن• وهذا التقليد والعودة الى الهيكل يتشابه مع مدخل التقليد اليونانى • اما فى الغرب فان عادة اشعال شمعة عند قراءة الانجيل كانت عامة لانها :

"Per totas orientic ecclesias" (Hieron. adv. Vigilant, iii. 13.)

ويذكر روك انه جرت العادة فى انجلترا بعد القراءة ، بان ياخذ الشماس المساعد الكتاب الى الاسقف لكى يقبله وبعد ذلك الكاهن ثم باقى الشعب ، وبعد ذلك تطفأ الشموع ويقول كتاب Ordo Romanus ان الشماس يتسلم البشارة من مساعد الشماس ويحملها لكى يقبلها رجال الاكليروس وسائر الشعب وفى القرن الثالث عشر منع البابا هونوريوس الثالث تقبيل البشارة بواسطة افراد الشعب فيما عدا الامير ولى العهد ، متناسيا المعنى الحقيقى لهذا العمل • اما فى الكنيستين الروسية واليونانية فيسمح للعلمانيين بتقبيل الانجيل كما هو الحال عند الاقباط • وفى مصر عموما يبدو أن الكهنة يقبلون الكتاب وهو مفتوح ، ثم يغلق ويقدم للشعب من غير الأكليروس لكى يقبلوه ، وهذه القبلة تختلف بالطبع عن قبلة السلام التى يبدو انها عرفت فى انجلترا لأول مرة فى القرن الثالث عشر • وقد ورد ذكر السلام لأول مرة فى قوانين جراى رئيس اساقفة يورك • ثم اهمل تدريجيا بعد الاصلاح الدينى بسبب النزاع حول الأسبقية • الا ان الانجيل كان يتم تقبيله احيانا فى انجلترا بدلا من السلام ، بينما اصبح التقبيل فى المانا بدلا من السلام • انظر :

(Lay Folk's Ma s Book, ed. Canon simmons, pp. 221, 296).

الانجيل ، وهنا تعطى التعليمات الخاصة بالخدمة وغيرها من الأمور • وفى حالة عدم القاء العظة ينصرف الموعوظون عند هذا الحد •

وفى هذه الأثناء يشدو الشمامسة بأحد الألحان ، وبعده يسجد الكاهن أمام الهيكل ويقبل العتبة ، وهو يردد صلاة الحجاب بصوت منخفض • ثم يقف الكاهن ويذهب الى المذبح ويقبله بينما يقف الشمامسة خارج الباب وهم يرتلون الألحان • وبعد الصلاة من أجل الكنيسة الجامعة ومن أجل جمهور المصلين يردد الجميع فى صوت واحد ــ قانون الايمان ، بينما يغسل الكاهن يديه ثلاث مرات ثم يجففهما فى مواجهة الجمهور • وبعد أن ينحنى لباقى رجال الاكليروس ويرسم علامة الصليب على جمهور المصلين ، يتمتم بعبارة « السلام لجميعكم » ويردد صلاة أوشية السلام • وفى نفس الوقت يرفع المفرش الكبير (الابروسفارين) عن قربانة الحمل، كما يرفع الصينية عن الكأس • ونستطيع الآن أن نشاهد الحجاب أو المفرش الأصغر حجما موضوعا (١) بينما يرفع الكاهن لفافة أخرى مشابهة فوق رأسه • على شكل حجاب أو طبق أخضر اللون وبه صليب ذهبى لكى يراه جميع الحاضرين • وعند عبارة « قبلوا بعضكم بعضا بقبلة مقدسة » يتجه الكاهن ناحية الغرب وينحنى لجميع الحاضرين ببطء بينما يحيى الحاضرون بعضهم البعض بأن يتجه كل شخص الى من بجواره ويلمس يديه • ويلى ذلك تسبحة الغلبة والخلاص بينما يصيح الناس بكلمة « آجيوس » (قدوس) ثلاث مرات • ومازالوا حتى اليوم يرددون هذه الكلمات القديمة • والآن ترفع اللفافة الأصغر أو الطبق الأحمر عن الكأس ، ويمسكها الكاهن باليد اليمنى بينما يمسك بالطبق الأخضر فى يده اليسرى ويرفع يديه • وبنفس الطريقة يأخذ العديد من اللفافات التى على المذبح ويرفعها وذراعاه مبسوطتان (٢) أثناء احياء ذكرى الخلاص وقد تكون اللفافات مخصصة لأغراض أخرى أثناء القداس •

---

(١) الحجاب الأصغر الذى يعرض بهذه الطريقة هو فى العادة لفافة حمراء صغيرة مستديرة مطرز فى وسطها صليب ذهبى •

(٢) لا أستطيع أن أجد تفسيرا لهذه العادة فى التعليمات المدونة ولكننى سأدون هنا ما وجدته واردا فى كتاب :

Lord Bute's "Coptic Morning service." p. 80.

ان التعليمات المدونة تنصح الكاهن بأن يرفع لفافة الكأس ويعرضها لنفسه وللشماس وللشعب ثم يعيدها ثانية ، وهذا العمل الذى ذكره ليس دليلا كافيا لتوضيح طقس أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة ولكن هناك اجماع عليه لأن التحول الى كنيسة روما بين الاقباط ممنوع حتى لا يقلدوا اللاتين وانما هم يتمسكون بتراثهم القومى ••

وعند صلاة القسمة يرفع الكاهن يديه خلال دخان المجمرة التى يحملها الشماس ثم يرشم القربانة ثلاث مرات ويقسمها الى ثلاثة أجزاء مع بقائها ملتصقة ·

ويرشم الكاس بنفس الطريقة ويحركها أمامه على هيئة صليب · وخلال هذا الاجراء يقف اثنان من الشمامسة كل منهما الى أحد جانبى الكاهن وهو يحمل شمعة مضاءة ويرفع جميع الشمامسة على مختلف مراتبهم الطرابيش عن رؤوسهم ثم ينحنون مرة اخرى ·

وبعد جملة أو اثنتين ينطق بهما الكاهن يصيح المصلون « كيريا ليصون » وهنا تكون صلاة التقدمة قد تمت ، ويتحرك اثنان من الشمامسة بين صفوف المصلين وكل منهما يحمل طبق العطاء وشمعة مضاءة لهذا الغرض لا شك أنها ترمز لتذكار النص المعتاد · ويستمر الشمامسة فى ترتيل الالحان أثناء صلاة الشفاعة وتخليد الأحياء وأوشية الراقدين (١) وفى هذه الأثناء يرفع الكاهن يديه عاليا وقد أمسك بكل منهما لفافة من اللفافات العديدة التى فوق المذبح · ويتم تغيير غطاء العناصر المقدسة · ويرفع اللفافة التى بلون الزعفران الموضوع عليها ، ثم يضع بدلا منها لفافة أخرى بيضاء الحواف بلون قرمزى داكن ، ويرشم الجمهور بعلامة الصليب · والآن نأتى الى مقدمة القسمة · عندما يقول الكاهن : « الجسد المقدس » يأخذ قربانة الحمل ويضعها على يده اليسرى ثم يضع اصبعه على القلب الذى تقسم منه ومع قوله : « والدم الكريم » يرفع اصبعه عن الخبز ويغمسه فى النبيذ ويرشم فوقه علامة الصليب · وبنفس الأصبع يرشم الاسباديقون وجزءا آخر من القربانة وبذلك يبلغ عدد الصلبان التى رشمت على العناصر ثلاثة صلبان — وبعد السلام تبدأ صلاة القسمة التى يقوم الكاهن خلالها بتقسيم القربانة الى خمسة أجزاء ثم يقسم الأجزاء الأربعة الى قطع صغرى تسمى « الجواهر » كما فى القداس اليونانى ·

---

(١) اعتاد الاقباط مرة واحدة فى السنة خلال موسم الصوم الاربعينى ان يكتبوا أسماء أقاربهم الاحياء والأموات الذين يريدون ذكرهم فى القداس · وانا اعرف بعض المسيحيين من غير الاكليروس الذين يجولون بكافة كنائس القاهرة طوال اليوم ويتركون بكل منها ورقة ملفوفة فيها قدر من المال حسب طاقة المتوسل · اما العبارة الشائعة للذكرى فهى « اذكر يارب عبيدك الذين كتبت أسماؤهم هنا فى ملكوت السموات الاحياء فلان وفلانة والأموات فلان وفلانة » · وأحيانا تضاف توسلات أخرى حسب الحاجة منها على سبيل المثال ان ابنا طرد من وظيفته فنجد اباه يتوسل من أجله بهذه الكلمات : « يارب لك ضيقة يوسف » ·

وبعد ذلك يصلي الجميع الصلاة الربانية وهم وقوف وليسوا راكعين مع نشر الذراعين والنظر الى أعلى حسب العادة القديمة • وأثناء التقديس Sancta-sanctis يرفع الكاهن الاسباديقون فوق رأسه ثم يخفضه فى الكأس ويرشم به علامة الصليب على الكأس ، ثم يخرجه ويرشم به بقية القربانة وبذلك يرشم ثلاثة صلبان من الخبز على الخمر ومن الخمر على الخبز وبعد ذلك يضع الاسباديقون على الكأس • وبعد ترديد الاعتراف توضع اللفافة على القربانة ويقبل الكاهن المذبح مرددا التمجيد • وعند رفع اللفافة التى تلى ذلك تظهر القبة أو النجم معتدلة فوق الصينية وتحتها لفافة صغيرة مطرزة بالصلبان التى تغطى القربانة ، وفجأة يرفع الكاهن الصينية بيده ويرفعها على رأسه ثم يستدير نحو الشعب ويقف فى مدخل الهيكل وهو يرفعها الى أعلى وهنا يصيح الجمهور « مبـارك الآتى باسم الرب » • وأثناء التكريس يقف على كل من جانبى الكاهن شماس يحمل شمعة موقدة •

ويبدأ الكاهن فيتناول أولا ثم يقدم الرجال الاكليروس ثم الشعب بالترتيب • وأثناء التناول يحمل كل من المتقدمين لفافة فى يده ، وبعد أن يأخذ الجوهرة فى فمه يحيط فمه باللفافة جيدا حتى لا يسقط أى فتات على الأرض • ثم يناول الدم بالملعقة • أما الاسباديقون فانه يحفظ لكى يتناوله الكاهن خادم المذبح • واذا كان الأسقف حاضرا فانه يتناول بنفسه بوضع الملعقة فى الكأس • وحتى الأطفال الصغار يتناولون ويسمح لهم بدخول الهيكل (١) ولكن الكاهن يخرج من الهيكل ويناولهن فى مكانهن فى الشرفة أو فى الطرف الغربى من الكنيسة • والمتقدمون للتناول الآن قليلو العدد ومعظمهم من الأطفال • ويدورون حول المذبـح ويستمرون فى التناول حتى تنتهى القربانة ثم يشرب الكاهن كل ما يتبقى فى الكأس حتى الثمـالة • ويمسح داخله بأصبعه ويلعقه ــ ثم يغسل الكأس بالماء ويشرب الماء المختلط بالبقايا • ويغسل الصينية بنفس الطريقة ثم يشرب الشماس الماء المختلط بالبقايا • وقد رأيت شماسا بعد انتهاء التناول يضع الملعقة على شفتيه وعينيه وجبهته ــ وهى عادة تعود الى خمسة عشر قرنا مضت منذ عصر القديس كيرلس الأورشليمى ، الذى كتب فى منتصف

---

(١) فى الطقس الكلتى لا يسمح للنساء بالتناول الا اذا كن يرتدين ايشارب أو لفافة وهى عادة شرقية منصوص على مراعاتها فى القوانين الرسولية ومازالت باقية لدى القبط • ويذكر مستر وارين كذلك كنيسة ايرلندية فى شمال مونستر Munster كان لا يسمح للنساء بدخولها ــ مثل العادة التى كانت موجودة بكنيسة الانبا شنودة ، كما يذكر كنيسة أخرى لم يكن يسمح فيها للنساء بالاقتراب من المذبح ــ انظر :
Lit. & Rit of Celtic Church, pp. 136-138.

القرن الرابع تعليمات للمتقدمين الى التناول يقول فيها : « ثم تلمس بيديك بقايا الماء التى على شفتيك وتقدس بها عينيك وجبهتك وسائر الحواس (١) **وليست هناك كنيسة أخرى تحفظ التفاصيل الدقيقة للتقليد القديم بمثل هذا الأسلوب الرائع ».**

وأخيرا فانه بعد غسيل الأوانى ومنح البركة يقوم الأسقف — فى حالة حضوره — برش الماء على المذبح وفى الهواء حول الهيكل وعلى رجال الاكليروس · ثم يخرج الأسقف من الهيكل وخلفه شماس يحمل حوضا فضيا وابريقا · ويصب الشماس الماء على يد الأسقف الذى يرشه فى كافة الأرجاء على أفراد الشعب الذين يحتشدون حوله وقد اشرأبوا بأعناقهم والآن توزع لقمة البركة من القرابين التى لم تتقدس ثم ينصرف الجمهور · وهذه القرابين لها نفس حجم وشكل القربانة التى تقدست وليست أقل حجما كما أنها لم تخلط بالملح وليست كما يزعم فانسليب المشكوك فى صدق روايته (٢) شائعة منذ القرنين الماضيين فالأقباط لا يستخدمون الملح فى أى جزء من طقسهم مهما كان الأمر ·

وبالطبع فاننى لم أذكر شيئا عن استخدام المروحة أولا لأنه لم يرد ذكرها فى التعليمات المدونة وثانيا لأنه أثناء احتفالات القداس المزدحمة فى هذه الأيام ، لا يمكن رؤية الكاهن القائم بالخدمة خلال فتحة باب الهيكل الضيقة ، الا بصعوبة ، كما أن تحركات الكاهن غير ظاهرة بسبب وقوفه فى الجهة الشرقية وأحيانا بسبب سحب البخور ، ولذلك فمن الصعب متابعة خطوات الطقس والتأكد مما يحدث أثناء التحرك فى لحظة معينة (٣) · وعلاوة على ذلك فانه وقد أصبحت المروحة المستخدمة الآن مجرد لفافة أو حجاب وأن عدم استخدام اللفافات كثير ومعقد ، فانه من

---

(١) كتبت مذكراتى عن هذه العادة بنفس الكلمات التى أوردتها منذ أكثر من ثلاث سنوات قبل أن أعرف بوضوح القطعة التى تعود الى القديس كيرلس "Catech Mystag. 22." أى رسالة : (التعليم) ·

(٢) (Histoire P. 100) وهذه العبارة محل تساؤل · أما الاصطلاح الذى يستخدم للدلالة على هذه القربانة فى الطقس اليونانى فهو لنتيدورون وباللاتينية بانيس بينيدكتس (خبز البركة) أو الخبز المقدس "Panis benedictus" أما فى الكنيسة الانجليزية فان الخبز المقدس وقبلة السلام كانا ممنوعين بالنسبة للخطاة المشهورين بسوء السمعة — انظر : (Rock, vol. iii. Part 2. p. 185)

(٣) توجد التعليمات المدونة التى تتفق فى الكثير أو القليل مع بعض أجزاء الوصف الذى قدمناه — فى :
"Dammoné's Liturgies, pp. 195-233; and Renaudot, Lit. or toc. i. pp. 153-302.
حيث يمكن تحصيل الكثير من المعلومات القيمة ».

المثير للارتباك تحديد الموقف الذى تستخدم فيه اللفافة للتهوية بدلا من المروحة • وأعتقد أنه تجرى التهوية على العناصر المقدسة قبل وبعد التقديس (١) • ولكننى أكرر أنه من المستحيل ملاحظة التفاصيل الكاملة لخدمة القداس •

ولا تلتزم الكنيسة القبطية بعبادة حفظ الذخيرة المقدسة وهى تختلف فى ذلك عن كنيسة القسطنطينية لأن اليونانيين يغلقون عليها فى صندوق من الفضة أو الخشب ويلفونه بلفافة من الحرير ، ثم يعلق على الحائط الشرقى للهيكل مع اشعال قنديل أمامه : أما بين الأقباط فالتعليمات تنص على أنه اذا وجد بعض فتات من الذخيرة بعد أن يشرب الكاهن البقايا فيجب أن يتناول هذا الفتات أحد الشمامسة أو العلمانيين الذى لم يشرب الماء بعد • ولكن اذا لم يكن ذلك متاحا فان الفتات يلف فى لفافة ويحفظ بين شمعتين مشتعلتين مع القنديل الموجود فى حالة اشتعال دائم بالشرقية • وعلى الكاهن أن يمكث بجوار هذه الذخيرة حتى احتفال القداس فى اليوم التالى حتى يستطيع أن يتناول هذه الفتات بعد فترة الصيام المقررة وممارسة تاديب قاس لقاء ما وقع فيه من اهمال • وكان رهبان دير أبو مقار بالصحراء الغربية فى خلال القرن الحادى عشر قد اعتادوا حفظ الذخيرة المقدسة اعتبارا من يوم أحد السعف حتى خميس العهد • وعندما اكتشف البطريرك الأنبا خريستوذولوس هذا الترتيب منعه لأنه ضد تعاليم الكنيسة ووضع له عقوبة الحرمان • وقاوم الرهبان هذا المنع وتساءلوا عما اذا كان البطريرك المذكور افضل من أسلافه الذين سمحوا بهذه العادة ؟

وبناء على ذلك انسحب الأنبا خريستوذولوس الى المكتبة التى فى برج الدير ووضع رسالة قرأها أحد الأساقفة على الجميع واستطاع بها اسكات أصوات المعارضة • ومنذئذ هجرت هذه العادة • ويعلق رينودو Renaudot وهو يورد هذه القصة قائلا ان الحفظ المنوه عنه هنا لا يقصد به حفظ الذخيرة لمناولة المريض فهذه عادة مسموح بها دائما • ويحفظ الاسباديقون بعد غمسه فى الكأس أثناء التقديس • ولا مجال للسؤال عن أن هذه التفرقة خاطئة • ولكن الاسباديقون أو أى جزء آخر من القربان المقدس يحفظ لمناولة المريض (٢) أو لوضعه فى الكأس أثناء

---

(١) قوانين القديس اثناسيوس تقرر ذلك • انظر •
Vansleb, Histoire, p. 228 fin.
وهى تتفق ايضا مع التعليمات المدونة فى قداس القديس يوحنا فم الذهب •

(٢) يذكر ايضا فانسليب (Histoire, p. 130) وبوكوك (Vol. I. p. 248) أنه لا أحد من الاقباط حتى هؤلاء الذين اعتنقوا المذهب الرومانى - يمارس عادة حفظ الذخيرة المقدسة • وهذا هو نفسه المعمول به حاليا •

القداس التـالى مثلما كانت العادة فى الطقس اليونـانى أو الرومانى ٠ أما أسطورة اتهام احدى الأفاعى للقربان المقدس وما ترتب عليها من التوقف عن عادة حفظ الذخيرة المقدسة فقد ذكرناها من قبل ٠

ويجب أن يتم التقديس دائما داخل مبنى الكنيسة فيما عدا حالات الضرورة القصوى فى المناطق التى لاتوجد بها كنائس ٠ أما بخصوص مناولة المرضى فلاشك أنه جرت العادة فى التاريخ القبطى فى فترات معينة بحفظ الذخيرة المقدسة لما بعد يوم القداس لأجلهم أو لأجل الكهنة الذين وفروا مشقة التقديس فى اللحظات الطارئة ٠ وعلى كل حال فقد اعتبرت هذه العادة خاطئة حيثما وجدت ، لأن القوانين تأمر بأنه فى حالة الضرورة عندما لا يستطيع المريض أن يحضر الى الكنيسة فان التكريس على الرغم من هذا لابد أن يتم داخل جدران المبنى الكنسى فقط ، ويلتزم الكاهن بالذهاب بعد ذلك فى موكب حاملا القربان المقدس وبصحبته الشمامسة الذين يحملون المجامر والشموع ٠ وبالرغم من أن هذا الاحتفال قد تجرد الآن من كل أبهته الا أن العادة التى تلزم الكاهن بأن يحمل جـزءا من الذخيرة المقدسة الى الشخص المريض — مازالت مرعية ٠ وهناك اذا وجد الكاهن من الأسباب سواء البدنية أو الروحية ما يجعل المريض غير مستعد للتناول فان الكاهن لا يعيد القربان الى الكنيسة ولكنه يتناوله بنفسه ، وحتى يكون مستعدا لمثل هذا الموقف فانه ملزم بـأن يذهب الى منزل المريض صائما ٠ ويعطى القربان المقدس للمريض بعد الاعتراف وبشرط الا يكون المريض فاقدا للاحساس أو الوعى ٠ ولابد لمن يتناولون أو ينقلون العناصر المقدسة مراعاة أن يتم ذلك بكل توقير وعناية ٠ وتوصى قوانين الأنبا غبريال بأنه لا يسمح للشماس الصغير السن وغير المدرب بأن يمسك الكأس أو الملعقة خوفا من أن يسقط قطرة من النبيذ أو ذرة من القربان المقدس على الأرض ٠ واذا سقطت الملعقة فى الكأس فيجب على الشماس أن يتركها ويستخدم ملعقة أخرى ٠ وهناك احتياطات مشابهة موجودة فى القوانين التى تعود الى أقدم العصور ٠ أما اهمال الكاهن الذى يترتب عليه سقوط ذرة من الذخيرة المقدسة فانه يعاقب عليه بالابعاد لمدة أربعين يوما عن خدمة المذبح وعن المشاركة فى سر الافخارستيا ويلزم بأن يقضى فترة العقوبة صائما وأن يؤدى خمسين ميطانية كل ليلة ٠

ويؤمن الأقباط بأن الخبز والخمر يتحولان الى جسد ودم المسيح ذاته حسب كل ما يعنيه هذا الاعتقاد حرفيا ٠ وعندما ذهب الأنبا غبريال البطريرك السبعون الى أديرة وادى النطرون لكى تتم رسامته هناك — أدار حوارا مع الرهبان حول الاعتراف بالايمان الذى يسبق التقدم للتناول، وهو يمضى هكذا : « أؤمن وأعترف بأن هذا هو جسد سيدنا ومخلصنا

يسوع المسيح الذى أخذه من والدة الاله العذراء القديسة مريم وجعله متحدا مع لاهوته » • فقد رفض بعض الرهبان العبارة الأخيرة بحجة أنها اضافة حديثة ولكنهم قبلوا أن يتسلموها بعد تحديد مفهومها بعبارة « بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير » • وهذه هى الصيغة التى ما زالت مستخدمة حتى اليوم • ويسبقها عبارة « الجسد المقدس والدم الكريم الذى ليسوع المسيح ابن الهنا • جسد ودم عمانوئيل الهنا • هذا الذى يتحد بالمادة » • أما فى الدعاء فانه يصلى طالبا حضور الروح القدس وأن « يجعل هذا الخبز جسدا للسيد المسيح وأن يصير هذا الخمر دما له » •
وتظهر حقيقة هذا الاعتقاد من خلال قصة تعود الى القرن الحادى عشر فيقال ان ناسكا يدعى بطرس كان اصبعه السبابة مربوطا لمدة خمسة عشر عاما ، وعندما حضره الموت زاره اثنان من الكهنة والحوا عليه أن يكشف عن اصبعه • وعندما فك الرباط ظهر اصبعه أحمر اللون كما لو كان قد غمس فى دم طازج • وعندما قال لهم بطرس انه كان يتلو القداس فى الكنيسة (يبدو أن ذلك حدث فى الدير الأحمر) ووصل الى تقديس الكأس ، لمس سطح الخمر بأصبعه ثم قال فى نفسه « هل يصير ذلك حقا دم المسيح ؟ » وعندئذ ارتفعت الخمر فى الكأس فغطت اصبعه وصبغته بالدم الذى بقى عالقا به دون أن ينمحى • ومن ذلك اليوم فصاعدا لم يحاول تكريس الافخارستيا مرة أخرى •

أما قداسات الترحيم من أجل أرواح المنتقلين حسب المفهوم الرومانى فانها غير معروفة بالمرة فى الكنيسة المصرية لسبب بسيط هو أن الأقباط لا يعتقدون فى وجود المطهر • ولكنهم يؤمنون بأن الروح بعد الموت تدخل فى الحالة الوسطى فى انتظار الدينونة • وخلال فترة أربعين يوما بعد الموت أو على الأصح بعد انتهاء هذه الفترة تشجع الكنيسة القبطية الصلاة من أجل الموتى أو ذكرهم فى القداس ، ولكنها لا تؤمن بالتكفير عن الخطايا بعد الموت بمعاناة الآلام أو عبور أهوال الأبدية •

سر التوبة أو الاعتراف

رتبت الكنيسة القبطية سر الاعتراف منذ العصور الأولى • كما أنه مازال يعقد حتى اليوم انطلاقا من ثبات المبدأ ولسنا فى حاجة للقول بأن المبدأ والممارسة قد اختلطا فى مسائل عديدة على مدى التاريخ القبطى • وقد قيل ان الأنبا يوحنا البطريرك الثانى والسبعون الذى عاش خلال القرن الثانى عشر قد ألغى هذا السر • وحوالى سنة ١١٧٤ قام مرقس ابن القنبرى بعمل جولة عظيمة فى ربوع مصر معلما بأنه لا غفران للخطايا

بدون الاعتراف . وقبل ذلك بحوالى قرنين تحدث الأنبا ساويرس البطريرك الخامس والخمسون فى هذه النقطة بوضوح لأنه كتب فى خطاب حل لشماس معين — ما يلى :

« حلت أربطة هذا الشماس بكلمتى ، ولذلك لايوجد سبب يستدعى أن يعوقه أحد من المؤمنين عن التقدم للتناول » . وبعد ذلك أعلن رأيه بأن من يتقدم للتناول بدون اعتراف بخطيئته فانه يجعل خطيئته أعظم » .

ويتم الاعتراف أمام الكاهن فقط وقد تحدد فى أيامنا هذه بأن يكون القمص أو كبير الكهنة هو الذى يمنح الحل . وبعد سماع الاعتراف يأمر بالتأديبات الكنسية التى يراها مناسبة ، ويجب اتمام هذه التأديبات قبل منح الحل . ولا يعتبر الاقرار العام بالخطيئة كافيا ، كما أن الكاهن لايستطيع تحديد التأديب المناسب للخطيئة المختفية خلف التعبيرات العمومية وقيل انه عندما ألغى الأنبا يوحنا هذا الطقس اعتبر أن الاعتراف الصامت أثناء انطلاق سحب البخور بمثابة بديل للاعتراف الصريح بالذنب . وقد انتشرت نفس هذه العادة بين الأحباش . ولكن هذا الخروج على القانون الكنسى كأن مؤقتا ، رغم أن تجاهل الاعتراف الصحيح استمر فترة طويلة . ويبدو أن نص الحل هو نفسه الوارد ضمن صلاة تحليل الابن وربما أقل منها قليلا .

ويقف المعترف أمام الكاهن جاثيا على ركبتيه ومطأطئا رأسه الى الأرض . ويتلو الاثنان معا الصلاة الربانية وبعد تلاوة بعض الصلوات الأخرى يمنح الكاهن الحل للمعترف ويباركه . وأثناء الصلوات يؤدى المعترف ثلاث ميطانيات أمام المذبح وميطانية واحدة أمام أب الاعتراف الذى يقبل المعترف قلسيه ملتمسا صلواته ، ويلى ذلك فرض التأديب ولابد من تنفيذه بدقة . ويحكى التائب كافة أفكاره وأفعاله للكاهن . وبعد أن ينفذ التائب كافة التزاماته ، يصلى عليه الكاهن صلاة تحليل ثانية ، وبعد ذلك يسمح له بالاشتراك فى التناول . أما فى كنيسة الحبشة فقد كان المعتاد لمس التائب برذاذ الزيتون ، وهذا الترتيب الذى كان شائعا فى المسيحية الغربية ما زال معمولا به فى الكنائس الكبرى بروما .

وعند عودة المرتد أو الشخص السيىء السمعة الذى عاش فى الشر ، الى جماعة المؤمنين بالكنيسة ، يعلن الكاهن البركة باسم الثالوث القدوس على اناء مملوء بالماء ويصب فيه الزيت المقدس ثلاث مرات على شكل صليب . وبعد ذلك تقرأ بعض الفصول من الكتاب المقدس ويصلى الكاهن صلاة

التحليل على رأس التائب · ويبارك الماء مر أخرى ويرشمه بعلامة الصليب ويرشه ثلاث مرات وهو يقول :

« أغسلك باسم الآب والابن والروح القدس » وبعد أن يستعيد التائب ملابسه · يتلو الكاهن صلوات أخرى ثم التحليل ، وبعد ذلك يصرفه قائلا : « هأنت قد برئت فاذهب في طريقك ولا تعد تخطىء أيضا (١) » · ومن الضرورى عند لحظة الموت أداء الاعتراف ونيل الحل ·

---

(١) انظر : Vansleb, Histoire, p. 119. – ويبدو أن القصة التى أوردها بها بعض التكرار غير الضرورى ·

الأسرار السبعة (بقية)

الكهنوت ـ الزيجة ـ مسحة المرضى

تعترف الكنيسة القبطية حاليا بالرتب الكهنوتية التالية فى تدرج مراتب النظام الكنسى : البـطريرك ، والمطـران ، والأسقف ، ورئيس الكهنة أو القمص ، والقس ، والأرشيدياكون ، والشماس ، والقارىء . ومن الرتب الواضحة كذلك رتبة مساعد الشماس الايبودياكون ، وموقعه يلى الشماس مباشرة ولكن رتبته ليس لها اسم محدد فى الحديث الشائع . ويضاف الى هذه الرتب رتبة الراهب . وتذكر التعليمات المدونة كذلك رتبة المرتل ، والبواب ـ ضمن رتب الكنيسة بالرغم من أن هذين الأخيرين لا يكرسان بيد الأسقف (١) .

البطريرك

اللقب الكامـل للبطريرك هو : « صاحب الغبطـة والقداسة بابا وبطريرك المدينة العظمى الاسكندرية وكل أرض مصر وأورشليم المدينة المقدسة ، والنوبة ، والحبشة ، وخمس المدن الغربية ، وسائر أقاليم

---

(١) اورد احد المخطوطات التى تعود الى القرن الرابع ، الرتب الكنسية كما يلى : البطريرك ، والأسقف ، والقس ، والشماس ، ومساعد الشماس ، والقارىء ، والراهب ـ وهؤلاء هم الذين يذكرون فى القداس ـ انظر كتاب :

Fragmentum Evangelii, S. Johannis by A. Georgius, pp. 308-9 (Rome, 1789, 4 to.)

وباختصار نقول ان هذه القائمة قد أوردها يوسف شماس ابو مقار فى اوائل القرن الحادى عشر ـ انظر : ـ

Quatremère, Recherches Critiques et Historiques sur la Langue et la Littérature de l'Egypte, p. 248.

الكرازة المرقسية • ويذكر رينوذو Renaudot هذا اللقب بصورة مختلفة اذ يضيف اليه « وبابليون الفسطاط » التى يتضح لنا أنها أضيفت بعد الفتح الاسلامى • وكلمة « بابا » تثير الكثير من الجدل ، ولكنها مشتقة من الكلمة القبطية بى آبا (أى السابا) أو الأب • وبالطبع فان رينودو يفترض أن هذه الكلمة انتقلت من روما الى الاسكندرية (١) ولكن المقريزى يقول ان الأسقف كان يدعى الأب ، بينما كان البطريرك يدعى «أبو الآباء» أو البابا (٢) وأن هذا اللقب الذى استعارته روما كان مستخدما بكنيسة الاسكندرية منذ عصر البطريرك الأول • ويورد أوطاخى نفس الرواية •• ويعترف الأقباط بثلاثة بطاركة مسكونيين آخرين هم أحبار روما ، وافسس الذى تغير مقر كرسيه الآن فأصبح القسطنطينية ، وانطاكية •• وقد يتصدر بابا روما المجمع المسكونى ، **بينما يحمل بابا الاسكندرية لقب : قاضي المسكونة ، وهو مفوض فى تحديد مواعيد القيامة** ، أما بطريرك انطاكية فهو « القاضى بين البطاركة » وله سلطان تكريس الميرون المقدس اذا اجتمع جميع البطاركة لاقامة قداس خميس العهد • وبالاضافة الى ما ذكرناه ، فان القبط يعترفون بثلاثة بطاركة فخريين هم بطاركة أورشليم ، وبغداد ، وأثيوبيا • وعند اجتماع البطاركة فان بطريرك أورشليم يحمل الصليب ، بينما يحفظ بطريرك بغداد الايمان ، ويقوم بالتحكيم فى أية خلافات تنشب بين المذاهب الشرقية (٣) •

وفى الماضى كان مقر الكرازة القبطية بالاسكندرية ، ولكن بعد الفتح الاسلامى عندما أصبحت القاهرة هى العاصمة ، انتقل الكرسى اليها للملاءمة العملية • ويجرى الحديث عن الكنيسة المعلقة بوصفها الكاتدرائية الرئيسية لمصر القديمة والقاهرة ، وقد أقيم الكرسى البابوى فيها بعد انتقاله من الاسكندرية • ولكن يبدو أن كنيستى أبى سرجة وأبى سيفين قد تمتعتا بمركز الصدارة فى فترات مختلفة مما يبين أن مقر البطريرك قد تنقل مرارا • وفى القرن الأخير أصبح المقر ثابتا فى حارة الروم • ولكن بعد الغزو الفرنسى أقام البطريرك المعاصر للغزو ، الكاتدرائية الحالية بحى الأزبكية والمقر الملحق بها الذى مازال مستخدما بوصفه القصر البابوى ••

أما بخصوص انتخاب البطريرك فى العصور الأولى للكنيسة ، فان

---

(١) Lit. Or., vol. 1, p. 349.

(٢) See : Malan's History of the copts, pp. 27 n. and 28 n.

(٣) Vansleb, Histoire, pp. 9-10.

هناك جدلا (١) بين القسوس الاثنى عشر الذين كرسهم القديس مرقس الرسول والعبارة الملكية التى أوردها أوطاخى ، ويكفينا هنا الاشارة الى أن كافة الأدلة التاريخية تدل على اجراء عملية الانتخاب بمعرفة مجلس مكون من كبار رجال الدين وأراخنة الشعب: ويتم اختيار البطريرك بمعرفة سنودس من الأساقفة ، ويقر جمهور الشعب الاختيار الذى يتوصلون اليه. أو أن الشعب يقدم مرشحا ويقر الأساقفة انتخابه • وقبل سنة ٧٠٠ للميلاد ، كان الانتخاب يجرى دائما فى الاسكندرية وعندما انتقل كرسى البطريرك الى القاهرة أصبح الانتخاب يعقد بالقاهرة حتى حوالى سنة ١٠٠٠ للميلاد • وتلت ذلك فترة نالت هذا الشرف أثناءها المدن المتنافسة كل فى دورها • وفى النهاية أصبح للقاهرة الحق المطلق فى التفوق على بقية المدن • ولكن حتى بعد أن أصبحت القاهرة معروفة بوصفها مكان الانتخاب ، فان عملية التتويج كانت تعقد دائما بالاسكندرية ويليها الاعلان الرسمى بدير القديس مقاريوس فى الصحراء • والحقيقة أن انتخاب البطريرك جرى بالدير فى ظروف نادرة •

وبمجرد وفاة البابا ، كانت خطابات اعلان وفاته ترسل من الاسكندرية الى جميع الأساقفة والأديرة وأراخنة الشعب تدعوهم الى اللقاء معا • وكان اهتمام المجلس الأول ينحصر فى تعيين أكبر الأساقفة رئيسا ، للحصول على اذن من السلطة الزمنية باجراء الانتخاب ، ولاعداد أنفسهم بالصلوات والأصوام والأسهار • وعندما يعقد الاجتماع بالاسكندرية يصبح لرئيس كهنة كنيسة القديس مرقس الحق فى اعلان المرشحين • وبالرغم مما قيل عن أن حق الترشيح كان فى يد القاهريين : فان الكثير أو القليل من الحق الخاص كان متوافرا لممثلى الاسكندرية • وفى الغالب كان المرشح ينال التزكية من كافة الأطراف خاصة اذا كان متمتعا بوصية البطريرك المتوفى • أما فى حالة عدم الموافقة فان اتخاذ القرار كان صعبا فى بعض الأحيان حتى وصل الأمر كما ورد فى القصة ، الى حد أن الوزير المسلم فى القرن الحادى عشر ــ قد أوصى القبط باتباع العادة النسطورية(٢) وكان النساطرة ابتداء من سنة ٨٨٤ للميلاد قد اعتادوا عند اختيار البطريرك الجديد ــ أن يختاروا أولا مائة من المرشحين الذين كان عددهم يهبط بالتصويت الى خمسين ثم خمسة وعشرين ثم عشرة ثم ثلاثة•وتكتب

---

(١) See : Renaudot, Lit. Or., tom. i. p. 360 seq : Neale, Alexanéria, vol. i. p. 9. seq.

(٢) هذه القصة موضع سؤال حيث ورد أن الأنبا يوحنا الثامن والأربعين قد انتخب بهذه الطريقة •

أسماء الثلاثة على ثلاثة شرائح منفصلة من الورق وتوضع مع شريحة رابعة كتب عليها اسم السيد المسيح ، فوق المذبح • وبعد القداس يسحب طفل برىء واحدة من بينها • فاذا سحب الطفل اسم السيد المسيح يصبح المرشحون الثلاثة مرفوضين وغير مستحقين ، وتكرر عملية الانتخاب من جديد حتى يتم اقرار الأمر • وهذه الطريقة اتبعت فى مصر لأول مرة فى انتخاب الأنبا شنودة البطريرك الخامس والستين ، واستخدمت بعد ذلك فى الحالات المشكوك فيها • وقد استخدمت مثل هذه الطريقة فى انتخاب أحد الأساقفة عندما رفض الأنبا مكاريوس البطريرك التاسع والستون ـ الترشيح لكرسى مصر الخالى • وعلى كل حال فان الأسماء فى الطقس القبطى كانت توضع تحت المذبح وليس فوقه • وعلى ذلك فانه عند اختيار المرشح سواء بالتزكية أو الاقتراع فان أكبر الأساقفة كان يعلن اسمه فى الكنيسة رسميا ، ويصيح الحاضرون (مستحق ـ مستحق) •

ويشترط فى البطريرك أن يكون حر المولد وابنا لأم متوجة أى انها لم تتزوج الا مرة واحدة لأن الأرملة لا تتوج اذا تزوجت مرة ثانية • وعلاوة على ذلك فانه يجب ان يكون صحيح البدن وغير متزوج وألا يقل عمره عن خمسين عاما وألا يكون قد تلطخ باراقة الدماء ، ويجب أن يكون عالما وحياته بلا لوم ، مستقيم الرأى ، ومن ساكنى الصحراء وألا يكون أسقفا • وقد جرى التشديد على الشرط الأخير بكل صرامة لأنه منذ أيام القديس مرقس حتى أيام الأنبا كيرلس البطريرك الخامس والسبعين فى عام ١٢٣٥ للميلاد ، لم يحدث اختيار أى بابا كان فى رتبة الأسقفية • اما شرط الحياة الرهبانية فلم تؤيده أقدم قوانين أو تقاليد الكنيسة • وفى سنة ٦٠٩ للميلاد انتخب (أندرو نيكوس) الذى كان شماسا بالاسكندرية • ومن بين هؤلاء الذين لم يكونوا رهبانا نذكر حوالى سنة ٦٦٣ للميلاد (الأنبا) أغاثون وخليفته يوحنا ثم اسحاق • وفى سنة ٧٧٥ نذكر (الأنبا) يوحنا البطريرك الثامن والأربعين ، وفى سنة ٩٧٧ (الأنبا) ابرام بن زرعة الثانى والستين • وفى سنة ١٠٠٢ (الأنبا) زخارياس ، وفى سنة ١١٣١ (الأنبا) غبريال شماس كنيسة أبى سيفين • وفى سنة ١١٦٣ (الأنبا) مرقس • ومهما كانت الضرورة فالواضح الآن هو أن هذا الأمر ضد مصلحة الشعب لأنه كيف يستطيع مجرد متوحد ، عاش بعيدا عن فكر وحركات عصره ، وليست لديه أية تجارب فى التعامل مع الناس ، ثم انه غالبا ما يكون جاهلا بالقراءة وشئون الحياة ـ كيف يستطيع مثل هذا الشخص أن يعرف ويوجه روح الكنيسة أو يقود بيده العاجزة ـ السفينة فى هذه الأزمنة المشوبة بالأعاصير والأخطار ؟

وإذا حضر البابا الجديد الاجتماع فانه يجلس فى الوسط ويتثبت اختياره • أما اذا كان فى الصحراء مثلما كان يحدث غالبا ، فيرسل وفد من الأساقفة والأراخنة لاحضاره من الدير مربوطا بالسلاسل طبقا لاحدى العادات الغريبية التى تعود الى أواخر القرن الثانى • فتقول القصة انه عند احتضار البابا يوليانوس الحادى عشر حضرته رؤيا رجل يحضر اليه عنقودا من العنب • وفى الصباح حضر فلاح جاهل يقول انه وجد عنقودا كبيرا من العنب قد ظهر فى كرمه قبل الأوان (١) وأنه أحضره الى البطريرك بوصفه باكورة الأثمار • وعندما رآه البابا صرخ قائلا : « هذا هو الرجل الذى أرانى اياه ملاك الرب » ولذلك قبضوا على الفلاح الذى كان يعترض بشدة على صلاحيته للمنصب ، وكبلوه بالأغلال وتم تنصيبه بهذه الصورة • ونقرأ فى القرن التاسع أن الأنبا يوساب البطريرك الثانى والخمسين رافض بعد انتخابه أن يترك الدير وأنهم سحبوه مقيدا بالسلاسل • كما أن الأنبا شنودة البابا الخامس والخمسين الذى اختير ضد رغبته قد نقل مقيدا بالسلاسل الى الاسكندرية لتجليسه على كرسيه • وقد ورد نفس الكلام بالنسبة للأنبا ابرام بن زرعة البابا الثانى والستين • وقد ورد أن تقليد الهروب الى الصحراء والعودة بالقيود الحديدية كان يشكل جانبا منتظما من جوانب الاحتفال بالتجليس • ويفسر فانسليب Vansleb (٢) هذا الأمر بطريقة مختلفة فيقول انه عند اقتراب موعد الانتخاب كان كل من يشعر بجدارته للمنصب يختفى ، وكان المجلس يطلب جنودا من رجال الحاكم المسلم للقبض على الهاربين واحضارهم الى القاهرة مقيدين ! ولاشك أنه مرت أزمنة كانت فيها أحمال وأخطار هذا المنصب جديرة باثارة الرعب فى أشد النفوس صلابة ، بالرغم من أن هذا المنصب خلال أزمنة أخرى منها على سبيل المثال القرن الحادى عشر — كان هدفا للتنافس الشديد الذى لم تخل بعض طرائق الوصول اليه من انعدام الضمير • ولاشك أيضا بأن الخوف من الانتخاب انبعث فى حالات عديدة من احساس حقيقى بعدم الاستحقاق أو من نفس الشكل المزيف لنفس هذه الفضيلة التى امتاز بها المصريون ألا وهى — رهبة المسئولية •

وبعد اتخاذ القرار بانتخاب البطريرك الجديد ، كان يجرى تحقيق فى حياته وسلوكه للتأكد من أنه يوفى بشروط القوانين الكنسية • وفى أحيان أخرى كان يلزم بالتوقيع على عهد وميثاق بأن يؤدى أعمالا معينة

---

(١) تعود اهمية هذه القصة الى انها تشهد على زراعة العنب بمصر خلال هذه الحقبة •

(٢) Histoire, pp. 12, 13.

بعد اعتلائه السدة المرقسية · وبناء على ذلك فان الأنبا ميخائيل البابا الثامن والستين قد وعد ضمن أشياء أخرى – بأن يدفع الحصة المالية السنوية للاسكندرية ، وأن يتجنب ويلعن ممارسة السيمونية (*) وأن يعيد كنيستى المعلقة والعذراء بحارة الروم الى أسقفيهما لأن الأنبا خريستوذولوس كان قد اغتصب هاتين الكنيستين ، ولكن بمجرد أن جلس الأنبا ميخائيل على الكرسى المرقسى مزق المستند ضاحكا فى وجه الأنبا شنودة أسقف مصر الذى طالب بكنيسته ، منكرا التعهد الذى أخذه على نفسه ومهددا بحرمان أى شاهد يجرؤ على التقدم ضده ، وأخيرا حرم الأنبا شنودة لأنه أقام القداس فى نفس اليوم بكنيستى أبى سرجة والمعلقة ·

واذا لم يكن المرشح قد حاز أية رتبة كنسية خلاف رتب الرهبنة ، فانه يمر ببقية الرتب الضرورية فى عدة أيام متتابعة قبل يوم الرسامة الذى لابد أن يكون يوم الأحد ؛ فيمنح رتبة الشماس يوم الخميس ، والقس يوم الجمعة ، والقمص أو رئيس الكهنة يوم السبت ، ولكنه لا يمر برتبة مساعد الشماس ولا تجرى رسامته أسقفا · ومن جهةأخرى فانه اذا كان قد حصل على رتبة الشماس أو القس قبل الرسامة ولكنه لم يكن قد صار راهبا فمن الضرورى أن يرسم راهبا قبل الحصول على الرتب الأعلى· ولهذا الغرض فانه يرتدى كل الملابس الملائكية الا وهى : الرداء ، والقلنسوة ، والمنطقة الجلدية ، وعباءة النساك · وكما أن البتولية الدائمة وحياة القداسة ضروريتان للبطريرك ، فلاشك فى أن ضرورات الرتب الرهبانية التى تعنى الموت عن العالم ، تتطابق مع أقدم التقاليد · ولكن من الضرورى أن يرتدى البابا الجديد ملابسه حسب المثال الملائكى كنقل رمزى للطقس ، ولكى يجعل الرهبانية السابقة ضرورة للانتخاب · ويمثل هذا الاجراء الأخير ممارسة سوقية للواقعية وتشويها للعادة القديمة ·

وفى اليوم المحدد للرسامة يحضر البطريرك المنتخب الى الكنيسة مقيدا بالسلاسل – وهى كنيسة القديس مرقس بالاسكندرية ، وقد قضى الليلة السابقة ساهرا بجوار قبر القديس مرقس الانجيلى · ولكن فى العصور الأخيرة عندما سرق جسد القديس مرقس ودمرت الكنيسة ، يبدو أن البطريرك كان يسهر الى جوار البطريرك السابق ويأخذ الصدرة البطريركية من رقبته · وتجرى تسبحة صلاة باكر ويليها القداس الالهى

(*) السيمونية هى قبول الرشاوى للتعيين فى المناصب الدينية ، نسبة الى سيمون الساحر الذى بعد أن صار مسيحيا ، قدم للتلاميذ دراهم حتى يصبح مثلهم متمتعا بموهبة حلول الروح القدس على كل من يضع عليه يده ، فانتهره بطرس قائلا : لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أن تقتنى موهبة الله بدراهم ··· – أع ٨ : ٩ – ٢٤ · (المترجم)

الذى يقيمه كبير الاساقفة · وبعد تلاوة القراءات الكنسية تحل السلاسل· وبعد انتهاء قراءة الابركسيس (فصل أعمال الرسل) يعقد الاحتفال حول المذبح · فى البداية يحضر الشمامسة حاملين صلبانهم المرتفعة ، وشموعهم المشتعلة ، ومراوحهم · ثم يأتى كاهن يلوح بالمجمرة وخلفه كاهن آخر يحمل البشارة الفضية أو الذهبية — ويليهما رئيس الشمامسة ثم كبير الأساقفة يتبعه بقية الأساقفة يسيرون اثنين اثنين ، ثم البطريرك المنتخب مرتديا التونية والشملة وهو يسير بين اثنين من الكهنة مطأطىء الرأس · وبعد ذلك يأتى دور بقية الكهنة حسب رتبهم · ويتقدمون الى الهيكل مع الموسيقى والتهليل حيث يسجد الجميع أمام المذبح · وبعد قراءة الانجيل الاول يجلس كبير الأساقفة على الكرسى بينما يجلس بقية الأساقفة على دكة المنصة بجواره مواجهين للغرب بينما البطريرك فى أسفل بين المذبح وكرسى العرش مواجها للشرق ، ويمسك به أحد الكهنة من كلا الجانبين ، ويجلس جميع الكهنة والشمامسة على الدرجات الأسفل تحت منصة الأساقفة · ثم يسلم كبير الأساقفة المرسوم أو وثيقة الانتخاب الى أحد الشمامسة الذى يأخذها الى المنبر ويقرؤها بصوت مرتفع ، ويوقع جميع الأساقفة بالموافقة ويوقع بعدهم ثلاثة من الكهنة وثلاثة من الشمامسة الذين من الاسكندرية، ثم رئيس دير القديس مقاريوس أو حاكم الاسكندرية أو بابيلون أى القاهرة ·

والآن ينزل الأساقفة ويقفون بجوار المذبح ، وبعد أن يؤدوا العديد من التراتيل والصلوات مع اطلاق البخور يضع كبير الأساقفة يده اليمنى فى صمت على رأس البطريرك ، بينما يعلن رئيس الشمامسة اعلان التنصيب · ومرة أخرى يضع كبير الأساقفة يده ويقرأ الدعاء بينما يمد جميع الأساقفة أياديهم ، كل واحد كلتا يديه الى فوق ، ثم يرشم كبير الأساقفة البطريرك بصليب على رأسه (١) ويعلنه رئيسا للأساقفة فى كنيسة الله المقدسة للمدينة العظمى الاسكندرية ويلبسه البطرشيل وبذلة القداس · ويعود الجميع الى أماكنهم على المنصة ، بينما يقرأ أحد الشمامسة وثيقة التنصيب من فوق المنبر · ويلى ذلك صلوات طويلة حتى يعلن كبير الأساقفة اسم البطريرك ويصيح جميع الحاضرين : مستحق مستحق · ثم توضع البشارة أربع مرات متتابعة فوق رأس البطريرك · ويضع كبير الأساقفة وجميع الأساقفة أياديهم فوقها · وبعد أن يرتدى

---

(١) تتحدث التعليمات المدونة هنا عن استخدام الميرون ولكنها غير واضحة فى هذا الصدد ، والحقيقة انه لا يوجد دليل واضح على استخدام الزيت فى الرسامة بالكنيسة المصرية ·

البطريرك الصدرة والعباءة والتاج والعكاز يقتادونه الى العرش ويجلس عليه ثلاث مرات • ثم يعلن كبير الأساقفة بعد ذلك باليونانية اسمه ولقبه بينما يخلع جميع الأساقفة تيجانهم ، ويجلس البطريرك على العرش ممسكا بكتاب البشارة ثم يحييه جميع الأساقفة ورجال الاكليروس والشعب ، ثم يتقدم البطريرك للاحتفال بالقربان • ويقرأ الانجيل بنفسه ، وعندما يصل الى عبارة « أنا هو الراعى الصالح » يصيح جميع الحاضرين مرة أخرى : مستحق مستحق • وعند نهاية القداس يعطى السلام وينسحب فى موكب الى غرفة حفظ الأوانى والأثواب حيث يخلع ملابس الخدمة ويلبس العباءة السوداء • ويعود الى العرش ويعطى البركة ويمر من الكنيسة الى القصر البطريركى أو « القلاية » كما تدعى (١) ويركب بغلته فى موكب عظيم ويسير أمام جميع رجال الاكليروس وتتبعه جماهير الشعب بينما تحمل فى مقدمة الموكب ثلاثة صلبان مع صورة القديس مرقس الرسول ورايته • وفى العصور القديمة كان يتوقف الموكب فى وسط مدينة الاسكندرية حيث تتلى الصلوات ، ثم يتحركون الى المقر البابوى بين أصوات التهليل • وهناك يأتى جميع رجال الاكليروس ووجهاء الناس للمبايعة • ويقام عيد لمدة ثلاثة أيام • اليوم الأول فى كنيسة الانجيليين ، والثانى فى كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل ، والأخير فى الكنيسة المرقسية • وفى القداس الأخير وبعد انتهاء الخدمة ، كان من المعتاد أن يجلس البطريرك على العرش ويمسك برأس القديس مرقس بدلا من الانجيل ويضعها فى كساء جديد •

أما عن اختفاء هذا الرفات الموقر منذ فترة طويلة فتقول القصة ان بعض البحارة العرب قد اندفعوا الى الكنيسة فى أوائل القرن السابع وحملوا الصندوق المحفوظ به الرأس ، ظانين أنه يحتوى على كنز عظيم ، ولكن السفينة لم تستطع أن تبرح الميناء • وأرسل عمرو ليعرف السبب فاكتشف أنهم أخذوا الرأس • وعندما أعيدت مرة أخرى ، أبحرت السفينة من الميناء ، فكتب عمرو الى البطريرك بنيامين الذى كان هاربا فى مصر العليا – قصة ما حدث ودعاه للعودة وأعطاه عشرة آلاف دينار لبناء كنيسة احياء لهذه الذكرى وسميت هذه الكنيسة بالمعلقة (٢) •

---

(١) أورد فانسليب (Histoire, pp. 162-9) احتفالات التنصيب بطريقة مختلفة حيث ذكر وضع صليب كبير من الحديد على المذبح تحت الصينية ، ويأخذه البطريرك عند ارتداء ملابسه بدلا من العكاز ولم أجد دليلا يؤكد هذه الحكاية رغم غرابتها •

(٢) يذكر فانسليب (Histoire, u. 196) هذه القصة ولكنه أخطأ فى التسمية • الجزء الكبير من المادة التى أوردناها عاليه مأخوذ من كتاب رينودو :
De Patriarcha Alexandrino.

وفى الوقت الحالى يعيش البطريرك حياة البساطة ويحصل على ايراد يماثل ما يحصل عليه من يحيا حياة متوسطة بالريف الانجليزى . وتم وضع قانون علمانى لمساعدته فى ادارة موارد الكنيسة . والحقيقة أن هناك بعض الشبه بين كافة الأوقاف الكنسية والديرية التى وضعت تحت التفويض . ويلقى منصب البطريرك عظيم التوقير بصرف النظر عن استحقاق الشخص الجالس على الكرسى ، ومازالت العادة تجرى على الخضوع أمامه بمعنى عمل ميطانية تلامس الأرض ، وذلك بتعفير الجبهة فى التراب ثم تقبيل يد البابا .

المطران والأسقف

يوجد تحت ولاية البطريرك القبطى أربعة مطارنة أو رؤساء أساقفة هم مطارنة الاسكندرية والمنوفية أو ممفيس وأورشليم والحبشة (٢) ويتم رسامة هؤلاء المطارنة بيد البطريرك ، ولكن الطقس لا يختلف عن ذلك المستخدم فى رسامة الأسقف فيما عدا أن القداس فى حالة المطران ينتهى بدعاء خاص به .

وقد يوصى بانتخاب الأسقف بالاختيار أو ينتخب بمعرفة مجلس من الاكليروس وأراخنة الشعب ، ولكن رسامته يجب أن تتم بمعرفة البطريرك . وربما كان من المستحسن ألا يكون متزوجا ولكن الشرط الأساسى يتركز فى ألا يكون قد تزوج للمرة الثانية . وعندما يقدم المرشح أمام البطريرك يسأل البطريرك ستة أو سبعة من الشهود الذين يجيبون بتقوى وعلم الأسقف المختار . وفى بعض الأحيان يتم اختيار شماس وتجرى رسامته الى الرتبتين الوسيطتين وهما رتبتا القس والقمص فى يومين متتالين . وعلاوة على ذلك فانه اذا كان الأسقف المختار من بين المدنيين ، فلابد أن يتسلم الملابس الملائكية ورتبة الراهب كما فى حالة البابا . ولابد من أداء صلاة الغروب يوم السبت السابق على يوم أحد الرسامة وقضاء الليل فى السهر الذى يردد خلاله الأسقف المرشح المزامير وانجيل القديس يوحنا ويدعى الأساقفة المجاورون ورجال الاكليروس والشعب لحضور حفل الرسامة .

---

(٢) يذكر فانسليب ثلاثة فقط هم مطارنة دمياط وأورشليم واثيوبيا . ولا شك أن كرسى دمياط كان يشغله مطران فى يوم ما . ولكنه ليس كذلك فى الوقت الحالى بسبب اضمحلال اهمية هذه المدينة ، وكذلك فان كاتدرائية هذه المدينة قد آلت الى المسلمين حوالى سنة ١٦٧٠ للميلاد .

وعند انتهاء صلاة باكر يدخل البطريرك والأساقفة الكنيسة فى موكب مهيب الى الخوروس وينتظرون هناك حتى يبدأ القداس ، ثم يدخلون جميعا الى الهيكل ويتخذون أماكنهم على المنصة • وفى نفس الوقت يقف المرشح فى الجانب الجنوبى من الخوروس وأمامه شمعة مضيئة ، بينما توضع على المذبح الملابس الاسقفية بما فيها ابتراشيليون حريرى مطرز بصور التلاميذ الاثنى عشر • وبعد قراءة الابركسيس من سفر أعمال الرسل ، ينزل البطريرك من كرسيه ويقف فى مدخل الهيكل وحوله الأساقفة • وبعد أن يقدم لهم الصليب لكى يقبلوه ، يرسل ثلاثة منهم الى الأسقف المختار الذى يؤدى أمامهم ميطانية • ويتم تشكيل موكب احتفالى من الأساقفة الثلاثة الذين يحملون بطرشيل المرشح ويطوفون بالكنيسة ثم يعودون الى الخوروس مرة أخرى • وتقدم وثيقة الانتخاب الى البطريرك الذى يسلمها الى أحد الشمامسة لكى يقرأها من فوق المنبر •

ويتجه البطريرك الآن فى اتجاه الشرق الى المذبح ويأخذ من فوقه البلين ذا اللون الغامق ويضعه على الأسقف الجديد بدلا من الشملة (١) بعد أن يرشمه ثلاث مرات بعلامة الصليب • ويقدم اليه الابتراشيليون بنفس الطريقة ثم يرشم المرشح ثلاث مرات على جبهته • ويتحرك الآن موكب آخر عبر الكنيسة • وفى الطرف الغربى يجلس الأسقف الجديد أو يركع على الأرض أثناء ترتيل أحد الألحان • ومع استمرار الترتيل يمرون الى باب الهيكل ويخر الأسقف ساجدا أمام المذبح ويقبل الصليب الذى فى يد البطريرك ، الذى يرشم جبهته ثلاث مرات على هيئة صليب ، وهنا يرتلون كيريا ليصون ، وتدق الأجراس •

وبعد الصلوات والسلام ، يصيح الشماس الأكبر « ضعوا أيديكم أيها الأساقفة » وهنا يرفع جميع الأساقفة اياديهم ويضعونها على كتفى أخيهم الجديد بينما يضع البطريرك يديه على رأسه • وأثناء الصلوات التالية يتجه البطريرك نحو الشرق ، لكنه يواجه الغرب مرة أخرى ليرشم الصليب ثلاث مرات على جبهة الأسقف الجديد ولكى يلبسه الملابس الأسقفية الكاملة • وبعد أن يرتدى الأسقف جميع ملابسه ، يسلمه البطريرك الصليب الصغير الذى يمنح به البركة • وبعد تأدية الصلاة يضع يده على الأسقف قائلا (مستحق) التى يرد عليها جميع الحاضرين قائلين (مستحق) (*) •

---

(١) يبدو أن هذا هو معنى التعليمات المدونة التى أوردها رينودو ولكن من الصعب التأكد منه • وعلينا أن نتذكر أن القلنسوة السوداء المرسومة فى صورة الأنبا شنودة قد رسمت فوقها ثلاثة صلبان بيضاء •

(*) يصيح الشعب بكلمة (مستحق) باللغة القبطية وهى (أكسيوس) ثلاث مرات • (المترجم) •

ويدور الجزء التالى من الاحتفال فى الخوروس حيث يقف هناك جميع الاكليروس ، بينما يقرأ الوصية الخاصة بالأسقف الجديد الذى يقبل عتبة الهيكل بعد سماعها • ثم ينتقل الى الهيكل حيث يقبل المذبح ثم يصعد درجات المنصة ويتخذ مجلسه على يمين البطريرك ممسكا بالانجيل • ويبدأ القداس ويستمر بالطريقة المعتادة فيما عدا بعض الألحان الخاصة التى تستخدم أثناء قبلة السلام • ويقوم البطريرك بالتناول بنفسه ويتلقى اعتراف الأسقف الجديد ويباشر التناول بتسليم القربان المقدس والكأس فى يد الأسقف الجديد • ثم يوضع الابروسفارين على العناصر المقدسة ، ويتراجع الأسقف الى باب الهيكل بينما يتجه البطريرك نحو الغرب واضعا البشارة فوق رأسه وهو يعطى السلام • ويعلن الشماس قراءة الانجيل من فوق المنبر • ويقرأ البطريرك فصلا من انجيل القديس يوحنا وبعد قراءة عبارة : « وقف يسوع فى الوسط ، وقال لهم : السلام لكم » يفتح البطريرك الانجيل على رأس الأسقف ، ومرة أخرى عند قراءة عبارة : « كما أرسلنى الآب كذلك أرسلكم أنا » يفعل نفس الشىء وهو يقول : (مستحق) ثم يستمر فى القراءة ، وعند عبارة : « اقبلوا روح القدس » ينفخ فى وجه الأسقف على شكل صليب وهو يقول ثانية : « مستحق » ويصيح رجال الاكليروس والشعب نفس الصيحة ، ثم يرتل الخوروس الألحان وتدق الأجراس • وأخيرا فانه عند عبارة : « ومن امسكتموها عليهم تمسك عليهم » يصيح الجمهور : « الى مائة عام » • ويعود البطريرك والأسقف الى المذبح ويرفع البطريرك الستر ، ويناول بقية رجال الاكليروس والشعب بينما ينشد الخوروس لحن البركة • وفى نهاية الخدمة عندما تعطى البركة لصرف الجمهور ، يقوم البطريرك بالباس الأسقف عباءة الاحتفالات ذات اللون الغامق ، ويدعوه لاعطاء بركة مستقلة • وبعد ذلك يتحرك الجميع الى المقر البطريركى ، ويدوم الاحتفال لمدة ثلاثة أيام • وهنا أيضا يهدى البطريرك للأسقف الجديد صليبا لليد وعكازا • وهذا الاجراء ليس جزءا من احتفالات التنصيب • ومن الضرورى للأسقف أن يصوم الأسبوع الذى يلى رسامته (١) وأثناء ذلك يدرس واجبات وظيفته بعناية وفى نفس الوقت يرسل البابا رسائل توصية وتبريك الى ايبارشيته •

ويتم تنصيب الأسقف فى كنيسته فى أحد أيام الأسبوع ولابد أن يصحبه ثلاثة أساقفة آخرين على الأقل • وعندما يصل الى الدير أو القرية القريبة من مدينته يخرج أفراد الشعب لاستقباله فى موكب ويؤدون أمامه

---

(١) Vansleb, Histoire, p. 172. • الا أن نفس الكاتب فى فقرة أخرى يجعل الفترة ثلاثة اسابيع من الصوم – ص ٣٣ •

ميطانية ثم يقرأ رجال الاكليروس فصلا من انجيل متى ويقودونه خلال شوارع المدينة الى الكنيسة مصحوبا بالألحان والموسيقى. ويقول كبير الأساقفة الصلوات المرتبة أمام الباب ، ويقرأ المزمور المائة والسابع عشر وجزءا من فصل آخر من انجيل متى (مت ١٦ : ١٣ - ١٩) . ويلى ذلك صلوات أخرى وترديد عبارة : كيريى ليسون (يارب ارحم) ٤١ مرة ، ثم يدخلون الى الكنيسة . وعلى الباب يقرأ كبير الأساقفة صلاة التحليل على الأسقف الجديد ، ثم تقرأ فصول أخرى من الكتاب المقدس ويتحرك الموكب الى الهيكل حيث يسجد الجميع أمام المذبح ويتخذ الأسقف الجديد أكثر المقاعد انخفاضا على المنصة . وبعد صلاة باكر يرتدى الأساقفة ملابس الخدمة ويبدءون الصلاة . ويقرأ الأسقف الجديد بعض الصلوات ويبخر المذبح . ويطلبون انحدار مواهب الروح القدس عليه ويطوفون به الكنيسة فى موكب . وعند العودة الى الهيكل يضعون ايديهم على كتفيه ، ويأخذونه الى العرش حيث يجلسه كبير الأساقفة فيقوم باجلاسه ثلاث مرات وهو يحاول القيام فى كل مرة ، ويصيح الخوروس أو جوقة المرتلين (مستحق) اكسيوس . وبعد أن يجلس الأسقف على العرش يمسك بالانجيل فى يده ويقوم الأساقفة والقسوس بتقبيله بالترتيب بينما يرتل الشمامسة الألحان مع الموسيقى . ثم ينزل الأسقف ويقرأ الانجيل وأثناء ذلك يضع كبير الأساقفة البشارة الفضية على رأسه ثلاث مرات ثم يعود الى المذبح لمباشرة الخدمة . والتجليس مثل التكريس يتبعه ثلاثة أيام من الاحتفالات فيما عدا أن صوم الأسقف يتبدل هذه المرة الى أعياد .

ويبلغ عدد الكراسى الأسقفية التى تحت سلطة بطريرك الاسكندرية فى الوقت الحالى أربعة عشر كرسيا ، ولكنها كانت فى الماضى أكثر من ذلك بكثير . وقد نسخ فانسليب Vansleb فى سنة ١٦٧٣ قائمة بهذه الكراسى عن مخطوط قديم أراه اياه حينذاك أسقف أسيوط . وقد بلغ عدد الأسقفيات المدونة بها حوالى مائة أسقفية ، وهذا العدد يقل عن المجموع المسجل فى وثائق الكنيسة .

ويذكر فانسليب أن عدد الأسقفيات بلغ فى وقته خمس عشرة أسقفية ما زالت موجودة حتى الآن وهى : ١ - نقادة ٢ - جرجا ٣ - أبو تيج ٤ - أسيوط ٥ - منفلوط ٦ - قسقام ٧ - ملوى والمنيا ٨ - البهنسا ٩ - أطفيح ١٠ - طهطا والأشمونين ١١ - الفيوم ١٢ - بلبيس ١٣ - المنصورة ١٤ - دمياط ١٥ - منوف والبحيرة وميناء الاسكندرية .

وبقيت الآن الأسقفيات التالية : ١ - الجيزة . ٢ - الفيوم والبهنسا . ٣ - المنيا والأشمونين . ٤ - صنبو وقسقام . ٥ - منفلوط .

٦ ـ أسـيوط ٧ ـ جرجا واخميم ٨ ـ أبو تيج ٩ ـ قنا وقوص ونقادة ١٠ ـ اسنا ١١ ـ الخرطوم ١٢ : ١٤ ـ ثلاث ايبارشيات فى الحبشة تحت رئاسة المطران ٠

القمص (الايغومينوس)

هناك معنيان تستخدم للدلالة عليهما كلمة : قمص أو مقابلها القبطى (الايغومينوس) وهو اشتقاق محرف للكلمة اليونانية هيجومينوس أى المدبر ٠ ان كلمة قمص أو رئيس الكهنة فى مفهومها المدنى معنى قريب الى حد ما من كلمة Rector الانجليزية وتعنى القسيس الأول المسئول عن كنيسة قد يكون بها قساوسة آخرون وشمامسة ٠ ويطلق هذا اللقب على كبير قساوسة الكاثدرائية ٠ أما فى معناها الآخر فهى تعنى رأس أو رئيس الدير ٠ ومن الصعب تحديد ما اذا كان قمص كنيسة ما يقصد به المعنى المدنى أو الدينى ولذلك فاننا لا نستغرب أن المسئول فى كلتا الحالتين يحمل نفس الاسم ، بالرغم من أن الاصطلاح قمص Hegumenus كان فى زمن ما قاصرا على الأديرة ٠

وعنـدما يرقى القسيس الى رتبة القمص يحضر الى الكنيسـة ويقف فى الخوروس مرتديا ملابسه الكهنوتية ويقوده اثنان من رؤساء الكهنة بينهما فى دورة حول الكنيسة ، ثم يحضرونه الى باب الهيكل حيث يقف الأسقف ٠ وينحنى الجميع أمام المذبح ويتلو الأسقف صـلاة البخور ، وبعد عدة صلوات أخرى يضع يده على رأس القس ٠ وعلاوة على ذلك فان الأسقف يرشم رأسه بعلامـة الصليب ٠ ويقبل القس المذبـح ويقـدم القربان ٠ وبعد اتمام سر الافخارستيا يقرأ عليه نوع من الوصية معرفا ومنبها القمص الجديد الى واجباته الروحية ٠

القس

يحدد القانون الكنسى العمر المخصص لرسامة القس بثلاثة وثلاثين عاما ٠ ومن الضرورى شهادة رجال الاكليروس بأنه على خلق قويم وفهم عميق ، ومتزوج شرعيا ، وحاصل على درجة الدياكون أى الشماس ٠ واذا لم يكن قد رسم شماسا فلابد من رسامته فى درجة القارىء ثم الشماس على يومين متتاليين قبل يوم الرسامة ٠ وعندما يحل اليوم المعين فلابد أن يرتدى ملابس الشماس فيلبس التونية والبطرشيل على كتفه اليسرى ثم يحضرونه الى مكان الخوروس ٠ ويكون الأسقف داخل الهيكل ومعه أحد

القسوس ويتم اقتياد المرشح فى دورة حول الكنيسة ثم ينحنى أمام المذبح بينما يمضى الأسقف وهو متجه ناحية الشرق فى صلاة رفع بخور باكر ٠ وعند اللحظة المحددة يتجه الأسقف الى الغرب ويضع يده على رأس المرشح ويكرر الصلاة ، ثم يتجه الى ناحية الشرق ويستمر فى الصلوات ، ثم يتحول الى الغرب مرة أخرى ليرشم جبهة المرشح بالصليب٠ويلى ذلك اعلان المرشح قسا ويرشم الأسقف بعد ذلك ثلاثة صلبان أخرى على جبهته ثم يلبسه ملابس الخدمة ٠ وبعد صلاة الشكر يقرأ عليه أحد القسوس الوصية ٠ وهناك أيضا وصية خاصة تتعلق بواجباته فى سماع اعترافات الناس وممارسة الحذق التام فى معاملة التائبين ٠ ويقبل القس الجديد الكتاب الذى يتضمن النصيحة وعتبة الهيكل ويد الأسقف ٠ ثم يتناول من الافخارستيا ويضع الأسقف يده على رأسه ثلاث مرات ٠ ويصيح جميع الناس (مستحق) مع اسم القس ورتبته ٠ وحسب ما أورده فانسليب Vansleb فان الأسقف ينفخ فى وجهه قائلا :

«اقبلوا روح القدس» (لكن يبدو أن التعليمات المدونة لا تذكر هذا الموقف) ٠

ويلى التكريس صوم لمدة أربعين يوما ويبدأ الصوم بالانقطاع عن الطعام من الغروب حتى الثالثة بعد ظهر اليوم التالى ٠

الشماس (الدياكون)

ان طقس رسامة الشماس هو نفس طقس رسامة القس فيما عدا أن الشماس لا يرتدى البطرشيل عند تقديمه الى الأسقف وأن عملية ارتداء ملابس الخدمة مع شارة الرتبة تتكون من وضع البطرشيل فوق الكتف اليسرى ٠ ويذكر فانسليب أن ملعقة الافخارستيا (المستير) تسلم الى الشماس رمزا لعمله ، ويحضر القداس بكامله ٠ وفى نهاية الخدمة ينفخ الأسقف فى وجهه ، ويصيح رجال الاكليروس بكلمة (مستحق) ثلاث مرات ٠

وعند تكريس رئيس الشمامسة (الأرشيدياكون) تستخدم صلاة اضافية وترتيب خاص لوضع البطرشيل كما جرى وصفه فى السرد الذى رويناه سابقا عن الملابس الكهنوتية ولكن الخدمة والطقس لا يختلفان عما يحدث بالنسبة لرتبة الشماس ٠

يقف مساعد الشماس (الايبودياكون) عند باب الهيكل بدون التونية أو غيرها من الملابس الكهنوتية ، ولا يرشمه الأسقف بوضع اليد

عليه، ولكنه بعد صلاة رفع بخور باكر يضع يدا على كل صدغ وبذلك يتقابل الابهامان على الجبهة ، وهنا يتلو الأسقف احدى الصلوات ، ثم يرشم علامة الصليب على جبهة مساعد الشماس (الايبودياكون) مرة واحدة وبعد ذلك ثلاث مرات كما هو الحال فى الرتب الأعلى • ويضع البطرشيل على كتفه اليسرى • وبعد أن يقبل المذبح يتقدم للتناول ولكن الأسقف لا يضع يده على رأسه • وكما يمسك الشماس الملعقة (المستير) فان مساعد الشماس يمسك شمعة موقدة فى يده طوال القداس •

القارىء (الأناغنوستيس)

يقف المرشح لرتبة القارىء أمام الهيكل بدون التونية ورأسه مكشوفة ومنحنية الى أسفل • ويحضر كما هى العادة فى موكب ثم يقدم الى الأسقف الذى يقف فى المدخل • ويسأل الأسقف : « هل تشهدون بأن هذا الشخص جدير بهذه الرتبة ؟ » والاجابة هى : « بالحقيقة يا أبانا ، انه يستحق » • ثم يقص الأسقف بالمقص صليبا كبيرا خلال شعر المرشح وصلبانا صغيرة بين فروع الصليب الكبير • وبعد أداء صلاة فى اتجاه الغرب وأخرى فى اتجاه المذبح يواجه الأسقف اتجاه الغرب مرة أخرى ممسكا بصدغى المرشح أثناء أداء صلاة أخرى ، ثم يسلمه الانجيل ويناوله من الافخارستيا ولكن هذا التكريس يتم بدون وضع اليد •

ولا توجد فى القوانين الكنسية القبطية أية أشكال أخرى لقص شعر الرأس بالنسبة لأى رتبة أخرى بخلاف ما ذكرناه وهناك شىء مشابه يجرى عند تكريس مساعد الشماس الايبودياكون فى الحبشة (١) حسب ما أورده ألفاريز Alvarez فان مساعد الشماس الايبودياكون يلمس مفاتيح الكنيسة ، وتوضع لفافة على رأسه ويسلم وعاء من الماء رمزا لوظيفته •

ولا يسمح للقارىء أو مساعد الشماس الايبودياكون أو المرتل الابصلتس بدخول الهيكل ولكنهم يتناولون من القربان المقدس قبل الشعب • أما المرتل الابصلتس فيرشمه الأسقف بعلامة الصليب ويباركه وذلك بدون وضع اليد •

---

(١) Denzinger, Rit. Or., tom. ii. p. 6 note.

الـراهب

لابد من مرور ثلاث سنوات من الاعداد قبل منح رتبة الرهبنة · ويقف رئيس الدير على باب الهيكل ويأمر المرشح بأن يرقد منبطحا على الأرض ويقرأ عليه صلاة التجنيز علامة على موته عن حياة العالم · ويقص شعر رأسه على شكل صليب ثم يلبسه التونية والقلنسوة والمنطقة ويصحب كل قطعة الصلاة الخاصة بها · واذا لم يطلب الراهب الاسكيم أو الرداء الملائكى فان رئيس الدير ينطق بالحل ويمنحه البركة · أما بخصوص الرداء الملائكى فانه تقام له صلاة خاصة ويتسلم الراهب حلة تشبه العباءة ويضع الصليب على رأسـه وتقرأ عليه نصيحة خاصة توضح الواجبات المتعلقة بقبول هذا الرداء النسكى ·

الزيجـة

لا يسمح بعقد الزواج خلال الصوم الكبير ، ولكن أكثر فترات عقد الزواج شيوعا تقع قبـل بدء الصوم · ويحاط سر الزيجـة فى الكنيسة القبطية بالاحترام العظيم وتتخلله بعض آثار العادات القديمة بل أيضا العادات السابقة على المسيحية التى اختفت من الطقس الغربى ·

ومن واجب الكاهن أن يتأكد من أن كلا الطرفين المتقدمين للزواج يقبلان الارتباط طبقا لرغبتهما الحرة بدون اضطرار · وفى اليوم المحدد يطوف كل من العريس والعروس فى موكب منفصل خلال الشوارع ثم يصل الى الكنيسة · وعندما يصل العريس الى الباب يستقبله الشمامسة حاملين الشموع والأجراس مع الكهنة وهم يرتلون : « مبارك الآتى باسم الرب » · ويلى ذلك ترتيل الألحان ثم يقتادون العـريس الى الخوروس الأمامى · ويتم الترحيب بالعروس عند الباب مع ترديد لحن « السلام لك يامريم » ثم تقتاد الى مكانها فى الشرفة المخصصة للسيدات · ويلبس جميع الاكليروس الملابس البيضاء · واذا كان البطريرك سيحضر لمنح البركة فان رجال الاكليروس يحيطون به فى موكب الى داخل الكنيسة · وتوضع مستلزمات العرس المكونة من صليب ذهبى ودبلة ذهبية ومنطقة وبخور على صينية فى الخوروس الأمامى · وأحيانا توضع أيضا عباءة حريرية كان من المعتاد أن يقدمها العريس للبطريرك الذى يلبس هذه الهدية أثناء الصلاة · وتبدأ الخدمة بعد صلاة باكر مباشرة ·

وفى البداية تقرأ مزامير التوبة ويحرق البخور ثم يقوم أحد الكهنة باطـلاق البخور أمام البطريرك · ويشدو الموجودون بألحان كيرييليسون

وهلليلويا والمزامير ثم يقرأ فصل من رسائل القديس بولس الرسول ثم يطلق البخور في الخوروس الأمامي ويقرأ الانجيل باللغتين القبطية ثم العربية حسب الترتيبات المعتادة • وبعد ذلك يقال العديد من أجزاء القداس وفي نهايتها صلاة تحليل الابن • وبعد ذلك يرفع الستر عن صينية مستلزمات العرس ويقوم البطريرك بمباركتها واحدة فواحدة • وأثناء ذلك يلبس العريس تونية حريرية بيضاء تصل الى قدميه ثم يلبس المنطقة حول وسطه وغطاء أبيض للرأس وبعد ذلك يضع البطريرك الدبلة في اصبع البنصر باليد اليمنى للعريس وينطق بالبركة •

ويتحرك الكاهن القائم بالخدمة من الخوروس الأمامي وهو يقود العريس الى المكان الذي تنتظر فيه العروس ويطلب اليه أن يلبسها الدبلة المربوط بها التاج • وعندما تمد الفتاة يدها لتناولهما فان ذلك يعني موافقتها على أن تصبح زوجة له وحينئذ يحني الكاهن رأسيهما بحيث تتلامسان معا ثم يذهب العريس والعروس الى مدخل الخوروس وتقف العروس على يمين العريس ، وهنا يغطيهما الكاهن بعباءة منفصلة من الحرير الأبيض أو الكتان الفاخر رمزا للاتحاد النقي المقدس ، وتقرأ الصلوات المناسبة وتنشد الألحان مع اطلاق البخور ، ويتخللها قراءة فصل من الانجيل • وبعد انتهائها يبدأ البطريرك أو الكاهن مباركة العروس والعريس • وعندما يذكر اسميهما يرشمهما بعلامة الصليب (١) ، وتستمر الصلوات مع الموسيقى • وبعد السلام يبارك الكاهن قنينة من الزيت ويمسح جبهة العروس والعريس ورسغيهما ويبارك أيضا التاجين ويضعهما على رأسيهما ويصيح بصوت مرتفع : « بمجد وكرامة توجهما أيها الأب ، باركهما أيها الابن ، وتوجهما أيها الروح القدس ، وحل عليهما وكملهما » ويلي ذلك العديد من البركات التي تختلف مع اختلاف عوائد كل كنيسة •

ثم يقف الرجل والمرأة وذراعاهما متقاطعتان أمامهما،ويوضع الصليب الذهبي على رأسيهما بينما يقرأ الكاهن عليهما الحل • ويلي ذلك الوصية التي يسلم الكاهن بعدها العروس للعريس رابطا أيديهما ببعضها ، ثم يباركهما مرة أخرى • ومن خلال بعض الألحان ، يتشكل موكب يتحرك حول الكنيسة في ضوء الشموع وعزف الموسيقى • وعند عودتهما يبدأ القداس • ويتناول العريس والعروس من القربان المقدس ، ثم يتجه بهما الموكب الى أبواب الكنيسة ويمر خلال الشوارع الى منزل العروسين •

---

(١) أثناء مباركة العريس التي سبق أن ذكرناها حسب ما أورده فانسليب ، يقف الكاهن خلفه مواجها الشرق ويلمس رأسه بالصليب الفضي أو الذهبي — انظر في ذلك •

Denzinger, Rit. or., tom. ii. p. 364 seq.

وفى اليوم الثامن لعقد الزواج تعقد خدمة دينية لرفع التاج · وتتلى الصلوات العديدة وفصول من الكتاب المقدس حسب الترتيب المقرر · وبعد الانتهاء من التلاوة يخلع الكاهن التاجين عن رأسى العريس والعروس ويصرفهما مع البركة ·

وهكذا نرى أن الزواج القبطى يتشابه فى معالمه الأساسية خاصة التتويج ثم رفع التاج مع الطقس اليونانى حسبما أورده جور Goar (١) ويتشابه أيضا مع الطقس اللاتينى ، كما دونه فى القرن التاسع ، البابا نيقولاوس الذى يشير الى أربع نقاط أساسية هى : العطايا التى تقدم للكنيسة ، والبركة ، والستر الأبيض على رأسى العروسين بالأكاليل (٢) ·

مسحة المرضى

ليس هناك ما يدل على أن سر مسحة المرضى الذى يعنى دهن المريض بزيت القنديل ، تمارسه الكنيسة فقط للمشرفين على الموت كما هو الحال فى الطقس الرومانى ، ففى هذا الأمر يختلف الطقس القبطى عن الطقس الرومانى · وفى الترتيب الطقسى الذى أورده البابا غبريال نجده يصف طقس هذا السر كما يلى : يملأ قنديل ذو سبعة أفرع (٣) بأنقى أنواع زيت الزيتون المستورد من فلسطين ، ويوضع على حامل أمام أيقونة القديسة العذراء مريم ويوضع بالقرب منه صليب وكتاب البشارة الفضية · ويجمع سبعة من الكهنة أو عدد مناسب منهم فى الكنيسة · وتبدأ الخدمة بصلاة الشكر ويليها اشعال البخور ، ويقرأ جزء من الرسائل ويلى ذلك بعض الصلوات المناسبة · ثم يشعل رئيس الكهنة احدى الفتائل مع رسم علامة الصليب على الزيت بينما يرتل رفقاؤه المزامير · ويلى ذلك صلوات أخرى · وفى وقت معين يقوم الكاهن الثانى برشم علامة الصليب على الزيت ثم يشعل الفتيلة الثانية ، ويستمر ذلك مع الصلوات والتراتيل

---

(١) Euchol., pp. 396, 400.

(٢) لمعرفة بقية المظاهر المتعلقة بالزواج القبطى انظر كتاب :

Lane, Modern Egyptians, vol. ii. p. 290 esq.

وقصة الاقباط التى أوردها لين صحيحة فى جملتها ، بالرغم من تغليفها بذلك التحامل السقيم الذى يغلف معظم الكتابات الانجليزية عن الاقباط ــ انظر على سبيل المثال الفقرة المتحاملة ضد الاقباط تماما فى دائرة المعارف البريطانية الجديدة ·

(٢) انظر صورة هذا القنديل فى شكل رقم ١٨ بهذا الجزء من الكتاب ·

حتى يتم اشعال الفتائل السبع بالترتيب ، وبعد اتمام كافة الصلوات واشعال الفتائل فان الشخص المريض اذا كان قادرا على المشاركة فى الخدمة — يتقدم الى باب الهيكل نحو الشرق . وهناك يرفع رئيس الكهنة البشارة الفضية والصليب على رأسه ثم يضع يديه على صدغى المريض . وبينما يردد رئيس الكهنة وحده بعض الصلوات يقدم جميع الكهنة بركاتهم ، ثم تتلى الصلاة الربانية ويفتح الانجيل ويقرأ الفصل الذى ينفتح الكتاب عليه بالمصادفة ، ثم يتلى قانون الايمان وبعض الصلوات الأخرى ، ويرفع الصليب مرة أخرى على الشخص المريض ثم يتشكل موكب يطوف بالكنيسة حاملا القنديل ذا السبع فتحات والشموع المضيئة ، بينما هم يرتلون طالبين من الرب شفاء المريض بشفاعة القديسين والشهداء . وفى نهاية الدورة يعود الشخص المريض الى الخوروس الأول . وبينما يقف أمام الهيكل كما كان من قبل ، يدهن بالزيت . ولكن اذا كان المريض يعانى من المرض الشديد الذى يحول بينه وبين تحمل هذا الاحتفال الطويل والمرهق بالكنيسة ، فانه يحل محله شخص بديل ولكن لايتم تقديس السر خارج المبنى الكنسى ، ويتم رفعه طلبا لشفاء المريض وليس بوصفه البركة الأخيرة التى تقدمها الكنيسة للنفس التى تعبر الى الأبدية .

ويشبه الطقس الأرمنى الخاص بمسحة المرضى ، الطقس القبطى من حيث استخدام القنديل ذى السبع فتحات ولكنه يختلف من حيث السماح باجراء الصلوات بجانب سرير المريض فى الحالات التى لا يستطيع فيها المريض الحضور الى الكنيسة .

وهذا الطقس الخاص بمسح المريض بالزيت من القنديل الكنسى — قديم جدا ، حيث يتحدث القديس يوحنا ذهبى الفم بوضوح عن الأشخاص المؤمنين الذين دهنوا بالزيت من مثل هذا القنديل وتم شفاؤهم من أمراض عديدة . وقد ورد ذكر زيت القنديل واستخدامه لمسحة المرضى فى حياة نيلوس Nilus الأصغر (١) وقيل ان بعض الرهبان وغيرهم من الأشخاص يتم شفاؤهم من الأرواح الشريرة بهذه الطريقة ، وأن المسح بالزيت لابد أن يتم بيد الكاهن ، ونجد أن نفس العادة ونفس التعبير قد ورد ذكرهما فى الطقس اليونانى الذى يتضمن صلاة لمسح المريض بزيت

---

(١) Vita, viii. 58, 59 : Boll. sept. 26, quoled in Dicl. Christ. Antiq. 9 v.

القنديل (١) ، ويتطلب الأمر كذلك وجود سبعة من الكهنة كما هو الحال في الطقس القبطي ، كما أن الزيت يتم اشعاله في المصباح ذي السبع فتحات أمام الأيقونة الرئيسية للسيد المسيح بالكنيسة ، ولكن هنا يستخدم الخمر بدلا من الماء في المصباح (٢) .

---

(١) Euchol., p. 842.

(٢) Id., p. 436.

طقوس وشعائر كنسية متنوعة

الزيت المقدس ـ تكريس الكنيسة والمذبح ـ تكريس جرن المعمودية ـ عيد الغطاس ـ أحد الشعانين وأسبوع الآلام ـ مواسم الصوم

الزيوت المقدسة

يميز الطقس المتبع والقانون الكنسى فى الغرب بين ثلاثة أنواع من الزيت المستخدم فى الكنيسة وهى : زيت الميرون ، وزيت الموعوظين ، وزيت مسحة المرضى • وهناك العديد من المحفوظات فى الكتابات المدونة القبطية تنص على استخدام ثلاثة أنواع من الزيت ، مستخدمة منذ القديم فى الطقس الكنسى بمصر • ومازال موجودا بكنيسة الأنبا شنودة بمصر القديمة حامل لأوانى الميرون به ثلاث فتحات خصصت كل منها لنوع من الأنواع الثلاثة ولكن الارتباط هنا فى الممارسة وليس فى الفكرة لأننا نشك فيما اذا كانت كنيسة الاسكندرية قد عرفت رسميا أكثر من نوعين من الزيت ، وكل منهما له اسم طقسى مستقل وغرض منفصل • وقد ورد فى فصيلة من مخطوط قبطى يرجع الى أوائل القرن الرابع ونشره جورجيوس . ذكر نوعين من الزيت هما (آجيون ميرون) أى الميرون المقدس ثم (آجيون ايلايون) أى زيت الزيتون المقدس • وهكذا نجد دائما الميرون وزيت الزيتون متميزين • ويسمى الأخير منهما فى اليونانية (أجاليا سيئوس أبلايون) حيث حرف الى الاسم (غاليلاون) (*) فى اللغة القبطية وهو الاصطلاح المستخدم للدلالة على الزيت الثانى فى التعليمات المدونة والصلوات • ولا توجد صعوبة فى فهم استخدام ثلاثة أنواع من الزيت بينما هما نوعان من حيث الفكرة التى لدى المصريين ، ذلك أن زيت الغاليلايون يماثل زيت الموعوظين لدى اللاتين Oleum Catechumenorum بينما يماثل oleum infirmorum زيت القنديل ؛ الا أن مادة هذين الزيتين وهما الغاليلايون وزيت الفنديا ليست الا مادة واحدة هى عبارة عن زيت الزيتون النقى الوارد من فلسطين ، ولذلك فهما نفس الزيت الواحد • وهما بخلاف الميرون الذى يتكون من خلط مواد عديدة •

(*) ووجد ايضا لفظ أجاليلايون ومعناه . زيت البهجة (المراجع الانبا غريغوريوس) •

وأهم المواد المستخدمة فى عمل زيت الميرون هى البلسم الذى ينمو فى حديقة بئر العذراء مريم بالمطرية مكان مدينة هليوبوليس القديمة · وهنا كما تقول الرواية ، استراحت العائلة المقدسة أثناء هروبها الى مصر · وقيل ان العائلة قد اختفت داخل تجويف فى ساق شجرة ، ونسج العنكبوت خيوط شبكته حول مدخل التجويف ، وانطلت هذه الحيلة على المطاردين وقد أورد أحد المؤرخين العرب فى العصور الوسطى ذكر البلسم الموجود بالمطرية كما يلى :

"in vicinia fostatac sunt ab austro vicus Men eta Septentrione urbs nominata Ainschemes .... dicunturque ambae horti fuisse pharaunis, cui Deus maledicat. In Ainschemes provenit balsami arbor, quod nullibi terrarum nisi hic nascitur. (١)

والحقيقة أن شجرة البلسم توجد أيضا فى شبه الجزيرة العربية ، وقيل ان آخر شجرة كانت موجودة فى مصر قد أطيح بها خلال الفيضان المدمر الذى حدث سنة ١٦١٥ ، ولابد أنه تمت استعادتها · ويؤكد التقليد على أن البلسم لا ينمو الا فى حديقة المطرية فقط ولابد من ريه بماء البئر الذى اغتسل فيه الطفل يسوع المسيح وهناك رواية تقول ان يهوديا كان وزيرا للسلطان العزيز بن صلاح الدين أنكر هذه الحقيقة انكارا تاما · ولكى يبرهن على صحة زعمه حفر بئرا أخرى الى جانب بئر العذراء ، واستمر رى الأشجار من هذه البئر الجديدة لمدة عام كامل وكانت النتيجة أنها لم تثمر ولا نقطة واحدة من البلسم · وفى العام التالى أمر الوزير بأن تروى الأشجار بمقدارين متساويين من ماء البئرين وكان الناتج يساوى نصف المحصول المعتاد · وفى العام الثالث وبعد استخدام ماء بئر العذراء وحده عاد محصول البلسم الى معدله المعتاد (٢) ·

وتجرى عمليات غلى عديدة للميرون وكل منها عملية مستقلة لها طقس محدد ، والكميات المأخوذة من كل مادة محددة بالدقة سواء عن طريق الميزان أو القياس · وفى العملية الأولى يتم غلى الأطياب والأفاوى المختلفة التى تتضمن أزهار الزنبق والكاسيا حيث توضع فى قدر وتنقع فى الماء النقى لمدة يوم · وفى صباح اليوم التالى يصب فيها ثمانية أرطال من الزيت النقى الذى لم يوضع فى أية أوعية من الجلد ، وتترك لمدة يوم وهى تغلى

---

(١) انظر كتاب : Descriptio Aegypti الذى ترجمه عن العربية J. D. Michaelis وصدر فى Göttingen سنة ١٧٧٦ ــ ص ١٢٧ ·

(٢) See also : evanglia Apocrypha, ed. Tischendorff, and edit. p. 193. (Evang. Infant Arab. c. xxiv).

على نار متوسطة • أما مواد الوقود فهى حطب الزيتون أو أخشاب الأيقونات القديمة (١) • وأثناء غليان الخليط يقرأ سفر المزامير كله ، ويقلب الخليط من وقت لآخر بقضيب من فروع شجر الزيتون ، وكلما أوشك الماء على النفاد أعيد تزويده • وفى المساء ترفع القدر عن النار ويترك الزيت طوال الليل وحتى صباح اليوم التالى حتى يبرد ، ثم يصفى خلال منخل من نسيج الكتان •

وبعد ذلك توضع الأزهار الفارسية الحمراء مع خشب الصندل الأبيض وغير ذلك من المواد العطرية فى غلاية كبيرة مملوءة بالماء النقى وتترك لمدة ست ساعات ، ثم يضاف اليها الزيت الذى صنع بالأمس • ويتم غلى الجميع لمدة أربع ساعات على نار هادئة ، ويصفى الخليط مرة أخرى •

أما فى الطبخة الثالثة فيتم اختيار أفاوى أخرى وتنقع ثم تغلى مع ماء الزيت الناتج عن اليوم السابق وتصفى كالمرتين السابقتين ــ وفى اليوم التالى يتم خلط مواد أخرى منها البلسم والزعفران وخشب الصبار وكمية أخرى من الورود الحمراء وتغلى كما حدث من قبل حتى يتبخر الماء كله • ثم ينقى الخليط بالتصفية • وفى اليوم الخامس يضاف هذا الخليط الى العنبر الأصفر المغلى والبلسم ويغلى على نار هادئة • أما مواد الوقود فهى الفحم النباتى المصنوع من خشب البلوط حتى يتم تحلل العنبر والبلسم ، ثم يصفى الميرون من خلال منخل من الكتان ويجمع فى وعاء نظيف ويقلب يوميا لمدة سبعة أيام وبذلك يصبح جاهزا للتكريس والتقديس (٢) •

وحسب العادة القديمة فان تكريس الميرون يجب أن يتم بقدر الاستطاعة بكنيسة دير القديس مقاريوس بالصحراء الغربية • وكانت تتم من قبل بكنيسة القديس مرقس بالاسكندرية • ومن المستحيل القول متى تم هذا التغيير ولكن من المحتمل أن يكون هذا التغيير قد حدث ليس بعد القرن السابع • ويبدو أنه يوجد كذلك بعض الالتباس فيما يتعلق باليوم المحدد للتكريس وهل هو يوم خميس العهد كما هو الحال فى الطقس الغربى ، أم يوم الجمعة العظيمة • ولكن الرواية القبطية تذكر أن اليوم

---

(١) مازالت هذه العادة التى سجلها فانسليب .(Histoire, p. 91) موجودة ، وهى مذكورة ، بالقول لعدم وجود صور فى الكنائس تسجل هذا الطقس •

(٢) وردت طريقة عمل الميرون كما وصفها أسقف قبطى تلبية لطلب بطريرك الموصل ــ فى مخطوط محفوظ بالمكتبة القومية فى باريس .(XIV No. 100) •

التى صنع فيها الميرون خلال القرن الثالث عشر تبين أنه كان يعمل على فترات غير منتظمة تتراوح ما بين ست الى خمس عشرة سنة (١) ويستخدم الميرون الآن للتثبيت فقط ولتدشين الجديد من الكنائس أو المذابح أو الأيقونات أو الأوانى وذلك حسب شهادة البطريرك الحالى .

وهناك شبه تام بين الاستخدام القبطى واليونانى للميرون . لأن نفس الاصطلاح مستخدم فى اللغتين . وكذلك أيضا الاعداد متشابه من حيث التركيب لأن اليونانيين يستخدمون الزيت والخمر والبلسم والمر والقاسيا والقرفة والزعتر وهذه المواد يبلغ عددها ثلاثة وثلاثين صنفا من المواد العطرية . وعلاوة على ذلك فان التقديس يتم بنفس الترتيب الاحتفالى .

ويوضع الزيت فى صندوق من المرمر مغطى بستر ويحمل فى موكب ، فيتحرك أمامه الشمامسة بالشموع المضيئة ، وعلى كلا الجانبين سبعة من الشمامسة يحملون المراوح التى يروحون بها على الوعاء . الا أن البابا بدلا من أن يحمل الزيت المقدس ، يتسلمه من كبير الكهنة أو الأسقف على باب الهيكل ويضعه على المذبح .

أما فى الغرب فقد كان الميرون يصنع من الزيت والبلسم فقط . وكانت الزيوت الثلاثة تقدس معا حيث يحمل زيت الميرون فى آنية ذهبية، بينما يحمل الزيتان الآخران الأول oleum Sanctum اوليوم سانكتوم : الزيت المقدس والزيت الثانى oleum infirmorum اوليوم اينفيرموروم : زيت القنديل . فى اناءين فضيين ، أما موكب الدورة حول الكنيسة فيشبه ذلك الذى يجرى فى الطقس الشرقى . ويستخدم الميرون للمسحة الأخيرة عند العماد ، وللتثبيت ولتدشين الكنائس والمذابح والأجراس ولتكريس الأساقفة والكهنة والملوك ويوضع على يدى الشماس وعلى صليب الصلبوت عند مباركته . أما فى الطقس اللاتينى فان كلا من الميرون والبلسم يوضع على المذبح منفصلا . وخلال الخدمة يقوم الأسقف بخلط جزء من الزيت مع البلسم فوق الصينية ثم يضعه فى الاناء الذهبى . ونفس هذه الطريقة لخلط الميرون متبعة فى طقس السريان اليعاقبة الذى يطابق الطقس القبطى خصوصا فى تفاصيل الدورة الكبرى وفى وضوح استخدام المراوح . ويعرف السريان نوعين فقط من الزيت ويطلقون على الثانى منهما اسم : زيت المسحة ، وهو يستخدم لرشم المعمدين وشفاء المرضى .

---

(١) يحدد المخطوط المحفوظ فى المكتبة القومية بباريس سنوات ١٢٩٩ ، ١٣٠٥ ، ١٣٢٠ ، ١٣٣٠ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤٦ كتواريخ لعمل الميرون .

تدشين الكنيسة والمذبح

ان الطقس الخاص بتدشين الكنيسة لم يدون · ومن المحال تقديم وصف الاحتفالات المعتادة ولكننا نستطيع تقديم بعض الجوانب المؤكدة لهذا الاستخدام · أما بقية الجوانب وهى الأقل ضرورة فسنمر عليها فى صمت لانعدام المعلومات ·

وتبدأ الخدمة بصلاة عشية الأحد وتستغرق معظم الليل · ويتم عمل التدشين فى صباح الأحد ، حيث يجتمع فيالمبنى عدد كبير من رجال الاكليروس والأساقفة مع البطريرك · ولا يبدو أن هناك أى احتفال يجرى عند الباب الغربى كما هى العادة فى انجلترا · وتصف أمام الهيكل سبعة أوان من الخزف مملوءة بالماء · وقد تكللت فوهة كل اناء باكليل من أوراق نبات البنجر الأبيض (١) وتشعل سبعة مصابيح أمام الهيكل كما توضع سبع مجامر ينبعث منها البخور بين أوعية الماء والحجاب · وعند ذلك يتم ترتيل عدد كبير من المزامير ويلى ذلك قراءة عدة فصول طويلة من الكتاب المقدس · ويرتل لحن بعد كل فصل · وبعد ذلك يبخر البطريرك المبنى بينما يرتل رجال الاكليروس لحنا آخر · وتستمر الصلوات واحدة تلو الأخرى ، ولا يفصل بينها سوى عبارات ، كيريى ليسون — من الشعب، وبعض القراءات من الأناجيل الأربعة · وعندما تحل لحظة مباركة الماء ، يركع الجميع حتى انتهاء الصلاة ·

وبعد أن يقف الجميع ، يشكل رجال الاكليروس موكبا طويلا يتصدره البطريرك،وتحمل أوعية الماء بطول الموكب ويحمل رجال الاكليروس وهم يرتدون أفخر ملابسهم ، الشموع ، والمجامر ، والمراوح ، ونسخة فخمة من الانجيل — ويدخلون أولا الى الهيكل حيث يرش البطريرك أو الأسقف الحوائط وقبة المذبح بالماء ، الذى يأخذه من آنية مصنوعة من المرمر وموضوعة فى ثمرة اليقطين المجففة · ثم يرش بنفس الطريقة حوائط الهيكل خاصة حائط الشرقية ، وكذلك الأعمدة وقبة مظلة المذبح — ويمر الموكب ويدور حول الكنيسة كلها · وبنفس الطريقة يرش البابا البطريرك الحوائط والأركان والسقف اذا أمكن ، وهو يقول فى كل موضع : « التدشين المقدس لبيت الرب » ·

وبعد الدورة الأولى تجرى دورة أخرى ترشم فيها الأماكن التى سبق رشها بأوراق نبات البنجر الأبيض على شكل صليب · وأخيرا تجرى دورة

---

(١) انظر : Vansleb, Hist., p. 215.

وانا نتساءل عما اذا كان ذكر هذا النبات قد ورد كوسيلة للطعن أم لا ؟

المقدس والذى يتكون من الشمع والصمغ وتراب الرخام • وبعد اتمام ذلك يبدأ القداس •

واليونانيون أيضا مثل الأقباط ، يستخدمون الميرون لمسح الأوانى المقدسة والأيقونات عند تكريسها •

وفى الطقس القبطى يأتى تكريس المذبح بعد تكريس الكنيسة ، وهو يتفق فى ذلك مع الطقس الغربى أكثر من الطقس اليونانى • ففى مصر نجد أنه بعد أن يكرس البطريرك الكنيسة يعود فيقف أمام المذبح ويبخره أثناء تلاوة المزامير والصلوات • ثم يرشم فوقه ثلاثة صلبان بالميرون وهو يقول : « نمسح بالميرون هذا المذبح الذى بنى لتكريم القديس ••••• ، باسم الآب والابن والروح القدس » • وبعد أداء العديد من الصلوات الأخرى يسجد أمام المذبح ، وكذلك يفعل بقية الاكليروس ، ثم يغطى المذبح بغطائه، ويوضع فوقه الصليب والبشارة بينما يستمر رجال الاكليروس وأفراد الشعب فى الترتيل • ويتكون موكب يدور حول المذبح ثلاث مرات مع الموسيقى • وتبدأ اقامة القداس • وبعد ذلك يكسر البطريرك اليقطينة وأوانى الماء ، ثم يأخذ الناس الشظايا لكى يحتفظوا بها •

تدشين وتكريس جرن المعمودية

ان التعليمات المدونة تنص على أن يكون موقع المعمودية فى الركن الجنوبى الشرقى من الكنيسة • وهذه التعليمات التى يعود تاريخها الى العصور الوسطى ، لا تبين فقط هجر العادة الأصلية التى تجعل موقع المعمودية فى الركن الجنوبى الغربى من الرواق • ولكنها ليست بالتعليمات ذات الأهمية فى حد ذاتها • ونظرا لأننى ذكرتها الآن أقول انه مادام انتقال المعمودية قد حدث فى حدود مبنى الكنيسة فليست هناك قاعدة ثابتة معروفة تتبع بخصوص موقع المعمودية • ومن الضرورى أن توضع صورة عماد السيد المسيح على الحائط أو فى داخل مقصورة بالقرب من جرن المعمودية •

أما تدشين جرن المعمودية فلابد أن يتم فى يوم أحد بقدر الامكان • وعند صلاة غروب اليوم السابق يجب أن تغسل المعمودية جيدا ويوضع فى الاتجاه الشرقى من المعمودية ثلاثة مصابيح مملوءة بزيت الزيتون النقى الوارد من فلسطين • ويجب اشعالهــا عند شروق الشمس • كما يجب احضار ثلاثة قدور مملوءة بالماء النقى مع منشة لرش الماء مصنوعــة من الخوص وتربط فيها أوراق البلسم وبعض الريحان ، واسفنجة جديدة ،

والشموع المشتعلة على الشمعدانات المتشعبة · وتبدأ خدمة القداس بالكنيسة بعد تلاوة العديد من المزامير وفصول الكتاب المقدس مع الصلوات · ويبخر البطريرك المذبح وهو يتلو صلاة البخور · ثم يجلس البطريرك على عرشه أثناء قراءة فصل الكاثوليكون · وبعد الانتهاء من القراءة يدور موكب البخور حول الكنيسة ثم يدخل الى المعمودية الجديدة حيث يرشم الأسقف جرن المعمودية وكلا من أوانى الماء الثلاثة بعلامة الصليب ويبارك الماء · وعند صلاة تحليل الابن يرتدى الأسقف التاج أو البلين · وعند الانتهاء يصب الماء المقدس فى الجرن ويكسر الأوانى · ثم يأخذ المنشة المصنوعة من الخوص وبعد غمسها فى الماء يرش المعمودية كلها على شكل صلبان وهو يقول : « هلليلويا » ويرد عليه رجال الاكليروس قائلين أيضا « هلليلويا » وبنفس الطريقة يرش كل حوائط المعمودية ، ثم يغسل الجزء الداخلى من المعمودية بالريحان أثناء تلاوة المزامير والألحان · وبعد ذلك يصرف الماء من الجرن الذى يمسح بالاسفنجة ويجفف · وبعد ذلك يتناول الأسقف قارورة من الميرون مغطاة بحجاب ، ويفتحها ، ويرشم بالزيت المقدس خمسة صلبان فى الجسم الداخلى للمعمودية منها صليبان على الجانبين وصليب فى الوسط ، وعند الشرق يقول : « أكرس هذا الجرن لمعمودية الروح القدس » · وعند الغرب يقول : « أكرس هذا الجرن باسم الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس » ، وعند الشمال يقول : « أكرس هذا الجرن على مثال معمودية آبائنا الرسل القديسين » · وعند الجنوب يقول : « أكرس هذا الجرن على مثال معمودية القديس يوحنا المعمدان » · وأخيرا عندما يرشم الصليب فى الوسط يقول : « مبارك الرب الاله الآن وكل أوان » (١) · وحسب ماورد فى بعض التعليمات المدونة فان الأسقف بعد أن يرشم الصلبان الخمسة يرشم أيضا دائرتين بالميرون احداهما حول الطرف السفلى والأخرى حول الطرف العلوى لجرن المعمودية من الداخل · وتنتهى خدمة القداس بتوزيع البركة ·

عيد الغطاس

نحتاج الى مجلدات عديدة حتى يمكننا تقديم تفاصيل كافة العادات الدينية لشعب مثل الشعب القبطى يهتم كثيرا بهذه الاحتفالات · أما هنا فيكفينا تقديم رسم توضيحى لبعض الشعائر الموقرة لدى هذا الشعب ·

من أكثر الأعياد السيدية تميزا فى أسلوب الاحتفال ، عيد الغطاس ـ الذى يسميه الاقباط عيد الظهور الالهى Thecphany ، وان كان اسمه

---

(١) Denzinger, Rit. Or., tom. ii., pp 236-248.

ومازال الاحتفال بهذا العيد قائما فى أرمينيا ، حيث يوضع فى الخوروس وعاء معدنى ضخم مملوء بالماء ، وذلك بعد قداس عيد الغطاس ، ويدور موكب حول الكنيسة • وفى هذا الموكب يحمل كل من القساوسة شمعة وانجيلا ، بينما يحمل كل شماس شمعة ومجمرة ، ويحمل كل مساعد شماس شمعة فقط • وبعد ذلك يأتى القائم بخدمة الاحتفال حاملا صليبا كبيرا • وعند العودة الى الخوروس يقدس القائم بالخدمة الماء ويشقه بالصليب على شكل صليب ، ويصب عليه الميرون بنفس الطريقة • وبعد القداس يحمل الناس الماء الى منازلهم لرش البيوت والآبار والقنوات • وتكرر هذه البركة فى نفس هذا اليوم فى الهواء الطلق على ضفاف الأنهار والآبار الموجودة بالمنطقة •

أحد الشعانين واسـبوع الآلام

أحد الشعانين هو الاسم الذى يطلقه الأقباط على عيد السعف الذى تعودوا أن يحتفلوا به قبل احتفال الغربيين بزمن طويل • وفى ليلة العيد تعقد بالكنيسة خدمة عظيمة يقوم الأسقف خلالها بمباركة سعف النخيل ، ثم يتشكل موكب عظيم من رجال الاكليروس الذين يحملون الصلبان والشموع وسعف النخيل ، وهم ينشدون الألحان ويتوقفون أمام كل عمود وأمام الأيقونات الرئيسية والرفات • وبعد طوافهم حول الكنيسة يعودون الى الهيكل حيث يبدأ القداس ، وتقرأ فصول الجناز لأن كافة مراسم الدفن ممنوعة خلال أسبوع الآلام • وقديما أيام الاضطهاد ، وأحيانا حتى بعد الفتح العربى ، كان يتحرك موكب عظيم من الكنيسة الرئيسية بالاسكندرية خلال شوارع المدينة ، حاملا سعف النخيل • وحتى اليوم مازال الناس يحملون السعف الى منازلهم ويصنعون منه السلال والأشياء المشابهة التى يرسلونها الى أصدقائهم • ونفس هذا الاحتفال الخاص بمباركة السعف يجريه النساطرة والأرمن وفى الساعة الواحدة بعد منتصف الليلة التى تلى يوم أحد السعف فى مصر ، تبدأ صلوات البصخة Eastertide وتستمر بدون انقطاع حتى صباح عيد القيامة • ولا يعقد القداس أيام الاثنين أو الثلاثاء أو الأربعاء ، ويتم ترديد جميع الصلوات فى الخوروس مع اغلاق باب الهيكل •

وفى يوم خميس العهد تقرأ صلوات الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة ، وبعد ذلك ـ اذا لم يتم تكريس الزيت المقدس ، يتشكل موكب الى حوض صغير فى الصحن حيث يبارك البطريرك الماء بطقوس تشبه تلك المخصصة لعيد الغطاس ، ولكن الأناجيل والألحان الخاصة بهذه المناسبة:

تتركز حول موضوع غسيل السيد المسيح لأرجل التلاميذ ، وفى نهاية الصلوات يعطى البطريرك بركته للكهنة وأفراد الشعب المجتمعين برشهم بالماء من الحوض • ثم يغسل أرجل بعض الأفراد من الشعب والاكليروس ويجففها بمنشفة • وفى هذا اليوم وبعد غسيل الأرجل مباشرة ، يفتح باب الهيكل لاقامة القداس والاحتفال بسر الافخارستيا ، ثم يغلق بعد ذلك مرة ثانية • ولكن فى هذا القداس تمتنع قبلة السلام وأوشية الراقدين •

أما بالنسبة للطقس الأرمنى الخاص بخميس العهد ، فيوضع وعاء من الماء فى الخوروس ، ويصب فوقه الميرون على شكل صليب عند البركة • وبعد أن يغسل الأسقف أرجل رجال الاكليروس والشعب ، يدهنهم بالزيت • ثم يرتدى العباءة التى كان قد خلعها أثناء غسل الأرجل ، ويجلس فى مكان مرتفع ويعفى أفراد الشعب من الصوم الانقطاعى خلال البصخة ، وفى صباح يوم الجمعة العظيمة ينصب صليب صغير فى الصحن ، ولكن عند الساعة الحادية عشرة توضع أيقونة الصلبوت بدلا من الصليب • وفى نفس الوقت يضاء صحن الكنيسة بعدد كبير من الشموع والمصابيح • ثم يرتدى الكهنة ملابسهم ويرفعون البخور أمام الأيقونة وهم يرددون تسبحة البصخة • وتؤدى جميع الألحان والتراتيل فى هذا اليوم باللحن الحزين كما تدور كافة فصول الأناجيل التى تقرأ ، حول ذكرى صلب السيد المسيح • وفى نهاية الساعات السادسة والتاسعة والحادية عشرة والثانية عشرة ، تقرأ صلوات من أجل جميع المؤمنين ، ويقوم الجمهور الحاضر بعمل عدد من السجدات فى الاتجاهات المختلفة التى يتردد فيها اسم السيد المسيح • وبعد انتهاء الساعة الثانية عشرة يرفع الأسقف أو القمص ـ الصليب الذى يحمل ثلاث شمعات مضيئة ، بينما يصيح الجمهور : « كيريى ليسون » مائة مرة فى كل اتجاه من الاتجاهات الأربعة الأصلية • ثم يتشكل موكب يدور حول الكنيسة ثلاث مرات حاملا أيقونة الصلبوت التى يأخذونها الى المذبح • وقد فرش المذبح بحجاب حريرى ووضع عليه الصليب الذى كان مقاما فى صحن الكنيسة ، ثم توضع الأيقونة ، ويغطى الجميع بأوراق الورد والمر والريحان • ثم يفرش فوقها الستر وبذلك يدفنون تحت المذبح • وبالطبع فان هذا الاحتفال يمثل دفن السيد المسيح ، كما أنه يشبه عملية دفن صليب الصلبوت فى قبر السيد المسيح كما كانت تمارسها الكنائس الانجليزية القديمة • وأثناء التمثيل يصلى أفراد الشعب • وفى النهاية يذهبون الى منازلهم وينتهى الصوم الانقطاعى عن هذا اليوم •

الى القدس يوم أحد السعف ، ويقضون الأسبوع فى زيارة الأماكن المقدسة . وفى صباح عيد القيامة يحضرون القداس فى كنيسة القبر المقدس . ويمثل الحج الى بيت المقدس احدى الكفارات القانونية .

يستغرق الصوم الصغير مدة أربعين يوما تسبق عيد الميلاد ، وهو أقل تشددا فى شروطه من الصوم الكبير ، فهو على سبيل المثال لا يحظر فيه أكل السمك . ولكن فى عشية عيد الميلاد ، كما هو الحال فى عشية عيد الغطاس لابد من الصوم الانقطاعى حتى الغروب .

وهناك صوم آخر يدعى صوم هرقل . وتقول القصة ان الامبراطور هرقل أثناء مروره بفلسطين أعطى الوعد بالسلام لليهود على طول طريقه ، ولكنه عندما وصل الى بيت المقدس توسل اليه المسيحيون هناك أن يقوم بمذبحة ضد اليهود انتقاما لصنوف القسوة التى اقترفوها ضد المسيحيين وخاصة سلب المدينة المقدسة الذى تحالف فيه اليهود مع الفرس . ولما تردد هرقل فى كسر وعده ، والغاء العهد الذى قطعه مكتوبا على نفسه ، اشتد المسيحيون فى اقناعه وتعهدوا جميعا أن يصوموا هم وأجيالهم المقبلة أسبوعا حتى نهاية العالم . وعلى ذلك أمر هرقل بالمذبحة واستمر الصوم . وصوم هذا الأسبوع يسبق الصوم الأربعينى ، وقد أضيف اليه الآن وأصبح الأسبوع الأول من الصوم الكبير يدعى صوم هرقل .

اما ثالث أكبر أصوام الكنيسة القبطية فهو صوم الرسل ويبدأ بعد عيد العنصرة (حلول الروح القدس) ويستمر حوالى أربعين يومـا . وهناك صوم آخر مدته ثلاثة أيام يسمى : صوم نينوى — ويأتى قبل الصوم الكبير بحوالى أسبوعين . وهناك أيضا صوم مدته خمسة عشر يوما تذكارا لصعود جســد العذراء مريم ويبدأ فى اليوم الأول من شـــهر أغسطس (*) .

(*) يبدأ صوم العذراء حاليا فى ٧ أغسطس ويستمر لمدة ١٥ يوما ، وينتهى بعيد صعود جسد العــذراء (المترجم) .

سير القديسين

سيرة أبى سيفين أو القديس مرقوريوس

فى هذا اليوم (*) استشهد القديس مرقوريوس الذى من مدينة رومية . وكان جده وأبوه صيادين للوحوش وأثناء خروجهما فى أحد الأيام كعادتهما تقابلا مع رجلين مقنعين بوجهين أشبه بوجوه الكلاب فقتلا الجد . وعندما أرادا قتل الأب أيضا منعهما ملاك الرب قائلا : « لا تلمساه لأن منه ستخرج ثمرة طيبة » . وبعد ذلك أحاط الملاك الرجلين بسياج من النار ، ولما شعرا بقسوة الحصار تضرعا الى والد مرقوريوس Mercurius وسجدا أمامه . وغير الرب قلبيهما الى حالة التواضع فأصبحا مثل حملين ودخلا معه الى المدينة ، وبعد ذلك أعطاه الرب مرقوريوس وأسماه فيلوباتير Philopater . أما الرجلان المقنعان بشبه وجهى الكلاب فقد أقاما فى هذا المنزل فترة طويلة وتحولا واستقرا حتى بلغ (فيلوباتير) دور الرجال واصبح جنديا . وتعوذا أن يذهبا معه الى الحروب ولم يستطع أحد أن يقاومهما لأن وجهيهما عادا كما كانا من قبل ثم ماتا بعد ذلك (**) .

أما عن القديس فقد أصبح واحدا من هؤلاء الذين أعطاهم الرب القوة والشجاعة ودعاه أهل المدينة باسم مرقوريوس . وكان ملك رومية فى هذا الوقت هو داكيوس Dacius الذى كان عابدا للأوثان . ولما هاجم البربر مدينته جمع جيشه وخرج لملاقاتهم ، ولكنه عندما رأى كثرتهم فزع وخاف ، الا أن مرقوريوس جاء اليه قائلا : « لا تخف ان الله سيدمر أعداءنا ، وسيسلمهم الى أيدينا » . وبعد أن ترك الملك ظهر له رجل ملتحف بثوب طويل أبيض وكان فى يده سيف أعطاه لمرقوريوس قائلا : « اذا غلبت

(*) الخامس والعشرون من شهر هاتور .

(**) لا نعرف من اين جاء بتلر بقصة الرجلين المقنعين بوجهى الكلاب لانها لم ترد فى السنكسار ولا فى اى مكان آخر (المترجم) .

أعداءك فاذكر الرب الهك » • فلما انتصر مرقوريوس عليهم وعاد ظافرا ، ظهر له الملاك وجعله يتذكر اسم الرب ، ولذلك فانه عندما انتهت الحرب وأراد الملك أن يتعبد لأوثانه ومعه جنوده ، تخلف القديس عن مشاركتهم • ولما سمع الملك (داكيوس) Dacius بذلك استدعاه وتعجب عندما وجد أن محبة (مرقوريوس) له قد تبدلت • وألقى (مرقوريوس) فى وجه الملك بعباءته ومنطقته قائلا : « لن أنكر سيدى يسوع » • فتزايد غضب الملك وأمر بضربه بالجريد والسياط ، ولكنه لما خشى أن يثور الناس ضده لأجل (مرقوريوس) اقتاده مقيدا بالسلاسل الى قيصرية وأمر بقطع رأسه هناك •

وأكمل جهاده المقدس ونال اكليل الحياة فى ملكوت السموات • شفاعته فلتكن معنا آمين •

وبعد استشهاده وفى أيام الملك يوليانوس Julianus المرتد الذى إضطهد المؤمنين ، طلب القديس باسيليوس من القديس مرقوريوس متوسلا اليه أن ينتقم من الملك الكافر • وحينذاك أرسل الرب القديس مرقوريوس الذى قذف الملك برمحه وقتله • وقبل أن تخرج روحه ملأ كفه بالدم ورش الدم نحو السماء قائلا :«أيها السيد الرب اقبل النفس التى أعطيتنى اياها» • وصورته تحت صورة القديس (١) • صلواته فلتكن معنا وتحفظنا • آمين •

سيرة أبى سيفين (٢)

فى هذا اليوم نعيد بتذكار تكريس كنيسة الشهيد العظيم المحب لأبويه ، مرقوريوس أبى سيفين ، جندى يسوع المسيح ، وكان أبوه من رومية صيادا للوحوش ، وقد أنعم الله عليه بهذا القديس حسب كلمة ملاك الرب • وكان اسمه أولا (أبادير) Abâdir • وتربى بين ذوى الوجوه المقنعة بما يشبه وجوه الكلاب •

وعندما بلغ دور الرجال صار جنديا • وفى عصر الملك داكيوس Dacius الوثنى وعابد الأصنام ، ذهب اليه أبو سيفين والقى بمنطقته فى وجهه ، ثم شمر عن ساعديه قائلا : « أنا لا أنكر سيدى والهى يسوع المسيح » • وأمر الملك أن يضرب بجريد النخيل والسياط ، ثم أرسله الى

---

(١) ترسم صورة يوليانوس الكافر تحت صورة القديس مرقريوس • ونظرا لكثرة المعارك التى خاضها سمى ابا سيفين اى سيف الجندية وسيف القوة الالهية الذى اعطاه إله الملاك الذى ظهر له •

(٢) نص اخر يحكى نفس السيرة •

قيصرية حيث قطعت رأسه • واكتمل جهاده ونال اكليل الحياة ؛ وبعد استشهاده بنوا الكنائس على اسمه •

وفى أيام القديس باسيليوس كان هناك ملك منافق يدعى يوليانوس Julianus • وقد سجن هذا الملك القديس (باسيليوس)وذهب خارج البلاد • وقد رأى باسيليوس فى سجنه مساجين آخرين من المسيحيين ، فصلى من أجلهم • وأثناء صلاته نظر الى الحائط فرأى رسما يمثل القديس مرقوريوس راكبا حصانا وممسكا برمح فى يده ، فتوسل اليه القديس باسيليوس أن يقتل الملك ، وأن يخلص شعب المسيح من الطغيان الملكى • واختفت الصورة من الحائط ، ثم عادت سريعا وقد ظهر فيها القديس مرقوريوس ورمحه يتصبب دما • وهنا سأله باسيليوس « هل قتلته ؟ » فهز رأسه بالايجاب • وهذا هو السبب فى أن الرسامين يرسمون القديس مرقوريوس مطاطئا رأسه وأمامه القديس باسيليوس •

صلواته تكون معنا وتحفظنا من العدو الى النفس الأخير • آمين •

سيرة الأنبا شنودة

فى هذا اليوم (*) تنيح الأب المبارك الراهب العابد الأنبا شنودة رئيس المتوحدين الذى من شندويل باخميم • وكان أبوه فلاحا وراعيا لقطيع من الخراف • وترك هذه الخراف لابنه لكى يرعاها • وقد اعتاد شنودة أن يعطى طعامه للرعاة الآخرين • وكان يذهب فى عز برد الشتاء الى بحيرة من الماء حيث يقف ويصلى • وقد ذكر شيخ قديس أنه رأى أصابع الأنبا شنودة العشر تضىء مثل عشرة مصابيح •

وأخذه أبوه الى خاله « الأنبا بيجول » لكى يباركه • فأمسك بيجول بيد الصبى ووضعها على رأسه وقال : « باركنى أنت ، لأنك ستكون قديسا عظيما لجمهور عظيم » • ثم تركه أبوه عند خاله • وفى يوم معين سمع صوتا آتيا من السماء قائلا : « الأنبا شنودة رئيس المتوحدين فى كل المسكونة » • ومن هذا الوقت بدأ الأنبا شنودة فى عمل العديد من أعمال البر والعبادة • ولما مات خاله وضعوه فى مكانه فأصبح كوكبا للبرية ووضع العديد من المحاورات والقوانين المنظمة لحياة الرهبان ورؤساء الأديرة والمؤمنين المدنيين والنساء • وذهب الى مجمع المائتين فى افسس مع البابا كيرلس • ولم يرغب تلاميذه فى أن يأخذوه معهم فى السفينة ، فحملته سحابة وحضر أمام البطريرك الذى كان فى السفينة ، وحياه ، فتعجب الجميع •

(*) السابع من شهر أبيب • (المترجم)

وقد حضر السيد المسيح مرات عديدة ليحدثه ، وغسل قدمى السيد المسيح وشرب الماء (*) وقد كشف له السيد المسيح عن العديد من الأمور الخفية فتنبأ بالعديد من النبوءات ، وعاش مثل موسى النبى مائة وعشرين سنة : وعندما حضرته الوفاة رأى حشدا من القديسين الذين جاءوا خلفه ، ورأى أيضا مخلصنا يسوع المسيح وقال : « احملونى حتى أسجد للرب » فرفعوه فسجد ، ثم قال لهم : « الى اللقاء فى الرب » •

وترك العديد من الوصايا للأحداث ورقد فى سلام • بركة صلواته فلتكن معنا • آمين •

سيرة مار مينا

فى هذا اليوم (**) نعيد للأب المبارك مار مينا • وقد ولد فى مريوط بالقرب من الاسكندرية • ووجد جسده فى هذا المكان بعد دفنه •• ولم يكن أحد يعرف مكان دفنه ، ولكن الرب أراد أن يبين المكان الذى يرقد فيه الجسد الطاهر ، فتصادف أن أحد الرعاة كان يرعى قطيعه بالقرب من تل فرأى حملا يعانى من قرحة جلدية يستحم فى النهر ثم يتمرغ فى التراب فوق البقعة التى دفن فيها القديس ، وتم شفاء الحمل • وتعجب الراعى وأخذ كل الحملان التى كانت تعانى من نفس المرض الى هذا المكان وغسلها فى الماء ثم جعلها تتمرغ فى التراب • وشفيت جميعها على الفور • وفعل نفس الشىء مع المرضى من الرجال ، فشفى جميع المرضى الذين وضعوا من التراب على أجسادهم ولم يكن أحد يعرف سبب ذلك •

وسمع الملك عن الراعى فأرسل اليه ابنته المصابة بالبرص فعالجها بنفس الطريقة • وعندما أرادت أن تعرف السبب ، ظهر لها القديس مار مينا فى رؤيا وقال لها : « ان جسدى يرقد فى هذا المكان والرب يأمرك بأن تحفرى وتخرجيه » • وعندما استيقظت نفذت هذه الكلمة وأخرجت الجسد المبجل وبنت كنيسة فوق المكان •

وأمر الملك جميع الرؤساء والأعيان ببناء منازل حول المكان وسميت المدينة باسم « مريوط » وقد ظهرت من هذا الجسد عجائب كثيرة • وحضر البطريرك والأساقفة ودشنوا الكنيسة • وانتشرت أخبار عجائبه فى كافة الأنحاء وقد حدث كل ذلك بقوة الشهيد مار مينا •

بركته وشفاعته فلتكن معنا • آمين •

(*) يخلط بتلر هنا بين سيرة الانبا شنودة والانبا بيشوى فالمعروف أن الأخير هو الذى كان يحضر اليه السيد المسيح وغسل قدميه فى احدى مرات حضوره اليه • (المترجم) •

(**) الخامس عشر من شهر هاتور • (المترجم) •

سيرة الأمير تادرس

كان أبوه يدعى يوحنا الذى جاء من بلدة شطب بمصر العليا . وكان قد أخذ أسيرا الى انطاكية ، حيث سكن وتزوج ابنة أمير المكان ، الذى كان يعبد الأوثان ورزق منها بهذا القديس الذى دعى تادرس ، ولكنها عندما أرادت أن تقدمه لبيت الأصنام وتعليمه ديانتهـا ، غضب الأب ومنعها ، فطردته من المنزل واحتفظت بالصبى معها ، وصلى الأب بلا انقطاع الى الله ليقود ابنه فى طريق الخلاص .

وعندما كبر القديس درس العلم والحكمة وأضاء الرب قلبه فذهب الى أسقف قام بتعميده . ولما سمعت أمه بذلك غضبت غضبا شديدا . وسأل الابن عما اذا كان أبوه حيا أو ميتا ، فأبلغه أحد خدام المنزل أن أمه طردته لأنه كان مسيحيا . وأصبح تادرس جنديا للملك ثم أصبح قائدا لأحد الجيوش . وعندما ذهب الملك لمحاربة الفرس أخذ معه هذا القديس لمصاحبة ابنه . وكان فى مدينة أوخيطوس ثعبان هائل كان أهل المدينة يعبدونه ، وكانوا يقدمون له عاما بعد عام ضحية بشرية ليأكلها . وكانت فى المدينة أرملة مسيحية لها ابنان ، فحدث أن أخذ الناس ولديها وقدموهما للثعبان فى الوقت الذى كان فيه الأمير تادرس هناك ، فوقفت المرأة أمامه باكية وقصت عليه قصتها . وعندما عرف أنهـا مسيحية فكر فى نفسه قائلا : « هذه المرأة مظلومة والرب سينتقم لها » . ثم ترجل عن حصانه واتجه ناحية الشرق وصـلى ، ثم تقدم نحو الثعبان ، وكان جميع أهل المدينـة يشاهدونه من فوق الأسوار ، وكان طول الثعبان اثنى عشر ذراعا ، ولكن الرب أعطى تادرس القوة ضد الثعبان . فقذفه برمحه وقتله وبذلك خلص ولدى الأرملة . وبعد ذلك ذهب الى مصر العليا بحثا عن والده . ووجده هناك وعرفه عن طريق التذكارات التى أظهرها والده له . وظل فى هذا الموضع حتى وفاة والده فعاد الى انطاكية فوجد أن الملك قد صـار وثنيا وأخذ يضطهد المؤمنين بالمسيح ، فذهب اليه واعترف أمامه بالسيد المسيح . وقبل ذلك كان كهنة الأوثان قد افتروا عليه لدى الملك فقال أهل أخيطوس للملك : « هذا هو الرجل الذى قتل الثعبان الهنا » . فأمر الملك بتعذيبه ، وعوقب بكافة آلات التعذيب ولكن الرب شدده ، فأمر الملك بحرقـه . فالقوا به فى النار . ثم قطعوا رقبته ، فنال اكليل الشهادة .

وأخذت جسده امرأة مؤمنة لقاء مبلغ كبير من المال ، وأخفتـه فى المنزل حتى انتهى الاضطهاد ، وأقامت الكنائس على اسمه . ويقال ان هذه المرأة كانت هى أمه . شفاعته فلتكن معنا آمين .

سيرة مار جرجس

ولد هذا القديس سنة ٢٨٠ ميلادية من أبوين نبيلين ، ونال قسطا عظيما من التعليم • وعندما بلغ عمره أربعة عشر عاما مات والده فأصبح قائدا في الجيش وحارب ، وقتل التنين العظيم وخلص ابنة الملك التي كانت قد وقعت القرعة عليها لتقديمها الى التنين • وبعد ذلك جعله الملك وزيرا بسبب شجاعته ، ولم يكن يعلم أنه من المؤمنين بالمسيح • ويقال انه أعظم شهداء عصر دقلديانوس • ففى يوم معين رأى مار جرجس منشورا ضد الديانة المسيحية ، فمزقه أمام الناس فى غضب شديد • ومن ذلك الحين ترك المنصب وكافة الأشياء الدنيوية واستعد للدفاع عن العقيدة ، فوزع ثروته وأعتق عبيده وذهب الى البلاط الملكى ، وتحدث الى الملك والرؤساء قائلا : « كيف تجرؤون على اصدار مثل هذا المنشور ضد ديانة المسيح ، الديانة الحقيقية ؟ » وغضب الملك ولكنه كظم غيظه وأشار الى القنصل ماجنتيوس Magnetius للرد عليه ـ فقال القنصل : « من شجعك على فعل ما فعلته ؟ » فرد عليه مار جرجس قائلا : « انني مسيحي وجئت لأشهد للحق » • فطلب منه الملك أن يعبد أوثانه وهدده بالتعذيب • ولما رفض مار جرجس ، أمر الملك بطرده وقتله بالرماح ، ولكن الرماح لم تؤذه ، فالقوه في السجن حيث ربطوا قدميه ووضعوا حجر الرصف على صدره ، ولكنه ظل لليوم التالي حيا شاكرا الرب • وفى الغد أجبروه على الحضور أمام الملك فأصر على عقيدته ؛ فأمر الملك بربطه بالحبال الرفيعة على لوح مجهز بمسامير حديدية مدببة فتمزق لحمه • ثم وضع داخل دولاب به سكاكين دوارة (*) ولكن مار جرجس احتمل هذا العذاب شاكرا الرب •

ولما خشى الملك موته أطلقه وطلب إليه مرة أخرى أن يؤمن بالآلهة الوثنية ولكنه رفض • وظهرت سحابة داكنة صحبها الرعد والبرق ، وجاء صوت من السحابة قائلا : « لا تخف يا جرجس ، لأنني معك » فوقع رعب عظيم على الواقفين • وبعد ذلك وضع فى خزان مملوء بالجير الحى فبقى فيه ثلاثة أيام دون أن يمسه أذى • وبعد أن ذكرنا عذابات القديس جاء الآن دور معجزاته •

(*) هذه الآلة من آلات التعذيب تسمى الهمبازين ـ وتوجد فى حجرة خاصة بكنيسة دير مار جرجس للروم الأرثوذكس بمصر القديمة ، معظم الآلات التى استخدمت فى تعذيب الشهيد مار جرجس الذى اطلق عليه اسم أمير الشهداء لانه صمد أمام العذابات لمدة سبع سنوات مات خلالها ثلاث مرات وكان الرب يقيمه فى كل مرة (المترجم) •

فى احدى المرات قدم له سناخير كأسا من السم فرشم عليها مار جرجس، علامة الصليب المحيى الذى لمخلصنا يسوع المسيح الذى له المجد • وعندما شرب الكأس لم يمسه أذى • ولما رأى الساحر ذلك آمن بالسيد المسيح •

واستطاع بقوة صلاته التى قبلت أمام مخلصنا ، أن يجعل العروش التى يجلس عليها الملوك الوثنيون تفرخ أوراقا وأزهارا •

ومرة أخرى استطاع بقوة الصلاة أن يشفى ابن احدى الأرامل • صلواته وشفاعاته فلتكن معنا • آمين •

سيرة القديسين اباكير ويوحنا

كان القديس أباكير من مدينة دمنهور بالقرب من مدينة أبو صير غرب النيل • وكان له أخ يدعى فيلبا Philepa • وكانا كلاهما غنيين ، وقد اتفقا مع كاهنين هما يوحنا وأبتولماز Abtulmaz ومضى الأربعة الى كرداسة مقر الحاكم ، واعترفوا أمامه بالسيد المسيح ، فأمر باطلاق الأسهم عليهم ولكن الأسهم لم تقترب منهم • فأمر بالقائهم فى أتون النار ولكن الرب أرسل ملاكه وأنقذهم من النار • وبعد ذلك أمر الملك بربطهم فى ذيول الجياد وسحبهم من كرداسة الى دمنهور • وقد حدث لهم كل ذلك ولكن لم يمسهم أى أذى • وأخيرا أمر الملك بقطع رؤوسهم بحد السيف خارج مدينة دمنهور ، فنالوا اكليل الشهادة • وجاء بعض الرجال من صا الحجر ، واخذوا جسد القديس أباكير وبنوا عليه كنيسة • ولكن أجساد القديسين الثلاثة الآخرين أخذها أهل دمنهور ولفوها فى أقمشة فاخرة وحفظوها فى دمنهور •

صلواتهم جميعا فلتكن معنا وتحفظنا من العدو الشرير الى النفس الأخير • آمين •

وفيما بعد ظهر ملاك للبطريرك الأنبا كيرلس الاسكندرى وأمره بأن يأخذ جسدى أباكير ويوحنا ، فحفر الناس وأخرجوا جسديهما وحملوهما بكل تكريم الى كنيسة القديس مرقس بالاسكندرية عند النهر • وهناك بنوا عليهما كنيسة •

وكان يقع بالقرب من هذه الكنيسة قبو للأوثان كان يجتمع فيه الوثنيون كل عام لعمل عيد للأوثان • وعندما شاهدوا العجائب التى ظهرت من جسد هذين القديسين تركوا أوثانهم وقبورهم وصاروا مسيحيين •

سيرة القديس يعقوب المقطع

في هذا اليوم (*) استشهد القديس يعقوب المقطع ، وكان من جنود سكراد Sacrâtus بن صافور Safur ملك الفرس • وكان محبوبا لدى الملك الذي كان يستشيره في أمور كثيرة • ولهذا السبب أمال قلبه عن عبادة المسيح • ولما سمعت أمه وزوجته وأخته بذلك كتبن اليه خطابا قائلات : « لماذا تركت الايمان بالمسيح وتبعت العناصر المخلوقة وهي النار والشمس ؟ ألا فاعلم أنك اذا تمسكت بما صرت اليه ، صرنا غرباء عنك من تلك الساعة » •

وعندئذ بدأ في قراءة الكتب المسيحية وبكى ، وترك خدمة الملك • عني فكيف يكون حال غربتي عن السيد المسيح ؟ » •

وعندئذ بدأ في قراءة الكتب المسيحية وبكى ، وترك خدمة الملك • ولكن عندما أبلغ بعض الناس خبره الى الملك أمره بالحضور • ولما تأكد من صحة ما أبلغوه به عن القديس أمر بجلده جلدات موجعة • ولكن ذلك لم يغير من عقيدته • فأمر الملك بتقطيعه بالسكاكين ، فقطعوا أصابع يديه ثم أصابع قدميه ثم ساقيه ويديه وذراعيه حتى بلغ عدد القطع اثنتين وثلاثين قطعة • وكلما قطعوا منه عضوا كان ينشد التراتيل • ثم قال : « ياإله المسيحيين اقبل اليك فرعا من الشجرة كعظيم رحمتك ، لأنه اذا قلم البستاني الكرمة فانها تعود فتزهر في شهر نيسان (١) وتنتشر فروعها في الأرجاء • وبقي منه صدره ورأسه ووسطه ، فعرف أن الوقت قد أزف لتسليم روحه ، فطلب من الرب أن يرحمهم ويتحنن عليهم قائلا : « لم تبق لي يدان أرفعهما أليك ، كما قطعت أعضائي فلا أستطيع الوقوف أمامك • فاقبل روحي اليك يا ربي » •

وللوقت ظهر له السيد المسيح وعزاه وقواه ، فابتهج بذلك • وقبل أن يسلم الروح أسرع أحد الجند فقطع رأسه فمضى الى مواضع النور الى السيد المسيح الذي أحبه • وحمل بعض الرجال الذين يخافون الله جسده ، وكفنوه جيدا ، ووضعوه في مكان أمين • ولما سمعت أمه وزوجته وأخته بخبر استشهاده ، فرحن فرحا عظيما وأتين الى المكان الذي به جسده وبكين عليه ، ووضعن عليه كسوة ثمينة وأطيابا غالية الثمن •

وقد بنيت فوق جسده كنيسة ودير في أيام الملكين الصالحين أركاديوس Arcaduis وهونوريوس Honorius •

(*) اليوم السابع والعشرون من شهر هاتور (المترجم) •

(١) اي في الربيع لان شهر نيسان هو شهر ابريل •

ولما سمع ملك الفرس عن هذا الدير وعن الشهداء وأجسادهم ، والعجائب التي كانت تظهر من هذه الأجساد ، أمر بحرق أجساد القديسين في كافة أنحاء مملكته • فأخذ بعض المؤمنين جسد القديس يعقوب وأتوا به الى أورشليم وتركوه مع القديس بطرس أسقف الرها ، فظل معه حتى أصبح مارقيان Marcian ملكا • وفي ذلك الوقت أخذه القديس بطرس وجاء به الى مصر الى مدينة تدعى البهنسا • وهناك قضى عدة أيام ومعه بعض الرهبان • وعندما كانوا يرددون الألحان بجوار الجسد في الساعة السادسة ، ظهر لهم القديس يعقوب مع حشد من الشهداء الفارسيين الذين ارتدوا الثياب الفارسية ، وشاركوهم في ترديد الألحان وباركوهم • وبعد ذلك قال لهم القديس : « سيرقد جسدي هنا كما أمر الرب » • ولما رغب الأسقف بطرس في العودة لبلده ، حمل الجسد معه وأخذه في البحر مخالفا بذلك قول القديس ، ولكن الجسد اختطف من بين يديه الى المكان الذي كان به •

شفاعته فلتكن معنا دائما • آمين • وقد قيل ان جسده عندنا كان في فارس ، وكان هناك احتفال بأحد الأعياد وتجمع الناس حوله ظل يتحرك في تابوته حتى نهاية الاحتفال ، ولا يعرف أحد مكان جسد هذا القديس الآن • صلواته فلتكن معنا • آمين •

سيرة الشهداء الخمسة وأمهم

في هذا اليوم (*) نعيد للقديس قزمان Kosman ودميان Dimian واخوتهما انثيموس Anthimus ولاديوس Laudius وايرابيوس Irabius وأمهم • كانوا من مدينة دابرما Daperma في بلاد العرب • وكانت أمهم تدعى ثيودورا Theodora • وكانت امرأة تتقى الله وأرملة رحومة • وعلمت أولادها الطب ، فكانوا يعالجون المرضى خاصة الفقراء بدون أجر • وعندما ارتد الملك دقلديانوس الى الوثنية علم أن هؤلاء الأبطال يحضون على عدم عبادة الأوثان • فأمر باحضارهم وعذبهم بجميع طرائق العذابات مثل الضرب والحرق بالنار والقائهم في أفران الحمامات لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال • وقد أنقذهم الرب من كل ذلك بغير فساد • وكانت أمهم تعزيهم دائما وتقويهم على احتمال العذاب •

وقد وبخت الملك في وجهه وكافة آلهته الشريرة • فأمر الملك بقطع راسها ونالت اكليل الحياة • وبقى جسدها بعد موتها مطروحا ولم يجرؤ أحد على دفنه • فصرخ ابنها قزمان قائلا : « يا أهل المدينة : أليس فيكم أحد في قلبه رحمة ليحمل جسد هذه الأرملة العجوز ويدفنها ؟ » •

(*) اليوم الثاني والعشرون من شهر هاتور (المترجم) •

ولما سمع ذلك بقطر Buktor بن رومانوس Romanius تقدم فأخذ الجسد ولفه فى كفن ودفنه ، فأمر الملك بنفيه الى مصر حيث مات • أما عن أولادها فقد قطعت رؤوسهم فى اليوم التالى ونالوا الحياة الأبدية • ولما انتهى عصر الاضطهاد بنى الناس الكنائس بأسمائهم وكرست فى مثل هذا اليوم • وقد ظهرت منهم عجائب كثيرة • صلواتهم فلتكن معنا • آمين •

سـيرة أبانوفر

فى هذا اليوم (*) تنيح الأب الفاضل صاحب الذكر الطيب والشيخوخة الصالحة القديس أبانوفر Nopher السائح ببرية الصعيد وذلك حسب ما ذكره القديس بفنوتيوس Bifnutius . الذى رغب فى مشاهدة عبيد الله السياح • وقد رأى بعضهم وكتب سيرهم وكان من بينهم هذا القديس •

قال انه عندما دخل البرية رأى عين ماء ونخلة ، والقديس أبانوفر قادما نحوه • وكان عريانا وقد غطى جسده بشعر رأسه وشعر لحيته • فلما رآه بفنوتيوس خاف وظنه روحا • فمر أبا نوفر أمامه وصلى الصلاة الربانية الا وهى : « أبانا الذى فى السموات » • ثم قال له : « مرحبا يابفنوتيوس » وعندما سمعه يناديه باسمه وكذلك الصلاة ، هدأ روعه ، ثم بدأ الاثنان يصليان معا • وبعد ذلك جلسا وأخذا يتحدثان معا بعظائم الله • وسأل بفنوتيوس أبا نوفر أن يحدثه عن سبب مجيئه الى هذا المكان ، وأين كان قبل ذلك ؟ » •

فأجاب وقال : « اننى كنت فى دير به رهبان أتقياء قديسون • وفى أحد الأيام سمعت الرهبان يتحدثون عن سكان البرية وبالذات السياح ويمتدحونهم بأفضل الأوصاف ، فسألتهم : « لماذا هم أفضل منكم ؟ » فقالوا : « لأنهم يسكنون البرية ، أما نحن فقريبون من العالم • ، واذا غضبنا يوما فاننا نجد من يعزينا • واذا مرضنا وجدنا من يزورنا ، واذا تعرينا وجدنا من يكسونا ، وهكذا فاننا نستطيع أن نحصل على ما نريد ، وليس لسكان البرية مثل هذه الامتيازات » • فلما سمعتهم يتحدثون بذلك احترق قلبى فى داخلى • وفى الليل أخذت القليل من الخبز وخرجت من الدير : وصليت وطلبت من الرب تدبير مكان أقيم فيه • ثم مضيت فأرشدنى الرب الى مكان وجدت فيه رجلا قديسا فأقمت عنده حتى علمنى كيف تكون

(*) السادس عشر من شهر بؤونة • (المترجم) •

السياحة . وبعد ذلك أتيت الى هنا فوجدت هذه النخلة التى تطرح اثنى عشر عرجونا فى كل سنة ، وكل عرجون يكفى لمدة شهر . وهذا هو طعامى . أما شرابى فمن ماء هذه العين . وقد قضيت هنا ستين عاما لم أر خلالها وجه انسان سواك » .

وعندما كانا يتحدثان أتى ملاك الرب أمامهما وقدم لهما جسد الرب ودمه للتناول . وبعد ذلك تناولا طعاما قليلا ، ثم تغير لون أبا نوفر وصار شبه نار فأحنى ركبتيه وسجد أمام الرب . ثم قال لبفنوتيوس : وداعا » وأسلم الروح . ولفه القديس بفنوتيوس فى قطعة من الكتان ودفنه فى مغارة . ورغب أن يسكن فى موضعه ، ولكن بمجرد أن دفنه ، سقطت النخلة وجفت عين الماء . وكان ذلك بتدبير من الله ليعود القديس بفنوتيوس الى العالم ويبشر بذكر السواح القديسين الذين رآهم ، خاصة القديس أبا نوفر . والحقيقة أنه عاد الى العالم وذكر قصة هذا القديس ويوم نياحته . صلاتهما فلتكن معنا . آمين .

سيرة القديس برسوم العريان

فى هذا اليوم (*) تنيح الأب القديس والعظيم الأنبا برسوم العريان الذى تعرى من كل رذيلة والتحف بالفضيلة ، وهو الكامل بين القديسين فى محبة الله . وكان هذا القديس من مصر واسم أبيه وجيه كاتب شجرة الدر (١) . وكانت أمه ابنة التبان . وكان والداه غنيين جدا ، وعند نياحتهما استولى خاله على كل ممتلكاتهما . ورغم ذلك لم ينازعه القديس برسوم بل ترك كل ثروة العالم وعاش عيشة الأبرار والسواح ، ولم يمتلك شيئا من متاع هذا العالم ، وكان يسير دائما عريانا . وحبس نفسه فى كنيسة الشهيد العظيم مرقوريوس بمصر القديمة (٢) داخل مغارة مظلمة ورطبة تحت الأرض . وحبس نفسه هناك وأقام حوالى عشرين سنة ملازما الصلوات ليل نهار بلا فتور . وكان طعامه الفول المبلل بماء البحر الردىء الطعم . وكان شرابه أيضا من ماء البحر . وكان رجلا تقيا جدا . ولم تكن هناك أية وسيلة للعبادة الا ومارسها . وقد أعطاه الرب سلطانا على الشياطين ، وكان الله معه فى السر والعلانية لأن هذا القديس قدم ذاته فى نهاية الزمان عندما عجز الانسان عن اكتساب الفضيلة بشكل منطقى بسبب الضعف

(*) الخامس من أيام النسىء (المترجم) .

(١) آخر الخلفاء الفاطميين سنة ١٢٥٠ للميلاد .

(٢) ورد رسم تخطيطى لهذه الكنيسة فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

البدنى وحماقة العقل ، ولذلك قدم الرب هذا القديس الذى فاق قديسين عديدين فى تقواه وطعامه وشرابه وصبره واتضاعـه واحسانه الى جميع النـاس وحسن معاملتـه للجميع وشفقتـه عليهم وعلى كافة المخلوقـات ومساواته بين جميع الناس فيما كانوا يطلبونه ولم يتذمر من أحد بل كان طويل الأناة ، وصبورا • وكان الكبير والصغير يتساويان أمامه ، وكذلك الفقير والغنى ، العبد والحر ـ كانوا جميعا متساوين أمامه فى الاحسان • وكل ما كان يسعى الى أدائه واستكماله ، وكل ما كتب عن القديسين الذين سبقوه ، يتلخص فى ضرورة أن يعرف الناس أن الضمان يتمثل فى الرؤية وليس فى السمع •

وعندما خرج من المغارة مضى الى سطح الكنيسة وأقام هناك صابرا على الحر والبرد فى الصيف والشتاء ، وكان يعذب نفسه دائما ، بالبقاء فى الشمس كل أيام الصيف حتى صار جلده أسود اللون • وقد احتمل ذلك تقشفا وتعبدا وتعذيبا للطبيعة التى كان يعانى منها دائما • وقد لبث على سطح الكنيسة نحو خمس عشرة سنة • وفى ذلك الوقت نشب اضطهاد عظيم أغلقت خلاله كافة كنائس القبط ، وألزم المسيحيون بلبس العمائم الزرقاء التي يبلغ طول الواحدة منها عشر أذرع ، كمـا تغيرت ملابسهم الأخرى أيضا • وطردوا من وظائفهم وأجبروا على ركوب الدواب بالوضع المعكوس ، وارتداء حذاء أطلق عليه اسم « تاسوما ـ Thasuma » وكلما دخلوا الحمام كانوا يلزمون بتعليق أجراس صغيرة حول أعناقهم • وبذلك كانوا ممتازين فى كل شيء • وقد اضطهدهم واحتقرهم السوقة الذين كانوا يحترمونهم من قبل • وقد صمم خليفة تلك الفترة على قتلهم جميعا ، ولكن الرب لم يسمح له بذلك ، وكانت خطاياهم هى السبب فى كل ذلك لأن الرسول يقول : « لأن أجرة الخطية هى موت » •

ولكن القـديس برسوم كان يصـلى ويتضرع الى الله دائما بقلبه متحمس من أجل الاخوة • وقد صام أربعين يوما متصلة حتى رفع الله غضبه عن شعبه • ثم أخرجه حاكم مصر من الكنيسة واضطهده وسجنه ، ولكن برسوم كان قد تنبأ بذلك قبل حدوثه • وعندما كان فى السجن لم يأكل أو يشرب وأعطى كل ما أحضره اليه مريدوه لزملائه المساجين • ولما سأله أحدهم : « متى سنتخلص من السجن ؟ » أجاب قائلا : « اليوم » • وكان كذلك • فأخرجوه من السجن ونفوه الى دير شهران • فصعد على السطح كما كان فى مصر • ولم يستطع أحد أن يبزه فى تقواه وتعبده وزهده ومعاناة قسوة الطبيعة الا بمعونة الله • وكان طعامه من الزواحف، فكان يواجه الزواحف السامة ويأكلها متلذذا بنعمة الله • وذلك حسب ما قاله القديس الكهل الممتلىء بالطهارة فى كتابه : « بدل الرب مرارة

عذاباتهم الى حلاوة » • وكذلك حسب قول مار اسحاق السرياني ومار سمعان العمودى أن : « الرب يلبس قديسيه زينة من النور ، ولذلك فهم لا يشعرون بالحر أو البرد » •

ولم ينم هذا القديس طيلة حياته على الأرض الا وهو عارى الجسد • وكان يعزى من يلجأ اليه سواء كان مؤمنا أو غير مؤمن ، ولم يغير عمامته الى اللون الأزرق ، ولكن الرب حفظه من كافة خصومه • وكان معظم حكام ذلك الوقت والأمراء والقضاة يزورونه ويرون عمامته البيضاء ، ولكن الرب حفظه من عدائهم ، فلم يجرؤ أحد منهم على الزامه بلبس العمامة الزرقاء • وقد استطاع أن يجتذب العديد من النفوس الى الخلاص خاصة اليائسين ، وكان يقول دائما ان جميع الخطايا تغفر بالتوبة • كما كان يتحدث دائما بالأمثال المقدسة التى لم يكن يفهمها سوى الذين استناروا من الله • وكان معزيا عظيما للشعب لأن الله رفع غضبه بسبب صلواته ، وفتحت الكنائس وعاد الناس الى ركوب الدواب بالطريقة الصحيحة ، وعملوا فى الوظائف ، وارتدوا الملابس العادية ،والغيت كافة التغييرات السابق ذكرها فيما عدا ارتداء العمامة الزرقاء • ..

وسمح للاخوة بركوب الخيل فى الأسفار ، وأباد الرب كل من رغب فى قتلهم ، فمجد الناس اسم الله القدير ، ورضى الله عن شعبه وتحنن عليه • وكل ذلك بسبب صلوات القديس برسوم • وقد أعطاه الرب نعمة التنبؤ ، وشفاء الأبدان والنفوس ، ومعرفة الأمور الآتية ، ونال كل قداسة • وكانت نظرته تقود جميع الناس الى الأعمال الصالحة حتى ان كل من رآه كان لا يرغب فى أن يتركه وذلك بسبب ما طبع عليه من الفضل والشفقة والمحبة • وقد أعرض عن مجد هذا العالم وجنونه الظاهر، فقد أظهر الرب للجميع أنه كان أحكم الناس لأن هدفه الوحيد هو محبة الله والعمل بوصاياه •

وكان القديس برسوم يجد العزاء دائما بالروح القدس الذى سكن فيه • وكان ينظر دائما الى الله والملائكة النورانيين الأطهار ، والى الأنبياء والرسل والشهداء والقديسين • ومضى بالروح الى مساكنهم النورانية كما كان قد قال لهؤلاء الذين كان يثق بهم • وقد سكن هذا القديس فى الدير خمسة عشر عاما ، وبلغ عمره ستين عاما • وكانت شيخوخته صالحة ومقبولة أمام الله • وبعد أن أكمل أعماله الصالحة مات فى الرب الذى أحبه وورث مواضع النور العالية مع القديسين الأبرار ودفن جسده بدير شهران المعروف أيضا باسم أبو مرقوتة ، وكان ذلك فى سنة ١٠٣٣ للشهداء (١) صلواته فلتكن معنا حتى النفس الأخير • آمين •

---

(١) لو صح هذا التاريخ يكون اسم شجرة الدر قد ورد خطأ فى بداية هذه السيرة •

قصة صعود جسد العذراء

فى هذا اليوم (*) نعيد بتذكار صعود جسد السيدة الطاهرة العذراء القديسة مريم · أم المسيح ابن الله الكلمة الذى اتخذ منها جسدا · وبعد نياحتها حزن آباؤنا الرسل جدا لفقدها ، ووعدهم الرب أن يريها لهم فى الجسد مرة أخرى · وفى يوم معين رأوها جالسة فى مجد عظيم عن يمين السيد المسيح الذى اتخذ منها جسدا ؛ فمدت يدها وباركت التلاميذ. وقد احاطت بها صحبة من الملائكة والقديسين حسب المديح الذى مدحها به داود النبى قائلا :

« جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير » (**) ففرحت نفوس التلاميذ وسقطوا على وجوههم ، ثم عادوا وهم ممتلئون بالسعادة · وقد رسمت الكنيسة هذا العيد تذكارا دائما لوالدة الاله · شفاعتها فلتكن معنا · آمين ·

سيرة سمعان الحبيس أو العمودى

فى هذا اليوم (***) تنيح القديس سمعان حبيس العمود · وكان من سوريا · وفى طفولته كان يرعى غنم أبيه ويذهب يوميا الى الكنيسة · وبعد ذلك تحركت فيه محبة الرب ، فقام وأتى الى أحد الأديرة حيث استمر فى عبادة الله باخلاص وجهاد عظيمين ·

وقد تعود أن يحمل التراب والرماد على رأسه كل يوم ؛ وقد اشتد على نفسه بالأصوام والعطش الشديد · ثم ربط جنبيه بحبل غليظ حتى تآكل موضعه وتعفن اللحم حتى إنبعثت منه رائحة كريهة · ولم يستطع الرهبان احتمال هذه الرائحة ولم يسمحوا له بالاقتراب منهم · ولما رأى أن الرهبان لا يحبونه ، خرج من الدير وجاء الى بئر جافة ووقف فيها ·

ورأى رئيس الدير رؤيا كما لو أن شخصا يسأله : « اسأل عن خادمى سمعان » · ورأى فى هذه الرؤيا ذلك الذى ظهر له قد عاتب الرهبان على رحيل القديس من الدير · وقص الرئيس رؤياه على الرهبان الذين تعجبوا جدا ثم خرجوا للبحث عنه · وبعد ذلك وجدوه فى البئر بدون طعام أو شراب فعظموه وسألوه الصفح عنهم وأرجعوه معهم الى الدير ؛ ولما رأى

(*) السادس عشر من شهر مسرى (المترجم) ·
(**) مزمور ٤٤ آية ٩ (المترجم) ·
(***) الثامن والعشرين من شهر بشنس (المترجم).

في الدير أنهم يعظمونه ، لم يحتمل ذلك فخرج وجاء الى صخرة وقف فوقها لمدة ستين يوما دون أن ينام • وبعد ذلك ظهر له ملاك الرب وقال له ان الرب قبل صلواته لخلاص نفسه وآخرين كثيرين • ثم وقف على عمود ارتفاعه ثلاثون ذراعا لمدة خمسة عشر عاما ، وقد صنع الرب على يديه عجائب عظيمة • واعتاد أن يعظ كل الذين يأتون اليه • وقد بحث عنه أبوه فلم يجده ، ومات دون أن يراه • أما عن أمه فقد عرفت مكانه بعد عدة سنوات وجاءت اليه عندما كان فوق العمود • وبكت بشدة ثم نامت تحت العمود ، فسأل القديس الله أن يحسن اليها فماتت أثناء نومها ودفنوها تحت العمود •

وقد حقد الشيطان على القديس وضربه بقروح جلدية في ساقيه نقضى معظم وقته واقفا على قدم واحدة لمدة سنوات حتى امتلأت ساقه بالديدان التي تساقطت تحت العمود ؛ وفي احدى المرات جاء اليه زعيم اللصوص وقضى الليل تحت العمود بجواره • وقد سأل سمعان الرب أن يعاقبه ، فمات اللص بعد ذلك بعدة أيام • ثم سأل الرب فجر عينا من الماء تحت العمود • وبعد ذلك مضى الى عمود أكثر ارتفاعا ووقف قريبا منه لمدة ثلاثين عاما • وبعد أن قضى ثمانية وأربعين عاما في الصلاة ، اراد الرب أن يريحه من ارهاق الجسد فوعظ الناس وجذب العديد من الوثنيين الى السيد المسيح ثم تنيح وذهب الى الرب • ولما سمع بطريرك انطاكية بنياحته جاء وحمله الى انطاكية باحترام عظيم • صلواته فلتكن معنا • آمين •

سيرة القديسة مارينا

في هذا اليوم (*) استشهدت القديسة المختارة مارينا عروس يسوع المسيح • وكانت ابنة لأب وأم وثنيين ، وكان أبوها كاهنا للأوثان في انطاكية وقد أحبها حبا جما • وكانت حسنة الطلعة جدا • وعندما بلغت سن الخامسة عشرة توفيت والدتها ، فأخذها أبوها الى مربية مسيحية بقيت في منزلها حتى وفاة والدها •

وفي احد الأيام سمعت مربيتها تتحدث عن أتعاب القديسين واستشهادهم ، وكيف أنهم سفكوا دماءهم على اسم السيد المسيح ، فاشتاقت أن تكون شهيدة وطلبت من الرب أن يمنحها القوة والمعونة حتى

(*) الثالث والعشرون من شهر أبيب • (المترجم)

تستطيع أن تهزم الوثنيين . وفى ذلك الوقت جاء الى العرش ملك وثنى عرف باسم الأمير فاليريوس Valerius الذى جاء من آسيا الى انطاكية بغرض القبض على المسيحيين ، وحدث أن خرجت القديسة مارينا مع جواريها فرأى الأمير الوثنى جمالها فطار قلبه اعجابا ، وأمر جنوده بالقبض عليها لكى يأخذها لنفسه زوجة . وعندما أراد الجنود أن يأخذوها رشمت نفسها بعلامة الصليب وقالت : « ارحمنى يارب ولا تتخل عنى » . وعاد الجنود الى الحاكم وقالوا له : « لم نستطع أن نأخذ الفتاة لأنها مسيحية ودعت باسم يسوع المسيح » . فلما سمع ذلك أمرهم باحضارها وسألها عن عقيدتها فأجابت قائلة :

« اننى مسيحية ، أؤمن بيسوع الناصرى الذى سيخلصنى من كفرك ، ومن شر قلبك » . ولما أحس الأمير بالاهانة فى نفسه ، قدم ذبيحة لآلهته البغيضة ، واستدعاها أمامه وقال لها : « اعلمى يامارينا أننى أشفق عليك ، فاتبعى نصيحتى وقدمى القرابين الى الآلهة وحينذاك ستنالين الشرف العظيم » . فأجابت قائلة : « اننى لا أتردد فى عبادة الله . الهى ، وأقدم ذبيحة الشكر لمخلصى يسوع المسيح » . فقال لها : « لهذا الجليلى الذى صلبه اليهود ؟ » وتوعدها بعقوبات كثيرة ، فلم تذعن له ، ولكنها قالت انها على استعداد لأن تتعذب ثم تستريح مع العذارى الحكيمات . فاستشاط غضبا ، وأمر بضربها بالعصى حتى سال دمها على الأرض . ثم مشطوا لحمها بسكاكين حادة وألقوا بها فى سجن تحت الأرض . وكان الرب يشفيها دائما من كل هذه المعاناة .

وبينما كانت تصلى داخل السجن خرج عليها ثعبان عظيم وفتح فكيه وابتلعها ، فكادت روحها تفارق جسدها ولكنها بسطت يديها على مثال علامة الصليب وهى فى جوف الثعبان وسرعان ما انشق فم الثعبان ، فخرجت القديسة سالمة تماما . ثم استدارت فرأت ما يشبه رجلا أسود واضعا يديه على ركبتيه وهو يقول لها : « كفى عن الصلاة ، واطيعى أمر الملك » . فلما سمعت ذلك أمسكته من شعر رأسه وأخذت قضيبا من حديد وجدته فى ركن من السجن وضربت به رأس الشيطان بعنف . فشعر الشيطان بوطأة الألم ورجاها أن تخفف من آلمه . فأجابته قائلة : « أغلق فمك » . ثم صلبت فوقه بعلامة الصليب فانشقت الأرض وابتلعته .

وفى اليوم التالى أمر الملك باحضارها أمامه ورجاها أن تعبد الأصنام ، فردت عليه بجفاء فأمر جنوده بأن تعلق وتشعل تحتها النار لتحرقها . وبعد ذلك القوا بها فى الماء لاغراقها . ولكنها طلبت من الرب أن يكون هذا الماء معمودية لها . فنزلت عليها حمامة وقد حملت فى منقارها تاجا من النور ، فغطستت فى الماء ثلاث مراته . وفى تلك الأثناء

امن بالكثير من الناس فأخذت رقابهم بالسيف . ويئس الأمير من مواصلة تعذيبها وقال : « اذا تركتها حية فان جميع أهل انطاكية سيدخلون فى الايمان » . فأمر بقطع رأسها . وقادها الجلاد الى خارج المدينة ، وهناك شاهدت الرب له المجد والملائكة النورانيين فقالت للجلاد : « انتظر حتى أصلى » . ولما انتهت صلاتها قالت : « افعل ما أمرت به » . ولما حاول أن يمتنع قالت له : « اذا لم تفعل ذلك لن يكون لك نصيب معى » . فقام اليها وهو فى أشد الأسف ورسم علامة الصليب على السيف وضرب عنق القديسة . وبذلك نالت اكليل الشهادة . وعاد السياف سريعا الى الأمير ثم ضرب رقبة نفسه بالسيف معترفا بالسيد المسيح رب هذه القديسة ونال النعيم الأبدى . صلاتها فلتكن معنا . آمين .

سيرة القديسة تكلا

فى هذا اليوم (*) تنيحت القديسة تكلا التى تنتمى الى العصر الرسولى . عاشت هذه القديسة فى أيام بولس الرسول واتفق أنه لما خرج بولس الرسول من انطاكية وأتى الى أيقونية ، أخذه رجل مؤمن اسمه سيفاروس Sifarus الى منزله ، فاجتمعت اليه جموع كثيرة لسماع تعاليمه .

وتطلعت هذه العذراء تكلا من الطاقة لتستمع الى حديث الرسول . واستمرت على هذه الحال ثلاثة أيام وثلاث ليال بلا طعام أو شراب ، فنفذت كلماته الى أعماق قلبها وروحها . ولكن والديها وخدمها حزنوا جميعا وطلبوا اليها أن تغير هذا الأسلوب فى التفكير . وتصادف أن التقى والدها بديماس Dimas وأرموخانيس Armukhanis واشتكى اليهما من ابنته ، فأوعزا اليه بأن يطلب معونة الأمير ضد بولس فأمر بحضور بولس الرسول وفحص تعاليمه وأحواله فلم يجد علة ضده ، ولكنه أمر باعتقاله .

ولما علمت القديسة تكلا بذلك خلعت مجوهراتها وذهبت الى الرسول فى السجن ، وخرت عند قدميه . وعندما افتقدها أهلها عرفوا أنها عند أقدام الرسول ، فأمر الوالى بحرقها ، وصرخت أمها أيضا قائلة : « احرقوها لتكون عبرة لغيرها » لأن نسوة كثيرات من بنات العائلات النبيلة نلن الايمان بتعاليم بولس الرسول . وأمر الأمير بأن يحرق بولس أيضا معها ، فأخرجوهما من السجن . أما عن تكلا فقد كان عقلها وعيناها جميعا مع

(*) الخامس والعشرون من شهر أبيب . (المترجم)

بولس الرسول ، وطلبت صلاة بولس فصعد بجسده الى السماء ورشمت نفسها بعلامة الصليب وألقت بنفسها فى النار ، فبكت عليها النسوة اللائى كن موجودات ولكن الله أرسل أمطارا غزيرة وبروقا ، فصار الأتون مثل الندى البارد. وأنقذت من النار وخرجت كخروج شخص من الحديقة. ومضت سريعا الى الموضع الذى كان القديس بولس مختبئا فيه وطلبت اليه أن يقص شعرها وأن يقبلها خادمة له . ففعل ذلك ليطيب خاطرها . ولما ذهبت الى انطاكية رآها أحد القواد فأعجب بجمالها وأراد أن يتزوجها ولكنها صدته بعنف ، فأثار حاكم المدينة ضدها ، فأمر بالقائها الى الأسود. وبقيت مع الأسود لمدة يومين . وكانت الأسود تلعق قدميها . ثم ربطوها بين ثورين وسحلوها خلال شوارع المدينة ، ولما لم تتأثر بذلك أطلقوا سراحها ، فذهبت الى بولس الرسول فعزاها وزاد من ايمانها ، وطلب اليها أن تمضى وتبشر بالمسيح . فذهبت الى ايقونيـة Iconia حيث بشرت بالمسيح ثم ذهبت الى بلدها ، وهناك استطاعت أن تجعل أباها وأمها يؤمنان بالمسيح . وبعد أن أكملت سعيها الرسولى وجهادها المقبول شاء الرب أن يريحها من متاعب هذا العالم ، فماتت ونالت اكليل المعترفين والمبشرين . ويقال ان جسدها موجود حاليا فى سنجار Singar كما هو مكتوب فى تاريخ البطاركة . بركة صلواتها فلتكن معنا آمين .

سيرة القديس أبسخيرون

فى مثل هذا اليوم (*) استشهد القـديس الجليل الذى من قلين بمحافظة الغربية . وكان جنديا لأريانا Ariana حاكم أنصنا . وعندما صـدر أمر دقلديانوس الملك الوثنى بعبادة الأوثان ، وقف هذا القديس فى وسط الجمع الذى حضر ، وتحدث باستهزاء عن الملك وآلهته ، ولم يجرؤ أحد على تعذيبه بسبب قوته القتالية ، ولكنهم حبسوه فى سجن الحاكم . وعندما تصادف مجيء حاكم أنصنا الى مدينة أسيوط أحضروا اليه أبسخيرون ومعه خمسة جنود هم الفانوس Alphanus وأرماسيوس Armasius وأيكياس Aikias وبطرس وقيرانيوس Kiranius . واتفق هؤلاء مع أبسخيرون على أن يسفكوا دمهم على اسم المسيح ، فلما مثلوا أمام الوالى أمر بتقطيع مناطقهم وتعذيبهم فصلب بعضهم وقطع رؤوس الآخرين ، وصدرت الأوامر بأن يضرب القديس أبسخيرون بوحشية . ثم أمر بتمزيق فروة رأسه حتى العنق ، وربطوه فى ذيل بغل وجروه خلال شوارع المدينة ، ثم ألقوه فى خزان الرصاص وغطوه ، ثم عصروا جسده

(*) اليوم السابع من شهر بؤونة . (المترجم) .

وألقوا به فى مستوقد أحد الحمامات ، ولكن ملاك الرب كان معه فى كل هذه العذابات فشجعه وقواه وعزاه ووهبه الصبر الكثير • وعندما تحيروا فى تعذيبه ، استدعوا ساحرا عظيما يدعى اسكندر Iskandaru تظاهر بأنه يسحر الشمس والقمر وأنه يصعد الى السماء ويتعامل مع النجوم ، فأمر باغلاق باب الحمام وأحضر حية ، وبينما كان يتمتم بكلمات معينة انشطرت الحية نصفين ، ثم أخذ شحمها وكبدها ووضعهما فى مرجل من البرونز وأحضرهما الى القديس وجعله يدخل فى الحمام وأمر بأن يأكل من هذا السم المطبوخ ، ولكن القديس صاح عاليا : « يارئيس الشياطين ، استخدم كل قوتك ضد ابن المسيح هذا » • ولم يصبه أذى فتعجب الساحر جدا ، فقال القديس : « ان الشيطان الذى ترجو معونته سيعذبك بقوة سيدى المسيح » •

فحضر الشيطان وبدأ فى صفع الساحر حتى آمن بالسيد المسيح • ولما سمع الحاكم بذلك ، قطع رأس الساحر • واشتد حنقه على القديس ، فعذبه بعذابات كثيرة ، وكان القديس يشكر الرب يسوع دائما ، وأخيرا أمر بقطع رأسه بحد السيف ، فنال اكليل السعادة الأبدية • شفاعات هذا القديس فلتكن معنا ، ولتحفظنا ، ولتنجنا • آمين •

سيرة القديسة صوفيا Sophia (حكمت)

فى هذا اليوم (*) تنيحت القديسة صوفيا • وكانت هذه القديسة تتردد على الكنيسة مع جارات لها مسيحيات ، فآمنت بالسيد المسيح • وذهبت الى أسقف منوف الذى عمدها على رسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد ، ولازمت الكنيسة ، فوشى بها رجل معين الى الوالى كلوديوس Claudius وأبلغه أنها تعمدت • فطلب حضورها اليه وسألها عن الموضوع فاعترفت ولم تنكر ، فعاقبها بعقوبات كثيرة • فى البداية جلدها بأعصاب البقر ثم كوى مفاصلها وعلقها ، وكانت أثناء كل ذلك تصيح بصوت مرتفع : « أنا مسيحية » • فأمر الوالى بقطع لسانها واعادتها الى السجن ، وأرسل اليها زوجته التى بدأت تحدثها برقة ووعدتها بوعود كثيرة ، ولكن القديسة لم تمل الى كلامها ، وأخيرا أمر بقطع رأسها ، فصلت القديسة صلاة طويلة طلبت فيها من الرب أن يغفر للحاكم وجنوده بسببها ، ثم أحنت رأسها للسياف الذى قطع رأسها بحد السيف ، ونالت اكليل الشهادة والحياة الأبدية فى ملكوت السموات •

(*) الخامس من شهر توت (المترجم) •

وأخذت امرأة مسيحية جسدها الطاهر بعد أن قدمت للجند أموالا كثيرة ، ولفته بلفائف ثمينة ، ووضعته فى منزلها ، فظهرت منه عجائب كثيرة • ورأى النــاس فى يــوم عيــدها نورا عظيما يشع فوق جسدها ، وبخورا ذكيا ينبعث منه • وعندما صار قسطنطين ملكا على الامبراطورية وسمع عن الجسد ، أرسل ونقله الى مدينة القسطنطينية وبنى على اسمها كنيسة عظيمة ووضع الجسد فيها ، فظهرت منه عجائب كثيرة • بركة صلواتها فلتكن معنا وتحفظنا من العدو الشرير • آمين •

سيرة القديسة هيلانة

فى هذا اليوم (*) نعيد بتكريس هياكل كنيسة القيامة (١) • ذلك أنه فى السنة العشرين من حكم قسطنطين ، وبعد انعقاد مجمع نيقية المقدس أخذت الملكة الطاهرة هيــلانة أموالا كثيرة وقالت لابنها : « لقــد نذرت الذهاب الى القبر المقدس والبحث عن عود الصليب المحيى » • ففرح الملك بذلك وأرسل معها عددا كبيرا من الجند وأعطاها أموالا كثيرة ــ وعندما وصلت الى هناك وتباركت من هذه الأماكن المقدسة ، بدأت البحث عن الصليب فوجدته بعد تعب شديد ، فمجدته تمجيدا عظيما وأكرمته اكراما جزيلا • ثم بدأت فى بناء هيــاكل القيامة والجلجثة وبيت لحم والمغارة والعلية وبستان جثسيمانى وسائر الهيــاكل • وأخذت ترصعها جميعــا بالجوهر والذهب والفضة وكان فى أورشليم أسقف قديس أشار عليها الا تعمل هذا وقال لها : « بعد قليل يأتى الوثنيون ويخربون هذه الأماكن ويهدمونها ويأخذون كل هذه الجواهر ، والأفضل أن تشيد المبانى جيدا كما هى العــادة ، أما ما يتبقى من الأموال فيوزع على المساكين • فقبلت النصيحة وأعطته مالا كثيرا وكلفته بالعمل • وعندما عادت الى ابنها وأبلغته بما فعلت ، فرح فرحا عظيما وأرسل أموالا طائلة ، وطلب اليهم الاستمرار فى البناء ، وأمر بأن يعطى الصناع أجرتهم بالكامل فى نهاية كل يوم حتى لا يتذمروا ويتعرضوا لغضب الله • ولما كمل البناء فى السنة الثلاثين من ملكه أرسل أوانى وملابس ثمينة وكلف بطريرك القسطنطينية واثناسيوس بطريرك الاســـكندرية ليصــحب كل منهمــا أساقفته ، وأن يجتمعــوا مع بطريرك انطاكية وأورشليم ، ويقوموا جميعا بتكريس الهياكل التى تم بناؤها • ومكث الجميع • ثم كرسوا الهياكل التى بنيت • وفى اليوم التالى طافوا بتلك المواضع وهم يحملون الصليب ويمجدون الله ، وقربوا القرابين وأكرموا الصليب ، ثم عادوا الى بلادهم • شفاعتهم فلتكن معنا الى النفس الأخير • آمين •

(*) السادس عشر من شهر توت (المترجم) •

(١) أى كنيسة القبر المقدس •

العثور على الصليب المجيد

فى هذا اليوم (*) نعيد بتذكار ظهور الصليب المجيد الذى لربنا يسوع المسيح · هذا الذى أظهرته الملكة المحبة للاله القديسة هيلانة أم قسطنطين ، عندما أزالت الركام من فوق موضع الجلجثة · أما سبب وجود هذا الكوم فانه لما أخذت العجائب تظهر من القبر المقدس مثل اقامة الموتى وشفاء المقعدين ، غضب اليهود ونادوا فى جميع اليهودية وأورشليم ان كل من كنس داره أو عنده تراب ، عليه أن يلقيه على مقبرة يسوع الناصرى · واستمروا على ذلك أكثر من مائتى سنة حتى صار الكوم جبلا ، الى أن جاءت القديسة هيلانة وأحضرت اليهود وسجنت واحدا منهم يسمى يهوذا حتى أعلمها بالمكان ، فأخرجت الصليب المقدس وبنيت فوقه كنيسة وكرستها · ويعيدون للصليب فى السابع عشر من شهر توت ، وصار جميع المسيحيين يحجون اليه فى عيد القيامة ·

وتصادف ان كان اسحاق السامرى مارا مع بعض الرجال فى الطريق ، فأحسوا بالعطش ، ولم يجدوا ماء فجازوا بالقرب من بئر فوجدوا ماءها نتنا مر الطعم ، فضاق الشعب جدا ، وبدأ اسحاق السامرى يسخر منهم فغار القس غيرة للرب وتنازع مع اسحاق · فقال له اسحاق : « اذا رأيت معجزة باسم الصليب آمنت بالمسيح » · فصلى القس على الماء المر ، فصار حلوا فشرب منه جميع الرجال وماشيتهم · ولكن اسحاق عندما أراد أن يشرب وجد أن الماء الذى أخذه فى قاروورته ممتلىء بالديدان · وبكى وانحنى أمام القس أوجيدوس Ogidos ، وآمن بالمسيح ، ثم شرب من الماء الذى صار حلوا للمؤمنين ومرا لغير المؤمنين · وعلاوة على ذلك ظهر فى الماء صليب من نور · وبنوا كنيسة فوق البئر · وعندما أتى اسحاق الى أورشليم ذهب الى الأسقف وتعمد منه هو وكل أسرته · وقد عثر على الصليب فى العاشر من شهر برمهات · ولما كان هذا اليوم يقع ضمن أيام الصيام فان الاحتفال يجرى فى ذكرى تكريس الكنيسة وهو اليوم السابع عشر من شهر توت · والمجد والسجود لربنا يسوع المسيح الى أبد الآبدين · آمين ·

سيرة القديس مار جرجس الاسكندرى

فى هذا اليوم (**) استشهد القديس مار جرجس الاسكندرى · وكان أبوه تاجرا بالاسكندرية ولم يكن له ولد ، فذهب الى كنيسة مار جرجس

(*) السابع عشر من شهر توت (المترجم) ·

(**) السابع من شهر هاتور (المترجم) ·

فى يوم عيده (الذى يقع فى السابع من شهر هاتور) (*) وطلب من هذا القديس أن يتشفع فيه أمام الله لكى يرزقه ولدا • وسمع الرب صلاته ورزقه طفلا أسماه جرجس • وكانت أم هذا القديس أختا لأرمانيوس Armenius والى الاسكندرية •

ومات أبواه فمكث عند خاله • وكان عمره حينذاك خمسا وعشرين سنة • وكان محبا للفقراء وصالحا ورحوما وكان لأرمانيوس ابنة وحيدة فخرجت فى أحد الأيام لتتنزه مع صديقاتها • فتصادف أن شاهدت ديرا خارج المدينة وسمعت الرهبان المختبئين فى داخله وهم يسبحون الله بأصوات جميلة ، فتأثر قلبها بهذه التسابيح وبدأت تسأل الشاب جرجس ابن عمها عن معنى هذه التسابيح • فأوضحها له وعرفها نصيب الخطاة من العذاب ، ونصيب الأبرار من الثواب • فلما عادت الى البيت أبلغت أباها أنها آمنت بالسيد المسيح •

وفى البداية تحدث اليها أبوها برقة ناصحا اياها بالابتعاد عن هذا الطريق ، ولكنها لم تنصت له فأمر بقطع رأسها ونالت اكليل الشهادة • وبعد ذلك أبلغ بعض الرجال الوالى أن جرجس كانهو سبب كل ذلك ، فأخذه وعذبه بشدة ثم أرسله الى قرية أنصنا حيث عذبوه بجميع أنواع العذابات وأخيرا قطعوا رأسه ونال اكليل الشهادة • وأخذ جسده الطاهر شماس يدعى صموئيل وأتى به الى ممفيس • ولما علمت زوجة خاله بذلك أرسلت وأحضرت جسده ووضعته مع جسد ابنتها صلواتهما وشفاعتهما فلتكن معنا • آمين •

سيرة الأنبا محاروه

فى هذا اليوم استشهد الأنبا محاروه Maharuah الذى كان من الفيوم وهو رجل يخاف الله جدا ، فعندما استمع الى أخبار الشهداء جاء الى الاسكندرية راغبا فى الموت على اسم السيد المسيح • وقد قيل له فى رؤيا : « من المحتم عليك أن تذهب الى انطاكية » • وبينما كان يفكر فى كيفية وصوله الى انطاكيــة ، أرسل الرب ملاكه فحمله على أجنحتــه من الاسكندرية الى انطاكية ، وأوقفــه أمام الملك دقلديانوس واعترف أمامه بالسيد المسيح ، فسأله الملك عن اسمه وبلده ، وتعجب لحضوره ، وأغراه

(*) عيد استشهاد مار جرجس الكبادوكى المعروف بالرومانى يقع فى الثالث والعشرين من شهر برمودة • اما مار جرجس الاسكندرى الذى تسمى باسمه فقد استشهد فى اليوم السابع من هاتور ، وقد التبس الأمر على المؤلف (المترجم) •

بالعديد من المكافآت والعطايا التى رفضها • ثم توعده الملك ولكن القديس لم يداخله الخوف فأمر بتعذيبه • فعذبوه مرة بأن أطلقوا عليه الأسود ، ومرة أخرى بحرقه فى النار ، ومرة بوضعه فى مرجل كبير من النحاس • وبعد ذلك قطعوا رأسه بحد السيف ونال اكليل الشهادة وكان بذلك بديلا لجميع شهداء انطاكية الذين نالوا الشهادة فى مصر • شفاعته فلتكن معنا• آمين •

عيد رئيس الملائكة ميخائيل

فى هذا اليوم (*) نعيد لرئيس الملائكة ميخائيل الملاك الرحوم الذى يتشفع فى كل الجنس البشرى •

وكان يشوع بن نون قد رآه فى مجد عظيم على هيئة جندى الملك • فخاف وخر ساجدا قائلا : « هل لنا أنت أم لأعدائنا ؟ » فأجاب وقال : « كلا ، بل أنا رئيس جند الرب • الآن أتيت • واليوم سأسلم شعب عماليق ليدك ، وأدفع بيدك مدينة أريحا » •

وهو الملاك الذى يعزى القديسين ويعاونهم على الاحتمال حتى نهاية جهادهم • وتوزع باسمه الصدقات وتقام الولائم باسمه فى اليوم الثانى عشر من كل شهر لأن هذا الملاك يسأل الرب من أجل ثمار الأرض وفيضان النيل حتى يكملها الرب كمقدارها •

وكان انسان يسمى دوروثاؤس Dorotheos وزوجته ثاؤبستا قد اعتادا عمل تذكار الملاك ميخائيل فى اليوم الثانى عشر من كل شهر ولذلك فان الرب بشفاعة رئيس الملائكة ميخائيل أنعم عليهما بالغنى بعد الفقر ، لأنه عندما لم يجد هذان الزوجان شيئا لعمل التذكار ، أخذا ملابسهما ليبيعاها حتى يتمكنا من عمل التذكار ، فظهر الملاك ميخائيل لدوروثاؤس وأمره أن يذهب الى بائع الخراف ويشترى منه حملا بثلث دينار • والى صياد السمك فيشترى منه سمكة بثلث دينار بشرط ألا يشق السمكة • ثم يذهب الى بائع القمح ويأخذ منه كل ما يحتاجه ولا يبيع ملابسه • وعندما أقام الرجل التذكار كما أمر ، ودعا الناس كعادته ، دخل الى الخزانة لعله يجد فيها خمرا لتقديم القرابين فتعجب لأنه وجد خمرا كثيرا تفيض عن حاجته • وبعد رحيل الضيوف ظهر الملاك ميخائيل بنفس الهيئة التى ظهر له بها أولا وأمر بأن يفتح السمكة فشقها ووجد فى بطنها جرابا به ثلاثمائة دينار وثلاثة أثلاث ذهب • فقال له الملاك :

(*) الثانى عشر من كل شهر قبطى (المترجم) •

« هـذه الأثلاث هي ثمن الخروف والسمكة والقمح ، أما الدنانير فلكما ولأولادكما ، لأن الرب قد ذكركما وذكر صدقاتكما ولذلك عوضكما عنها في هذه الدنيـا ، وفي الآخـرة بملكوت السموات • وفيما هما متحيران مما جرى ، قال لهما : « أنا هو ميخائيل رئيس الملائكة الذى خلصتكما من جميع شدائدكما وقدمت قرابينكما وصدقاتكما أمام الرب » • فسجدا له وغاب عن أنظارهما وصعد الى السماء • وقد أتى هذا الرئيس الجليـل بالكثير من العجائب • شفاعته فلتكن معنا الى الأبد • آمين •

سيرة الأنبا زخارياس

في هذا اليوم (*) تنيح الأب البطريرك الأنبا زخارياس • وكان هذا القديس من الاسكندرية ورسم قسا بها ، وكان حسن السيرة ، طاهر البـدن ، متواضع السلوك ، جليل المقـام • ولمـا تنيح البطريرك الأنبا فيلوثاؤس ، اجتمع الأساقفة بارشاد الروح القدس ليختاروا الشخص المناسب بالهام من الله • وبينما كانوا في كنيسة القديس مرقس الرسول يبحثـون عمن يصلح سمعوا أن أحـد الأعيان استطاع بمعونة السلطة والرشوة ، الحصول على مرسوم من السلطان وقد جاء ومعه الخدام لكي يصير بطريركا • فحزنوا وصلوا الى الله وهم في أشد الحزن لأن هذا الرجل أراد أن يصير بطريركا بقوة الرشوة والنفوذ ـ وطلبوا من الله أن يختار لهـم بطريركا • وفي هذا الوقت نزل الأب زخاريـاس من سلم الكنيسة حاملا قارورة من الخل ، فزلت قدمه وسقط متدحرجا الى الأرض ورغم ذلك بقيت قارورة الخل في يده سليمة دون أن تنكسر • فتعجب الأساقفة والكهنة من ذلك ، وسألوا عنه أهل الاسكندرية ، فأثنى عليه الجميع وأقروا بفضله ، واتفق الأراخنة (١) مع الأساقفة وتم اختياره بطريركا •

وقد قاسى الأب زخارياس شدائد كثيرة منها أن راهبا رفع دعوى ضده أمام الحاكم ، فقبض عليه وربطه وألقاه الى السباع ولكن السباع لم تؤذه ، فنقم الحاكم على حارس السباع • ثم منع الطعام عن السباع ، وذبح خروفا ولطخ بدمه ثياب البطريرك وألقاه اليها مرة أخرى ، ولكنها لم تؤذه • ثم ألقاه في السجن ثلاثة أشهر ، وهدده أحيانا بالقتل وأحيانا أخرى بالقائه للسباع واحراقه بالنار ان لم يترك دينه ، ولكنه لم يخف •

(*) اليوم الثالث عشر من شهر هاتور •

(١) الاراخنة هم وجهاء الشعب وكان لهم دائما صوت مع الاسقف عند التشـاور في الانتخاب • وكان للخديوى حق الاعتراض •

فوعده بمكافأة عظيمة وأقسم بأن يجعله قاضى قضاة المسلمين ولكن هذه الوعود كلها لم تثنه • وعندما أخرجه الحاكم من السجن ، وضايقه بأشياء عديدة من بينها هدم كنائس عديدة • واستمر الاضطهاد مدة تسع سنوات • ثم أزال سيدنا يسوع المسيح هذه الضيقات وأمر الحاكم البطريرك باصلاح الكنائس وأن يعاد اليها جميع ما سلب منها ، فأعيد بناء الكنائس كما قام زخارياس ببناء كنائس أخرى وصدر الأمر بقرع الناقوس ثانية فى الكنائس •

واستقامت شئون الكنائس وشئون المؤمنين ، وعاش هذا الأب بعد ذلك اثنتى عشرة سنة وقضى من عمره ثمانية وعشرين سنة بطريركا • وانتقل الى الرب بسلام • صلواته فلتكن معنا وتحفظنا جميعا • آمين •

سيرة البابا بطرس خاتم الشهداء

فى هذا اليوم (*) استشهد الأنبا بطرس بطريرك الاسكندرية خاتم الشهداء • وكان أبوه كبير قسوس بالاسكندرية اسمه ثاؤذوسيوس Theodosius واسم أمه صوفيا •

وكانا يخافان الله جدا ، ولم يكن لهما ولد • وفى اليوم الخامس من شهر أبيب وهو عيد القديسين بطرس وبولس رأت المرأة جماعة من المسيحيات يمشين ومعهن أولادهن أمامهن ، وقد ارتدوا جميعا كساوى جديدة ، فحزنت جدا وبكت ، وطلبت من الرب يسوع بدموع أمام المذبح المقدس أن يرزقها بطفل • وفى هذه الليلة ظهر لها بطرس وبولس وأبلغاها أن الرب قد استمع الى صلواتها ، وسيعطيها ابنا وتسميه بطرس • وأمراها أن تمضى الى البطريرك ليصلى عليها فلما استيقظت اخبرت زوجها ففرح فرحا عظيما ثم ذهبت الى البطريرك ، وطلبت اليه ان يصلى عليها بعد أن قصت عليه الرؤيا • فباركها • وبعد فترة قصيرة رزقت بولد هو القديس بطرس • وعندما بلغ السابعة من عمره سلموه الى البطريرك مثل صموئيل النبى ، فصار له كابن خاص • وكرسه فى رتبة قارىء ثم شماس (دياكون) ثم قس • وقد عاونه كثيرا فى شئون الكنيسة • وعند نياحة البطريرك الذى كان يدعى الأنبا ثاؤنا أوصى أن يكون الأب بطرس خلفا له • وعندما اعتلى الكرسى استضاءت الكنيسة بتعاليمه • وقد حدث ذلك على أيام دقلديانوس •

(*) اليوم التاسع والعشرون من شهر هاتور • (المترجم) •

وكان فى انطاكية رئيس كبير اتبع مشورة الملك الوثنى ، وكان له ابنان ولذلك عجزت أمهما عن تعميدهما فى بلدها ، فأخذتهما معها الى الاسكندرية • وأثناء سفرها هاجت الأمواج ونظرا لخوفها من أن يموت ولداها غرقا بدون عماد ، جرحت ثديها ورشمت بدمها علامة الصليب على جبهتى ولديها ، ثم عمدتهما فى الماء باسم الثالوث القدوس ، ولكنهما نجوا من الأمواج ووصلت بهما الى الاسكندرية حيث قدمتهما للعماد مع الأطفال الآخرين ، فكان كلما هم البطريرك بتعميدهما يتجمد الماء كالحجر • حدث ذلك ثلاث مرات • فسألها البطريرك عن الموضوع ، فأخبرته بكل ما حدث فى البحر ، فتعجب ومجد الله قائلا : « هكذا قالت الكنيسة : انها معمودية واحدة » •

وفى أيام هذا البابا بطرس حرم آريوس المخالف لأنه خالف العقيدة وكان عنيدا • وعندما سمع الملك ماكسميانوس الوثنى أن البابا كان يعلم الناس دائما فى كل مكان بألا يسجدوا للآلهة الوثنية ، أرسل رسلا لقطع رأسه ، فقبضوا على الأنبا بطرس وقيدوه • ولما سمع المواطنون بهذا الأمر حملوا السلاح لانقاذه بالقوة • وجاءوا الى السجن لقتال رسل الملك • ولما رأى الأنبا بطرس أن كثيرين سيقتلون بسببه ، أراد أن يموت فداء عن شعبه وأن يكون مع المسيح فأرسل واستحضر الشعب وعزاهم وأوصاهم أن يثبتوا على الايمان المستقيم • ولما علم آريوس أن الأنبا بطرس سيمضى الى الرب ويتركه تحت الحرم ، توسل الى كبير الكهنة أن يتوسل الى البطريرك ليحله ، ولكنه رفض وأعلمهم أنه رأى رؤيا أثناء الليل ظهر له فيها السيد المسيح وعليه ثوب ممزق وقد أمسك رداءه بيده لكى يغطى جسمه ، فسأله بطرس : « من شق ثوبك يارب ؟ » فأجابه قائلا : « ان آريوس هو الذى شق ثوبى لأنه فصلنى من أبى ، فحذار أن تقبله » •

وبعد ذلك طلب البطريرك من رسل الملك سرا أن ينقبوا حائط السجن من الداخل والخارج ، وأن يمضوا به لتنفيذ أمر الملك • ففعلوا كما أمر ، وأخذوه خارج المدينة الى المكان الذى فيه قبر القديس مرقس الانجيلى • وهناك صلى • وبعد أن حيا جميع الناس ، سلم نفسه للسياف وصلى قائلا : « ايها الرب يسوع المسيح ، ليكن بدمى انقضاء عبادة الأوثان » • وجاء صوت من السماء سمعته عذراء قديسة ــ قائلا : « آمين • ليكن لك ما أردت » • وقطع السياف رأسه الطاهر وبقى جسده واقفا فى البقعة مدة ساعتين حتى وصل الناس الذين جاءوا مسرعين لأنهم كانوا بالقرب من السجن ، ولكنهم لا يعرفون ماذا حدث له ، حتى أبلغهم بعض الناس • فأخذوا جسد القديس بطرس ولفوه وأجلسوه على كرسيه الذى لم يكن قد رآه أحد جالسا عليه أثناء حياته ، لأنه قال فى ذلك : « اننى

لا أجسر على الجلوس عليه لأننى أرى قوة الرب جالسة عليه » . ثم وضعوه حيث أجساد القديسين . وكانت مدة جلوسه على الكرسى احدى عشرة سنة . صلواته وشفاعاته فلتكن معنا . آمين .

سيرة البطريرك الأنبا مرقس

(حوالى سنة ١٨٠٠ للميلاد)

فى هذا اليوم تنيح البطريرك الأنبا مرقس المائة والثامن من بطاركة الاسكندرية . وكان هذا البابا من قرية طموه ، وأحب أن يتجول وحيدا منذ طفولته . ومع تزايد حبه للوحدة رغب أن يصير راهبا فذهب الى دير أنطونيوس أبى الرهبان ، وهناك صار راهبا ومارس الكثير من الجهاد الروحى . وعندما تنيح الأنبا يؤانس البطريرك المائة والسابع ، اجتمع كافة الأساقفة والكهنة بالقاهرة ، وأجروا العديد من الاقتراعات لاختيار الشخص المناسب للمنصب . ولما كانوا قد صلوا للرب سائلين أن يرشدهم فى اختيار الرجل الأكثر استحقاقا ، وقعت القرعة على مرقس ، فأرسلوا فى طلبه رئيس الدير الذى صحبته جماعة من البدو ، وأحضروه الى القاهرة رغما عن ارادته مقيدا بالسلاسل الحديدية . وحضر الآباء والأساقفة والكهنة جميعا ورسموه بطريركا لكرسى مارمرقس بالاسكندرية . وكان اسمه يوحنا قبل أن يصير بطريركا ، وأعطوه اسم (مرقس) . وخلال حبريته حدثت العديد من المصائب والنكبات أهمها أنه بعد جلوسه على الكرسى بعامين احتلت مصر حملة من بلاد الفرنجة دعيت باسم الفرنسيس . وثار سكان القاهرة ضدهم ودارت الحرب بين الطرفين لمدة ثلاثة أيام وقام البطريرك بنقل مقره من حارة الروم الى الأزبكية . ثم جاء وزير من تركيا ومعه بعض الرعايا الانجليز فطردوا الفرنسيين من مصر . وكان أفراد الشعب قد عانوا الكثير تحت الاحتلال الفرنسى فضاعت الكثير من الأماكن، وهجرت الكثير من الكنائس . وقد عانى البطريرك نفسه العديد من المتاعب التى بسببها ترك حارة الروم وأتى الى الأزبكية حيث بنى ضاحية كبيرة وكنيسة عظيمة باسم القديس مرقس الانجيلى ، وهو أول البابوات الذين أقاموا بالأزبكية . وكان دائم الاصلاح للكنائس والأديرة التى كانت خربة . وكان متنبها لتعليم الشعب والوعظ طوال الليل والنهار . وعلاوة على ذلك فقد رسم العديد من الأساقفة . وعند نياحة مطران الحبشة ، حضر بعض الرهبان والقسوس ، ومعهم خطاب من ملك الحبشة طالبين تعيين مطران . وقد رسم لهم البابا مرقس مطرانا مضى مع الكهنة الأحباش، وأرسل لهم أيضا عددا من كتب العظات والتعاليم لأنه سمع أن بعضا منهم صاروا هراطقة . وقد حدثت احدى العجائب على يد هذا البابا ، ففى

احدى السنوات لم يبلغ فيضان النيل المدى المقرر ، فطلب نائب الملك من بطريرك الأقباط وسائر البطاركة أن يصلوا من أجل زيادة مياه النيل ٠ وعلى ذلك حضر الأنبا مرقس وكافة الكهنة وأفراد الشعب المسيحى — وصلوا الى الله الذى استجاب لصلواتهم وزاد من ارتفاع ماء النهر حتى تجاوز الحد المقرر ٠

وعندما أصابه مرض الموت استدعى اليه كبير الأساقفة وقال له : « لقد حل موعد مفارقتى لهذا العالم ، فيجب أن تجتمع أنت وسائر الاخوة لرسامة البطريرك الجديد ولا تهملوا هذا الموضوع » ٠ وبعد ثلاثة أيام رحلت روحه الى الله ، ودفن فى كنيسة الأزبكية التى بناها ٠ وأقيمت له جنازة فخمة ٠ وقد جلس على الكرسى لمدة ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر ٠ بركته فلتكن معنا الى النفس الأخير ، ولربنا المجد الدائم الى الأبد ٠ آمين ٠

ملحق الكتـــاب(*)

ثبت بأهم الاصطلاحات الكنسية القبطية
مرتبة حسب الحروف الهجائية

(أ)

اباركة : عصير عنب مختمر يوضع فى الكأس على المذبح ممزوجا بالماء ويتحول أثناء الصلاة الى دم السيد المسيح الذى انبثق من جنبه المطعون بالحربة مع الماء اشارة الى أن المسيح هو الميت الحى الذى ليس للموت سلطان عليه ٠ والكلمة قبطية تعنى البواكير أو البشائر ٠

الابركسيس : فصل من سفر أعمال الرسل يقرأ ضمن القراءات الكنسية ٠

ابروسفارين : غطاء يوضع فوق الصينية والكأس على المذبح ويشير الى الحجر الذى كان موضوعا على قبر السيد المسيح ٠

أبصالتس : المرتل وهو الذى يقود الألحان فى الكنيسة ٠

ابصلمودية : كتاب التسبحة اليومية ٠

الأجبية : كتاب السبع صلوات اليومية مرتبة حسب الساعات ٠

أرثوذكسى : مستقيم العقيدة ٠ والأرثوذكسية هى ايمان الكنيسة الواحدة قبل أن تنفصل الكنيسة الكاثوليكية فى مجمع خلقيدونية سنة ٤٥٠ ميلادية ومازالت الأرثوذكسية تعنى ايمان الكنائس الشرقية ٠

ارشيدياكون : رئيس الشمامسة ٠

الآريوسية : فكر منحرف ظهر فى القرن الرابع الميلادى وينسب الى القس آريوس الضال ٠ وقد تصدى له القديس أثناسيوس الرسولى ٠ وتم القضاء على هذا الفكر نهائيا ٠

اسخاطولوجى : علم دراسة مقار الآخرة وحياة ما بعد الموت ٠

اسكيم : حزام من الجلد يلبسه الراهب المتوحد وهو يلزمه بأداء صلوات وأصوام وعبادات تفوق ما يقوم به الراهب العادى ٠

(*) هذا الملحق مضاف الى الكتاب الأصلى ومكتوب بقلم المترجم ٠

الأسقف : هو راعى الايبارشية ويرسم القسوس والشمامسة وتطلق كلمة : أسقفية على مقر الأسقف وهو فى الكاتدرائية التى يشرف منها على أنشطة وخدمات الكنائس التابعة له ٠

اشبين : الشخص المسئول أمام الله عن استلام المعمد حديثا وتنشئته على أصول الايمان القويم ٠

اكليروس : هم رجال الدين المسيحى من أساقفة (أكبرهم البابا) وقمامصة وقسوس وشمامسة ٠

الاعتراف : أحد أسرار الكنيسة السبعة وفيه يعترف المؤمن بخطاياه على يدى الكاهن لينال الحل أى الغفران ٠

أغابى : وليمة محبة تقام فى احدى قاعات الكنيسة بعد الصلاة ويشترك فيها الحاضرون ٠

افخارستيا : سر الشكر أو التناول من جسد المسيح ودمه ٠

اقنوم : لفظ يطلق على كل من الآب والابن والروح القدس الاله الواحد ويعنى نفس الجوهر أو الذات حتى لا تنصرف الأذهان الى تعدد الآلهة ولتثبيت عقيدة الوحدانية وهى أساس المسيحية ٠

اكليل : لها معنيان : ١ ــ التاج الذى يلبسه البطريرك أو الأسقف والذى هو نصيب الأبرار فى ملكوت السموات ٠

٢ ــ القران أو الزواج ٠

الليلويا : كلمة تعنى : سبحوا الله ٠ وتكتب أحيانا : هلليلويا ٠

الأنبل : هو المنبر الذى يقف عليه الأسقف أو الكاهن لالقاء العظة ٠

أوشية : دعاء أثناء الصلاة وجمعها أواش ٠

ايبارشية : منطقة تخضع لكرسى الأسقف وهى فى العادة مدينة بها عدد من الكنائس ٠

أيقونة : صورة مقدسة ومكرسة بالميرون والغرض منها تذكير المؤمنين بسيرة صاحب الأيقونة أى القسيس الذى يظهر فيها وتكريم الأيقونات لا يعنى عبادتها ٠

(ب)

البابا : هو البطريرك أى رئيس كافة الرتب الكنسية ورئيس الأساقفة ٠

البتولية : التفرغ للخدمة التعبدية دون الزواج وهى اختيارية لمن يرغب الرهبان بتوليون ٠ وهناك بعض المؤمنين يختارون حياة البتولية

دون ان يكونوا رهبانا مقيمين فى الأديرة ويتفرغون لأداء بعض الخدمات الكنسية تحت اشراف الأسـقف فى البيوت التى ترعى اليتامى أو المسنين ٠٠ الخ ٠

البخور : هو المادة العطرية التى تحترق فى المجمرة وارتفاعه الى السماء يشير الى ارتفاع صلاة المؤمنين ٠

البرص : هو مرض الجذام وكان منتشرا أيام السيد المسيح وقد شـفى السيد المسيح كل من قابله من المصابين بهذا المرض ٠

البركة الختامية : فى نهاية القداس حيث يصرف الكاهن الشعب وعلامتها رش الماء اشارة الى الامتلاء من الروح القدس ٠

البشـارة : علبة من الفضة تحتوى الكتاب المقدس ٠

البرنس : رداء مستدير واسع مفتوح من الأمام بدون أكمام يرتديه الكهنة فى قداسات الأعياد ويرتديه الأساقفة ورئيس الأساقفة عند الاشتراك فى القداسات ٠

البصخة : معناها العبور ويطلق على أسبوع الآلام اسم : أسبوع البصخة ويذكرنا بعبور بنى اسرائيل البحر الأحمـر وذبح خروف الفصح الذى يرمز الى ذبيحة المسيح على الصليب ٠

البطرشيل : وشاح عريض خاص بالشمامسة يلبسه كبارهم على الجهة اليسرى ومن تحت الابط الى الكتف اليسرى بينما يلبسه صغارهم على شكل صليب ٠

البلين : يلبسه رئيس الكهنة (الأسقف أو البابا) على صدره أثناء القداس ٠

بيت لحم : اسم الغرفة الخاصة بصنع القربان وهو اسم القرية الصغيرة التى ولد بها السيد المسيح ٠

بيض النعام : يعلق أمام الهيكل فى مواجهة المصلين لكى يجذب أنظارهم نحو الهيكل كما تنجذب عين النعامة نحو بيضها طول الوقت حتى يفقس ٠

(ت)

تابوت : صندوق يحتوى جسد المتوفى ٠

تاج : يلبسه الأسقف أثناء الصلاة لكى يذكر المؤمنين باكليل الشوك الذى وضع على رأس المسيح وأنه فى الحياة الأخرى يتحول الى الاكليل السماوى الذى يوضع على رؤوس الأبرار والقديسين ٠

تجديف : مساس بالعقائد الأساسية ويعنى الكفر أو انكار الايمان ·

تدشين أو تكريس : تقديس الشئ حتى يصير صالحا للاستخدام فى الأغراض الدينية ويتم ذلك بتلاوة صلوات معينة ومسح بزيت الميرون على شكل صلبان ·

التقليد الكنسي : مجموعة الأقوال والأحداث والقوانين غير المدونة والتى تسلم شفاهة من جيل الى جيل ·

التطويب : المديح أو التمجيد ·

التوراة : اسفار موسى الخمسة وتطلق مجازا على جميع كتب العهد القديم الموجودة ضمن الكتاب المقدس ·

التونيـة : جلباب أبيض عليه صليبان أمامى وخلفى فى منطقة الصدر ويلبسه جميع الاكليروس اثناء الخدمة ·

(ث)

ثمار : هناك ثمار لها وضع مميز فى حياة المسيحيين مثل : التين والجميز وقد وردا فى أمثال السيد المسيح التعليمية والزيتون الذى يستخدم فى انتاج الزبيب والعنب لانتاج الخمر المستخدمة فى التناول والبلح الذى يرمز الى استشهاد القديسين لأن لونه الأحمر يرمز الى سفك دمائهم ونواته ترمز الى صلابة ايمانهم ·

(ج)

جاثليق : بطريرك للحبشة يرسمه بابا الاسكندرية باشتراك عدد من المطارنة أو الأساقفة ·

جحد الشيطان : يتم بواسطة الاشبين الذى يحمل الطفل قبل العماد ويعنى طرد الشيطان والتخلص منه ·

جرن المعمودية : وعاء ضخم من الحجر يملأ بالماء ويغطس فيه المعمد ثلاث مرات باسم الآب والابن والروح القدس ويوجد فى غرفة المعمودية التى تقام شمال غرب صحن الكنيسة ·

الجمعة العظيمة : اليوم السادس من أسبوع الآلام وتسمى أيضا الجمعة الحزينة لان فيها تم صلب السيد المسيح ·

(ح)

حامل الأيقونات : كان يوجد حجاب يمنع المصلين من رؤية ما يجرى داخل الهيكل فى العهد القديم وعند موت المسيح على الصليب انشق هذا الحجاب الى نصفين من أعلى الى أسفل رمزا لزوال الحاجز بين الله

والناس ولذلك حل محله فى العهد الجديد حامل الأيقونات المصنوع من اشغال الخشب الشبكية ويسمح للمصلين برؤية كل ما يجرى داخل الهيكل ٠

الحرمان : قرار كنسى يمنع المخالف للايمان الصحيح من دخول الكنيسة والتقدم للأسرار المقدسة واذا كانت المخالفة لا تمس الايمان فان هذا المنع يكون لمدة محدودة كعقوبة وتأديب للمخالف ٠

حق القربان المقدس أو اناء الذخيرة : علبة صغيرة يحمل فيها الكاهن بعض الخبز والخمر اللذين تحولا أثناء القداس الى جسد ودم المسيح وذلك لمناولة مريض أقعده المرض عن الحضور الى الكنيسة ٠

الحل : له معنيان : ١ ـ الغاء قرار صدر سابقا بالحرمان ٠

٢ ـ عفو عن خطايا الشخص المخطىء حتى يصير مستحقا للتقدم أى سر الشكر ٠

الحمل : هو المسيح الذى صلب عن البشرية على مثال خروف الفصح ويطلق هذا الاسم كذلك على القربانة المختارة لصلاة القداس وهى الخبز الذى يتحول أثناء الصلاة الى جسد المسيح ٠

الحية النحاسية : توضع فى الهيكل أثناء حضور الأسقف وتشير الى رفع السيد المسيح على الصليب ٠

الخوروس : مكان وقوف الشمامسة أمام حامل الأيقونات ٠

خورى ابسكوبوس : أسقف مساعد للايبارشيات الواسعة ٠

الخولاجى المقدس : الكتاب الذى يحوى صلوات القداس ٠

خميس العهد : اليوم الخامس من أسبوع الآلام وفيه غسل السيد المسيح أرجل تلاميذه وصنع معهم العشاء الربانى وسلمهم سر التناول ووضع أساس صلوات القداس ٠

(د)

الدرجات السبع : سبع درجات نصف دائرية فى الشرقية للأسقف وحوله الكهنة وتسمى أيضا : الدرج ٠

الدسقولية : كتاب يتضمن تعاليم الرسل ٠

الدف : قطعتان دائريتان من النحاس تعطيان عند طرقهما نغما لضبط الألحان ويسمى أيضا : الصنوج ٠

دياكون : شماس ٠

دير : مكان معيشة الرهبان الذين اعتزلوا حياة العالم ٠ وهناك أديرة مخصصة للراهبات ٠

(ذ)

ذو كصولوجية : قطعة ملحنة لتمجيد اسم الله ٠

(ر)

الراعى : لقب الراعى يعطى للبابا أو الأسقف لأنه يرعى شعب الله ٠

راهب أو راهبة : انسان اختار بمحض ارادته أن يخرج من حياة العالم ليخصص حياته كلها للعبادة ٠

رسامة : طقس صلاة لتعيين الشخص المرشح لاحدى الرتب الكهنوتيـة ويرأسه البابا أو الأسقف ٠

رواق : جناح خارجى للكنيسة أو الذراع الذى يعطى شكل الصليب ٠

(ز)

زيت الغاليلاون : زيت يغلى فيه بقايا زيت الميرون بعد تصفيته ويستخدم فى العماد ٠

زيت الميرون : يصنع من زيوت معينة تخلط بالأطياب التى قدمت عند تكفين السيد المسيح ووضعه فى القبر ٠

(س)

سائح : راهب وصل الى أعلى درجات النسك ويحمله الروح القدس الى متاهات البرية ولا يظهر الا للقديسين عندما يحضر للاشتراك فى سر التناول وعدد السياح المعروفين فى تاريخ الكنيسة كله لا يتجاوز عدد أصابع اليدين ٠

سبط : قبيلة ٠

سفر : أى من الكتب التى يتضمنها العهد القديم فى الكتاب المقدس ٠

سمكة : ترمز للسيد المسيح والحروف التى تتكون منها باليونانية تحوى الحروف الأولى لعبارة : (يسوع المسيح ابن الله المخلص) وهى تدخل ضمن وحدات الزخرفة القبطية الى جانب الصليب والعنب ٠

السنكسار : كتاب يحوى سير القديسين حسب كل يوم من أيام السـنة القبطية ٠

سيامة : تعنى رسامة أو تعيين الشخص المرشح لاحدى الرتب الكهنوتية ٠

السيرافيم : ملائكة تخدم عرش الله وتقوم بالتسبيح المستمر قائلة : قدوس ٠٠ قدوس ٠٠ قدوس ٠

الشاروبيم : ملائكة تحمل عرش الله وهى ذوات ستة أجنحة باثنين يغطون وجوههم وباثنين يغطون أرجلهم ويطيرون باثنين ٠

الشرقية : تجويف أو حنية فى الحائط الشرقى للهيكل فى مواجهة المذبح بها أيقونة السيد المسيح على العرش وأمامها قنديل منير .

الشماس : درجة كهنوتية لحاملها واجبات معينة أهمها قراءة فصول الكتاب المقدس ، وخدمة المذبح .

شمعدان : يوضع اثنان على المذبح اشارة الى الملاكين اللذين كانا فى قبر المسيح .

الشملة : غطاء رأس الكاهن أثناء خدمة القداس .

شورية : المجمرة أو المبخرة التى يحرق فيها البخور .

الشيطان : هو العدو الحقيقى للانسان وهو المقصود بكافة الاصطلاحات التى تتضمنها الحرب الروحية .

(ص)

صحن الكنيسة : مكان اجتماع الشعب فى الكنيسة للصلاة ويسمى خوروس المؤمنين .

الصدرة : تلبس فى عنق من الأمام تمتد الى القدمين ويرتديها الكهنة والأساقفة وينقش عليها أسماء تلاميذ المسيح الاثنى عشر .

الصلاة : هناك العديد من الصلوات الجماعية والفردية والأسرية علاوة على صلوات المناسبات والرسومات ، ولكن أهمها صلوات القداس التى يشترك فيها جميع المؤمنين .

صليب الصلبوت : هو الصليب الذى يحمل السيد المسيح مصلوبا ويرتفع أمام جميع المؤمنين الذين ينظرون الى الهيكل .

صندوق المذبح : ويسمى أيضا الكرسى ويصنع من الخشب ويرسم عليه صورة العشاء الربانى والسيد المسيح ويوضع فى فتحته الكأس التى تحمل دم المسيح .

الصوم : تمارس الكنيسة القبطية أصواما عديدة يصل مجموع أيامها الى حوالى ثلث العام .

الصينية : توضع أمام صندوق المذبح (الكرسى) وتحمل قربانة الحمل التى تتحول الى جسد المسيح أثناء صلوات القداس .

(ط)

الطافوس : مقبرة الرهبان فى الدير .

الطقوس : الشعائر أو الترتيبات التى تنظم الأنشطة الروحية فى الصلوات والأصوام ... الخ .

طيلسان : هو الشملة أى غطاء رأس الكاهن اثناء خدمة القداس ٠

(ع)

عصا الرعاية : يحملها البابا أو الأسقف وتشير الى مسئوليته عن خدمة الشعب ٠

علمانى : تطلق على المسيحى المؤمن من غير رجال الاكليروس ٠

العنصرة : عيد حلول الروح القدس على التلاميذ فى اليوم الخمسين لقيامة السيد المسيح من الأموات ٠

(غ)

الغطاس : عيد عماد السيد المسيح فى نهر الأردن ٠

(ف)

الفصح : تذكار ذبح خروف الفصح قبل خروج بنى اسرائيل من مصر وكان يشير الى ذبيحة المسيح الكفارية على الصليب وقد حل محله فى العهد الجديد عيد القيامة الذى يسمى عيد الفصح ٠

(ق)

القبة : لها معنيان : ١ ـ فى بناء الكنيسة ٠

٢ ـ فوق المذبح وهى تمثل السماء ومحمولة على أربعة أعمدة رخامية تمثل البشيرين أى الانجيليين الذين دونوا الأناجيل الأربعة بوحى وارشاد الروح القدس ٠

القداس : الصلاة الجماعية التى يمارس فيها المؤمنون سر الشكر أى التناول من جسد الرب ودمه وهو الذى وضع أساسه السيد المسيح بنفسه وسلمه الى التلاميذ يوم خميس العهد ورتب الرسل بعد ذلك خدمة القداس طبقا لما تعلموه من سيدهم ٠

القدوس : الله وحده الذى هو كلى القداسة والطهارة والبر ٠

قديس : شخص عاش حياته طاهرا مع الله ورفعته الكنيسة الى مصاف القديسين أى الأطهار ٠

القربان : خبز مصنوع من الدقيق النقى المختمر ولا يضاف اليه ملح لأن منه يختار الكاهن قربانة الحمل التى تتحول اثناء صلاة القداس الى جسد المسيح الذى لا يرى فسادا ٠

القس : يسمى ابرسفيتيروس أى شفيع لأنه يصلى عن شعب الله ويرعى المؤمنين ويخدمهم .

قطماروس : كتاب يتضمن القراءات الكنسية لكل يوم من أيام السنة .

قلاية : حجرة صغيرة خاصة بالراهب فى الدير .

القمص : يسمى ايغومينوس أى مدبر لأنه يدبر شئون الكنيسة مع اخوانه القسوس .

(ك)

كاتدرائية : الكنيسة التى يوجد بها كرسى الأسقفية .

كاثوليكون : هى الرسائل الجامعية وتطلق على رسالة يعقوب ورسالتى بطرس ورسائل يوحنا الثلاثة ورسالة يهوذا الرسول أخى يعقوب وهى من الأسفار المقدسة ضمن كتب العهد الجديد

الكاس : تصنع من الفضة وتوضع فيها الأباركة ممتزجة بالماء وتتحول الى دم المسيح اثناء صلاة القداس .

الكرازة : لها معنيان : ١ – الحديث عن العقائد المسيحية وشرح تعاليم المسيح

٢ – كرسى رسولى أى مؤسس بمعرفة أحد رسل المسيح مثل الكرازة المرقسية التى أسسها مرقس البشير وهى الكنيسة القبطية .

كيرى ليسون : عبارة باللغة القبطية معناها : يا رب ارحم .

(ل)

لحن : تسبيح منغم يتلى فى الكنيسة ضمن صلوات القداس ويردده الشمامسة والشعب .

لفافة : منديل يستخدم فى خدمة المذبح ويمسك به الشخص المتقدم للتناول حتى لا يسقط شىء من الجسد المقدس على الأرض .

لقان : صلاة على الماء فى عيد الغطاس وخميس العهد وعيد الرسل .

اللوح المقدس : مستطيل من الخشب أو الرخام فى وسطه صليب كبير مكتوب عليه الحرفان الأول والأخير من الأبجدية اليونانية (الألفا والأوميجا) ويمسح بالميرون ويوضع فوقه الكرسى والصينية ولا يتم القداس بدونه وهو موضوع على المذبح .

مار (بكسر الراء) : كلمة آرامية (سريانية) تعنى السيد وتطلق على كبار القديسين الشهداء امثال مار جرجس ومار مينـا ٠

المجمرة : هى الشورية أى المبخرة التى يحرق فيها البخور ٠

المذبح : مائدة مكعبة وسط الهيكل توضع عليها الذبيحة المقدسة من الخبز والخمر ويرمز لقبر المسيح ٠

المراوح : تستخدم بأيدى الشمامسة اثناء القداس فى تسبحة الشاروبيم أى الملائكة ذوى الستة أجنحة ٠

مزار : غرفة بالكنيسة يحفظ بها بعض من رفات القديس شفيع الكنيسة أى الذى تسمى باسمه الكنيسة مع أيقونات عديدة منهـا أيقونة لشفيع الكنيسة ٠ وقد يكون المزار فى أحد جوانب صحن الكنيسة ٠

مستير : الملعقة التى يتناول بها المتقدمون للتناول الخمر الممزوجة بالماء والتى تحولت الى دم المسيح أثناء صلوات القداس ٠

مطران : رئيس مجموعة من الأساقفة او اسقف مدينة كبيرة مترو بوليس ويسمى متروبوليتان ٠

المطعمة : قاعة الطعام فى الدير ٠

المضيفة : توجد فى الأديرة وأيضا فى الكنائس لاستقبال الضيوف ٠

المعمودية : غرفة كانت قديما فى الجهة البحرية الغربية من الكنيسة وهى الآن فى الجهة الشرقية القبلية بجوار الهيكل وفيها جرن المعمودية وايقونة السيد المسيح ٠

المغطس : فى الكنائس القديمة وكان ينزل فيه الرجال ليلة عيد الغطاس تذكارا لعماد السيد المسيح ٠

المقصورة : حجرة أو دولاب بها ايقونة لقديس او ملاك ويوقـد المؤمنون الشموع امام الأيقونة ٠

المنـارة : برج يحمل جرس الكنيسة ومكانه عند المدخل أو جهة الهيكل ويدق الجرس للتنبيه الى مواعيد القداس او فى المناسبات المفرحة ويعلوها صليب رمزا لمكان العبادة المسيحية ٠

المنبر : المكان الذى تلقى منه العظة وهو مرتفع وكان يقام على اعمدة رخامية فى الكنائس القديمة ٠

المنطقة : حزام يلبسه البابا أو الأسقف ويشير الى الاستقامة واليقظة فى الخدمة ٠

المنجلية : حامل للانجيل او القطماروس او غيرها من الكتب التى تقرأ فى الكنيسة ٠

الميرون : انظر كلمة : زيت الميرون فى حرف (ز) ٠

ميطانية : انحناءة مع رسم الشخص ذاته بالصليب وهى من طقوس العبادة فى الكنيسة كما انها تقدم تعبيرا عن التوقير والاحترام للرتب الكنسية الرفيعة مثل البابا او الأسقف ٠

ميمر : عظة لأحد القديسين تقرأ فى الكنيسة على المؤمنين فى مناسبة دينية ٠

(ن)

الناموس : شريعة او قانون وتطلق على شريعة موسى ٠

النجم : القنديل الذى يعلق فى الشرقية ويرمز الى النجم الذى قاد المجوس الى بيت لحم ٠

نياحة : كلمة تعنى الوفاة واذا استخدمت بدون الهاء (نياح) فهى تعنى الراحة الأبدية التى يلقاها القديسون والأبرار ٠

(هـ)

هرطقة : كفر او انكار للعقائد المسيحية الأساسية او خروج على التعاليم المسلمة من الآباء ٠

الهيكل : مكان تقديم الذبيحة ويبنى فى الجهة الشرقية من الكنيسة ليكون امام المؤمنين الذين ينتظرون المجىء الثانى للمسيح من الشرق ولا يجوز دخوله لغير ذوى الرتب الكهنوتية كما انه لا يجوز دخوله بالأحذية ٠

(و)

وضع الأيدى : يضع البابا او الأسقف يديه على الشخص المرشح لاحدى الرتب الكهنوتية ليتقبل موهبة الروح القدس للخدمة ٠ كما توضع الأيدى ايضا على الشخص العادى للبركة ٠

(ى)

يمين القوة : يقصد بها عرش الله فى السموات ٠

اقرأ فى هــذه السلسلة

احلام الاعلام وقصص اخرى	برتراند رسل
الالكترونيات والحياة الحديثة	ى ٠ رادونسكايا ٠
نقطة مقـابل نقطة	الدس هكسلى ٠
الجغرافيا فى مائة عام	ت ٠ و ٠ فريمان
الثقافة والمجتمع	رايموند وليامز
تاريخ العلم والتكنولوجيا ٠ جـ ٢ القرن الثامن عشر والتاسع عشر	ر ٠ ج ٠ فوربس
الأرض الغـامضة	ليستر ديل راى
الرواية الانجليزية	والتر الن
المرشد الى فن المسرح	لويس فارجاس
آلهة مصر	فرانسوا دوماس
الانسان المصرى على الشاشة	د٠ قدرى حفنى وآخرون
القاهرة مدينة الف ليلة وليلة	أولج فولكف
الهوية القومية فى السينما العربية	هاشم النحاس
مجموعات النقـود صيانتها ٠٠ تصنيفها ٠٠ عرضها	ديفيد وليام ماكدونالد
الموسيقى ـ تعبير نغمى ـ ومنطق	عزيز الشـوان
عصر الرواية ـ مقال فى النوع الأدبى	د٠ محسن جاسم الموسوى
ديلان توماس	اشرف س٠ بى كوكس
الانسان ذلك الانسان الفريد	جون لويس
الرواية الحـــديثة ٠ الانجليزية والفرنسية جـ ١	بول ويست
المسرح المصرى المعاصر ٠ اصله وبدايته	د٠ عبد المعطى شعراوى
على محمود طه ٠ الشاعر والانسان	انور المعـداوى
القوة النفسية للاهرام	بيل شول وإدنهيت
فن الترجمـــة	د٠ صـفاء خلوصى
تولســـتوى	رالف ئى ماتلو
ســتندال	فيكتور برومبير
رسائل واحاديث من المنفى	فيكتور هوجــو
الجزء والكل (محـــاورات فى مضمار الفيزياء الذرية)	فيزنر هيزنبرج
التراث الغامض ماركس والماكسيون	سـيدنى هــوك

فن الأدب الروائى عند تولستوى	ف٠ ع ادنيكوف
أدب الأطفال ٠ (فلسفته ـ فنونه ـ وسائطه)	هادى نعمان الهيتى
أحمد حسن الزيات ٠ كاتبا وناقدا	د٠ نعمة رحيم العزاوى
أعلام العرب فى الكيمياء	د٠ فاضل أحمد الطائى
فكرة المسرح	فرنسيس فرجون
الجحيم	هنرى باربوسى
صنع القرار السياسى فى منظمات الادارة العامة	السيد عليوة
التطور الحضارى للانسان (ارتقاء الانسان)	جاكوب برونوفسكى
هل نستطيع تعليم الأخلاق للاطفال ؟	د٠ روجر ستروجان
تربية الدواجن	كاتى ثير
الموتى وعالمهم فى مصر القديمة	ا٠ سبنسر
النحل والطب	د٠ ناعوم بيتروفيتش
سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى	جوزيف داهموس
سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء مصر ١٨٣٠ ـ ١٩١٤	د٠ لينوار تشامبرز رايت
كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة	د٠ جون شندلر
الصحافة	بيير البير
أثر الكوميديا الالهية لدانتى فى الفن التشكيلى	الدكتور غبريال وهبه
الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعدها	د٠ رمسيس عوض
حركة عدم الانحياز فى عالم متغير	د٠ محمد نعمان جلال
الفكر الأوروبى الحديث ج ١	فرانكلين ل ٠ باومر
الفن التشكيلى المعاصر فى الوطن العربى ١٨٨٥ ـ ١٩٨٥	شوكت الربيعى
التنشئة الأسرية والأبناء الصغار	د٠ محيى الدين أحمد حسين
نظريات الفيلم الكبرى	تأليف : ج٠ دادلى اندرو
مختارات من الأدب القصصى	جوزيف كونراد
الحياة فى الكون كيف نشأت وأين توجد؟	طائفة من العلماء الأمريكيين
حرب الفضاء	د٠ محمد أسعد عبد الرؤوف

ادارة الصراعات الدولية	د. السيد عليـــوة
الميكروكمبيـــوتر	د. مصطفى عنـــانى
مختارات من الأدب اليابانى (الشعر - الدراما - الحكاية - القصة القصيرة)	صبرى أبو الفضل
الفكر الأوروبى الحديث . ج ٢	فرانكلين ل . باومر
تاريخ ملكية الأراضى فى مصر الحديثة	جابرييل باير
اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة	أنطونى دى كرسبنى وكينيث هينوج
الفكر الأوروبى الحديث . ج ٣	فرانكلين ل . باومر
كتابة السيناريو للسينما	دوايت سوين
الزمن وقياســه	زافيلسكى ف.س
اجهزة تكييف الهــواء	ابراهيم القرضاوى
الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى	بيتر رداى
سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى	جوزيف داهموسى
التجربة اليونانية	س . م بورا
مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية	د. عاصم محمد رزق
العــلم والطلاب والمدارس	رونالد د . سمبسون و نورمان د . اندرسون
الشارع المصرى والفكر	د. أنور عبد الملك
حوار حول التنمية الاقتصادية	والت روســتو
تبسيط الكيمياء	فرد . س . هيسى
العادات والتقاليد المصرية	جون بوركهارت
التذوق السينمائى	آلان كاسبيار
التخطيط السياحى	سامى عبد المعطى
البذور الكونيــة	فريد هويل شاندرا ويكراما ماسينج
دراما الشاشة ج ١	حسين حلمى المهندس
الهيروين والايدز	روى روبرتســون
صــور افريقية	دوركاس ماكلينتوك
نجيب محفوظ على الشاشة	هاشم النحاس
الفكر الأوروبى الحديث ج ٤	فرانكلين ل . باومر

الكمبيوتر فى مجالات الحياة	د. محمود سرى طه
دراما الشاشة ج ٢	حسين حلمى المهندس
المخدرات حقائق اجتماعية ونفسية	بيتر لورى
وظائف الأعضاء من الألف الى الياء	بوريس فيدروفيتش سيرجيف
الهندسة الوراثية	ويليام بينز
تربية أسماك الزينة	ديفيد الدرتون
كتب غيرت الفكر الانسانى	
الفلسفة وقضايا العصر ج ١	جمعها : جون ٠ ر ٠ بورر وميلتون جولد ينجر
الفكر التاريخى عند الاغريق	أرنولد توينبى
قضايا وملامح الفن التشكيلى	د. صالح رضا
التغذية فى البلدان النامية	م ٠ هـ ٠ كنج وآخرون
الفلسفة وقضايا العصر ج ٢	جمعها : جون ٠ ر ٠ بورر وميلتون جولد ينجر
بداية بلا نهاية	جورج جاموف
الحرف والصناعات فى مصر الاسلامية	د. السيد طه أبو سديره
حوار حول النظامين الرئيسيين للكون ج ١	جاليليو جاليليه
حوار حول النظامين الرئيسيين للكون ج ٢	جاليليو جاليليه
حوار حول النظامين الرئيسيين للكون ج ٣	جاليليو جاليليه
الارهاب	أريك موريس ، آلان هو
اخناتون	سيريل الدريد
القبيلة الثالثة عشرة	آرثر كيستلر
الفلسفة وقضايا العصر ج ٣	جمعها : جون ٠ ر ٠ بورر وميلتون جولدوينجر
العلم والتكنولوجيا	ر ٠ ج ٠ فويس أ ٠ ج ٠ فويس
الثورة الاصلاحية فى اليابان	كوفلان
التوافق النفسى	توماس أ ٠ هاريس
الدليل الببليوجرافى	مجموعة من الباحثين
لغة الصورة	زوى أرمن
الثورة الاصلاحية فى اليابان	ناجاى متشيو

العـالم الثالث غدا	بول هاريسون
	ميكائيل البى
الانقراض الكبير	جيمس لفلوك
تاريخ النقـود	فيكتور مورجان
التحليل والتوزيع الأوركسترالى	اعداد محمد كمال اسماعيل
الشاهنامة جـ ١	الفردوسى الطوسى
الشاهنامة جـ ٢	الفردوسى الطوسى
الحياة الكريمة جـ ١	بيرتون بورتر
الحياة الكريمة جـ ٢	بيرتون بورتر
كتابة التاريخ فى مصر ق ١٩٠	جاك كرابس جونيور
قيام الدولة العثمانية	محمد فؤاد كوبريلى
العثمانيون فى أوربا	بول كولز
مختارات من الآداب الآسيوية	اختيار واعداد صبرى الفضل
التمثيل للسينما والتليفزيون	تونى بار
سـقوط المطـر	نادين جورديمر وآخرون
كتب غيرت الفكر الانسانى	اعداد احمد الشنوانى
صناع الخلود	موريس بيربرايير
دليل تنظيم المتاحف	آدامز فيليب

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٨٣٤٧ / ١٩٩٣

ISBN — 977 — 01 — 3478 — 3

هذا هو الجزء الثانى من كتاب الرحالة البريطانى الفريد جوشوا بتلر الذى يستكمل فيه ما بدأه فى الجزء الأول من تسجيل تاريخى دقيق لتراث الكنيسة القبطية. ويقدم فى هذا الجزء تفاصيل مسهبة عن الفكر الدينى لدى الأقباط مع عرض للملابس الكهنوتية وشرح لأسرار الكنيسة السبعة كما يقدم صورة جميلة لاحتفالاتهم الدينية فى الأعياد والمواسم الرئيسية واختيار رجال الأكليروس وتنصيب البابا وغير ذلك من الطقوس التى تمارسها الكنيسة القبطية

٤٥٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب